الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة وهران
Université d'Oran

كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية

قسم الجغرافيا والتهيئة العمرانية

مذكرة ماجيستر في الجغرافيا

تخصص: تهيئة قطرية وتنمية مستدامة

Option : Aménagement du territoire et développement durable

ديناميكية التعمير بقصور قورارة (ولاية ادرار)

Dynamique de peuplement des ksour du Gourara (wilaya d'Adrar)

إعداد الطالبة: **شطوف فتيحة**

الأستاذ المشرف: **حداد محمد**

لجنة المناقشة:

حداد محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مقررا
طراش سيدي محمد	أستاذ محاضر - أ-	جامعة وهران	رئيسا
بلال سيد احمد	أستاذ محاضر - أ-	جامعة وهران	ممتحنا
عثمان طيب	أستاذ محاضر - أ-	جامعة وهران	ممتحنا

وهران 2014

افتتاحية...

هذه الدراسة عبارة عن محاولة متواضعة، يمكن اعتبارها الأولى من نوعها في مجال البحث العلمي. يتعلق هذا البحث بدراسة ظاهرة التعمير بإحدى مناطق الصحراء الجزائرية التي تعتبر من المجالات التي تملك خصوصية في مميزات وتطور هذه الظاهرة؛ لأنها تتميز بنمط خاص من التجمع السكاني يعرف فيها بالقصور. فكوني من المنطقة سمح لي ذلك بأن أكون على احتكاك مباشر مع بعض تفاصيل ظاهرة التعمير، سواء من خلال التعامل مع السكان المحليين أو من خلال الملاحظة. إلا أن ذلك لم يكن كافيا لإنجاز هذه المذكرة؛ لولا التكوين الذي تلقيناه عن جامعة وهران في مجال الجغرافية بصفة عامة، ودراسة الظواهر العمرانية والحضرية على وجه الخصوص، وذلك من طرف أساتذة قسم الجغرافية؛ خاصة الذين لهم خبرة في دراسة هذا النوع من المجالات.

فهذه المذكرة لم يكن ليتم إعدادها لولا اجتياز مراحل متعددة، كان في كل مرحلة دور لبعض الأشخاص في نجاحها، لذلك لي الشرف أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر، التقدير والامتنان إلى كل من ساهم في نجاح هذا العمل.

في البداية أتوجه بتشكراتي إلى الأستاذ المشرف "حدايد محمد" على توجيهاته، مساندته، وتفهمه لي طيلة فترة إعداد المذكرة.

الشكر موصول إلى الأساتذة الأفاضل، أعضاء لجنة المناقشة: "أ. طراش سيدي محمد"، "أ. بلال سيد احمد" و"أ. عثمان طيب"، معربة لهم عن خالص امتناني لقبولهم المشاركة في تقييم العمل.

تشكراتنا الخالصة نبعثها إلى الأستاذ "لصقع موسى" رئيس مشروع دفعة هذا الماجستير على دعمه لنا خلال فترة هذا التكوين. كما أشكر جميع أساتذة قسم الجغرافية والتهيئة العمرانية على ما أسدوه لنا من مساعدات معنوية، فكرية ومعرفية، طيلة فترة التكوين بالجامعة، وأخص بالذكر الأستاذة: "معاشو حاج محمد"، "يوسفي بدر الدين"، " تلو غياث"، والأستاذة " طهراوي فاطمة"، دون أن أنسى الأستاذ "مساهل عبد الله" على مساعداته في الحصول على بعض المراجع التي لها علاقة بمنطقة الدراسة.

أوجه شكري بصفة خاصة للأستاذ "داري واسيني" الذي يتميز بطيبته وحسن معاملته، فهو لم يبخل علي بمساعداته كلما احتجت له، خصوصا في مجال التحليل الإحصائي وكيفيات استخدام بعض البرامج.

أتقدم بتحياتي الخالصة إلى جميع العاملات بمكتبة قسم الجغرافية، على حسن معاملتهن وحرصهن على اقتناء المراجع التي نحتاج إليها في كل مرة، دون أن أنسى زملائي بالدفعة وخلال المسار

الدراسي وأخص بالذكر "عائشة مزياني"، "يمينة براهيمي"، "علي ايت عميرات"، "محمد عيشاوي" "جميلة بن زحاف"، و"الطيب عدون"...

لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع موظفي وعمال المؤسسات الإدارية التي اتصلنا بها؛ على ما قدموه لنا من مساعدات، من أجل الحصول على المعطيات، سواء خارج ولاية ادرار، ويتعلق الأمر بموظفي الديوان الوطني للإحصاء بوهران (ONS) ، أما داخل ولاية أدرار فالقائمة طويلة، نبدأها من توجيه تشكراتنا الخالصة إلى رئيس قسم الإحصائيات بمديرية التخطيط (DPAT) السيد " برحال" لحرصه على تقديم جميع المعطيات التي احتجت إليها وتتوفر لديه، أشكر كذلك كل رؤساء والأمناء العامون لدوائر وبلديات منطقة قورارة، وأخص بالذكر: الأمناء العامون لكل من بلدية: تينركوك، طلمين، أولاد سعيد، وأوقروت. كما أشكر بصفة خاصة بعض موظفي هذه البلديات الذين كانت لهم مساعدات قيمة ويتعلق الأمر ببعض موظفي بلدية: " اولاد عيسى"، " دلدول"، "المطارفة"، السيد " حاج حمو عبد الكريم" عن بلدية شروين.

إلى جميع موظفي المؤسسات الإدارية الأخرى، وأعني بذلك فروع السكن والتجهيزات العمومية، البناء والتعمير، مقاطعات الفلاحة، فروع مؤسسات الأشغال العمومية، الموارد المائية، لمنطقة قورارة وديوان الترقية والتسيير العقاري بتميمون، أتقدم بتشكراتي الخالصة لهم على المساعدة التي قدموها وإن لم تتسع ورقتي لذكر اسمائهم بالتفصيل.

أشكر بالذكر كذلك تلاميذ المدارس، وجميع السادة مدراء، أساتذة، موظفي وعمال المؤسسات التعليمية والصحية على ما أسدوه لي من مساندة لإنجاح عملية التحقيق الميداني لديهم. كما لا أنسى أن أشكر السكان المحليين على تفهمهم ومساندتهم لي سواء خلال التحقيق معهم أو من خلال توضيح بعض الأشياء وتقديم بعض المساعدات خلال الزيارات الميدانية.

أسمى عبارات الشكر أبعثها إلى "والداي" على دعمهما لي سواء معنويا، أو من خلال مساعدتهما خصوصا عند مرافقتهم لي في الزيارات الميدانية لبعض القصور. كما أشكر "أخي" على مساندته لي عند جمع المعطيات من المؤسسات الإدارية، الذي كان دائما الوساطة بيني وبين بعض المؤسسات التي يتعسر الحصول فيها على المعطيات بسهولة، وأشكره على صبره معي خلال عملية التنقل التي كانت صعبة نحو القصور.

تشكراتي موجهة إلى جميع أفراد العائلة الآخرون على دعمهم ومساعدتهم لاجتياز بعض مراحل إعداد المذكرة والتشجيعات التي لم يبخلوا بها علي طيلة فترة إنجاز هذه العمل. كما لا أنسى أن أبعث تشكراتي إلى رفيقتي في الإقامة الجامعية "زيادي حنان" على دعمها المعنوي.

مـــدخـــل عـــــام

مقدمـــة:

يعتبر التعمير ظاهرة ديموغرافية بالدرجة الأولى، لأنه يتمثل في تركز السكان شيئا فشيئا في أماكن مختلفة. كما يمكن اعتباره ظاهرة جغرافية بما أنه يرسم معالمه في مجال معين، وهو ما يجعله يتسم بعدم التوازن والتجانس من نقطة لأخرى في هذا المجال؛ بما أن الظروف والعوامل المساعدة على ظهوره مختلفة من منطقة لأخرى، وفقا لعدة معطيات طبيعية، تاريخية، اقتصادية واجتماعية. ففي جنوب الجزائر عموما وإقليم توات على وجه الخصوص؛ ارتبط فيه تجمع السكان (التعمير) بحركة النقل التجاري؛ "المسماة بالنقل الصحراوي"، الذي أخذ اتجاه بلاد السودان وشمال المغرب الأقصى وأوروبا محاورا لنفوذه، إلا أن الترحال كان يستقر به في بعض الأحيان؛ مشكلا ملتقى للقوافل التجارية في نقاط مختلفة من الصحراء، ومع مرور الوقت انتهى الأمر لأغلب هذه القوافل بالاستقرار، في هذه النقاط خاصة بعد اكتشاف الماء وواحات النخيل. نتج عن هذا الاستقرار تشكل عددا من المجمعات السكانية تعرف "بالقصور"، تميزت بها هذه المناطق كنمط يتلاءم بخصائصه مع ظروفها الطبيعية، وكان كفيل باستمرار الحياة بها.

تضم الصحراء الجزائرية الكبرى ما يقارب 2000 قصر، منها قصور البيض والنعامة بالأطلس الصحراوي وقصور الساورة، توات، تيديكلت وقورارة بالجنوب الغربي للجزائر، إذ تتميز هذه الأخيرة عن تلك التي سبق ذكرها؛ أنه لا يزال أغلبها مأهول بالسكان.

تمثل قصور قورارة التي نحن بصدد دراستها؛ أحد أهم مظاهر العمران والتمدن في الصحراء، إذ تعود جذورها التاريخية إلى حوالي 10 قرون مضت، تحكم في وجودها ووظائفها نقاط تركز المياه واكتشاف نظام الفقارة؛ التي تعتبر رمز لمهارة الإنسان من أجل التعايش مع هذا الوسط ، حتم عنصر المياه خصوصية النشاطات، التي كانت زراعية بالدرجة الأولى، فقد اعتبرت الزراعة العنصر الرئيسي لديناميكية وتوازن هذا المجال، بالإضافة إلى ذلك كان لها دور هام في تسهيل حركة تنقل القوافل التجارية العابرة للمنطقة. تحكم في هذه النشاطات، المكونات الطبوغرافية للمنطقة؛ التي لطالما وقفت وراء هذه التركزات السكانية، وأخضعتها لمنطق مجالي خاص نظم هذه القصور والتجمعات، وبالتالي أكسبها، خصائص اجتماعية، اقتصادية وعمرانية خاصة ميزتها عن غيرها من مناطق المجال الوطني، *فاستمرارية وأقدمية التجمعات السكانية في المناطق الصحراوية، كان يعتمد تاريخيا على شكلين من التوازنات، فأما محليا فيتعلق الأول بالتكيف مع الوسط، وبصفة عامة يتعلق الثاني بوجود نسيج من العلاقات السوسيو- اقتصادية والثقافية، التي تشكلت مجاليا حول هذه الشبكة*(Bisson J, 2003).

لم تعد قصور وواحات قورارة كما كانت عليه منذ ماض قريب، فحقيقتها العمرانية والاجتماعية اليوم؛ تقودنا إلى الوقوف على جملة من التحولات العميقة والمتسارعة، بداية هذه التحولات كانت منذ

دخول الاستعمار إلى المنطقة، وذلك في السنوات الأولى للقرن العشرين، الذي أدى إلى كسر توازن نظام الواحة؛ وإعاقة العلاقات المجالية التقليدية المتمثلة أساسا في المبادلات التجارية الموروثة، وأنظمة التسيير المحلية.

تواصلت مسيرة التحولات بعد استرجاع السيادة الوطنية، بفعل عوامل وسياسة التحديث التي عرفتها البلاد، ففي ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تعرفها جل مناطق الوطن في هذا الإطار؛ عرفت القصور هي الأخرى نموا وتحولا مجاليا سريعا، تزامن ذلك مع النمو الديموغرافي الكبير، لاسيما زيادة احتياجاتهم، خصوصا بعد توالي الترقيات الإدارية التي عرفتها القصور، خاصة التنظيمات الأخيرة (1984،1991)، تلك التي سمحت لها بالاستفادة من سلسلة معتبرة من التجهيزات وبرامج السكن وكذا برامج لدعم القطاع الفلاحي، أدى ذلك إلى التغيير بطريقة حساسة في مرفورلوجية القصور، فأما عمرانيا؛ فأصبح أغلبها يخضع في نموه المجالي إلى شبكة الطرق والبرامج السكنية التي أنشأت حديثا، لتضفي على هذه القصور نمط جديد من استهلاك المجال، من خلال إنتاج نطاقات عمرانية جديدة خارج النسيج التقليدي للقصر، في حين القطاع الفلاحي؛ عرف ظهور تنظيمات وأشكالا جديدة من استخدام الأرض في هذا الإطار.

في ظل انفتاح سوق العمل، وتطور قطاعات أخرى مدعومة من طرف الدولة؛ كالقطاع الثالث والأشغال العمومية، التي غيرت من مصادر دخل السكان بدخول العمالة بالأجر، زاد ذلك من ديناميكية القصور، وأدى إلى تطورها من مجرد مراكز ريفية يغلب عليها الطابع الزراعي؛ إلى مراكز شبه حضرية وحضرية تبنت وظائف جديدة، الأمر الذي جعل من هذه المراكز؛ تشكل نقاط إشعاع وجذب لسكان المجمعات والقصور المجاورة الأقل تجهيزا، وأنتجت بذلك أشكالا جديدة من المجمعات السكانية، ساهمت بأحجامها وأشكالها المتعددة ووظائفها المختلفة؛ في إعادة تنظيم الشبكة العمرانية بالمنطقة، لذلك نحاول من خلال هذه الدراسة تصنيف قصور قورارة بناءا على هذه التحولات.

أمام هذا الأوضاع كلها لم يعد باستطاعة القصر، ككيان عمراني وإبداع اجتماعي الصمود أمام صدمة التحول، بسبب التغير الجوهري في القيم والممارسات الاجتماعية المحلية، الناتجة عن عملية الانفتاح على الخارج، فلم تعد لعناصر الفقارة، واحات النخيل، القصر، نفس الوظيفة التي كانت تؤديها ونفس التكامل الذي كانت تشكله من خلال ما يسمى "بنظام الواحة"، *فإدخال أنماط جديدة من التنظيم المجالي، أدى إلى اضطراب شامل لمكونات هذا المجال*(Trache S.M, 2010). فالوظيفة السكنية بالذات التي كانت تتميز بها القصور، قد تعرضت للتقلص وتدهور صروحها التاريخية، بسبب غياب سياسة عمرانية واضحة تقوم على إعادة الاعتبار للأحياء القديمة، تواكب ثورة البرامج السكنية الحديثة التي

تعرفها هذه المجمعات السكانية، أضف إلى ذلك تراجع نظام عمل كل من الفقارة وواحات النخيل التقليدية، بعد أن تم التخلي عنها من طرف مالكيها، واستبدالهما بنظام حديث لاستصلاح الأراضي الزراعية، والسقي بواسطة الابار.

إن التحليل لجملة العوامل الفاعلة والمؤثرة في العلاقة بين مجال السكن والمجال الصحراوي، سيقدم بلا شك نتائج هامة، لن تزيد في معرفتنا للصحراء والمجمعات السكانية المختلفة فحسب، بل وتؤدي إلى تقديم استنتاجات هامة تساهم في إعادة الاعتبار، للسكن الصحراوي التقليدي الذي يعرف كارثة اضمحلال متوقعة (الدباغ جاسم، 2002)، وكذا إعادة النظر في الدور الذي يمكن أن يؤديه نظام الواحة الذي يعيش أزمة اختلال التوازن، من خلال إدراجه في النشاط الاقتصادي والحضاري للمنطقة، في إطار معيشي يتلاءم وظروف البيئة الصحراوية، والنظرة الشاملة للتنمية المستدامة.

* * *

إشكـالية:

تمثل قورارة إحدى المناطق المحلية للجنوب الغربي الجزائري، على غرار توات، تيديكلت والساورة. هذه المنطقة كغيرها من المجالات الصحراوية؛ سايرت المعطيات الطبيعية، الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها منذ نشأتها من أجل أن تستمر، وذلك بعد أن كانت واحاتها في الماضي؛ تمثل نقاط التبادلات التجارية للقوافل العابرة للصحراء، *حيث ساهمت هذه التبادلات بين مختلف القبائل في تطوير تقنيات استخدام هذا الوسط والتكيف مع ظروفه، وهو ما سمح بظهور تنظيم اجتماعي خاص* (Otmane T, 2010)، وجذور حضرية غنية من خلال ما يعرف بالقصور حضرية كانت أم ريفية؟.

إن التنظيم المجالي والاجتماعي الحالي لقصور قورارة، التي تتعدى الـ100 واحة (قصر)؛ خضع عند *نشأته بشكل جزئي لتأثير الطرق القديمة للقوافل التجارية التي وجدت في عصر ازدهار التجارة العابرة للصحراء*(Otmane T, 2010)، فقد كان لها دور في تنوع القبائل والأجناس التي سكنت وبنت القصور؛ والتحكم في توزيعها الذي في كان أغلبه قرب منابع المياه، متبعة بذلك المعطيات الطبوغرافية التي تميزت بها هذه المنطقة. فبوقوع منطقة قورارة منحصرة بين الكثبان الرملية للعرق الغربي الكبير، هضبة تادمايت وأمقيدن أكسبها خصوصية في توزيع الواحات، وحتى في توزيع السكان ونسبة تركزهم بها (الواحات)، فهل يمكن اعتبارها من العوامل الرئيسية التي تحكمت في التنظيم المجالي للقصور، والتركز الديموغرافي للسكان ورسمت محاور التعمير بالمنطقة؟.

يسكن قصور قورارة حوالي 122000 نسمة، أي ما يمثل 30,5% من مجموع سكان ولاية ادرار سنة 2008. يختلف توزيع هذا الحجم السكاني في المنطقة، باختلاف التوزيع المجالي لهذه القصور،

ففي الناحية الشمالية لقورارة وسط العرق نشأت قصور تينركوك وتاغوزي، التي تضم كل واحدة منها ما يقارب 20 ألف نسمة، أما قصور تيقورارين فظهورها كان على حواف سبخة تيميمون؛ التي يتوزع عليها أكبر عدد من الواحات (أكثر من 50 قصر)، ويسكنها أكثر من 33% من سكان المنطقة. تمتد سبخة تيميمون إلى أقصى جنوب المنطقة؛ أين تتوضع سلسلة واحات دلدول والمطارفة، بالإضافة إلى قصور أوقروت وشروين، فقد شيدت الأولى التي لا يتجاوز عددها 11 قصر؛ على حواف هضبة تادمايت، أما الثانية فبنيت عند حمادة أولاد عيسى. شكلت الواحات بهذا النمط من التوزيع، *مناطق محلية نسبيا* (Bellil R, 2003) داخل المنطقة، فهل تحمل بذلك هذه القصور نفس الخصائص، أم هي مختلفة في مميزاتها باختلاف نقاط توضعها؟.

منذ نشأة القصور بقورارة ولفترة طويلة؛ تكيفت هذه المنطقة مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها بتنظيم وتسيير تقليدي ومحلي محكم من طرف "جماعة القصر" والزوايا؛ التي بقيت هذه الواحات خاضعة له طيلة هذه الفترة، ومحافظة على طابعها العمراني، ونظامها الذي يجمع بين القصر(سكن)، الفقارة وواحات النخيل التي كانت المورد الاقتصادي الأساسي والوحيد لسكانها. بدأ هذا المجال يعرف تحولات أدت إلى كسر النظام المحلي الذي كان يسير هذه القصور في السابق؛ منذ أن شهدت المنطقة وذلك خلال القرن الماضي؛ تدخلات فاعلين جدد باستراتيجيات مغايرة لذلك التنظيم التقليدي، فقد كان الهدف من الأول (الاستعمار) هو إخضاع هذا المجال لسلطته وخدمة مصالحه الخاصة؛ أما الثاني (الدولة) فكان تدخله من أجل دمجه ضمن المجال الوطني.

التحولات التي بدأت خلال المرحلة الاستعمارية، تعمق تأثيرها عندما انتهجت الدولة منذ السنوات الأولى من الاستقلال؛ سياسات ومخططات تنموية متعددة من أجل دمج القصور ضمن المجال الوطني، بدايتها كانت منذ التقسيمات الإدارية الأولى، ففي هذا الإطار تم برمجة عدة مشاريع؛ من بينها برامج الدعم الفلاحي؛ التي تهدف إلى بعث حياة جديدة في التجمعات العمرانية والأرياف؛ قوامها الرقي الاقتصادي والاجتماعي وتهيئة المجال، ومن أجل خلق شبكة من القرى العصرية التي تتوفر على السكن، التعليم، العلاج؛ وتضمن تثبيت السكان في أماكن تواجدهم. توالي التنظيمات الإدارية لـ (1974، 1984، 1991)؛ سمح بتكثيف الشبكة الإدارية وإرساء سلطة الدولة في المنطقة، عن طريق تعزيزها بإضافة وحدات للتسيير على المستوى المحلي (البلدية)، أدى ذلك إلى تحول 10 مجمعات سكانية على الأقل من قصور ذات طبيعة ريفية إلى مقرات بلدية، منها تلك التي تحولت إلى مراكز حضرية (تيميمون) أو شبه حضرية (تيبرغمين)، ومنها تلك التي تسير نحو هذا النمط من التجمع (زاوية الدباغ)، بالمقابل بقاء البعض منها بنفس طبيعتها الريفية. بالإضافة لتلك المراكز الإدارية التي

ورثتها المنطقة من المرحلة الاستعمارية (تيميمون، تيبرغمين، زاوية الدباغ)؛ على أي أساس تم انتقاء بعض القصور لتمثل مقرات إدارية دون اختيار غيرها؟

سمح برمجة الدولة لمشاريع التنمية المحلية (برامج تنمية البلدية P.C.D والمشاريع القطاعية)؛ بتحسن مستوى تجهيز القصور بهياكل جديدة (مؤسسات إدارية، صحية، تعليمية، تعبيد الطرق...)، هذا بالإضافة إلى التكثيف من إنتاج السكن بأنماط حديثة، لقد كان ذلك استجابة لتلبية الطلب المتزايد لحاجيات السكان؛ الذي يبحث على تحسين شروط حياته الاقتصادية والاجتماعية، خاصة بعد انفتاحه على سوق العمل؛ وتوجهه نحو الشغل في خدمات القطاع الثالث والاشغال العمومية. آلت القصور في الآونة الأخيرة إلى تحولات عميقة، وديناميكية مجالية لم يسبق وان شهدتها من قبل، جعلتها تعرف نقلة نوعية بارزة غيرت من الطابع الريفي لها، بدخول أنماط ومظاهر الحياة الحضرية، ظهر ذلك جليا من خلال التزايد في حجم سكانها، اتساع رقعتها المجالية، بالإضافة إلى التحولات الوظيفية، وتغيرات في أنماط المساكن، وبذلك أصبح لها مجالات نفوذ خاصة حتى وإن كانت ضيقة، الشيء الذي ولد تدفقات سكانية مختلفة، وتحول البعض من هذه القصور؛ إلى نقاط ذات قدرات استقطابية للسكان بدرجات متفاوتة، فماهي إذا خصائص هذه التحولات؛ التي غيرت في فترة وجيزة نسقا دام قرونا طويلة؟ وفي أي اتجاه تسير وتيرة التعمير بقصور قورارة؟

نمو القصور لم يكن بنفس الوتيرة؛ وكان مرتبطا عموما بالمتغيرات الاقتصادية، الاجتماعية، والمعطيات الطبيعية لكل واحد منها، كما أن هذه التطورات لم تكن متشابهة؛ وتختلف من قصر لأخر، هذا الاختلاف أدى إلى بروز مجمعات سكانية مختلفة الأحجام (يتراوح عدد سكانها ما بين اقل من 100 وأكثر من 22000نسمة)؛ هذا بعد أن كانت متكافئة نسبيا من حيث حجمها السكاني، وظائفها، وكذا علاقاتها التي كانت محلية بالدرجة الأولى؛ أصبحت تؤدي وظائف متعددة وبمستويات مختلفة. أدت هذه التغيرات إلى هيكلة مجالية من نوع خاص في منطقة قورارة؛ تتميز هذه الهيكلة بوجود فوارق واختلالات عديدة، والسؤال المطروح هنا: هو عن كيفية مساهمة هذه القصور بعد تحولها؛ في إعادة تنظيم الشبكة العمرانية لقورارة؛ وأي نوع من التعمير (الهيكلة المجالية) أنتجته هذه التحولات اليوم أو ستنتجه في المستقبل؟.

هذه التحولات العميقة التي شهدتها القصور، لم تؤثر فقط في تحديث وظائفها وعلاقاتها المجالية، ولكن كذلك في مرفولوجيتها وديناميكية توسعها المجالي؛ التي أصبحت تأخذ أشكالا متعددة؛ يمكن ترجمتها من خلال ما تعرفه اليوم من توسعات عمرانية حديثة؛ وكيفيات جديدة في استهلاك المجال خارج النسيج التقليدي للقصر بأنماط غير تلك التي كانت تنظمها، وبنماذج متمايزة من قصر لأخر وذلك حسب وتيرة وطبيعة التحولات التي يعرفها كل قصر؟. ارتبطت هذه التغيرات المجالية خصوصا

بالبرامج السكنية الحديثة التي أدرجتها الدولة، في إطار توفير السكن وتحسين وضعيته في هذه المراكز، ولكن كذلك باندفاع السكان المحليين نحو البناء، وتحديث المساكن بمواد مغايرة أعطت أشكالا جديدة؛ غيرت من نمط السكن القصوري الذي كان يميز هذه المجمعات، والهجرة التامة لهذا النمط من السكن نحو مساكن أكثر حداثة وتجهيزا.

لم يتأثر السكن التقليدي فقط؛ كأحد أهم العناصر التي ساهمت في توازن نظام الواحة بهذه التحولات؛ ولكن كذلك تأثر بها نظام عمل الفقارة وواحات النخيل من خلال تراجع وظائفها، بعد أن استبدلت بأنماط حديثة (الاستصلاحات الزراعية والسقي بالآبار)، ناهيك عن ذلك أصبحت تتدهور وضعية هذه العناصر في الآونة الأخيرة بشكل ملفت للانتباه، بسبب تأثرها بالظروف الطبيعية الصعبة كزحف الرمال، ارتفاع نسبة الملوحة في واحات النخيل، وتراجع منسوب المياه الجوفية الذي أدى إلى انخفاض كمية المياه واختفاء العديد من الفقارات...، كل هذه العوامل وأخرى؛ والتي سببت في أزمة اختلال توازن نظام الواحة (القصر- الواحة- الفقارة) تطرح إشكالية مصير هذه العناصر بعد التطورات التي عرفتها القصور وتعرفها لحد الآن؟.

أهداف الدراسة ومبرراتها

تعتبر ديناميكية التعمير التي تعرفها المجمعات السكانية، سواء كانت هذه المجمعات بالمناطق الصحراوية (القصور)؛ أو في غيرها من المناطق بغض النظر عن طبيعتها وموقعها، موضوع بحث؛ الذي لطالما تعرضت له العديد من الدراسات؛ من خلال معالجة نتائجه وتأثيراته على مختلف المستويات؛ وذلك بطريقة أو بأخرى وبرؤى وتدخلات متباينة باختلاف القطاعات التي تؤثر فيها: اجتماعيا، اقتصاديا، مجاليا، طبيعيا وحتى ثقافيا، لذلك فهي تنتج عن تفاعل تحولات هذه القطاعات مع بعضها البعض. تطور هذه الظاهرة في مجال معين؛ يعكس رغبة الفاعلين فيه في تغيير الظروف التي يعرفها إلى أحسن مما هي عليه، خصوصا عندما يتعلق الأمر بتطور المجالات الريفية التي تعتبر من بين المجالات التي تسعى دائما إلى تحسين وضعيتها، ولعل منطقة قورارة بخصائصها الجغرافية، وبمميزاتها الاجتماعية والاقتصادية الريفية بالدرجة الأولى؛ وكيفية تواجدها في المجال ذو الطابع الصحراوي، بالإضافة إلى التحولات العميقة التي عرفتها مؤخرا وآلت بها إلى هذا النوع من الظواهر؛ توفر نموذجا مكتملا لمحاولة تفسير العلاقات والبنية الجديدة الناتجة عن تحولات القصور على مختلف المستويات.

فهذه الدراسة التي تتعلق بقصور منطقة قورارة؛ عبارة عن قراءة بسيطة لنظام الواحة الذي تتميز به المجالات الصحراوية، وذلك باعتباره القاعدة الأساسية التي نشأت عليها ظاهرة التعمير الحالية

بالمنطقة، هذا رغم صعوبة فهم المنطق الذي تنظمت به هذه الواحات، وسمح باستمراريتها لفترة زمنية طويلة، فتحقيق أهداف هذا البحث تبقى مرتبطة ببعض العراقيل التي يتميز بها هذا النوع من المجالات؛ خاصة تلك التي تتعلق بشساعة مساحتها التي تصعب من تغطيتها بصفة دقيقة في مدة زمنية وجيزة، ومدى توفر، دقة وصحة المعطيات حولها، إذ يتعلق الأمر خصوصا بالمعطيات الإحصائية لبعض القصور صغيرة الحجم التي يتم تهميشها. إلا أن الوصول إلى بعض النتائج وتحقيق جزء من هذه الأهداف، سيساهم في فتح المجال نحو طرح إشكاليات، والقيام بدراسة أخرى ربما قد تكون أدق حول هذا المجال.

فلإنجاز هذا البحث تم تسطير ثلاثة أهداف تتعلق بـ:

- تحديد خصائص وأشكال التحولات التي عرفتها قصور قورارة، من خلال إبراز المجالات التي شملتها، أهم الفاعلين والمتدخلين في هذه التطورات، وذلك عن طريق تتبع المراحل والوتيرة التي تتم بها.
- محاولة تصنيف قصور قورارة اعتمادا على هذه التحولات، من أجل الوصول إلى تحديد أهمية هذه الأخيرة في هذه القصور، وبالتالي نتمكن من خلال ذلك من تحديد دورها في إعادة تنظيم الشبكة العمرانية في المنطقة، خاصة وأن هذه القصور كانت في السابق متكافئة نسبيا من حيث خصائصها.
- تصنيف قصور قورارة ليس هدف بقدر ما هو وسيلة، بما أننا نسعى من خلاله إلى تسليط الضوء على الوضعية التي يعرفها نظام الواحة اليوم باعتباره أكبر متأثر بهذه التحولات، محاولين من خلال ذلك تحديد القصور الأكثر تأثرا بهذه الاستراتيجيات والبرامج التي تهدف إلى تحقيق التنمية بهذه المجالات؛ وهذا لمعرفة مدى مراعاتها لشروط الاستمرارية والتنمية المستدامة.

المنهجية المتبعة في إعداد البحث

إن نظام الواحة الذي سمح بأن يوفر شروط للتأقلم مع المجالات الصحراوية في الأزمنة السابقة، أصبح اليوم يخضع للتحولات التي تعرفها هذه المجالات، تحت تأثير استراتيجيات فاعلين جدد تدخلوا في تسييره، فوضعيته الراهنة اقتضت أن تعطي ميزة خاصة لظاهرة التعمير؛ سواء في المناطق الصحراوية عموما أو في منطقة قورارة على وجه الخصوص، الشيء الذي دفعنا لإتباع بعض المراحل والخطوات؛ من أجل الوصول إلى تحقيق الأهداف التي تم تسطيرها، مع الأخذ بعين الاعتبار خصائص ومميزات المنطقة؛ وقد تم حصرها في مرحلتين عامتين مع أنه هاته المرحلتين قد تضم بداخلها مراحل جزئية ويتعلق الأمر خصوصا بالمرحلة الثانية. أما المراحل العامة لإنجاز البحث فهي كالتالي:

1. الإطار المعرفي للموضوع والمنطقة:

تم الاعتماد كمرحلة أولى على بعض الدراسات والقراءات التي جاءت حول المجالات الصحراوية، والتي تناول العديد منها مفهوم ونشأة نظام الواحة الذي يعتبر أهم خاصية تميز المنطقة، سواء كانت هذه الدراسات قديمة أو حديثة، خاصة وأن هذه المنطقة لطالما تطرقت لها العديد من الدراسات الثرية والغنية عن التعريف؛ بصفة تميزت بالشمولية وتعدد المجالات التي تم التدخل من خلالها في هذه المنطقة، ويتعلق الأمر بدراسة بعض الباحثين خاصة التي جاءت دراستهم حول الصحراء الجزائرية بصفة عامة أو حول منطقة قورارة بصفة خاصة، إذ تم التركيز على بعض الدراسات التي جاء بها الكاتب **(Bisson J)**، سواء من خلال مذكرته التي أنجزها سنة 1957 التي تضمنت دراسة منطقة قورارة في الجغرافية الإنسانية، تناول هذا البحث دراسة شاملة حول خصائص المنطقة وذلك طبيعيا (طبوغرافيا)، اجتماعيا وديموغرافيا، إذ شكلت لدينا جانب معرفي لابأس به حول قصور قورارة خاصة وأن هذا البحث مرت عليه مدة زمنية ليست بالقصيرة، أو من خلال البعض من كتاباته التي ساعدتنا على إثراء الجانب المعرفي لدينا حول المنطقة.

بالإضافة إلى ذلك هناك جزء هام من الكتابات لدى بعض الباحثين الذين يهتمون بدراسة هذه المنطقة والتي تم الاطلاع عليها، كدراسات **(رشيد بليل، نذير معروف، وعبد الرحمان موساوي)**، التي اهتمت بالجانب السوسيولوجي والتاريخي للمنطقة. أما في ما يتعلق بظاهرة التعمير وخصائصها في الصحراء الجزائرية، فمن أجل توضيح صورتها لدينا تم الاعتماد على بعض الدارسات التي جاء بها الكاتب **(Cote M)** حول المجمعات الصحراوية في الشرق الجزائري، والتي تضمنت في جزء منها مواضيع تصنيف وأنماط التجمعات السكانية في الصحراء، ناهيك عن العديد من المقالات التي نشرها عدة باحثين، التي سمحت لنا بتكوين أفكار ومفاهيم حول المجال الصحراوي بصفة عامة وإن لم تكن جاءت حول منطقة قورارة بصفة خاصة.

في ما يتعلق بالبحوث الأكاديمية تم التركيز بشكل دقيق، على الأعمال التي أنجزها كل من **(Kouzmine Y 2007, Otmane T 2010, Yousfi B 2012.)**، التي تناولت مواضيع مختلفة حول المناطق الصحراوية، كما اطلعنا على بعض المذكرات التي تضمنت في مجملها دراسات حول البعض من قصور قورارة، فقد ساعدتنا على الفهم الجيد لميكانيزمات المجال الصحراوي عموما ومنطقة قورارة، على وجه الخصوص وسمحت لنا بحصر الإشكالية بشكل أحسن، وهذا بقدر درجة توفقنا في ذلك.

في إطار تصنيف المراكز السكانية والمجمعات، ومن أجل تكوين فكرة حول كيفية استخراج بعض التصنيفات اعتمادا على عدة معايير، تم الاطلاع على المذكرة التي أنجزها **(Dari O, 2011)** لفهم طرق

التحليل الإحصائي متعدد المتغيرات، فقد تناولت كيفية استخدام المعطيات الاحصائية، ومعطيات الاستشعار عن بعد؛ لقياس التحولات السوسيو-اقتصادية والبيئية في الأوساط الحضرية، هذا وبالإضافة إلى بعض المقالات التي تضمنت شروح حول طرق التحليل العاملي. كما لجأنا إلى الأعمال الأكاديمية التي أنجزها **(Hadeid M, 1996, 2006)** حول تحولات ونمو المجمعات السكانية للهضاب العليا الغربية الجزائرية من أجل التعرف على كيفيات تصنيف المراكز السكانية اعتمادا على بعض المعايير الديموغرافية والاقتصادية.

من أجل تطوير الأفكار والمعلومات حول كيفيات معالجة ودراسة المناطق الصحراوية كذلك تم الاطلاع على بعض البحوث العلمية والمقالات، ويتعلق الأمر بأعمال مجموعة الباحثين الجغرافيين التي ساعدتنا بشكل أو بآخر على الفهم الجيد للمجالات الصحراوية، سواء تلك التي جاءت في إطار بحوث المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، أو من خلال بحوث مخبر الجغرافيا لوهران. بالإضافة إلى العديد من المقالات والأعمال التي تم الاستفادة منها خصوصا في كيفيات التحليل وتحرير المذكرة.

2. الإطار الميداني، معالجة المعطيات وتحرير المذكرة:

تتشكل المرحلة الثانية من عدة مراحل جزئية، بدايتها كانت منذ النزول إلى ميدان الدراسة من خلال القيام ببعض الزيارات للقصور؛ وذلك بمراعاة الموازنة في هذه الزيارات الميدانية بين قصور مختلف مناطق قورارة، إذ تم تغطية جزء هام من قصور المنطقة خلال هذه المرحلة، إذ أن هدفنا من هذه المعاينات الميدانية ملاحظة مختلف مظاهر التحول التي تعرفها كل عناصر نظام الواحة، وأخذ صور لها من أجل معالجتها واستخراج هذه المظاهر. فبسبب شساعة مساحة المنطقة وصعوبة الوصول إلى بعض القصور أحيانا، اضطررنا خلال إجراء هذه الزيارات نحوها، في نفس الوقت إلى جمع بعض المعطيات من مختلف المؤسسات الإدارية التي لها علاقة بديناميكية تحول القصور، كمقر البلدية والدائرة، مقاطعات الفلاحة، السكن والتعمير، الأشغال العمومية وديوان الترقية والتسيير العقاري لتيميمون، كما أجرينا بعض المقابلات مع رؤساء هذه المؤسسات، وهذا بغية تكوين أكبر قدر ممكن من الأفكار والمعلومات حول منطقة الدراسة.

بعد اجتيازنا لهذه المراحل التي تم ذكرها، تشكلت لدينا عدة أفكار ساعدتنا على إعادة صياغة الإشكالية والأهداف التي نحاول من خلال هذا البحث الوصول إلى تحقيقها، وبالتالي توصلنا إلى هيكلة المذكرة إلى خمس فصول ستسمح لنا بتدرج الأفكار التي تم طرحها ومعالجتها؛ وإتمام ما تبقى من مراحل إنجازها:

فأما الفصل الأول فقد تم التطرق من خلاله وبصفة وجيزة إلى مفهوم نظام الواحة، من أجل فهم نشأة، والمنطق الذي على أساسه بنيت وتنظمت هذه الواحات (القصور) في قورارة، ثم تم التعرج مباشرة إلى إبراز أهم التدخلات التي جاء بها الفاعلين الجدد في المنطقة، خاصة تلك التي جاءت من طرف الدولة، والتي احتوت برامج تنموية تهدف إلى دمج القصور ضمن المجال الوطني وكانت بداية لظهور تحولات في هذه الواحات، كبرامج تنمية البلديات (P.C.D) التي تم الاعتماد على نماذج منها لبعض البلديات (زاوية الدباغ، تيبرغمين، تيميمون) من أجل إبراز كيفيات توزيعها عبر بعض القصور والمجالات التي تتضمنها.

في حين الجزء الثاني من المذكرة الذي تمثل في الفصل الثاني والثالث، جاء لإبراز خصائص التحولات المتعددة المجالات التي عرفتها المنطقة، فأما الفصل الثاني فقد تم فيه الاعتماد على معطيات إحصائية. بسبب العدد الكبير للقصور في المنطقة تم الاستعانة بثلاث مؤسسات إدارية من أجل جمع أكبر قدر ممكن منها، وتغطية النقص الذي نجده عند جلبها من أي منها، وتتمثل هذه المؤسسات في (البلدية، DPAT لولاية ادرار، فرع O.N.S بوهران)، غير أننا لم نتمكن من جمع كل المعطيات خاصة تلك المتعلقة بإحصائيات (1966، 1977)، باعتبار أن هذه السنوات كانت هامة في مسار تحول القصور، كما أنه كان هناك نقص للمعطيات لبعض القصور الصغيرة الحجم التي يتم في أغلب الأحيان دمجها على شكل مجموعات مع بعضها، لذلك لا يظهر عدد القصور في المنطقة بشكل واضح. ومن أجل التطرق إلى التحولات التي يعرفها السكن، ركزنا على مختلف البرامج السكنية التي ساهمت في هذه التغيرات وذلك منذ 1973 إلى غاية 2013، تم جلب هذه المعطيات من (البلديات، و OPGI).

بعد الوصول إلى تحديد مظاهر التحولات في قصور قورارة، تم الاستعانة بها كمعايير لتصنيف القصور حسب تغيرها من قصر لآخر، وهو ما حاولنا إبرازه من خلال إنجاز الفصل الثالث؛ الذي تم التركيز فيه على الخروج بأنماط للقصور بقورارة اعتمادا على التحليل العاملي أو بالعوامل (Analyse factorielle)، حيث تم استخدام أحد أهم الطرق المستعملة في هذا النوع من التحليل نظرا لبساطتها، والتي تتمثل في التحليل بالمكونات الرئيسية (ACP) باستخدام برنامج SPSS، فهي تعمل على دراسة العلاقات بين المتغيرات، وتلخيص مجموعة كبيرة من المعطيات الكمية، من خلال تحديد المركبة الأساسية التي تلخص المتغيرات المقاسة، أما العوامل التي تم الاعتماد عليها لتصنيف القصور فهي تتمثل في بعض المعطيات الديموغرافية (كحجمها السكاني، معدلات النمو)، وكذلك التركيز على المعيار الوظيفي فبالإضافة إلى الوظيفة الادارية، أدخلنا بعض الوظائف الاخرى التي يمكن أن تقدمها هذه المراكز "التجهيزات، التجارة"، وقد تم الاعتماد في الحصول على هذا النوع من المعايير على جداول الإحصاء الاقتصادي الأول لـ 2011 الذي شمل كل القصور وحسب المقاطعات، هذا وقد

أدرجنا معايير أخرى تتعلق بدرجة ربط القصور بالطرق وشبكات مختلفة، أما فيما يتعلق بوضعية نظام الواحة فقد تم إدراج معيار نمط التوسع المجالي لها، درجة تأثرها بزحف الرمال؛ والذي اعتمدنا فيه على صور الأقمار الصناعية لـ Google Earth وبعض الملاحظات الميدانية، بالإضافة إلى معطيات إحصائية حول وضعية الفقارة التي تحصنا عليها من الـ ANRH لولاية ادرار. خلص هذا التحليل الى تصنيف القصور إلى أكثر من 6 أو 7 مجموعات؛ تتميز فيها كل واحدة عن غيرها بخصائص معينة، بالإضافة إلى ذلك تم استخدام هذه العناصر التي ذكرناها؛ كل منها على حدى من أجل استخراج بعض العلاقات؛ التي قد تكون بين متغيرين أو ثلاثة وإعطاء بعض الترتيبات للقصور (الشكل1).

شكل (1): مخطط استخدام المعطيات لتصنيف القصور

من أجل إعطاء أمثلة عن مظاهر التحول ووضعية نظام الواحة بقصور قورارة، تم اختيار عينة من هذه القصور، معتمدين في ذلك على المجموعات التي تحصلنا عليها خلال التحليل العاملي، وجاء ذلك من خلال إنجاز الفصل الرابع والخامس من المذكرة.

فأما الفصل الرابع فقد تضمن إجراء إسقاط على 6 أنماط من القصور في المنطقة، من أجل تحديد مظاهر التحولات بها، من خلال "الاستمارة" التي جاءت على شكلين: استمارة تتعلق بالتحقيق مع السكان والسكن ووضعية واحات النخيل (449 استمارة)، أما الشكل الثاني فتمثل في التحقيق على مستوى بعض المؤسسات الصحية بـ146استمارة، والتعليمية بـ 640 استمارة شملت التلاميذ والموظفين، والهدف منها هو إبراز مجالات نفوذ هذه التجهيزات ومدى جذبها للسكان على مستوى المجمعات السكانية المدروسة، أما تقسيم الاستمارة في هذه المجمعات؛ فكان حسب عدد سكان وحجم هذه المؤسسات بها.

النموذج الأول للدراسة يتمثل في مدينة "تيميمون"، التي تم اختيارها بسبب كونها أكبر مجمعة سكانية تتحكم في المنطقة وظيفيا وإداريا؛ وهي تنفرد بهذه الخاصية عن غيرها من القصور. وزعت على هذه المدينة حوالي 136 استمارة للتحقيق مع الأسر أي ما يمثل 4,13% من مجموع الأسر فيها، وذلك بشكل يجمع التحقيق مع أغلب أحياءها بما فيها القصر، أما التحقيق مع موظفي المستشفى، بما أنه يعتبر الوحيد في المنطقة فقد تم توزيعها على 90 موظف (20,7% من مجموع الموظفين)، أما المؤسسات التعليمية فقد تم اختيار أربع[1] منها، تختلف بين التعليم الثانوي والمتوسط، وشملتها حوالي 270 محقق معه بين التلاميذ والموظفين.

أما اختيار تيبرغمين فكان على أساس موقعها في جنوب المنطقة على حواف هضبة تادمايت، بالإضافة إلى كونها ثاني تجمع سكاني هام في المنطقة، وهو يتميز بخاصية توسعه الخطي السريع نحو القصور المجاورة. التحقيق الميداني فيه شمل 70 أسرة (5,9% من مجموع الأسر)، 19موظف للتجهيز الصحي، و96 فرد محقق معهم في مؤسستين للتعليم المتوسط والثانوي.

أولاد سعيد: جاء اختيارها من أجل إبراز تأثير التنظيمات الإدارية على مجمعات يغلب عليها الطابع الريفي، كما أنها تتميز بكونها أقرب مقر إداري من مدينة تيميمون، إذ نهدف من خلال ذلك الى تحديد تأثير هذه المدينة على ديناميكية تحول أولاد سعيد، شملت هذه المجمعة تحقيق مع حوالي 93 أسرة بنسبة 19,8% من مجموع الأسر، 19موظف للتجهيز الصحي، 52 استمارة في إحدى مؤسساتها التعليمية.

[1] تحتوي مدينة تيميمون على 5 مؤسسات للتعليم المتوسط، و4 مؤسسات للتعليم الثانوي.

جاء اختيار كل من "فاتيس، بوكزين، شروين"، بسبب كون كل واحدة منها تتميز بخصائص مختلفة عن الأخرى، ولكن كذلك من أجل تحقيق نوع من التوازن بين مختلف جهات المنطقة، خاصة وأن قصور قورارة تختلف في توزيعها حسب المعطيات الطبوغرافية التي لها دور في نشأتها وتحولاتها، فأما "فاتيس" كمجمعة ريفية ثانوية، تم التحقيق فيها مع 50 أسرة (9,6% من مجموع أسر المجمعة)، و58 استمارة في مؤسسة للتعليم المتوسط ، في حين شروين كمجمعة ريفية ومقر لدائرة حديثة النشأة، شملتها حوالي 60 استمارة للتحقيق مع الأسر؛ أي ما يمثل 11,4% من مجموع الأسر، و58 استمارة في مؤسسة للتعليم المتوسط، في حين تم التحقيق مع 18 موظف في العيادة الصحية لها.

وزعت حوالي 40 استمارة للتحقيق (23,6 % من مجموع الأسر) مع السكان في بوكزين ، إحدى المجمعات الحديثة النشأة لمنطقة تاغوزي ومقر لبلدية طلمين، أما في المؤسسات التعليمية فقد شمل التحقيق الميداني 107 أفرد، في حين العيادة الصحية تم التحقيق فيها مع 14 موظف.

بعد أن قمنا بتحديد أهم التحولات التي عرفتها القصور، تم إعداد الفصل الخامس من المذكرة من خلال التطرق فيه إلى تأثير هذه التغيرات على نظام الواحة، حيث نحاول من خلال هذا الفصل تحديد أهم مظاهر هذه التأثيرات ووضعية القصور بقورارة هذا بالإضافة إلى المجمعات السكانية التي وزعت فيها الاستمارات والتي تناولت أسئلة حول هذا الموضوع.

تحديد منطقة قورارة وخصائصها:

في جنوب غرب الصحراء، ووسط الكثبان الرملية وواحات النخيل تقع إحدى أكبر الواحات الصحراوية الجزائرية قدما وحضورا، تاريخا وحضارة إنها واحات إقليم توات، منطقة التاريخ الغابر ومعبر شتى أصناف الحوافر، منطقة تمازج أنواع السلالات وملاذ للعديد من القبائل من مختلف الأوطان.

يحتوي إقليم توات على ثلاث سلاسل من الواحات والقصور، والتي يزيد عددها عن 350 واحة متناثرة هنا وهناك على رمال الصحراء، أشبه بالأرخبيل في البحار، يقع الإقليم حاليا ضمن امتداد أدرار وتيميمون، وعين صالح، فأما الأولى فتعرف باسم منطقة توات والثانية باسم منطقة قورارة، وأما الثالثة فباسم منطقة تيديكلت، وتسمى المناطق الثلاثة مجتمعة "بإقليم توات" (الخريطة1).

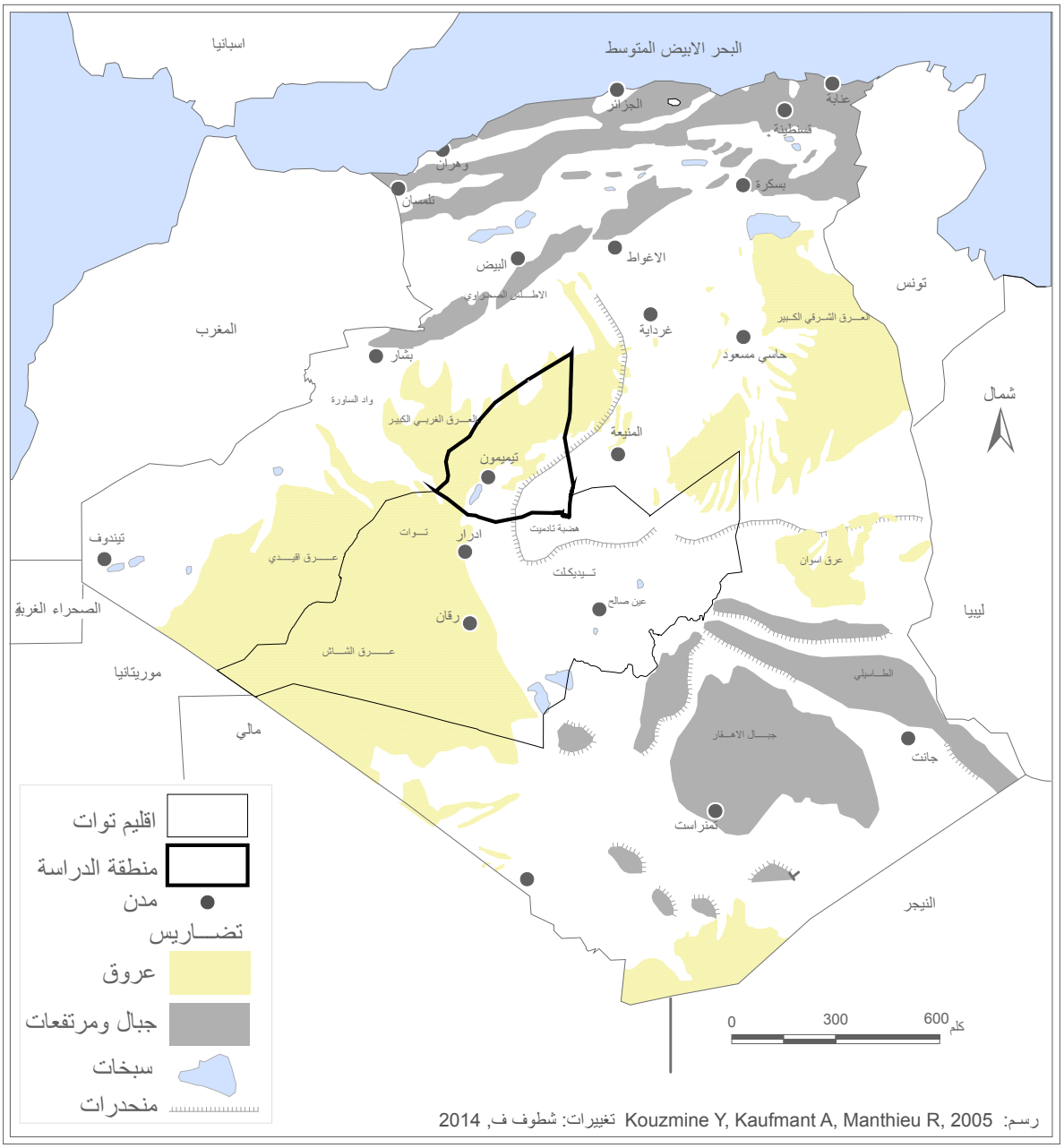

خريطة(1): حدود منطقة قورارة ضمن الوحدات الجغرافية للصحراء الجزائرية

منطقة قورارة[1] تشكل الجزء الشمالي لإقليم توات «وتنحصر ضمن المثلث الذي تشكله الحواف الجنوبية للعرق الغربي الكبير، السفوح الشمالية الغربية لهضبة تادمايت، وواد الساورة- مسعود في الجهة الغربية» (Bisson J, 1957). وتفوق مساحة المنطقة الـ 64.640 كلم^2 (الخريطة2).

فأما هضبة تادمايت فتشغل حوافها الجهة الجنوبية الشرقية للمنطقة، وتمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي لقورارة بمساحة تقدر بـ 500كلم^2 لتصل إلى غاية شمال منطقة تيديكلت، تشرف

[1] مصطلح قورارة تعريب للكلمة الأصلية (تينكورارين أو تيقورارين) بالزناتية والتي اختلف في معناها الكثير والمعنى الأقرب إلى الواقع هي أصحاب القصور استنادا لكلمة "أقراو" والتي تعني الجمع ففسرت تيقورارين على أنها مجموعة من القصور التي تجمع فيها السكان، كما اغلب قصور قورارة تنسب اسماءها الى هذا المعاني.

الهضبة على سهل أمقيدن، بحيث يرتفع جرفها بحوالي 50 إلى 60 متر، وتتميز بسطحها المنبسط ذو مظهر بنيوي حمادي؛ وكذا حجارة سوداء يبلغ متوسط ارتفاعها 400 متر؛ وذلك بميل خفيف باتجاه الغرب على امتداد حوالي 100 كلم. تفصل هضبة تادمايت بين واحات قورارة وتيديكلت. تحتوي هضبة تادمايت في حافتيها الشمالية الغربية والغربية الجنوبية؛ على طبقات المياه الجوفية التي يتم استغلالها عن طريق الفقارة، وكان لها الفضل في ظهور ثلاث سلاسل من الواحات، من بينها واحات وقصور قورارة. بينما هضبة أمقيدن[1] فهي تعتبر بمثابة قاعدة لهضبة تادمايت في الجنوب الغربي، وهي محاصرة أي أمقيدن؛ بالعرق الغربي الكبير في الجهة الغربية، يبلغ أقصى عرض لها بالغرب 70 كلم، وذلك في منطقة تيميمون ويتقلص هذا العرض باتجاه منطقة "توات"، أقصى نقطة ارتفاع في هضبة "أمقيدن" تبلغ 436 متر، ما يميز هذا السهل الفسيح هو الانحدار الخفيف من الشرق، والشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي.

في حين يشغل العرق الغربي الكبير جزء هام من الناحية الشمالية للمنطقة، وهو عبارة عن سلاسل من الكثبان الرملية يتراوح ارتفاعها ما بين40 و500 متر، متجهة نحو الشمال الغربي؛ وهو ما يعكس اتجاه الرياح الشائعة بالمنطقة، تمتد هذه السلاسل من بني عباس بأقصى الجنوب الغربي، حتى هضبة المنيعة شرقا، وعرق الشاش وعرق اقدي بالحدود الجزائرية الموريطانية، يغطي العرق الغربي مساحة قدرها 85 الف كلم². ما تتميز به هذه الكثبان الرملية أنها غير واسعة، وغير متصلة إذ تفصل بين بعضها البعض منخفضات، وتكون أكثر ضخامة وارتفاعا عند منطقة الساورة. يلعب العرق الغربي دور هام في تغذية المنطقة بالمياه الجوفية، التي تجري من السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي. هذا ويحتوي العرق الغربي في جزئه الجنوبي، على مجموعتين من الواحات، تينركوك في الشرق، وواحات تاغوزي في الناحية الغربية للعرق. تعتبر رمال العرق الغربي عائقا في مجال التعمير، حيث يمنع من التوسع شمالا أو الامتداد غربا باتجاه واد الساورة، كما أنه يعترض امتداد السبخة في الناحية الشمالية للمنطقة.

جنوب العرق الغربي الكبير وبين هضبة تادمايت شرقا وواد الساورة غربا نجد سبخة تيميمون التي يصل امتدادها إلى 80كلم، ظهرت هذه السبخات بعد جفاف المسطحات المائية التي تشكلت بالمنطقة إثر التحام أسرّة العديد من الوديان مع بعضها البعض (Bisson J, 2003)، تخترق هذه السبخة سهل أمقيدن بدءا من قصر "إغزر" في الناحية الشمالية الشرقية، وتمتد حتى قصور دلدول في الجنوب الغربي.

[1] أمقيدن مصطلح من أصل بربري مصدرها من كلمة امقيد، التي تعني بالبربرية مكان رطب أو مكان تواجد الماء (BELLIL R., 1999)، ويتعلق الامر بالأودية القادمة من منطقة الأطلس الصحراوي من الناحية الشمالية الشرقية (مزاب، ورقلة، والقولية)، والناحية الغربية من (تافيلالت)والتي تصب في سهل أمقيدن وتغذي المنطقة بالمياه الجوفية.

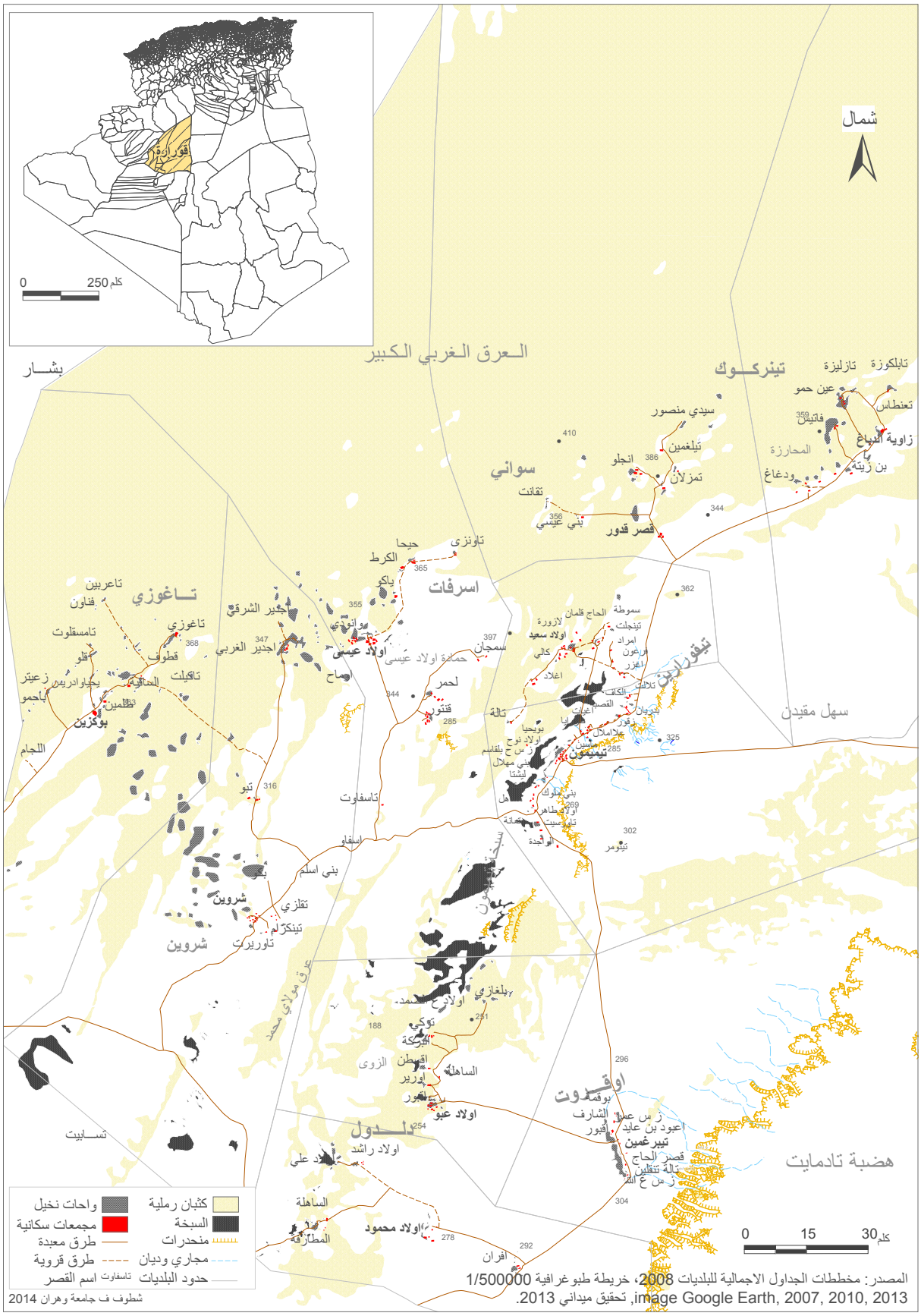

خريطة(2): تشكيلة مرفولوجية متباينة تتوضع عليها قصور قورارة

تقع منطقة قورارة إداريا في الجهة الشمالية من ولاية ادرار في الإقليم الجنوبي الغربي للجزائر، وهي تغطي حاليا 10 بلديات مجموعة في أربع دوائر، وللمنطقة حدود مع ولاية البيض من الناحية الشمالية، وولاية بشار في الجهة الشمالية الغربية، أما من الناحية الشرقية فيحدها كل من ولايتي غرداية وتمنراست (الخريطة3).

أما بالنسبة لمناخ المنطقة، بما أنها تنتمي الى المجال الصحراوي فمن الطبيعي أن يسودها خصائص المناخ الصحراوي؛ الذي يعرف بقساوته وجفافه بسبب تميزه بارتفاع درجة الحرارة صيفا وانخفاضها في الشتاء، بالإضافة إلى قلة الأمطار التي تكون فجائية، في غالب الأحيان تسبب أضرارا بالغة الأهمية للمساكن التقليدية المبنية بالطوب المحلي، مع العلم أن كمية التساقط السنوية لا تزيد عن 50ملم، أما الرياح فتكون موسمية وذلك خلال شهري فيفري ومارس عموما، وهي غالبا ما تكون على شكل زوابع رملية؛ تصل سرعتها إلى 100كلم/سا، وتعتبر عائق يحول ضد التوسع العمراني والزراعي بالمنطقة.

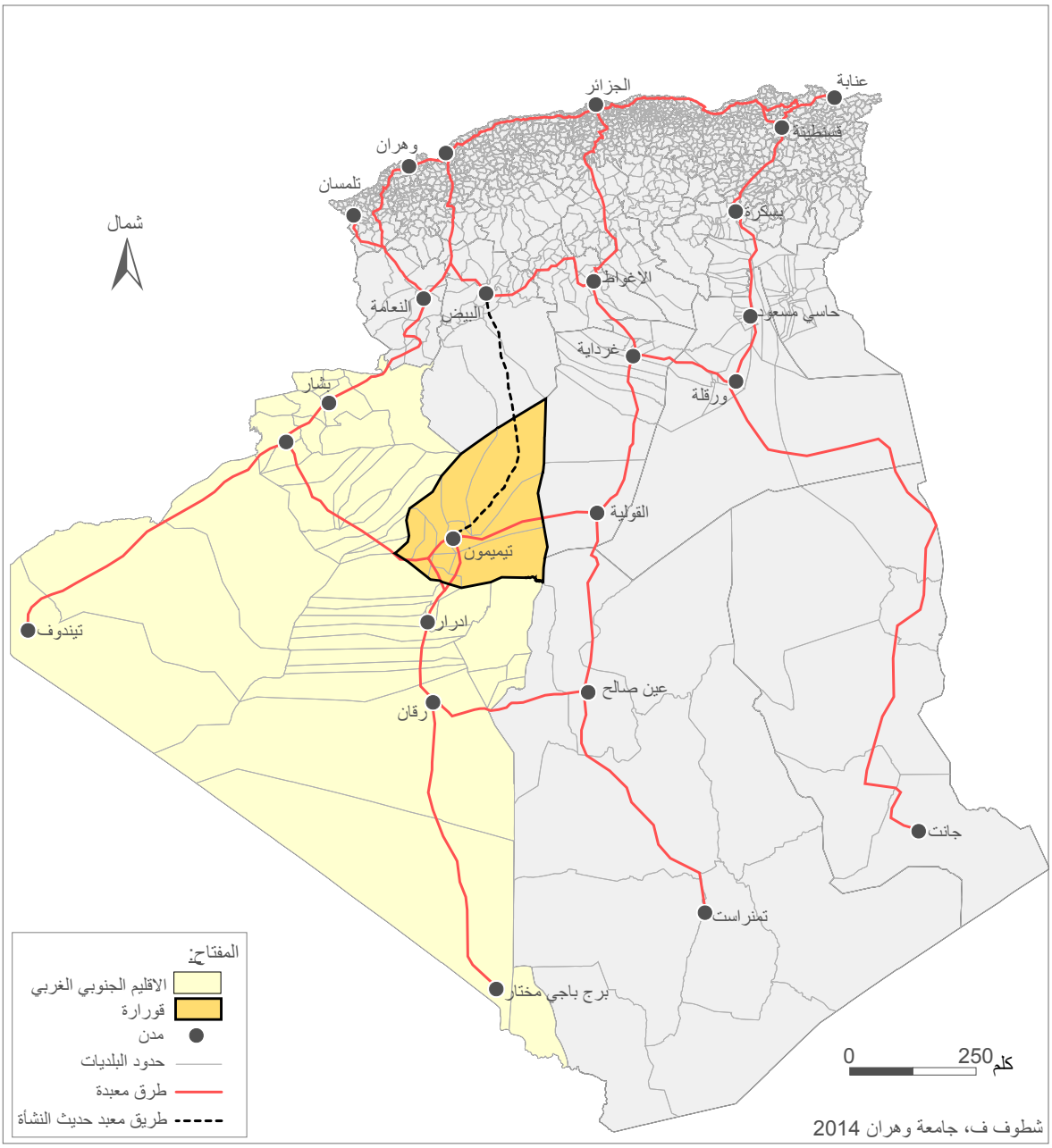

خريطة (3): الحدود الإدارية لمنطقة الدراسة

الفصل الأول:

قصور قورارة بين تاريخ نشأتها في الماضي وبداية تحولها في الحاضر.

الـفـصل الأول: قصور قورارة بين تاريخ نشأتها في المـاضي وبداية تحولها في الحـاضر.

يقودك وجود القصور منتشرة في الصحراء الجزائرية عموما؛ ومناطق توات وقورارة على وجه الخصوص إلى التركيز على ماهية هذا الوجود المكثف، رغم كونها تعكس حاجة السكان للاستقرار، فهي تشكلت منذ ما يقارب 10 قرون، من استقرار العديد من القبائل العابرة للصحراء على طول محاور ونقاط التبادلات التجارية التي كانت تعرف هذه الحركية. ساهم تعدد وتنوع هذه المجموعات البشرية التي سكنت المنطقة بتطوير تقنيات استغلال هذا الوسط؛ من أجل التكيف مع الظروف الطبيعية الصعبة التي يتميز بها، عن طريق إنتاج عناصر متكاملة فيما بينها مشكلة ما يسمى بنظام الواحة، هذا الترابط والتكامل الذي كان من جهة كفيل باستمرارية الحياة البشرية في هذه المناطق طيلة هذه القرون، أعطى من جهة أخرى ميلاد لتنظيم اجتماعي خاص انفردت به هذه المجالات.

بتنظيم وتسيير تقليدي ومحلي محكم من طرف جماعة القصر والزوايا بقيت هذه الواحات خاضعة له لمدة زمنية طويلة، لكن خلال القرن الماضي عرف هذا المجال تدخلات جديدة، فمنذ سيطرة الاستعمار على المنطقة؛ أعطى بداية لنقل السلطة والتسيير التقليدي لصالحه، أما تدخل الدولة بعد الاستقلال؛ فقد كان من أجل دمج القصور ضمن المجال الوطني. النتيجة نفسها في كلتا الحالتين، رغم إيجابية هذه الاستراتيجيات في بعض الأحيان، إلا أنه كان لها تأثير واضح على الواحات وكسر النظام المحلي الذي كان يسيرها سابقا.

نحاول من خلال هذا الفصل التطرق بصفة وجيزة الى نشأة، تاريخ تشكل والمنطق الذي على أساسه بنيت هذه الواحات (القصور) بإقليم توات عموما؛ ومنطقة قورارة بصفة خاصة، باعتبار نشأة قصورها مرتبط ارتباطا وثيقا بالمراحل التاريخية التي مر بها الإقليم، ثم الوقوف عند دور المؤثرات الخارجية؛ في بداية تحول هذه القصور من تلك العلاقات المحلية التقليدية التي كان يعتمد عليها في السابق، إلى منطق جديد أصبحت تخضع له منذ بروز متدخلين جدد باستراتيجيات مغايرة.

1. نظام الواحة Le système oasien: نظام ساهم في تعمير المنطقة رغم صعوبة الظروف الطبيعية

إن المعطيات الطبيعية والطبوغرافية التي يحتويها المجال الصحراوي؛ جعلته يتميز عن غيره بخصائص في الشكل، البنية، ووظيفة التجمعات السكانية الموجودة به، وليحمل مصطلحات ذات معاني، عادات ومظهر مجالي خاص (Kouzmine Y, 2007)، فالواحة، القصر والفقارة التي تعتبر أهم مكونات هذا المجال، مصطلحات تبقى دائما قيد الدراسة وتطرح تساؤلات عديدة حول معناها الحقيقي،

كيفية تطورها والتحولات التي تعرفها، وواقع نشأتها لأن نظام الواحة يعتبر القاعدة الأساسية لمسار التعمير الحالي في الصحراء.

فالواحة مثلا كلمة إغريقية (يونانية) استعارها المصريون (Marouf N, 1980)، للدلالة على نفس المعنى، ويمكن اعتبارها بشكل عام مكان مأهول بالسكان منعزل في بيئة جافة، فأما موضعها فيكون مرتبط بإمكانية استغلال مصدر طبيعي غالبا ما يكون الماء، الذي يستعمل من أجل النشاط الزراعي (Lévy L, 2003)[1]؛ من هنا يمكن القول أن للواحة نظام خاص بها يشكله تكامل ثلاث عناصر هي: واحات النخيل، القصر، والفقارة، هذا التكامل الذي تم رعايته من طرف السكان المحليين الذين كان لهم الفضل في استمرار الحياة البشرية في هذه المناطق.

1.1. واحات النخيل: مصدر الرزق الرئيسي لسكان الواحة

إن واحة النخيل (La palmeraie) التقليدية يمكن اعتبارها مكسب عائلي بالنسبة لسكان القصور، بما أنها كانت مصدر اقتصادي رئيسي لهم. تتوزع هذه الواحات على شكل حقول صغيرة (بساتين أو الجنان)، تكون هذه البساتين محاذية للقصور. تأخذ الواحة عادة اسم القصر المحاذي لها، يغلب الإنتاج الفلاحي للبساتين على محصول التمور، لأن النخيل تتميز بقدرتها على التأقلم مع مناخ المنطقة، إضافة إلى المكانة المرموقة التي تحتلها في اقتصاد القصور إذ تعتبر مقياس للثروة، فهو كان من المنتوجات التي تستبدل به السلع، تختلف هذه النخيل محليا باختلاف أنواع التمور التي تنتجها، لذلك نجد في الواحة الواحدة أصناف متنوعة من التمور، لكل نوع منها اسم معين محليا (تيناصر، تاقربوشت، تقازا...) وتختلف قيمتها حسب درجة جودتها. بجانب النخيل يتم اعتماد بعض الزراعات المعاشية الأخرى، أما العمل في الواحة يكون من طرف مالك الواحة بالتعاون مع أفراد أسرته، كما قد يكون من طرف الخماسين الذين يتم استخدامهم مقابل الاستفادة من المنتوج الزراعي.

تتنظم واحة النخيل في القطاع الزراعي التقليدي؛ على شكل مساحات كبيرة منتشرة حول ينابيع من المياه بجانب القصر، حيث أن المزروعات المحاذية والنخيل تكون مسقية بواسطة مياه الفقاقير أو الآبار الارتوازية، التي تتجمع مياهها في أحواض (الماجن) يتم إنشاءها داخل الواحة؛ وعادة ما تستعمل مادة الطين في صنعها، مما سيسمح بتوزيع الماء بشكل منتظم على المساحة المزروعة المقسمة إلى قطع متباينة الشكل (القمون)، بواسطة قنوات، تكون هذه الواحات محمية من زحف الرمال بواسطة أسوار(افرق) مصنوعة من سعف (جريد) النخيل، (الشكل2).

[1]- نقلا عن (Kouzmine Y, 2007)

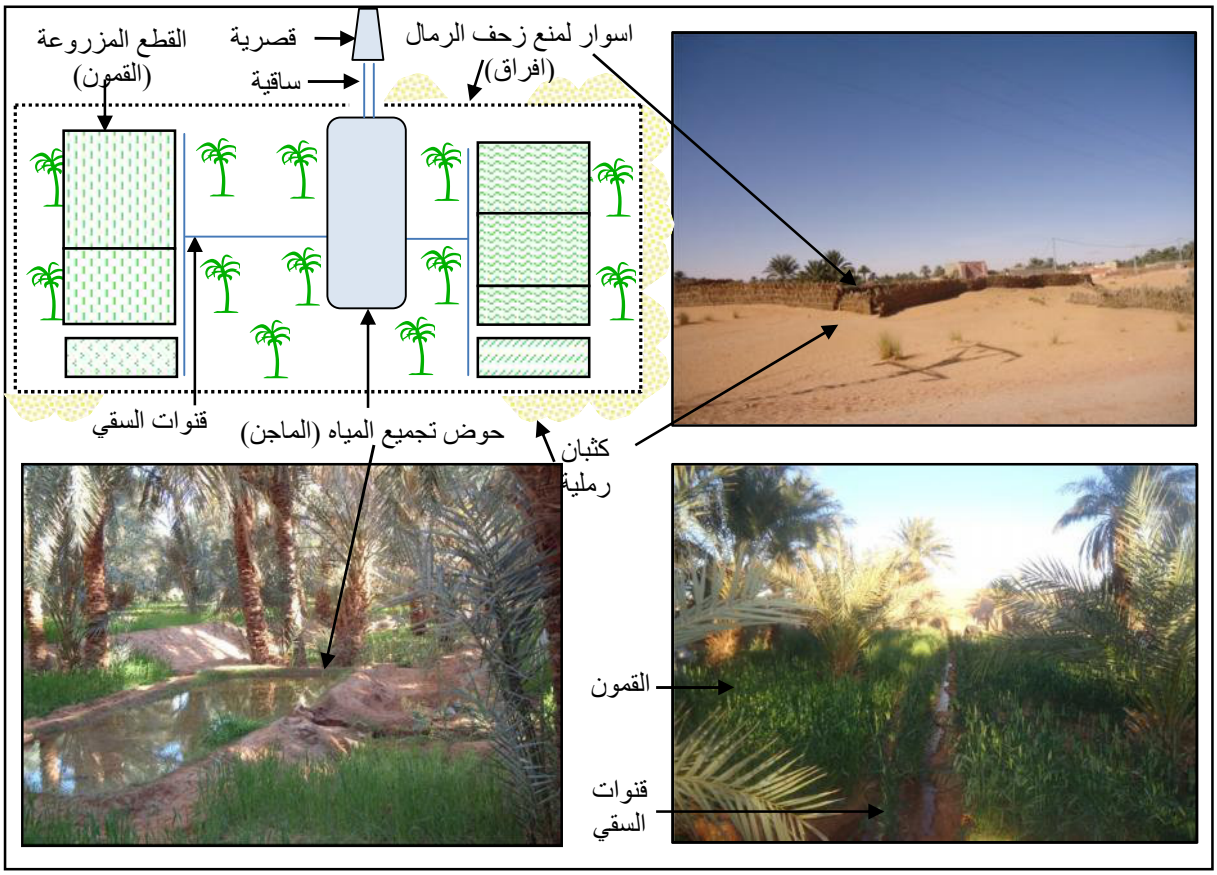

شكل (2): مخطط تنظيم عناصر واحات النخيل

إن الواحة ليست فقط نتاج لحياة العلاقات التي تكونت خلال تبادلات القوافل التجارية العابرة للصحراء، فنشأتها وثباتها يخضع أولا للدور الذي لعبته محليا عن طريق الزراعة كنشاط رئيسي يضمن توفير الاحتياجات الاستهلاكية وتوفير الشغل للسكان، والتبادلات التي كانت تؤديها من خلال تنوع منتوجاتها الزراعية، التي سمحت لها بأن تلعب دور نقطة اتصال، فتوفيرها للإنتاج الزراعي كاف لقيادة محاور هذه التبادلات على مستويات واسعة ويمكن اعتبار ذلك نجاح في المجال الزراعي، كما يمكن اعتبارها العنصر المحرك الذي يتحكم في التوازن المجالي، وتثبيت السكان في أماكن تواجدهم، بما أنها عملت على خلق بيئة خاصة بهذه المناطق الجافة وسهلت من ظروف التوطن بها.

2.1. القصر: النسق التقليدي للعمران بالوسط الصحراوي

مصطلح القصر(Le Ksar) يعرف لغويا بأنه المنزل وسمي كذلك لأنه تقصر فيه الحرم أو تحبس، وجمع قصر هو قصور(ksour)، ويعرف أيضا بأنه ما شيد من منازل وعلا، وبصيغة أخرى هو بناية فخمة واسعة. ويقترب هذا المفهوم من المصطلح المتداول والشائع في المصادر التاريخية، حيث يقصد بالقصر مقر الخليفة أو الحاكم وأفراد عائلته. وفي المشرق العربي، القصر هو الدار الكبيرة التي يسكنها الوجهاء في المدينة. لكن مفهوم القصر في المناطق الصحراوية يختلف كليا عما تقدم، فهو

عبارة عن قرية محصنة أو بالأحرى كتلة سكنية متراصة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعة أو مجموعات بشرية، تنتمي إلى أصول عرقية أو طبقات اجتماعية مختلفة. يحيط بهذه التكتلات أحيانا سور وقد تخلو من ذلك، ليعوض بجدران البيوت الخارجية لتشكل في النهاية ما يشبه بالسور يحيط بكل أرجاءها (الدباغ جاسم، 2002). يمكن اعتبار القصر النمط العمراني التقليدي للمناطق الصحراوية وهو النمط الأكثر تأقلما مع هذه البيئة.

تنسب أسماء القصور عادة إلى ولي صالح باعتباره مؤسس القصر أو صاحب الفصل في لم الشمل. مثل قصر قدور، زاوية سيدي عومر، زاوية كنتة، زاوية الدباغ، كما قد ينسب إلى القبيلة أو الجنس المستقر به مثل قصور أولاد سعيد، أولاد محمود، أولاد عيسى، أولاد ابراهيم...، وأحيانا يرفق بكلمة القصر صفة من الصفات الدالة على موقعه (القصر الشرقي بأولاد سعيد)، قدمه، حداثته، لونه، كبره....

ينتشر ما يقارب 2000 قصر في الصحراء الجزائرية، من بينها أكثر من 300 قصر بإقليم توات، يعود تواجدها إلى عوامل تتعدد بين الاقتصادية، الدفاعية، المناخية أو الحضارية. إلا أن العامل الاقتصادي يعتبر الحاسم (الدباغ جاسم، 2002)، فالقصور كانت محطات توقف وراحة القوافل التجارية العابرة للصحراء نحو مدن الشمال، ولعل تعدد هذا النوع من التجمعات في هذه المناطق وتنوع تركيبتها الاجتماعية لأحد الأدلة على ذلك.

إن المجال العمراني التقليدي للقصور عبارة عن مجال اجتماعي مبني على أساس من التناغم البيئي، وهو تمثيل لتنظيم اجتماعي، سياسي واقتصادي عرفته الصحراء منذ آلاف السنين، المجال السكني للقصر يتكون من عدة عناصر أساسية (الشكل 3)، تجعل منه وحدة سكنية متراصة، ولكل من هذه العناصر دورها ووظيفتها الخاصة بالنسبة لسكان القصر:

القصبة: وهي تمثل النواة الأولى لنشأة القصور، قد تحتوي القصور بداخلها على قصبة أو أكثر حسب عدد القبائل التي سكنت القصر، تكون هذه القصبة محاطة بسور وتتكون من مساكن، ومخازن للمنتوجات الزراعية.

المسجد العتيق: يحتوي كل قصر على مسجد جامع واحد هو المسجد العتيق، ويعود تأسيسه إلى بدايات الفتح الاسلامي لأنه المسجد الوحيد على مستوى القصر، يحتل موقع في وسط القصر تقريبا، نظرا للدور الذي يلعبه كنقطة استقطاب وتوحيد أطراف القصر، فهو محاط بالبناءات السكنية وغالبا ما نجد بجانبه المدرسة القرآنية.

المساكن**:** تكون منظمة بشكل كثيف ومتراص بجوار القصبة، مواد بناءها عادة ما تكون من الطين بالنسبة للجدران وجذوع النخيل للأسقف، يتحكم في منطق تواجد المسكن أو تمركزه تقسيم وتوزيع الأراضي بين القبائل الساكنة بالقصر، كما تختلف مساحة المنزل في القصر؛ باختلاف أفراد كل أسرة أو باختلاف الثروة لديها، ولكن لا تختلف في تصاميمها، فمعظمها تأخذ الشكل المستطيل أو المربع، وتبدو متشابهة وغالبا ما يتكون البيت من طابق أو طابقين وساحة مركزية تتوزع عليها الغرف، يمكن اعتبار المساكن هي توسع لسكان القصبة الذين أصبحت لا تكفيهم بعد نموهم المتزايد.

الأزقة أو "سقاق": أغلبها تكون ضيقة، ملتوية ومغطاة، في بعض الأحيان تكون واسعة، وإن لم تتوفر فيها هذه الميزة الأخيرة نجدها تنتهي ببعض الرحبات الصغيرة، وهي تنظم توسع المباني داخل القصر، تلعب دور هام في الحياة اليومية للسكان، فمنهم من يستعملها كمكان للالتقاء لمناقشة بعض وشؤون القصر أو القبيلة، ومنهم من يستعملها كمكان للراحة، كما كانت تستعمل كمجال لممارسة بعض الحرف والصناعات التقليدية خاصة في فصل الصيف أما سطحها فيتقاسمه المسكنين المجاورين اللذين يحصران هذا الحيز.

ساحة الجماعة أو الرحبة**:** وهي عبارة عن مجال عمومي اجتماعي، يحتل وضعية مركزية في القصر إذ يكون محدود بالبنايات المجاورة، تكون هذه الساحة مكشوفة (غير مغطاة)، ولها منافذ منها إلى الطرق الرئيسية للقصر، تعتبر ملتقى تناقش فيه كل القضايا المتعلقة بشؤون السكان، بالإضافة إلى وظائف أخرى تتمثل في المبادلات التجارية ومكان للتعبير عن الأفراح في المناسبات والزيارات، تكون هذه الساحة بجوار المسجد العتيق، أو بجوار ضريح الشيخ؛ الذي كان له الفضل في تأسيس القصر، تمثل هذه الساحة نقطة الفصل بين القصبة ومجال توسع القصر.

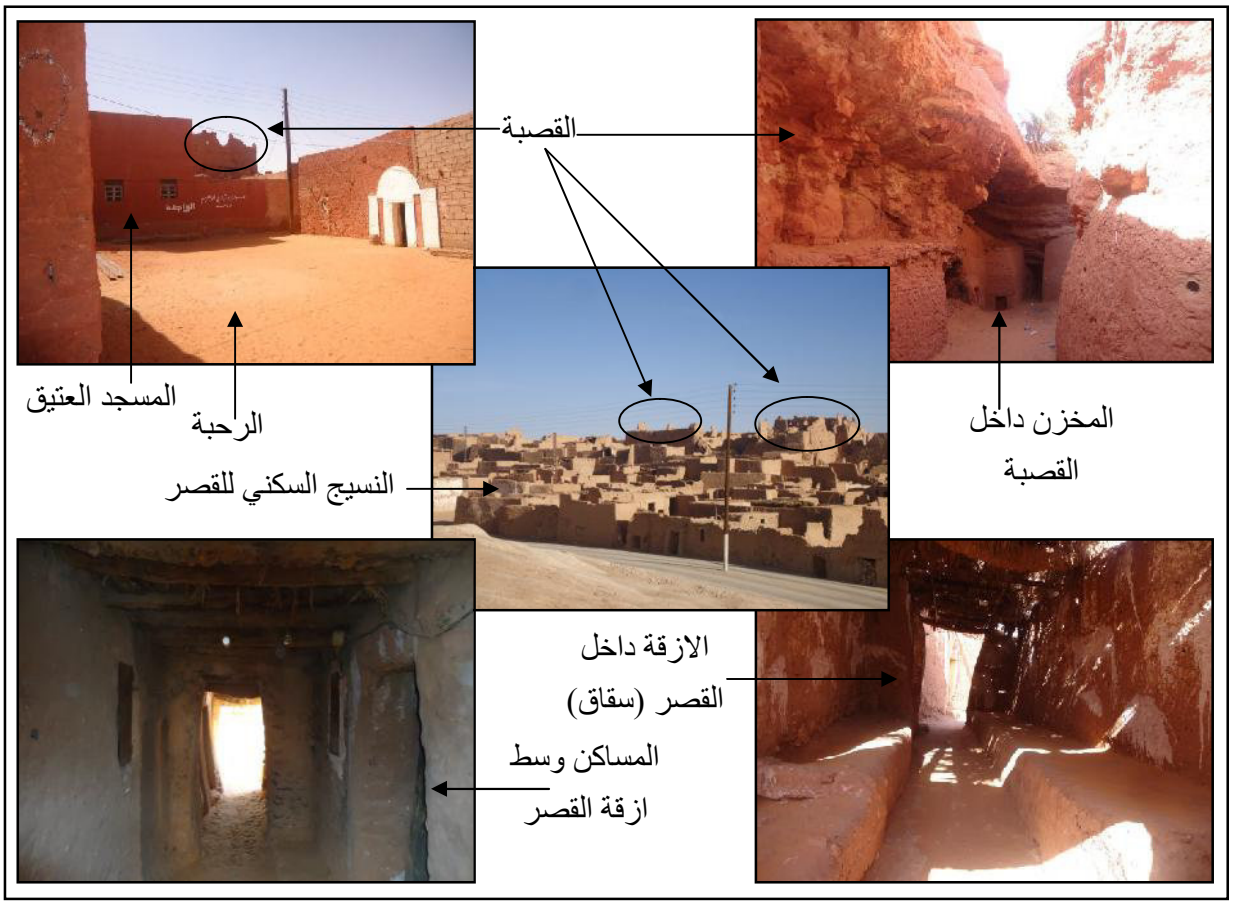

شكل (3): العناصر المكونة للقصر

3.1. الفقارة: نظام السقي المهيكل من طرف سكان القصر

يعتبر الماء أهم عامل تدخل في تطور واستمرارية الحياة بالواحات في المجالات الصحراوية (Kouzmine Y, 2007)؛ التي وجدت لنفسها نظام الفقارة الذي سمح لها باستغلال المياه الجوفية، باعتبارها المصدر الوحيد للمياه بهذه المناطق. وقد كانت الفقارة ولا تزال أحد أهم وأغرب أنظمة الري التقليدية في العالم، والتي وقف عندها المؤرخون بكثير من الدهشة والإعجاب[1]، وهو نظام السقي الذي اعتمدته القصور بإقليم توات لقرون عديدة، وسمح باستمراريتها.

الفقارة (Foggara) من الناحية الجيولوجية يمكن اعتبارها نموذج لاستغلال المياه الباطنية[2]، لأنها عبارة عن مجموعة من الآبار ذات عمق متغير متباعدة فيما بينها بنحو 10 الى 60 متر، تتصل مع بعضها البعض بواسطة قنوات أرضية؛ بعد أن يتم في الأول الكشف عن البئر الرئيسية للتأكد من

[1]- كما وصفها ابن خلدون يقول: وفي هذه البلاد الصحراوية وراء العرق الغربي في استنباط المياه الجارية لا يوجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة الهوى، وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها من عن الماء فينبعث صاعدا فينعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا، ويزعمون أن الماء أعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين ووركلان وريغ".

[2]- تتوضع اغلب واحات اقليم توات على الحوض الجوفي الالبي للكونتيننتال انتركالر le continental intercalaire وهو يعتبر مصدر هام لتغذية اقليم توات بالمياه التي تم استغلالها عن طريق نظام الفقارة الذي يعود ظهوره الى القرنين 9 و10م.

تواجد المياه؛ والتي يصل عمقها الى 40م، ليست كل هذه الآبار منتجة للمياه بل نصفها الأول منتج، والنصف الآخر يشكل قناة توصيل المياه وتمثل مداخل لصيانة الأنفاق والتهوية، وهي عمودية مع شكل وعمق متغير من 1 إلى 40 متر(شباشي مبروك، موساوي محمد، 2006). تمتد هذه الآبار إلى خارج القصر على مسافة تزيد أحيانا عن الخمس كيلومترات، وبالتدريج يخرج الماء على سطح الأرض بشكل طبيعي بانحدار خفيف مع توفر الجاذبية، ليمر في الساقية بالقصر لتلبية أغراض وظيفية واجتماعية، ثم يستمر إلى واحات النخيل المحاذية للقصر للسقي (الشكل4). تمتد الفقارة في منطقة توات وتيديكلت، من الشرق نحو الجنوب، ما عدا بقصر "تيط" التي تتجه بها من الشمال نحو الغرب، إلا أن في منطقة قورارة تتجه فيها من الجنوب الشرقي، نحو الشمال الغربي، ما عدا في أوقروت التي تكون فيها الفقارة ممتدة من الشرق نحو الغرب (Otmane T, 2010).

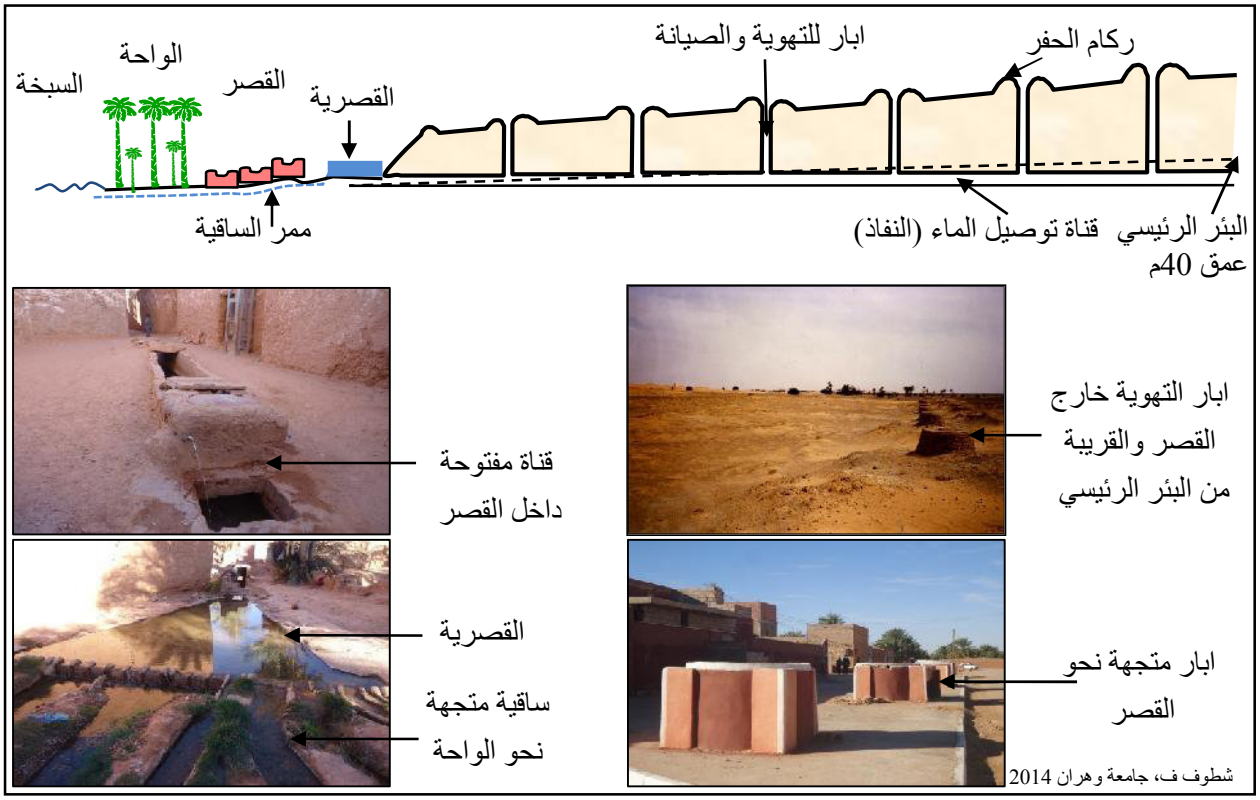

شكل (4): مخطط تنظيم عناصر الفقارة

1.3.1. اكتساب وتقسيم مياه الفقارة:

يكون اكتساب مياه الفقارة عادة ما بصفة فردية أو بعمل جماعي بين سكان القصر (التويزة)، ليتم ذلك يجب إنشاء أول نواة للقصر، تكوين جماعة القصر، ومن ثمة إنشاء الفقارة، لتنتعش بذلك ظاهرة التوطن البشري والإنتاج الزراعي.

للاستفادة من مياه الفقارة هناك طريقتين هما طريقة العمل وبالتالي التملك، أي الحصول على الماء عن طريق العمل في تنظيف الفقارة (الخماسة)، والطريقة الثانية هي عملية كراء الماء أو ما يسمى بنظام "الخراصة"[1]، ولا وجود لعملية بيع الماء أو شراءه، فهي عملية ممنوعة في أعراف المجتمع القصوري، لذلك فالعمل في الفقارة ليس في صالح كل فرد أو فئة اجتماعية، مما يحول دون اكتسابها لحصص مائية في الفقارة وبالتالي تشكيل ثروة. ولا سبيل لها غير الخراصة قصد تلبية حاجياتها من الماء.

كيل وتوزيع مياه الفقارة: عند بدء عملية كيل الماء، الكيال يقوم بغلق كل السواقي ووضع حاجز طيني لتحديد المجال المراد كيل مياهه، ثم يقوم بعملية تثبيت الشقفة[2] على بعد 80سم من القسرية، وأثناء هذه العملية لا ينبغي لأي شخص العبث بالماء؛ لهذا يتم وضع شخص أو شخصين على أبعاد معينة، من أجل حراسة السواقي الرئيسية المجاورة للملكية، أثناء الشروع في عملية الكيل يقوم الكيال بفتح بعض عيون الشقفة ويترك فقط العيون الموازية لعين القسرية المراد زيادة الماء فيها مغلقة، عند دخول الماء في الشقفة تفتح العيون الأخرى، إلى أن يتساوى منسوب الماء مع ارتفاع الشقفة، وإذا كان ناقص فإنه يعمل على غلق العيون حتى تتساوى(شباشي مبروك، موساوي محمد، 2006).

صورة (1): الشقفة الدائرية

في هذه الأثناء التي يتم فيها عملية الكيل يشترط حضور، المكيل له وشاهد، بالإضافة إلى سجل تدون فيه نتائج الكيل يسمى "بالزمام"، في البداية تستعمل لوحة تسجيل مصنوعة من الطين، تسجل فيها عدد الحبات الناتجة عن عملية الكيل، بمجرد ما تتم العملية ويلاحظ أنها مضبوطة تجمع العلامات

[1]- الخراصة: تعرف على أنها عبارة عن عقد اجتماعي يتضمن كراء الماء (تخريصه)، يقع بين ذمة الخراص والمخرص له، لأجل تخريص (كراء) كمية من حبات الماء (خراريب، حصص) الماء الجاري في الفقارة، يعني كراء واستئجار كمية من الماء لمن لا يملك حصص في الفقارة من اجل سقي أرضه، مقابل الحصول على كمية من المحصول الزراعي نهاية الموسم بعد جني المنتوج، يكون تمرا أو قمحا حسب ما هو متفق عليه بينهما كما ونوعا، وهو عبارة عن عرف اجتماعي هيدرولوجي ساد منذ نشأة الفقارة ولا يزال يحافظ على انسجامه وكيانه مع إحداث بعض التغييرات في كيفيات وأساليب تواجده، "ويعتبر هذا النظام الهيدرولوجي مجموعة علاقات اجتماعية تربط أفراد المجتمع في إطار عرفي" .

[2]- الشقفة: هي اداة قياس الماء تعرف بهذا الاسم في منطقة تيديكلت وتسمى كذلك بالحلفة، والكيل الاصفر (Marouf N, 1980)، يكون شكلها دائري ومستطيل، وهي مصنوعة من المعدن أو مادة النحاس، يختلف حجمها حسب حجم القسرية المراد قياسها، تتكون هذه الاداة على صفوف من الثقوب الدائرية الشكل وكل ثقب له حجم معين يقاس به الماء.

التي وضعها الكيال على لوحة التسجيل، يأتي دور الشاهد الذي يعلن عن عدد الحبات للشخص الذي كيل له الماء والملاكين، وتدون في السجل الرسمي المسمى بالزمام[1]، الذي يحتفظ به عادة إمام المسجد أو كبير القصر.

يستعمل في عملية القياس وحدة الحبة، التي تنقسم بدورها إلى وحدات أخرى أصغر منها (القراط، الثمن، الماجن، العود،...)، يختلف استخدام هذه الوحدات باختلاف كمية الماء التي ستمنح للمكيل له.

قبل ظهور عوامل انكسار وتفكك نظام التقنين العرفي المتعلق بالماء(الخراصة) في المجتمع القصوري، كان بيع الماء والأرض يمنع منعا باتا وهذا راجع لأسباب؛ تتعلق بالحفاظ على انسجام العرش، عدم إدخال أي غريب في الملكية، وانغلاق الحراك الاجتماعي أي غياب المؤثرات الخارجية، كما أن ملكية الماء تعتبر أساس السيادة في المجتمع. لذا حاول الملاك صياغة نظام قانوني وعرفي يحرم بيع الماء (حتى أن التحريم جاء باجتهاد الفقهاء)[2]، ذلك أن ملكية الوسيلة مصلحة بتعبير رجال القانون يتطلب الحفاظ عليها وتحويلها إلى حق، أي إلى مصلحة معترف بها من طرف الآخرين ويستوجب ذلك صياغة قواعد أخلاقية وعرفية وقانونية لحمايتها، لهذا تم اللجوء إلى عرف "الخراصة".

2.3.1. البناء الاجتماعي للفقارة:

الماء بصفته العامل الاقتصادي الأكثر حيوية، عامل محدد لأشكال المجتمع التي تظهر عليها الخريطة الاجتماعية لسكان الواحة، وعامل أساسي محدد لأشكال بنيتها الاجتماعية، يمكن اعتبار الفقارة مؤسسة سوسيومهنية بعمالها العاملين فيها، فهي مؤسسة شبه خاصة أو خاصة، ذلك أن معظم عمالها ليست لديهم ملكية فيها، أما الذين لهم ملكيات فيها فتتباين الحصص المرخص لهم بامتلاكها؛ عن طريق ساعات العمل المسموح لهم بها في الأسبوع أو اليوم، وذلك يرجع تبعا للمؤسسين الأوائل الذين أنجزوها وعليه فهي مؤسسة مرتبطة بعائلة أو مجموعة عائلات، وما توسيعها إلا نتيجة توسع تلك العائلات من الجيل الأول والثاني والثالث وتشكل عوائل جديدة، لذلك توجد غالبا في كل قصر أكثر من فقارة، كل فقارة خاصة بمجموعة عائلات تربطها علاقة دموية، تكون حصصهم مختلفة ليست بالاختلاف الكبير إلا حسب درجة القرابة للمالك الرئيسي للفقارة، أما الأسر الجديدة الداخلة

[1]- الزمام: هو الجريدة الرسمية لمعلومات الفقارة، تسجل فيه اسماء المالكين وكمية الماء التي منحت لهم، وكذا المشاركين في الحفر او بالأجرة، وهناك حالات خاصة يستعمل فيها الزمام، اما في حالة انشاء فقارة جديدة، حالات بيع، شراء، كراء، او الزيادة او النقصان في مياه الفقارة، كذلك في حالة تقسيم الارث من الماء.

[2]- لقد كان للفقارة قانونها التشريعي الخاص والمستمد من الشريعة الإسلامية، والمتماشي مع ضرورات ومتطلبات نظام الفقارة الخاص وهو ما أوجد عند فقهاء المنطقة، ما يعرف بفقه النوازل وخصوا في ذلك عشرات المخطوطات التي تضمنت أمورا وفتاوى خاصة بالفقارة اشتهر فيها الكثير من الأعلام ورجال الدين، ومنهم تحديدا الشيخ البكري (1133هـ)، الشيخ الجنتوري (1160هـ) الذي كان لكل منهم فتاوى تضمنت العديد من المسائل الفقهية المتعلقة بنظام الفقارة وآلية توزيع مياهها (رسالة ادرار، مجلة تصدر عن ولاية ادرار العدد1 ص25).

للقصر للسكن فيه أو طلبا للجوء والحماية، تبقى تعمل كأجيرة في الفقارة لصالح العائلات المالكة والتي غالبا ما تبقى تحت حمايتها وولائها، وتعمل في بساتينها عن طريق عقد "الخماسة"، من أجل كسب قوتها اليومي، وإن حدث أن ملكت خراريب (حصص) في الفقارة وقامت باستغلال أرض زراعية فإن ملكيتها من الماء والأرض تبقى محدودة.

4.1. الواحة، القصر، الفقارة،: وحدات نظام الواحة التي لا تنفصل

نظام المعيشة في الواحات والتنظيم الاجتماعي لسكانها الذي تكون منذ عدة قرون يشكل توازن خاص بين مختلف العناصر التي تشكله (الواحة - القصر - الفقارة)، تتم هذه العلاقات بتدخل الإنسان، إذ يعتبر العنصر الأساسي الذي عمل على إنتاج وتناغم نظام تكمله هذه الوحدات، لذلك يمكن إضافة الإنسان كعنصر رابع (Gaouar. M.A, 2000)[1]، لا يمكن فصله عن هذا النظام باعتباره المنتج والمحرك له، يظهر ذلك جليا من خلال استطاعته على تكييفه لنظام الواحة بإتقان؛ مع وسط طبيعي ذو شروط مناخية خاصة.

إن العلاقات التي تربط هذه العناصر أنتجت تنظيم اجتماعي وسياسي مميز في مجتمع الواحة، فالواحة كمجال زراعي ترتبط ديناميكيتها ونشاطها بتقسيم وتوزيع الماء عن طريق الفقارة، وكذا العمل الزراعي المستوحى من التنظيم الاجتماعي لسكان القصر، فيتوقف حجم واحة النخيل على عدد الفقارات وكمية الماء التي توفرها، فهناك علاقة طردية بين الماء والارض، كلما كبر حجم ملكية الماء بازدياد حصص هذه العائلة؛ واليد العاملة فيها من أبناءها أو خدامها من خماسين ومؤجرين؛ زاد معها مساحة الأرض المزروعة، وهو ما أثر بشكل مباشر على طبيعة الملكية وعلاقات الإنتاج في مجتمع القصر، فالماء والأرض هما المحددان الأساسيان لمكانة الفرد ضمن المجتمع، وسمحا ببناء مجتمع تراتبي تلعب فيه الطبقية الدور الحاسم.

من الناحية المجالية، غالبا ما تتنظم واحات النخيل باعتبارها كانت مصدر الرزق الرئيسي لدى السكان بالقرب من السكنات (القصر)، بما أنه الممون الرئيسي لليد العاملة في النشاط الزراعي، ولا يمكن فصله عن واحة النخيل، فالهدف الأساسي من بناءه في البداية هو تخزين المنتجات الزراعية، ومجال تناقش فيه كل النزاعات التي تنتج عن عمليات تقسيم الماء وأعمال الارض في هذه الواحات، وبالتالي يمكن القول أن هذه العناصر الثلاث تمثل تشكيلة متكاملة لا يمكن فصل أحدها عن غيره، فديناميكية كل منها لا يتم إلا بمساعدة العنصر الآخر، وهذا بتدخل الإنسان كعنصر فاعل في هذه التشكيلة، وما استمراريتها لسنوات عديدة إلا دليل على ذلك (الشكل 5)، إلا أن انفتاح هذه العناصر

[1] - نقلا عن (Kouzmine Y, 2007)

على العوامل الخارجية؛ أدى بكل منها إلى فقدان وظيفتها الحقيقية؛ واختفاء ذلك التناغم والانسجام مع بعضها البعض اليوم.

يتحكم في تواجد هذه العناصر في المجال اختلاف المعطيات الطبيعية والطبوغرافية التي نشأت عليها؛ وكذا الظروف التي مرت بها المنطقة، ففي إقليم توات تحكم في نقاط تواجد هذه العناصر حركة القوافل التجارية؛ التي اختارت أماكن دون أخرى لإقامة تبادلاتها، تحت تأثير المكونات المرفولوجية للمنطقة، منتجة بذلك تنوع في استغلال الماء عن طريق الفقارة، وأنماط مختلفة من استخدام الأرض في واحات النخيل وداخل النسيج السكني.

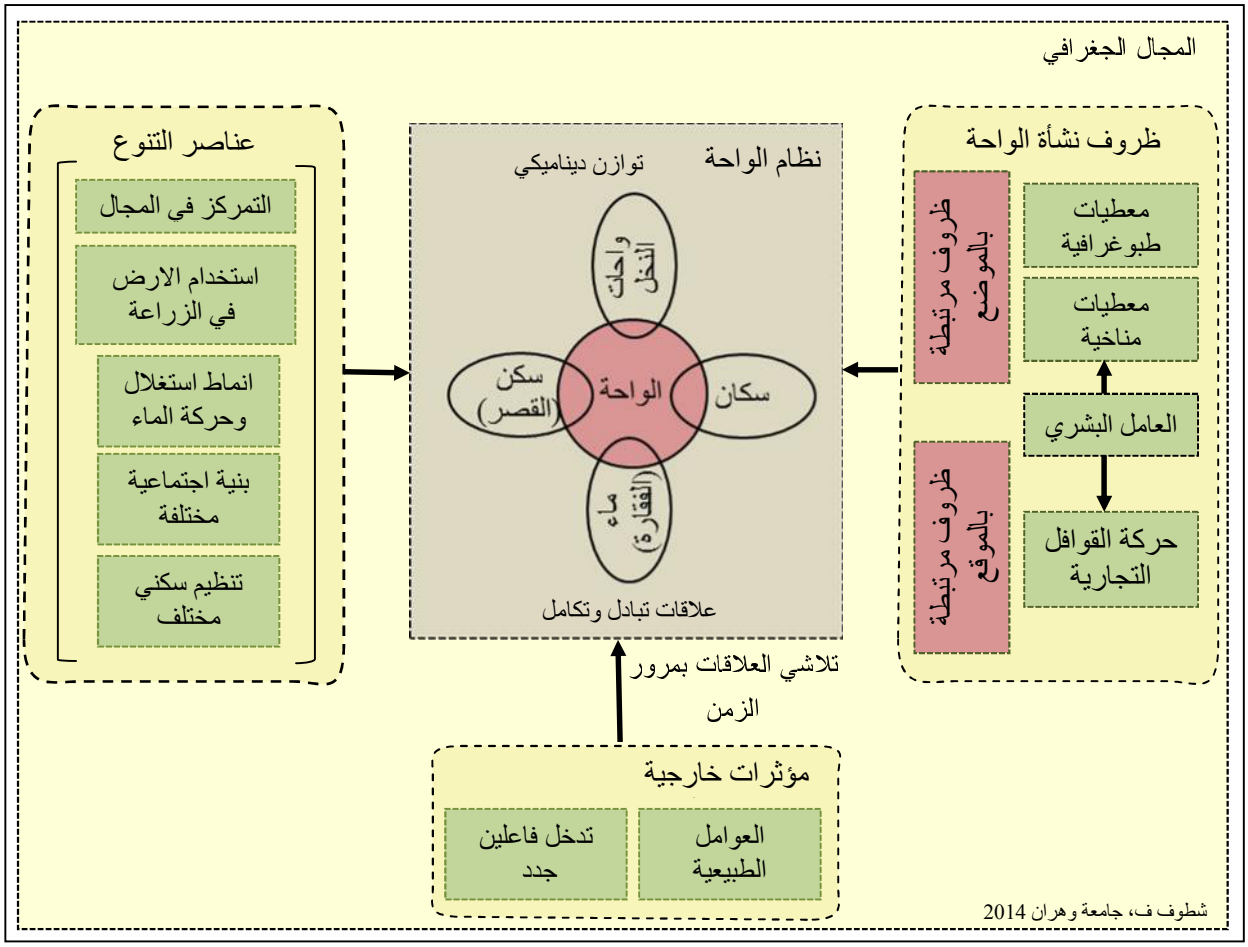

شكل (5): مخطط تنظيم وهيكلة مجال الواحة[1]

[1] - فكرة (Kouzmine Y, 2007)

2. مجتمع قورارة: تركيب وتنوع عرقي أملته الظروف التي مر بها إقليم توات

1.2. جذور التجمع السكاني بالصحراء

ارتبطت ظاهرة التجمع السكاني بشكل عام بالماء والزراعة، فاكتشاف مصادر المياه وما صاحبها من تطور للأنشطة الزراعية التقليدية، كأعمال جمع المحاصيل، ريها، وحمايتها من الظروف الطبيعية، كانت تؤدي في كل مرة إلى بروز تنظيم اجتماعي واقتصادي (تقسيم العمل) يختلف عن غيره، فتطور هذا التنظيم حتم على الإنسان ضرورة الاستقرار، إذا فالاستيطان البشري عموما كان مقرون بالثورات التقنية التي عرفها الإنسان في مختلف المجالات؛ خلال مراحل حياته الاجتماعية التي تعاقبت عليه منذ العصور القديمة إلى يومنا هذا، فقد كان لكل ثورة مر بها أثر على إيقاع حياته ونمط إنتاجه وبنائه الاجتماعي وتنظيمه الاقتصادي والسياسي، وأدت كل منها إلى ظاهرة عمرانية مختلفة عن غيرها، إلا أن الميزة التي تشترك فيها كل هذه الثورات؛ هي نمط إنتاج هذا المجتمع وكيفية استغلاله لموارده المحلية في مسيرته نحو التطور والتمدن، وعليه يعتبر القصر في المناطق الصحراوية؛ أحد أنماط التجمع البشري الذي أوجد بسبب الماء والنشاط الزراعي بهيكله العمراني وتنظيمه الاجتماعي والاقتصادي؛ الذي يعبر عن الترتيب الوظيفي الذي تبنته الجماعات البشرية التي أنتجته. وبالتالي فكل استيطان بشري بالصحراء؛ عموما ومنطقة توات وقورارة على وجه الخصوص؛ تعود جذور نشأته إلى ما يسمى بالقصر.

1.1.2. الاستيطان البشري بإقليم توات

تمتد رحلات القوافل التجارية العابرة للصحراء؛ إلى ما لا يقل عن مئات الآلاف من الكيلومترات، هذه الرحلات دون شك؛ كانت تحتاج إلى محطات ذات فضاء حضري مستقر، من أجل القيام بتبادلاتها، وهو ما كان يستدعي توفر الزراعة والمياه، لهذا ظهرت القصور والتجمعات الصحراوية حول واحات النخيل وفي نقاط توفر المياه، مستلهمة هويتها المعمارية والتخطيطية من خلال طبيعة الفعاليات الاجتماعية والحضرية لسكانها، والتي تتلاءم مع المتطلبات المناخية لهذه المناطق، كانت النواة الأولى للقصور تبنى على شكل حصون "أغام" أو قصبة، حيث كان لكل قبيلة أو مجموعة من القبائل قصبة خاصة بها، استعملت أغلب هذه القصبات في الوهلة الأولى لتخزين المنتجات الزراعية (Bellil R,2002) ، وكنقاط ربط وملتقى القوافل، تختلف هذه القصبات في شكلها ونمط بناءها باختلاف الأجناس التي تعاقبت على منطقة توات[1].

[1]- بالإضافة إلى القوافل التجارية التي كانت تعبر منطقة توات، كانت تعتبر هذه المنطقة منذ العصور الغابرة، ملجا امن لكل المضطهدين، ومقرا حصينا يقصده الكثير من ضحايا القمع السياسي والديني (حاج احمد نور الدين، 2011).

يعود تواجد أولى الشعوب بتوات إلى ما قبل التاريخ[1]، ثم حيث استوطنتها القبائل اليهودية أو الجيتول[2]، ووجودهم بالمنطقة كان مرتبطا أساسا بالتجارة فقد كان يتقنون هذه الحرفة بشكل كبير، ويرجع ذلك إلى القرن 8هـ/ 143م (حاج احمد نور الدين، 2011)، سكن الجيتول الكهوف والمغارات ومباني طينية ونحتوا في الجبال بيوتا لم يبقى لها أثر كبير اليوم، تجمعت هذه القبائل في عدة نقاط من توات أهمها، قصور تيمطيط كتاخفيف، تيطاف، تاسفاوت، كما استحوذت على منطقة أولاد سعيد بقورارة، وتمكنوا من السيطرة على أسواق توات إلى غاية القرن 15م، بعد مجيء الإمام المغيلي من تلمسان إلى توات[3] (Marouf N, 1980)، من أجل تحرير القبائل الأخرى التي جاءت فيما بعد من سيطرة اليهود، فمن بين القبائل التي سكنت توات كذلك البربر (زناتة)، والعرب (بنو هلال) وغيرهم حيث أنشأوا القصور بمحاذاة هذه القصبات، وهو ما يؤكد لنا أن هذه المراحل لأشكال الاستيطان البشري لم تحدث بين عشية وضحاها، وإنما استغرقت كل مرحلة وقت طويل. رغم تباعد المراحل الزمنية فإن هناك عامل أساسي واحد تعلق به وجود تلك التجمعات قبل العامل الاقتصادي ألا وهو منابع المياه.

1.1.1.2. مرحلة استيطان قبائل زناتة (600م- 1050م):

دخلت القبائل البربرية (زناتة) إقليم توات في 618م ليستوطنوا بها، في نفس المرحلة التي كان يسكنها اليهود، حيث يشير بعض المؤرخين إلى أن هذه القبائل جاءت إلى توات على ثلاثة عشرة رحلة للاستيطان بها، فأولى قبائل زناتة قدمت من بلاد المغرب الأوسط، يعود سبب هجرتهم نحو المنطقة؛ إلى تتبعهم لمسار استكشاف مناطق جنوب الأطلس الصحراوي من أجل متابعة حياة الترحال، والنقطة الثانية هي أن هروبهم نحو الصحراء، مرتبط بأول احتكاك لهم بالإسلام، كما أن السبب الأخر كان تطور حركة تجارة القوافل مع بلاد سودان بعد إنشاء إمامة الإباضيين بتاهرت (Tahert)، التي جذبت الزناتة نحو الصحراء، بالإضافة إلى ذلك يعتقد أن هجرة الزناتة الإباضيين من الأطلس الصحراوي إلى توات وقورارة كان بعد سقوط تاهرت (Tahert). خلال القرن 11م شهد إقليم توات وخصوصا منطقة قورارة قدوم مجموعة أخرى هي بربر منطقة من منطقة سلجماسة[4] (تفيلالت)، حيث عبرت واد الساورة للوصول إلى هذه الواحات (Bellil R, 2002).

---

[1]- إن العينات المختبرة من طرف الباحثين أثبتت تواجد وتعايش الإنسان في هذه المنطقة قبل التاريخ مثل الكهف الموجود شمال شرق مدينة تيميمون، "بقرية مقيدن" الذي تتواجد به رسومات لا تختلف عن التي اكتشفت في التاسيلي والهقار (حاج احمد ن د، 2011). سكن الصحراء ومنطقة الاطلس الصحراوي السكان السود وحسب بعض الاقوال يعتبرون هم السكان الأصليين لواحات الصحراء (Bellil R, 2002)، فقد كانت هذه الفئات تسكن قرى صغيرة متبعثرة في المنطقة (Guillermou Y, 1993).

[2]- الجيتول: تسمية أطلقها الرومان على القبائل اليهودية التي استوطنت واحات النخيل والتجمعات السكنية المتواجدة على شواطئ الانهار والاودية، وكانوا يعيشون في مرحلة الرومان حياة الترحال وسط افريقيا الشمالية.

[3]- تمكنت القبائل اليهودية من السيطرة على مختلف التعاملات التجارية والقبائل الاخرى التي جاءت من بعدها الى منطقة توات، وظهر فيها فساد كبير وهو ما دفع الامام المغيلي الذي جاء من تلمسان للهجرة نحوها من اجل تحريرها من اليهود ونشر الدعوة الاسلامية وهذا خلال القرن 15م فقد كان دخوله لتوات فتحا عظيما، واول ارض نزل بها هي منطقة اولاد سعيد (حاج احمد نور الدين، 2011).

[4]- سلجماسة هي احدى مدن المغرب الاقصى، وتعتبر اكبر العواصم التاريخية واقدمها ارتباطا بمنطقة توات، تأسست سنة 757م .

استوطنت قبائل زناتة حواف نهر قير؛ فأنشأوا القصبات والقصور والفقاقير، كان أول معسكر لهم في بودة، ثم نزلوا بقصور: تيطاف، تسابيت، أولاد إبراهيم، تسفاوت وتيليلان من توات، فأما قورارة فقد نزلوا بها واستقروا بقصر تيميمون، أولاد سعيد، أولاد عيسى، قصر قدور، اغزر، وغيرها. تمكنوا من تشييد هذه القصور واختيار موضع لها، والتي كانت في معظمها على حافة الوديان، وأعطوها شكلا هندسيا ومعماريا فنيا وأداء وظيفيا خاص، وانتشروا في العديد من الأماكن بإقليم توات كتلك التي لم تندثر بها لهجتهم لحد الأن، كما هو الحال في منطقة قورارة، التي سكنوا في ما يقارب النصف من واحاتها (Chaker S, 1972)، ومنذ تاريخ قدومهم إلى توات بدأت سمات العمران[1] تظهر بها بشكل واضح، خلافا للعرب (الهلاليون) الذين جاؤوا فيما بعد وظلوا في حياة الترحال لفترة طويلة.

2.1.1.2. هجرات القبائل العربية نحو توات (1146م- 1438م):

تجمع الدراسات التاريخية حول إقليم توات الذي هو جزء من صحراء المغرب العربي؛ على أن سكانها أي توات هم برابرة، لكنهم شهدوا هجرات عربية متتالية مع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وقد شهدت بلاد المغرب موجات هجرات القبائل الهلالية؛ التي عرَبت سكانه عبر التاريخ نتيجة استيطانها بالإقليم (ثياقة الصديق.، 2006).

جاءت هجرات القبائل العربية متأخرة؛ إذ كانت بدايتها منذ منتصف القرن 12م عندما سمح سلطان الفاطميين للرحل العرب المتجمعين في دلتا نهر النيل بالتوجه نحو الغرب (Bisson J, 2003)، فأما عند توجهها إلى منطقة توات؛ ظلت هذه القبائل في بداية الأمر قبل أن تستقر بسهل أمقيدن؛ تعيش حياة الترحال بين الأطلس الصحراوي ومنطقة توات، وتدريجيا بدأ استيلاءهم على القصور الواقعة في الحدود الشرقية لتوات وقورارة (Bellil R, 2002). في هذه الفترة بدأت ملامح التمدن والمدينة العربية الإسلامية تظهر بشكل واضح، خاصة وأن هذه المرحلة تزامنت مع الفتح الاسلامي الذي حملت العرب لواءه في إقليم توات، فأضافوا إلى المراكز عمرانية والقصور بعض العناصر المقدسة المتمثلة في المساجد، الزوايا والأضرحة.

2.1.2. ظهور القصور بتوات: اختيار الموضع

ظهرت القصور كما سبق وأن ذكرنا على يد القبائل التي استوطنت بها، أهمها قبائل زناتة التي تمكنت من تشييد القصور والفقاقير في العديد من النقاط في الإقليم، ومن بعدهم العرب، فأما مواضع إنشاء هذه القصور وتوزيعها المجالي فكان يتحكم فيها عاملين مترابطين يتمثلان في:

[1]- ابن خلدون، نقلا عن (ثياقة الصديق.، 2006).

العامل الطبيعي (منابع المياه):

يغلب على إقليم توات طبوغرافيا طابع الحماده والرمال، كونه يقع ضمن الصحراء الإفريقية وامتداد للصحراء العربية، وبذلك فهو يحمل كل خصائص الأقاليم الصحراوية. فبين العرق الكبير والهضبة الصخرية لتادمايت من جهة وحمادة تيندوف من جهة أخرى يقع رواق الحياة[1] (الخريطة 4)، المتمثل في واد الساورة الذي تتوضع عليه مئات الواحات والقصور، إذ لعب هذا الواد دورا أساسيا في استمرار حضارات توات القديمة والحفاظ عليها، تكون واد الساورة عند منطقة اقلي ببشار عن التحام واد "قير[2]" الذي ينبع من منطقة تافيلالت (الأطلس المغربي)، وواد زوسفانة الذي جاء منبعه من منطقة فيقيق بالمغرب (Gautier E.-F, 1907)، يتجه واد الساورة نحو الجنوب إلى غاية منطقة كرزاز أين يختفي هذا الواد ثم يظهر ثانية باسم واد مسعود مواصلا اتجاهه في الناحية الجنوبية بتجاه توات، يكون واد مسعود سبخة عند قصور تاسفاوت بتوات، ثم يتجه نحو مقاطعة رقان، حيث يختفي جنوبها في صحراء تانزروفت، فقبائل زناتة التي جاءت من تافيلات سلكت واد "قير" لتتوضع على حوافه بعد أن جف، وذلك ابتداءا من منطقة الساورة وصولا إلى واحات توات. الواد الثاني الذي له دور في نشأة قصور قورارة هو واد أمقيدن الذي تشكل من مجاري مائية تنبع من جبال عمور (جبال الأطلس الصحراوي) (Marouf N, 1980) من بينها واد "سيقور" ليعبر منطقة المنيعة، يجري هذا الواد من الشمال نحو الجنوب الغربي وبعد أن يعبر منطقة القولية يأخذ اسم واد أمقيدن ويتجه غربا حتى تتلاشى معالمه بعض الشيء، ثم يظهر من جديد حيث يستمر في سيره غربا إلى أن ينتهي في منطقة قورارة، مكونا سبخة تعرف باسم سبخة "تيميمون"، التي ظهرت على حوافها سلسلة القصور الممتدة من أولاد سعيد شمالا إلى غاية دلدول جنوبا، ينتهي واد أمقيدن عند منطقة تيديكلت، الذي ساهم في ظهور سلسلة قصور أولف وعين صالح. إن توضع الواحات والقصور بشكل خطي، يجسد لنا طبيعة التبادلات التي كان يقوم بها عابري الصحراء، والتي كانت على طول هذه الوديان.

الحركة التجارية:

كان للحركة التجارية التي ازدهرت قبل وبعد الفتح العربي الإسلامي للمنطقة؛ وطرقها دور كبير في نشأة القصور في إقليم توات، فإذا كان القصر وليد هذه الحركة، فإن الماء كان الموجه الأساسي لطريق تلك التجارة التي كانت أقطابها منابع المياه، فالتجار كان غالبا ما يحط بهم الرحال للاستراحة

[1]- Cote M 1995 نقلا عن Kouzmine Y, 2003

[2]- واستنادا الى ما كتبه ابن خلدون في مقدمته حين يتكلم عن العمران البشري في المغرب العربي ومنه الصحراء يقول "...وينبع من هذا النهر فوهة نهرا كبيرًا ينحدر ذاهبا في القبلة مشرقا بعض الشيء ويقطع الشرق على سمته إلى أن ينتهي إلى بودة ثم بعدها إلى تمنطيط ويسمى إلى هذا العهد "قير" وعليها قصورها ثم يمر إلى أن يصب في القفار ويغوص في رمالها وعلى موضع مغاصه قصور ذات نخيل تسمى رقان وفي شرق بودة مما وراء العرق قصور تسابيت من قصور الصحراء. وفي شرق تسابيت إلى ما يلي الجوف قصور تينكورارين تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واحد وتنتهي من المغرب إلى المشرق وفيها أمم من زناتة"، نقلا عن ثياقة أ.، 2006.

والتموين قرب الآبار والمنابع المائية[1]، لذلك نجد بعض القصور تأخذ أسماء هذه المنابع[2]، وهذه الأقطاب كان لها دور كبير في تنظيم اتجاهات القوافل، ويؤكد لنا ذلك أن منطقة توات- قورارة كانت تحتل بحكم موقعها مكانة استراتيجية هامة في حركة النشاط التجاري؛ الذي عرفته الصحراء الإفريقية لمدة زمنية طويلة، هذه الحركة التي كانت تربط شمال دول المغرب والساحل الإفريقي المسمى ببلاد السودان (Bellil R, 2003).

إن التنظيم الجغرافي لحركة القوافل التجارية، كان يخضع لثلاث شروط تلازمه، الأول هو ضرورة خلق نقطة لربط نوعين مختلفين من التجارة، الثاني هو البحث عن الممرات سهلة العبور لتفادي العوائق الطبيعية (بهدف تقليص الوقت، التزود بالماء....)، أما الشرط الثالث والأساسي لكل تجارة وهو ضمان الأمن للقوافل في نقاط وخطوط العبور التي تم اختيارها (Bisson J, 2003). ربطت القوافل التجارية عن طريق مختلف محاورها، مدن مالي والنيجر بمنطقتي فاس ومراكش بالمغرب الأقصى، وبجاية وتنس وغيرها بالجزائر، إلى صفاقس والقيروان بتونس، ثم سيرت وبن غازي بليبيا، هذا الربط تم عن طريق خلق العديد من المحطات كنقطة توات وقورارة، من أجل ضمان نجاح وتسهيل هذه التنقلات.

مثّل إقليم توات محطة عبور محورين كان لهما دور كبير في هيكلة المجال الصحراوي، المحور الأول بدايته من اقادز (النيجر) التي كانت تعتبر ملتقى هام للقوافل التجارية، لبربطها بتمنراست مرورا بمنطقة تيديكلت ثم المنيعة، باتجاه الشرق الجزائري (ورقلة، الزيبان، مزاب، وسوف)، من أجل الوصول إلى مدن البحر المتوسط. أما المحور الثاني؛ فهو محور السودان المغربي الذي نظم لربط منطقتي قاو وتومبكتو (مالي) عبر صحراء تانزروفت وواحات توات وقورارة والساورة، بمنطقة سلجماسة (تافلالت) بالمغرب الاقصى، كما أنه كان هناك محور أغدامس الذي يربط المنطقة بليبيا ومصر (الخريطة 4)، وبذلك ساهت هذه المحاور في ظهور سلسلة قصور توات، قورارة وتيديكلت التي اختارت مواضعها هذه القوافل، وكانت تعتبرها نقاط عبور والتقاء، ولم ينتهي دورها هنا فقط، بل وتحولت بعد زوال هذه التجارة إلى أقطاب رئيسية في مجالها، وساهمت في استقرار وتثبيت السكان (تيميمون، تمنطيط وعين صالح).

---

[1]- القيمة السلعية آنذاك كانت "الملح" التي كانت ذات قيمة كبيرة في تلك الفترة، وللبحث عن مناجمها التي كانت توجد في نهاية مجرى كل واد، الذي يكون سبخة في مصبه الملح، لهذا السبب نجد البعض من قصور توات موضعها قرب السبخات مثل قصور تاسفاوت بمنطقة توات قصور قورارة المتوضع اغلبها على سبخة تيميمون.

[2]- مثل: "رقان" التي تعني البئر، تمنطيط نسبة الى مصدر المياه، و"أوقروت" نسبة إلى كلمة بربرية هي "انو انتمقريوت" باللهجة المحلية (الزناتية) والتي تعني "بئر الملتقى"، حيث كان هذا الأخير بقصر أعبود أين كانت القوافل تلتقي في هذا البئر العتيق، لتسقي وتستبدل السلع قبل عمارة المنطقة ومما يستدل به مؤرخي المنطقة على انه بئر الملتقى وكذا بداية تعمير المنطقة هو وجود أصناف من النخيل بقصر أعبود لا توجد في غيره من قصور بلدية اوقروت، والسبب أن القوافل كانت تحمل معها أنواع من التمور من عدة مناطق لترمي بالنوى عند بئر الملتقى بالقصر (شنوفي حبيب، العبادي عبد الحي، 2003)، وبذلك اخذت هذه القصور اسماءها من الوظائف التي كانت تؤديها.

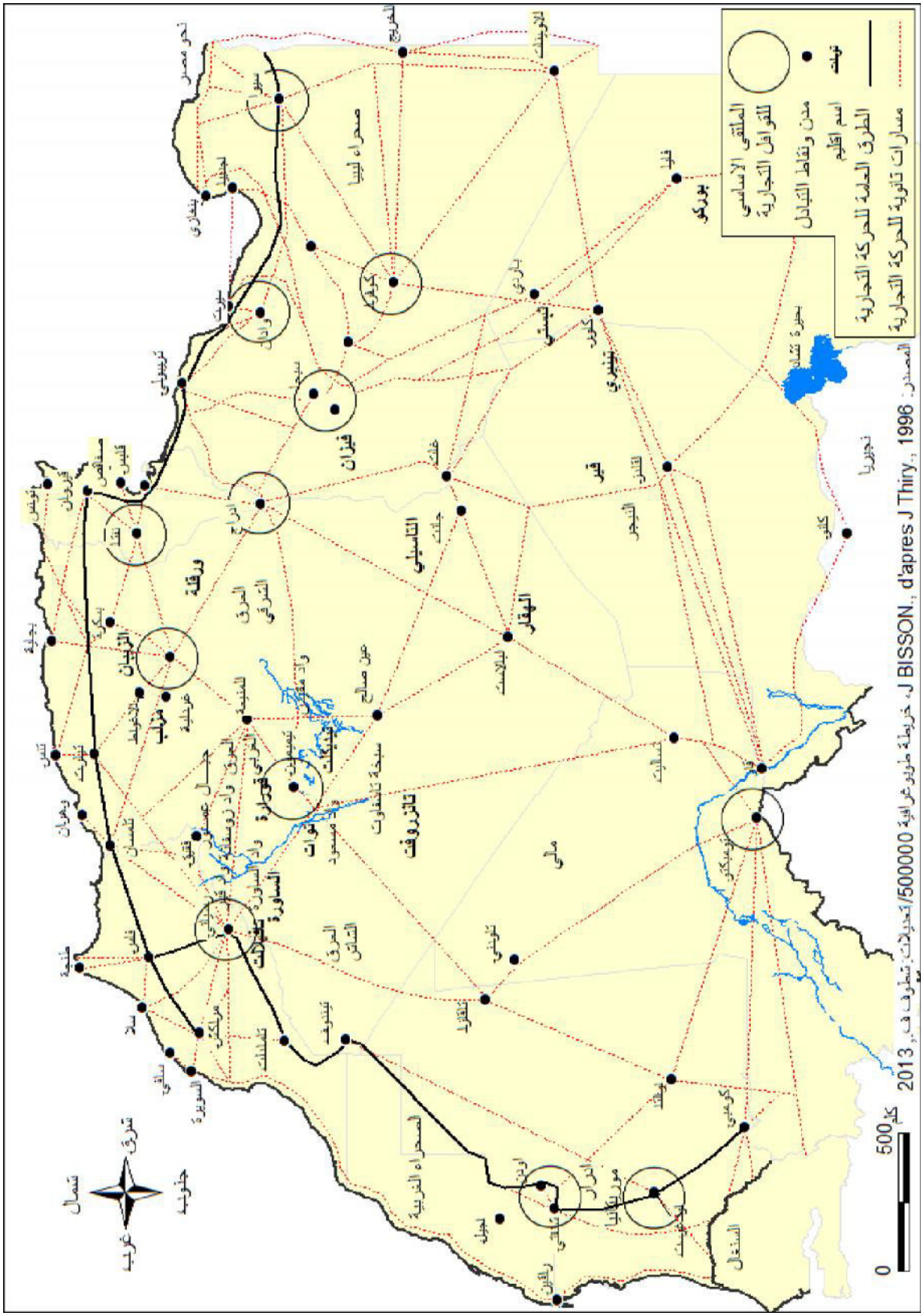

خريطة (4): تيارات حركة القوافل التجارية في الصحراء

2.2. التنظيم الاجتماعي والعرقي لسكان القصور

يتنظم مجتمع القصور على ترابية هرمية مؤسسة على النسب، الذي يتحكم أفقيا في التنظيم العام للخريطة الاجتماعية التي يظهر عليها سكان القصور.

يصنف الأشراف ضمن المرتبة الأولى في التنظيم الاجتماعي عند أهل المنطقة؛ وذلك لانحدار أصلهم إلى السيد علي كرم الله وجهه، وجاءوا من منطقة تافيلالت المغربية، لهذه الطبقة وزن كبير في المجتمع باعتبارهم حماة الدين؛ ولا يخالفهم أحد في الرأي ولا يتعدى عليهم، والكل يرجو رضاهم وسماحهم ودعائهم، وكبار السن لهذه الطبقة الاجتماعية هم المسؤولون عن النزاعات والأفراح بالنسبة لكل قبيلة، ولا يمكن لأحد من الطبقات الأخرى أن يتدخل في الشؤون العائلية القبلية، كانوا يمتلكون بعض البساتين؛ وكذا بعض أنواع التجارة الراقية، ويكون لهم السند من طرف الطبقات الاجتماعية الأخرى ماديا ومعنويا. وهم مستقرين حاليا في مختلف مناطق إقليم توات، في أولف بتيديكلت، رقان بتوات، أما في قورارة، فهم يتواجدون في قصو قنتور بمنطقة أولاد عيسى، وشروين، كالي وماسين بمنطقتي أولاد سعيد وتيميمون.

يأتي المرابطون في المرتبة الثانية في سلم الطبقات الاجتماعية بعد الشرفة، مشهود لهم بالتقوى حيث كانوا يقومون بتدريس القران الكريم، وكان لهم دور كبير في جمع شمل المسلمين، الشيء الذي مكن البعض منهم من خلق معجزات يشهد لها المجتمع لحد الآن، وفي الوقت الحالي المرابطون يشرفون على الزوايا[1] التي أسسها أجدادهم الأولياء الصالحين، كما لديهم ملكيات البساتين، كان لكبار هذه الطبقة الفضل في تأسيس العديد من القصور واستقرارها.

يتكون الهرم الاجتماعي من طبقتين أخريين، فأما الأولى فتتمثل في الأحرار، وهم بمثابة طبقة تحررت من العبودية لأسيادهم الشرفة والمرابطين، كانت تتسم بأنها فئة نشطة يمتلكون المال والبساتين ويعملون كذلك في التجارة، تضم منطقة توات وقورارة طوائف مختلفة من الأحرار؛ وأغلبهم طوائف من البربر الذين قدموا من بلاد المغرب، وطوائف الجوزية والعربية، ينتشر أفراد هذه الطوائف في معظم القصور. في حين تتمثل الثانية في طبقة الأحرار الثانويين(الحراثين)، وهي الطبقة التي كان أغلب فئاتها مستعبدة تعمل في أملاك الطبقات الأخرى، وغالبيتهم من زنوج السودان، ارتبط وجودهم في إقليم توات بحركة القوافل التجارية؛ التي كانت تربط الأقاليم الشمالية ببلاد السودان، كانت

[1]- لكل قصر من قصور اقليم توات ولي صالح من طبقة المرابطين يعود له الفضل في تسيير القصر عن طريق تأسيس زاوية، لذلك بقي ابناء هؤلاء ممنونون له مدى الحياة، لذا بقيت تنظم له ولائم تعرف بالزيارات محليا احياء لذكرى وفاته وامتنانا له بمجهوداته التي بذلها في تسيير القصر، وتقديرا لدينه وعلمه، كما يعود لهذه الاشخاص الفضل الكبير باستقرار السكان في القصور ارتباطا بهذه العادات والتقاليد وذلك في اماكن تواجد اجدادهم لحد الان. كما ان هذه الزيارات تمثل عنصرا أساسيا في الحياة الروحية والثقافية لسكان المنطقة.

تعمل هذه الطبقة في الزراعة كخماسين في أملاك الفئات السابقة الذكر في جميع الأنشطة، كشق الآبار، بناء القصبات، حفر الفقاقير وكذا أعمال البناء والفلاحة، وكلمة حراثين تعني جمع لحارث(فلاح)، لكل قصر من قصور توات وقورارة أفراد من هذه الطبقة تقريبا.

يصعب فهم التراتب الاجتماعي في مجتمع الواحة على أساس النسب وحده، لوجود أسباب أخرى مرتبطة بالنفوذ الاقتصادي والسياسي وهذا النفوذ الذي سماه ابن خلدون بـ"الجاه"، فالوظيفة السياسية تؤثر على الثروة الاقتصادية وكلاهما يؤثر على الواقع الاجتماعي، كان يعتبر الأرض والماء مصدرا الثروة الوحيدين، وقاعدة أساسية للملكية لقرون عدة في هذا المجتمع، إذ اقتصر هذين العنصرين (الماء والأرض) على فئة الشرفاء والمرابطين وبعض الأحرار، لذا كرست نظاما اجتماعيا طبقيا تلعب فيه الملكية إلى جانب النسب دورا طبقيا، بنظام اقتصادي وأسلوب إنتاجي متميز، مثلت فيه الخماسة والخراصة إحدى معالمه الواضحة.

إن هذه التراتب الاجتماعي الطبقي لسكان توات؛ يمكن كذلك ترجمته مجاليا، من خلال تأسيس القصور اعتمادا على خاصية النسب: فنجد في المنطقة قصر يسكنه المرابطين والأشراف كما قد نجد قصر يسكنه الحراثين فقط (Otmane T, 2010). هذا التنظيم كان في السابق تظهر معالمه بشكل واضح أما حاليا فلم يعد كذلك، بقيت فقط أسماء هذه القصور خصوصا بعد دخول فاعلين جدد وأخضعوا التنظيم المجالي للقصور لصالحهم (الاستعمار سابقا والدولة حاليا).

3.2. الزوايا: المحرك الرئيسي للمجتمع في القصور

ارتبط تاريخ توات العلمي والفكري بنشوء مراكز إشعاعية (الزوايا[1])، وكان لاستثمارها دور هام في نشر الحركة العلمية وقبلها الدينية، فهي بذلك تؤدي دور فعال في مختلف مجالات الحياة لسكان القصر انطلاقا من تركيبتها، كما أن الزاوية فرضت سلطتها الدينية والاقتصادية على سكان القصور.

يزخر إقليم توات بالعديد من الزوايا، التي لعبت دورا بارزا في استقرار القبائل العربية بالمنطقة منذ نهاية القرن 9هـ/ 15م، ويعود السبب في انتشار هذه الزوايا بالمنطقة والذي يتكرر دائما؛ إلى وقوعها على الخط التجاري الذي يربط شمال بلاد المغرب ببلاد السودان، وبما أن توات كانت تلقب بأرض الأمن والاستقرار، سمح لها ذلك بظهور العديد من العلماء والزهاد الذين كان لهم دورا هاما في

[1] الزاوية: هي مؤسسة دينية اسلامية ذات طبيعة اجتماعية، روحية وثقافية تختلف حسب وظائفها ونشاطاتها، اما عند اهل توات فتعرف الزاوية عندهم بانها تلك الصدقات الجارية التي يبرع بها شخص ما في حياته وتبقى قائمة بعد وفاته من خلال نص موثوق ومحدد لينتفع بها عامة الناس، يشرف عليها صاحبها اثناء حياته، وبعد وفاته يعقب عليها ورثته على التوالي، وتصنف الزوايا في الجزائر الى ثلاثة اصناف هي: زوايا المشايخ، زوايا المرابطين، زوايا الطلبة، وهناك من يصنفها الى نوعين زوايا العلم وزوايا اطعام من حيث الوظيفة، اما من حيث النشأة فيصنفها الى زوايا بنيت داخل القصر، وزوايا اسست وبنيت خارج القصر.

تنشيط الحياة الثقافية والاجتماعية، عن طريق تأسيس زوايا دينية وعلمية كزاوية الشيخ بلكبير[1] بمنطقة توات، زاوية المغيلي بتمنطيط، زاوية الشيخ خليل بتيميمون، وزاوية الشيخ مولاي أحمد بقصر بني مهلال...وغيرها.

1.3.2. نشأة الزوايا بتوات:

كانت بداية نشأة الزاوية في المشرق، ويقصد بها أساسا المسجد الصغير، وذلك للتفريق بينه وبين المسجد الكبير أو الجامع، ويبدو أن هذا المفهوم استقر بسرعة في المشرق ولم يتغير بعد ذلك، أما في المغرب فمنذ أن ظهرت الزاوية في القرن 13م، ومفهومها في تطور مستمر، إلى أن حلت محل الرباط أو الرابطة[2]، لهذا كان يشرف على الزاوية كمؤسسة شرعية الشرفة والمرابطين من أجل الفصل في الأمور الدينية (Marouf N, 1980)، تبنت الزاوية العديد من الوظائف، من وظيفتها كمكان للعبادة فقط، إلى محل لإيواء وإطعام المسافرين، وكذلك الوظيفة التعليمية، إلى أن استقرت وظائفها في صورتها النهائية في هذه المنطقة خلال العهد العثماني.

ظهرت أغلب الزوايا في إقليم توات كمكان لإطعام الضيوف وإيواء عابري السبيل خاصة ركب الحجيج، والقوافل التجارية نظرا لشساعة الصحراء، وسوء الأحوال المعيشية لأغلبية السكان، وتشير الوثائق المحلية (المخطوطات) إلى أن أولى الزوايا أسست في منطقة توات، فأما منطقة قورارة فأول زاوية فيها أسسها الشيخ ابومحمد بن محمد الجازولي ببادريان سنة 1596م.

تنشأ الزاوية في بداية الأمر على يد الولي أو شيخ القصر أو الزاوية، فعند مجيئه إلى القصر يؤسس جماعات ذات تقسيم وظيفي، مؤسسة على مفاهيم جديدة كالخدمة والصحبة والملازمة. فالخدم والأصحاب والملازمون هم الذين ينشؤون النواة الأولى للتجمع السكاني، وفي مرحلة ثانية يواصل السكان الأوائل؛ استقطاب الآخرين ممن يبحثون عن الأمن والاستقرار، بتوفير المأوى والاطعام والعمل لدى شيخ القصر في الفقارة والنشاط الزراعي.

2.3.2. تنظيم وتسيير الزوايا للقصر:

إن القصر كوحدة اجتماعية واقتصادية، يتحكم في استمرارية توازنه الزاوية، كمؤسسة تنسب لها مهام تسيير شؤون السكان عن طريق شيخ الزاوية الذي يمثل منصب مهم في هرم الزاوية، بحيث يتبوأ القمة باعتبار الدور المسند إليه، فالفضل يرجع إليه في إنشاء الزاوية أو في تحمل رسالتها أو المحافظة

[1] زاوية الشيخ بلكبير: تأسست هذه الزاوية بأدرار سنة 1950 ومؤسسها الروحي كان الشيخ بكبير، وتعتبر هذه الزاوية من بين الزوايا التي لازال لديها نفوذا مجاليا كبير محليا وطنيا وحتى دوليا، فحركة الطلبة بها لا تخص فقط التوات والقورارة بالجنوب الجزائري ولكن تمتد الى المناطق الشمالية بالإضافة الى دول الصحراء المجاورة (مالي، النيجر، موريتانيا وليبيا) (يوسفي بدر الدين، 2010).

[2] الرابطة: كلمة مرادفة للزاوية، وهي المكان الذي ينزل فيه الولي الصالح، ويعيش فيه بين تلامذته وخدمه الدينيين.

عليها إن كان ورثها ممن أنشأها قبله، يقتضي أن يكون شيخها فقيها عالما بجميع العلوم التي تدرس في هذه الزاوية، لأنه يمثل محور كل النشاطات التي تمارسها الزاوية؛ ومن ثمة فإن صلاحياته متعددة وتشمل جوانب مختلفة من حياة الزاوية كالتدريس، السهر على حسن سير الزاوية، النظر في النفقات المتعلقة بإيواء الطلبة وتغذيتهم، وكذا طلبات التحاق التلاميذ الجدد بالزاوية، استقبال الزوار وتوفير الأكل والإيواء لهم طيلة إقامتهم، وهذه الوظيفة عظيمة الشأن بالنسبة للزوايا المشهورة لما ينتج عن ذلك من نفقات يومية، بحيث لا يمر يوم على الزاوية إلا وتستقبل فيه عددا معتبرا من الزوار يزيد وينقص بحسب المكانة التي تتبوؤها الزاوية وشيخها.

ـ مهام الزاوية: تعددت مساهمة الزوايا اجتماعيا، فإضافة إلى دورها التعليمي لسكان القصر كانت لها أدوار؛ كالقيام بعمليات الصلح في حالة وقوع النزاعات، وأخرى في المجالات (الصحية, الزراعية والاقتصادية)، أما الأدوار الصحية فتمثلت في جمع وقتل الحشرات الضارة المتواجدة في القصر، فيما أختص البعض الآخر في بركب الحجيج لوقوعها على الطريق مثل (زاوية الحاج بلقاسم بقورارة، زاوية ابي نعامة باقبلي في منطقة توات)، كما كانت تساهم في تنظيم التعاون بين الأفراد في القصر مثل أعمال التويزة، كما أن للزاوية محاولات عديدة في إيجاد عمل مستقر لكثير من الأشخاص سواء داخل الزاوية أو في البساتين والأراضي التي تملكها خارج القصر. ومن بين المهام التي لازالت شاهدة على نشاطها إلى يومنا هذا نذكر: زاوية قصر تاسفاوت[1] الجورارية، في عهد الإمام المغيلي لعبت دور الجهاد ضد اليهود وحركاتهم التجارية والاقتصادية، وعملت ضد تهويد الاقتصاد المحلي فأنشأ "سيدي موسى والمسعود الشيح الروحي" لهذه الزاوية؛ أسواقا موازية لأسواق اليهود بتيميمون، وما يزال أثر هذه الأسواق موجودا إلى يومنا هذا مثل "سوق سيدي موسى" بمدينة تيميمون.

ـ جماعة القصر: وهي هيئة تتكون من سكان القصر المرتبطين عادة بالزاوية وشيخها؛ ويظهر دور هذه الهيئة في القصر الذي ليس فيها شيخ زاوية، تتجسد فيه وحدة القيادة فتتولى هذه الجماعة جزءا من مهام الشيخ، لا سيما في مجال استقبال الضيوف والزوار، ومساعدة الفقراء، وإدارة شؤون الناس، عن طريق عمل جماعي تنظمه الزاوية، ويظهر ذلك بشكل واضح خصوصا بعد وفاة شيخ الزاوية، ففي هذه الحالة يتم تعيين خلفا له (مقدم الزاوية[2]) من أجل تسيير شؤون القصر بالتعاون مع جماعة.

رغم أن أغلب القصور والواحات ساهم في ظهورها بشكل مباشر طرق التجارة والمنابع المائية كما سبق وأن ذكرنا، إلا أن البعض منها لم يكن لأي عامل من هذه العوامل المذكورة دورا في ظهورها

[1] قصر تاسفاوت: احد قصور قورارة، يقع في الجهة وهو تابع اداريا لبلدية اولاد عيسى، مع العلم انه هناك قصر اخر في منطقة توات بهذا الاسم، وهو ما يبن لنا العلاقات التي كانت تربط القبائل المؤسسة للقصور بإقليم توات.

[2]ـ ممثل الجماعة والزاوية في القصر.

لاسيما (القصور أو التجمعات التي كان وراء إنشاءها، القبائل العربية المهاجرة لبلاد المغرب (الصحراء)). فهذه القصور العامل الوحيد الذي كان وراء ظهورها يتمثل في إنشاء الزاوية، فالكثير من رؤساء هذه القبائل كرسوا حياتهم لنشر الدين والعلم بإقامة الزوايا والروابط والمساجد.

3. قصور قورارة: بداية التحول وبروز فاعلين بمنطق تنظيمي جديد

عرفت الخريطة الإدارية للجزائر تحولات عديدة، متأثرة بالظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها البلاد، وقد تأثر المجال الصحراوي؛ على غرار المجالات الأخرى بالتنظيم الإداري والتحولات التي مرت بها الجزائر، والتي كانت بدايتها منذ العهد العثماني إلى يومنا هذا، فبعد أن كانت القصور عند تأسيسها مسيره من طرف سكان القصر نفسهم (جماعة القصر وشيخ الزاوية)؛ بدأ هذا التسيير يتدهور بعد دخول الاستعمار الذي نقل الحكم المحلي لسلطته، إلى غاية الاختفاء شبه النهائي لدور هذه السلطة التقليدية في مرحلة الجزائر المستقلة، ودخول النظام الإداري على القصور.

1.3. تنظيم تقليدي قبلي كان يسير القصور

بقيت مناطق قورارة، توات، وتيديكلت، لعدة قرون يخضع في تسييره إلى مجموعة من المؤثرات المحلية: العرقية والجمعوية (الزوايا) والتي تتعلق بتبعيتها لسلطة غير مستقرة؛ للقبائل الحاكمة في شمال إفريقيا، أو لسلطة قبائل البدو الرحل؛ التي كانت تتحكم وتراقب حركة القوافل التجارية (Otmane T, 2010) .

خلال القرن 15م عندما بدأت ملامح القصر بعناصره تظهر بشكل واضح، لم تكن هناك أي سلطة مركزية موحدة في هذه المنطقة، والدولة كما هو معلوم لم تكن حاضرة بأي شكل من الأشكال، القصور كانت منظمة على شكل ملحقة تديرها "الجماعة"، حيث تكون مستقلة وتلقائية في كل قصر (Moussaoui A, 2002)، فكل أمور المجتمع كانت تفصل فيها هذه الهيئة، حيث أن جماعة القصر هي التي تعمل على تسوية النزاعات والخلافات التي تنشب بين السكان سواء اجتماعية أو اقتصادية (أمور تقسيم وتسيير مياه الفقارة، تنظيم الواحات والعمليات العقارية التي كانت تتم بشكل عرفي)، وفي حالة عدم الفصل في خلاف ما بين المتنازعين يتم اللجوء إلى فقيه قصر آخر من أجل إصدار فتواه.

2.3. المرحلة الاستعمارية: كسر النظام التقليدي للقصر

إن الأنظار كانت موجهة نحو الجنوب من أجل احتلاله، والصحراء الجزائرية منذ بداية القرن 19م فقد كانت موضوع الأساطير الكبرى في ما يخص التطور الاقتصادي، ليس هذا القدر من الأهمية لكونها تحتوي على إمكانيات باطنية هامة في الوهلة الأولى، أكثر من أهمية موقعها الذي يشترك بين

إفريقيا الشمالية والغربية الفرنسية، الذي أعطاها القدرة لتصبح مجال للتبادلات والعبور، فبعد أن استطاع الاستعمار احتلالها؛ تمكن من قيادة طرق القوافل التجارية المتجهة نحو إفريقيا جنوب الصحراء، وتدخل في مختلف أنظمة القصر التي أخضع تسييرها لمصالحه الخاصة.

1.2.3. دمج قصور قورارة في التنظيم الإداري للمجال الوطني

جاء احتلال الاستعمار للصحراء الجزائرية عموما؛ ومنطقة قورارة خصوصا متأخرا، وقد كان ذلك في مطلع القرن العشرين (1900)، وقد كان لتواجده بشكل دائم ومستقر أثر كبير على المنطقة بخلاف القوى السابقة، إن وجود القوى الاستعمارية بعين المكان؛ وضع بداية لنقل السلطة من القوى المحلية التقليدية (جماعة القصر) المكونة لمجتمع الواحة إليها، حيث ارتكز ذلك على إرساء نظام الجباية، وإدخال تنظيم إداري جديد لم تعرفه القصور من قبل (الجدول 1).

جدول (1): تطور التنظيم الإداري لمنطقة قورارة ما بين 1905- 1959

السنة	المقاطعة	المركز	وحدة القيادة	الوحدة الادارية
1905	الواحات	ادرار	ملحقة توات ملحقة تيديكلت مكتب تيميمون	ب م لواحات الصحراء
1930	عين الصفراء	عين الصفراء	نطاق الغرب الصحراوي: ملحقة توات وقورارة مكتب تيميمون	ب م لتوات وقورارة
1945	عين الصفراء	كولومب بشار	ملحقة توات مكتب تيميمون	ب م لتوات وقورارة
1959	محافظة الساورة	كولومب بشار	-	الملحقة الإدارية لقورارة

المصدر: Meynier O., 2007, Otman T 2010, Souami T, 2003

بعد احتلال فرنسا للصحراء في بداية الأمر أعطت ميلاد لمقاطعة جديدة إضافة إلى المقاطعات الثلاث التي كان معمول بها في العهد العثماني، بإضافة مقاطعة الصحراء، فإقليم توات بما فيه قورارة، توات وتيديكلت كان تابع لهذه المقاطعة، وكانت ادرار تمثل مقر بلدية الأهالي، وعينت تيميمون في منطقة قورارة مكتب لتسيير هذه الناحية، في 1930 ظهرت أربع مقاطعات أخرى في الصحراء (عين الصفراء، غرداية، تقرت، الواحات)، تتكون كل مقاطعة من بلديات مختلطة، فأما منطقة توات وقورارة فتم توجيها إداريا لمقاطعة عين الصفراء (Marouf N, 1980). احتفظ الاستعمار بهذا التقسيم

إلى غاية سنة 1945، أين حول مركز الواحات الجنوبية الغربية من عين الصفراء إلى كولومب بشار، أصبحت ملحقة توات وقورارة تابعة لها.

عملت فرنسا على توجيه تسيير القصور بنظام القيادة، وكل منها تستجيب لقرارات السلطة الوصية، مثلت قورارة إحدى وحدات قيادة إقليم توات، وبما أن القصر كان يمثل الوحدة الرئيسة المكونة لهذه القيادات، جزئت هذه الوحدات في 1906 إلى قيادات صغيرة، فأما منطقة قورارة فكانت تتكون من 26 مقاطعة[1]، من بينها قيادة البركة، شروين، دلدول، خنافسة قورارة، خنافسة اوقروت، أولاد سعيد، تينركوك، تاغوزي(طلمين)، تسابيت، وناحية (حيحا) (Moussaoui A, 2002)، كان الهدف من إنشاء هذه المقاطعات؛ هو إخضاع جماعة القصر وتسييرها المحلي إلى الإدارة الفرنسية (Marouf N, 1980)، كما شكلت لجان "الجماعة" جدد، نظمت تسيير متطلبات الأهالي، أما أعضاء هذه اللجان فقد تم تعيينهم من طرفها، ويتم تمثيل كل لجنة من طرف قيادات القبائل التي تشكل البلدية، القائد يمكن أن يكون مسؤول القصر، أو القبيلة، أو شخص ذو مكانة (Otmane T, 2010).

2.2.3. التدخل في الكيان الداخلي للقصر

ومن أجل تحقيق الاستعمار لهدفه؛ المتمثل في إخضاع قصور قورارة لسلطته الخاصة، من خلال التحكم في مهام جماعة القصر وشيوخ الزوايا[2]، فقد تدخل في كل تنظيمات القصر بما فيها القضائي، وقبل أن يحدث تغييرات في أي نظام، غيّر في النظام القضائي الذي كان يعتبر أهم وظيفة تنظم القصر، فمن أجل ذلك أنشأ المستعمر في 1909 "المجلس" تم تكوينه من هيئة عليا تشبه الجماعة، يتكون هذا المجلس في المنطقة من ثلاثة فقهاء ذوي مكانة لدى السكان أو في القبائل التي ينتمون إليها، يتم تعيينهم من طرف الإدارة الفرنسية، كانت هذه المجالس مقسمة على ثلاث مناطق رئيسية في قورارة، وهي في كل من تيميمون، دلدول وتبلكوزة مع إضافة أربع مجالس أخرى إلى هذه المجالس بكل من أولاد راشد، المطارفة، وبرينكان[3]، وبني مهلال (Moussaoui A, 2002)، فالجماعة هي المسؤولة عن تسوية النزاعات في كل قصر، وفي حالة عدم الفصل في النزاع وبعد مراجعة الفقهاء تنقل النزاعات إلى المجلس الذي عينه الاستعمار، المكون من ثلاث فقهاء كبار ينعقد في تيميمون.

[1]- قسم الاستعمار اقليم توات ثلاث وحدات قيادية، بالإضافة الى ملحقة قورارة كان هناك كذلك ملحقة كل من توات وتيديكلت، هذه القيادات هي الاخرى قسمت الى مقاطعات صغيرة حيث شملت توات 13مقاطعة، وتيديكلت الى 14 مقاطعة (Marouf N, 1980).

[2]- احصى المستعمر في 1934، 14 زاوية في منطقة قورارة حيث كان لكل زاوية ممثلها، ولهذه الزوايا اشعاع محلي كبير، ومن بين اهم اربع زوايا: زاوية الحاج بقاسم بجوار تيميمون، زاوية قصر تاسفاوت، زاوية دلدول، وزاوية قصر الواجدة (Moussaoui A, 2002). الهدف من هذه العمليات الاحصائية هو التحكم في مهام وتسيير هذه الزوايا.

[3]- برينكان: احد قصور بلدية تسابيت حاليا، في المرحلة الاستعمارية كانت قصور هذه البلدية تابعة لمنطقة قورارة، اما حاليا فهي تابعة اداريا لمنطقة توات.

وفي ما يتعلق بالتنظيمات الأخرى، فقد تدخل الاستعمار في التنظيم الاقتصادي إن صح القول، وذلك بعد أن حول صلاحية مراقبة طرق قوافل التجارة وتسديد الضرائب من الشرفة أو البدو لصالحه وهو ما زعزع النظام الاجتماعي والاقتصادي للواحات، فبعد أن كانت عملية تسديد الضرائب تعتمد على أهمية المنتوج أصبحت ترتكز على المدخول النقدي للمنتوج، وهو ما أثر بصفة مباشرة على الوضعية الاجتماعية لسكان الواحة، إما بتدهور مستواهم المعيشي، أو بفقدان القبائل المسيطرة على هذا التنظيم لمكانتها السابقة.

بدأ ظهور نظام العمل بالأجور نقدا داخل مجتمع الواحة، حتى في نظام الفقارة، فقد أصبح الملاك السابقين للماء؛ يمثلون فئات تشكل جزء من مختلف الجماعات، وتحول الخماسين إلى خراصة، واختفت الخماسة في عمل الفقارة؛ خصوصا بعد انقطاع اليد العاملة التي كانت تأتي بها القوافل التجارية إثر عبورها للمنطقة، وهو ما أدى منذ هذه الفترة إلى انكسار وتفكك نظام التقنين العرفي المتعلق بالماء، وتدهور وضعية العديد من الفقاقير، وأثر ذلك على العمليات العقارية والزراعية في القصر التي يعتمد تملكها وتقسيمها بصفة مباشرة على كمية المياه والعمل.

تأثرت أغلب قصور قورارة بهذه الظروف التي جاء بها الاستعمار، حتى في التنظيم العمراني ونمو القصر مجاليا، الذي أخضعته لمنطق جديد في تنظيم السكنات، فبعد أن كان القصر يمثل وحدة سكنية متراصة، وضع المباني بشكل هندسي بغرض التحكم في تحركات السكان، ويتعلق الأمر خصوصا بتلك التي اتخذها مراكز حربية لها، كقصور مدينة تيميمون التي بدأ الاستعمار عند اختيارها كمقر لتسيير منطقة قورارة في تحويلها منذ هذه المرحلة، إذ أصبحت النواة القديمة للقصر على هامش مدينة جديدة تنمو في الجهة الشرقية للمدينة، وبهندسة معمارية استعمارية تمثلت في الهندسة السودانية(Moussaoui A, 2002). اكتمل تشكل هذه التحولات بعد الاستقلال، وظهرت في نفس الوقت تحولات جديدة ارتبطت بالسياسات التي تم تطبيقها في هذا المجال من طرف الدولة.

3.3. مرحلة ما بعد الاستقلال: تدخل الدولة برؤية مختلفة عمقت التحولات بقورارة

سبب الاستعمار اضطراب توازنات هذا المجال، كما أنه أثر على نوع العلاقات التي كانت موجودة بين الإنسان ومجال الواحة، وبعد الاستقلال حاولت الدولة تصحيح هذا الإرث الاستعماري، من خلال برمجة سلسلة من الإصلاحات منذ السنوات الأولى من الاستقلال رغم أنها عرفت ركودا في البداية، بسبب عدم استقلالية السياسة التي تبنتها؛ وغياب التقنيات القادرة على تحسين الوضاع، كما أن شساعة مساحة المجال الوطني صعبت من التحكم فيه، لذلك كان لابد من إعادة هيكلة التنظيم الإداري بشكل يأخذ بعين الاعتبار الوضع الجديد للبلاد، واكب هذا التنظيم مشاريع تنموية هدفها تحسين الإطار

المعيشي للسكان وتلبية احتياجاتهم التي هي في تزايد مستمر، بتزايد أعدادهم من سنة لأخرى، أدت هذه الاستراتيجيات إلى تعميق ومواصلة مسار التحولات التي بدأ يعرفها القصر منذ المرحلة الاستعمارية.

1.3.3. التقسيم الإداري: هيكلة المجال من خلال ارساء ادارة ثابتة تسير القصور

إن رحيل الاستعمار بكل هياكله وإطاراته ترك الوضع الإداري والاقتصادي في الجزائر صعبا جدا، فالهياكل الإدارية والاقتصادية كانت فارغة على المستوى المحلي والمركزي، ونشاط المصالح على مستوى المحافظات والبلديات كان مشلول، من الناحية البشرية، التقنية والمالية، لذلك كانت من بين الاستراتيجيات التي ستساهم في إعادة هيكلة المجال؛ عن طريق مطابقة الخريطة الإدارية لخدمة أهداف التنمية والتحكم في المجال، وتقريب الإدارة من المواطن، جاءت التقسيمات الإدارية لـ 1963- 1974- 1984، والتعديلات الإدارية لـ 1991 في هذا الإطار، وقد عرفت منطقة قورارة على غرار مناطق الوطن هذا النوع من التنظيمات الجديدة (الجدول 2)، التي أثرت بشكل مباشر على نظام القصور.

جدول(2): تطور التنظيم الإداري لمنطقة قورارة بعد الاستقلال

السنوات	1963	1974	1984	1991
ولاية	-	-	-	-
دوائر	1	1	1	4
بلديات	4	4	10	10

المصدر: التقسيم الاداري 1963، 1974، 1984 وتعديلات 1991

1.1.3.3. تنظيم 1963: تعديل إداري على المستوى المحلي

ظهر مرسوم 16 ماي 1963 كمكمل للتنظيم السابق، بعدة نصوص قانونية هدفها تعديل حدود البلديات بتقليص عددها من 1484 بلدية الى 676 بلدية على مستوى الوطن، أما الـ 15 محافظة السابقة تحولت إلى ولايات، والهدف الأساسي من هذا التجميع هو تقليص المصاريف العامة في التسيير وتحسين إطار الحياة، منطقة قورارة التي كانت عبارة عن دائرة مقرها تيميمون في هذه الفترة كانت تابعة لولاية الساورة. تم تجميع قصورها (الجدول 3) في 4 بلديات: اوقروت، تاغوزي، تيميمون وتينركوك موزعة بشكل يتماشى مع المعطيات الطبيعية للمنطقة والتجزئة التي ورثتها من المرحلة الاستعمارية (الخريطة5)، تم بذلك تحويل وبشكل رسمي؛ خضوع القصور في تنظيمها وتسييرها من "جماعة القصر" إلى السلطة الإدارية عن طريق البلدية كأصغر وحدة للتسيير على المستوى المحلي،

فأما مقر هذه البلديات فقد تم إنشاؤها على مستوى القصور، التي كانت قد عينتها الإدارة الفرنسية كوحدات قيادة كما هو الحال بتيميمون، رغم أنه في هذه الفترة لم يكن للبلدية تأثير كبير على القصور خاصة تلك المصنفة من التجمعات الثانوية.

جدول (3): تطور توزيع القصور على البلديات

البلدية	تقسيم 1963	تقسيم 1974	تقسيم 1984
تيميمون	53	53	28
أولاد سعيد	-	-	14
اوقروت	28	28	11
دلدول	-	-	11
المطارفة	-	-	6
تينركوك	16	16	8
قصر قدور	-	-	8
شروين	-	19	11
أولاد عيسى	-	-	11
طلمين	19	-	8
المجموع	116		

المصدر: التقسيم الإداري 1963، 1974 و1984

2.1.3.3. تقسيمات 1974: إعادة التنظيم الإداري للبلاد لكن لم يتغير في قورارة

زامن هذا التقسيم التنمية الاقتصادية الوطنية، ويهدف إلى التحسين الإداري ومحو الفوارق والاختلالات، شمل هذا التعديل الولايات والدوائر ولم يغير في البلديات التي بقي عددها نفسه، فأصبح بذلك عدد الولايات 31 ولاية، عدد الدوائر ارتفع الى 160 بمعدل 4-7 دوائر تقريبا لكل ولاية.

من البديهي أن كل تقسيم مجالي يهدف إلى إحداث تعديلات من شأنها تحسين وتطوير الظروف المعيشية للفرد والمجتمع، لذا فقد كان لهذا التقسيم أهمية كبيرة على المستوى الوطني، إلا أنه لم يأتي بأي تغييرات على منطقة قورارة؛ فقد بقيت تتكون من 4 بلديات تؤطرها دائرة واحدة مقرها "تيميمون" (الخريطة5)، غير أنه تم تقريبه أكثر من الوحدة الإدارية التي تعزز من تواجد الدولة في المجال، وهذا بعد أن انبثقت ولاية جديدة (ادرار) عن ولاية الساورة (بشار). أما البلديات الأربع فبقيت حدودها نفسها وبنفس القصور التي كانت تابعة لها إداريا في التقسيم السابق (الجدول3)، مع تغيير مقر بلدية تاغوزي من قصر تاغوزي بطلمين نحو مركز جديد بجوار قصور شروين مع الحفاظ على اسمها (تاغوزي)، لكن ما هو الدافع وراء هذا التغيير؟.

وتجدر الإشارة أنه ظهرت في هذه المرحلة القرية الفلاحية "أمقيدن"، وذلك في اطار مشروع إنجاز 1000 قرية اشتراكية الذي تبنته الجزائر، وكانت تابعة إداريا لبلدية أوقروت.

3.تنظيمات 1984، 1991: تحول البنية المجالية لقورارة

يهدف هذا التقسيم إلى تحديد إطار إقليمي جديد؛ عن طريق إنشاء ولايات وبلديات حديثة (إنشاء 17 ولاية، و837 بلدية جديدة)؛ انبثقت من دمج جزئيين أو عدة أجزاء من ولايات، أو بلديات أخرى، أو عن تقسيم ولاية أو بلدية واحدة، جاء هذا التنظيم كاستراتيجية جديدة للتحكم في المجال الوطني وتحقيق العديد من الأهداف، من بينها خلق أقطاب تنموية على المدى القصير، من شأنها فك العزلة عن المناطق غير الحضرية والمعزولة، كما هو الحال ببعض الأطراف التلية، السهوب والصحراء.

تأثرت منطقة قورارة بشكل واضح بهذا التقسيم بظهور 6 بلديات جديدة انبثقت من البلديات الأربع السابقة (الخريطة5)، يهدف هذا التقسيم؛ إلى توسيع التنمية المحلية التي تعتبر البلدية المحرك الرئيسي لها، كما أنه سمح بتوزيع المبادرة الإدارية والاقتصادية، بإدماج السكان خاصة الريفيين في سيرورة التنمية، وهو ما عرفته قصور قورارة التي كانت ريفية بالدرجة الأولى، من خلال توجيه تسييرها إلى النظام الإداري، وزعت القصور على 10 وحدات بمعدل 8 إلى 28 قصر لكل بلدية (الجدول 3)، تم اختيار في كل منها إحدى القصور أو مجموعة منها؛ ليكون مقرا تتمركز فيه جميع التجهيزات والمرافق الإدارية؛ الموجهة لتسيير القصور الأخرى التابعة لنفس البلدية، لكن كيف وعلى أي أساس تمت هذه الاختيارات؟. أما قرية أمقيدن فأصبحت بعد هذا التقسيم تابعة إداريا لبلدية تيميمون.

بقيت بلديات قورارة تسيرها دائرة واحدة مقرها مدينة تيميمون إلى غاية التعديلات الإدارية لـ1991، بتقسيم هذه البلديات على أربع دوائر، كل دائرة مركزها يتمثل في نفس المركز الذي يضم نفس البلديات التي كانت تابعة له، قبل تقسيم 1984 كمقر للبلدية، ما عدا بلدية أولاد عيسى التي أصبحت تابعة إداريا لدائرة شروين، فيما كانت قصور هذه البلدية في التقسيمات الإدارية السابقة تابعة لبلدية تيميمون.

ساهم تدخل الدولة بالتنظيمات الإدارية منذ 1963 إلى غاية 1991، في تنظيم وإعادة هيكلة القصور، من خلال تحويل سلطتها بشكل رسمي من التسيير التقليدي إلى الإداري، بهدف إدماجها في المجال الوطني، حيث عملت بالتوازي مع هذه السياسة إلى تجهيز وتنمية القصور من خلال برمجة مجموعة من المشاريع التنموية التي أحدثت بالفعل تحولات عميقة في القصور يظهر تأثيرها بشكل واضح فيها اليوم.

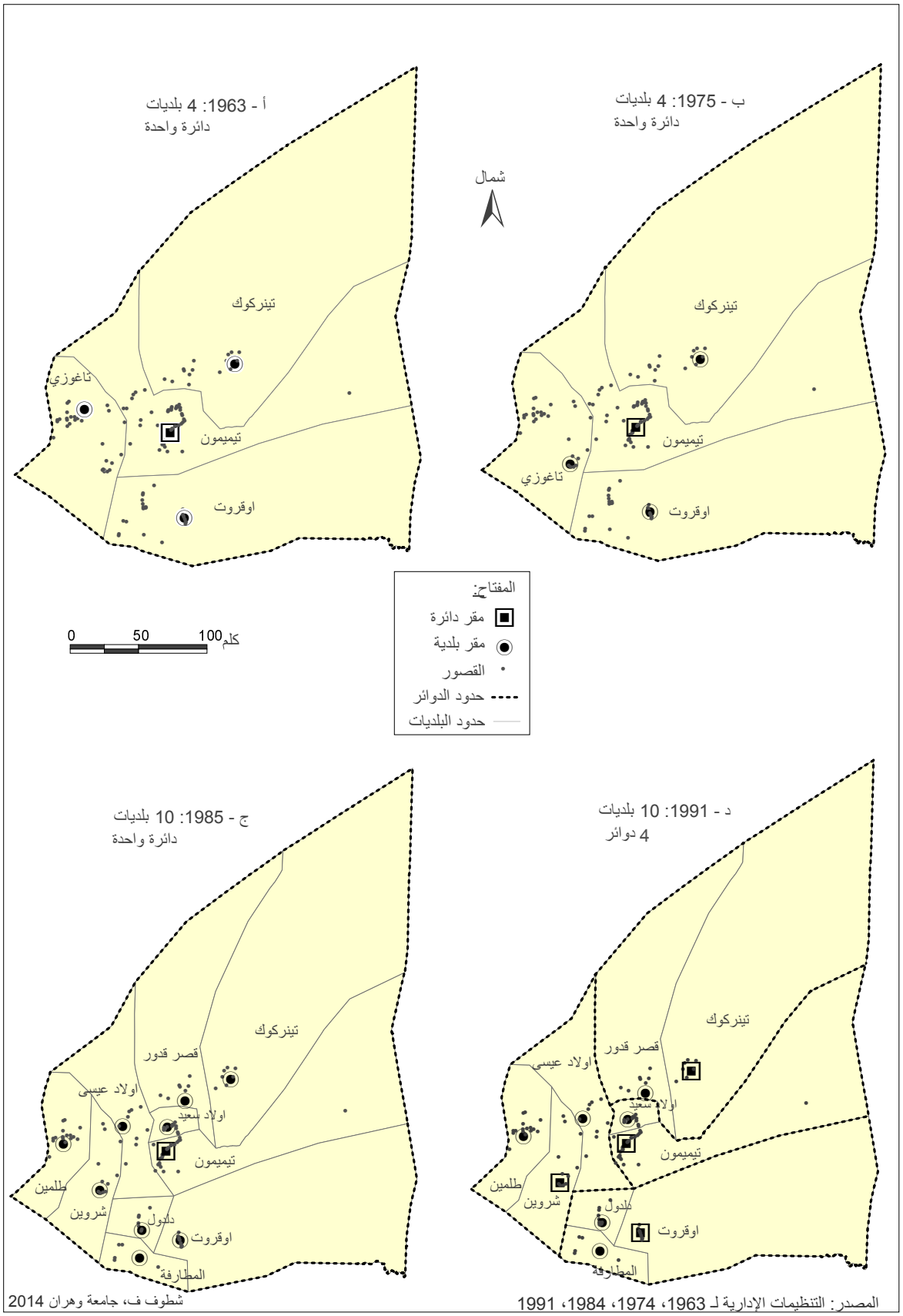

خريطة (5): تطور التنظيم الإداري في منطقة قورارة

2.3.3. برامج تنموية متعددة: تهدف إلى إعادة هيكلة المجال وتنمية القصور

تبني الدولة منذ الاستقلال لسياسة إدماج مختلف مناطق الوطن، كان من خلال برمجة جملة من المخططات والمشاريع التنموية في اقتصادها المركزي الموجه ذو الطابع الاشتراكي؛ بمختلف مؤسساته العمومية، كالمخططات الاقتصادية الوطنية، مخططات التهيئة والتعمير، البرامج الخاصة بالولايات (P.S.W) التي كانت بدايتها منذ 1966، وكذا برامج تنمية البلديات (P.C.D) والمشاريع القطاعية التي تم إدراجها في مهام البلدية في سنوات 1970، بالإضافة إلى الثورة الزراعية التي كانت في نفس الفترة؛ وهدفها تحسين الإنتاج الزراعي من خلال إدخال أنظمة جديدة لاستصلاح الأراضي. تأثرت قصور قورارة بهذه البرامج، إذ بدأت ملامح التحول تظهر فيها، عندما عملت الدولة بالتوازي مع هذه الاستراتيجيات؛ إلى تجهيز القصور بمختلف الهياكل القاعدية والتجهيزات؛ غير تلك التي كانت موجودة فيها.

1.2.3.3. المشاريع القطاعية ومخططات تنمية البلدية(P.C.D) : من أجل تنظيم توزيع الهياكل والتجهيزات في القصور

يمكن اعتبار التقسيمات الإدارية لـ1984 نقطة بداية التحولات العميقة لمنطقة قورارة، بما أنها سمحت بتكثيف الشبكة الإدارية وتقوية سلطة الدولة في المنطقة من خلال مؤسساتها الإدارية، وإضافة وحدات للتسيير على المستوى المحلي في القصور، التي من شأنها أن تساهم في تنمية وتحسين مستوى المعيشة لدى السكان، من خلال تنظيم توزيع المشاريع وتسيير الأغلفة المالية، التي تبرمج لإنجازها في إطار مخططات تنمية البلديات(P.C.D) والمشاريع القطاعية، ويأتي في إطار هذه البرامج مشاريع شاملة لتنمية البلدية، وتهتم بتجهيز القصور بمختلف الهياكل منها السكن، التجهيزات الصحية، التعليمية، توفير وتهيئة مختلف الشبكات والطرق،... وغيرها من التجهيزات التي توزع في هذه المجمعات حسب الاحتياجات.

تأثرت قصور قورارة خصوصا المجمعات الثانوية منها؛ منذ برمجة هذه المخططات بشكل واضح بمشاريعها، رغم أنها تقتصر في غالبية الأحيان على التجهيز بالشبكات (الكهرباء والماء فقط)، وتهيئة الطرق، وبعض التجهيزات التعليمية، الصحية والرياضية البسيطة، إلا أن المراكز العمرانية تكون في كل مرة هي الأكثر حظا من هذه المشاريع التي توجه لها أكبر الحصص من ميزانية هذه المشاريع.

منذ ظهور برامج مخططات تنمية البلديات والمشاريع القطاعية؛ التي تهتم بعملية توزيع مشاريع عن طريق تغطية النقائص الموجودة في القصور، فقد ساهم ذلك بشكل مباشر في تحول القصور،

خاصة وأن بدايتها كانت منذ سنوات 1970، فمن الطبيعي أنها أحدثت تغييرات، ولتبيين ذلك تم اعتماد نماذج لبعض البلديات لمعرفة كيف تتوزع بها هذه المشاريع وذلك لسنة 2012 (الجدول4).

جدول (4): توزيع مشاريع التنمية لبعض مراكز بلديات منطقة قورارة سنة 2012

القطاعات	اوقروت	المطارفة	دلدول	*تيميمون	تينركوك	قصر قدور
السكن	x	x	x	x		
التعليم	x	x	x		x	x
شبكات مختلفة	x	x	x		x	x
التهيئة	x			x	x	
إعادة الاعتبار للفقارة	x					
الفلاحة					x	
التجهيزات الترفيهية					x	
تجهيزات ادارية					x	
طرق						x
الصحة						
إعادة الاعتبار للسكن التقليدي						

* تمثل معطيات هذه المشاريع المبرمجة في الفترة 2010- 2014

المصدر: البلديات المعنية 2013

يعتبر السكن من بين أهم القطاعات التي تمولها هذه المخططات، في المراكز العمرانية لهذه البلديات خاصة المراكز الكبرى منها (تيميمون، تيبرغمين)، ما عدا في زاوية الدباغ وقصر قدور التي لم يكن فيها الاهتمام بهذا القطاع؛ أكثر ما هو في قطاعات أخرى كالتعليم، الذي أصبح من بين أهم المشاريع التي تعرف تحسن وضعيته في الآونة الأخيرة منذ سنة 2008 تقريبا، وذلك عن طريق إنشاء العديد من مؤسسات التعليم الثانوي والمتوسط التي أصبحت تغطي كل البلديات، وقد تم توزيعها بشكل يسمح بتغطية النقص في القصور الصغيرة الحجم، وتقريب المؤسسة التعليمية من السكان، ساهم ذلك في تخفيف الضغط على مدينة تيميمون؛ التي كان يعتمد عليها في هذا التجهيز خلال السنوات السابقة، وقد أدى فتح المجال لعالم الشغل من خلال توفير بعض التجهيزات الإدارية، في هذه القصور (أولاد محمود، دلدول، بوكزين...) إلى جلب العديد من الإطارات إليها، خاصة من المناطق الشمالية، كما أنه يوجه جزء هام من هذه المشاريع نحو تهيئة؛ وإنشاء مختلف الشبكات والطرق في هذه المراكز.

تختلف أنواع المشاريع المبرمجة لتنمية قصور المجمعات الثانوية والمبعثرة، عن تلك الموجهة للمراكز العمرانية، كقطاع السكن الذي لا يعتبر من أولويات برامج التنمية في هذه القصور، وذلك لأن هذا القطاع يتم دعمه عن طريق برامج السكن الريفي، وإعادة الاعتبار للسكن الهش التي لا يدخل تمويلها في إطار هذه المخططات (الجدول5).

جدول (5): توزيع مشاريع التنمية على القصور الثانوية لبعض بلديات قورارة سنة 2012

القطاعات	تينركوك	المطارفة	دلدول	اوقروت	قصر قدور	تيميمون*
شبكات الكهرباء والماء	x	x	x	x	x	x
طرق	x	x	x	x	x	x
الفلاحة	x	x	x	x		
السكن	x					
التعليم	x				x	x
التهيئة	x					
التجهيزات الترفيهية	x					
تجهيزات ادارية	x					x
الصحة	x					x
إعادة الاعتبار للفقارة		x	x			
إعادة الاعتبار للسكن التقليدي						x

* تمثل معطيات هذه المشاريع المبرمجة في الفترة 2010-2014 المصدر: بلديات منطقة قورارة 2013

يعتبر قطاع الطرق وشبكتي الماء والكهرباء، من بين أهم القطاعات التي تشغل اهتمام مشاريع التنمية في القصور، وهو ما يظهر لنا جليا من خلال عملية توزيع المشاريع في بعض بلديات قورارة كما يبرزه الجدول رقم5، فغالبا ما تتمثل عملية التدخل في هذا الإطار في إعادة إنشاء الطرقات، كما هو الحال بقصر "تالة" ببلدية تيميمون الذي ما تزال عملية تعبيد الطريق نحوه في طور الإنجاز، أو في إعادة تهيئة شبكة المياه أو أضافة محولات كهربائية في هذه القصور. بالنسبة للتجهيزات الترفيهية والإدارية فهي قليلا ما يتم برمجتها ضمن هذه المشاريع، فيما يوجد بعض من التدخلات في مجال إعادة الاعتبار للقصور والفقارة بهذه المجمعات.

2.2.3.3. الربط بشبكة الطرق: من أجل فك العزلة عن القصور

من بين الاستراتيجيات التي جاءت بها الدولة من أجل دمج القصور ضمن المجال الوطني سواء من خلال برامج مخططات تنمية البلديات (P.C.D) أو المشاريع الإقطاعية، هي ربط المنطقة بالطرق العامة من أجل فك العزلة عن القرى والمناطق النائية (الخريطة6)، ومن بين المحاور الهامة التي ساهمت في ربط منطقة قورارة بأدرار جنوبا، وبالطريق الوطني رقم 6 الذي يربطه بولاية بشار غربا، الطريق الوطني رقم 51 الذي كان تعبيده منذ سنة 1975، صنف في تلك الفترة كطريق ولائي عند إنشاءه، لكن سرعان ما تحول إلى طريق وطني نظرا لأهميته، يتوزع على هذا المحور أغلب قصور قورارة تقريبا، ويتعلق الأمر بالقصور الجنوبية لبلدية تيميمون، سلسلة قصور أوقروت جنوبا، ثم قصور شروين في الشق الغربي من الطريق (ط و51أ)، ساهم هذا الطريق في خلق نوع من الحركية الكثيفة على مستوى المنطقة، سواء تعلق الأمر بالحركة اليومية للسكان نحو مدينة تيميمون أو نحو مقر الولاية، كما أنه أدى إلى جذب العديد من سكان هذه المراكز؛ للتوسع المجالي على مستوى

هذا المحور. امتدادا لهذا الطريق؛ ومن أجل فك العزلة عن قصور تينركوك تم ربطها به من خلال إنشاء الطريق الولائي 151 سنة 1984.

بعد التنظيمات الإدارية الأخيرة (1984، 1991) عملت الدولة على ربط قصور مراكز البلديات التي تم ترقيتها إداريا بالطرق الولائية، التي تربطها في أغلبها بالطريق الوطني 51 وبالتالي الربط بمدينة تيميمون باعتبارها أكبر مستحوذ على التجهيزات التعليمية والصحية في تلك الفترة، فقد أنتجت هذه المحاور حركة محلية هامة في المنطقة، خاصة نحو تيميمون فقد ساعدت على سهولة تنقل السكان من القصور المجاورة نحوها.

إن حركة التنقل اليومية التي أصبحت تعرفها القصور نحو مراكز بلدياتها؛ أدت إلى تحويل جزء هام من برامج مخططات تنمية البلدية، إلى تهيئة وتعبيد الطرق نحوها، فبما أن ربط القصور بالطرقات وتصنيفها كطرق بلدية يعتمد على كثافة الحركة وعدد سكانها، فإن هذه العملية تمت بصفة متباينة بين القصور فإذا أخذنا على سبيل المثال، قصور بلدية تيميمون نجد فقط أربع قصور (الواجدة، بني مهلال، زاوية س ب، الكاف) مربوطة بطرق مصنفة كطرق بلدية قديمة الإنشاء (قبل 2007)، هذا بسبب الكثافة السكانية لهذه القصور، أما المجمعات الأخرى فعملية تجهيزها بالطرقات تمت فقط خلال المرحلة (2007- 2013) وهي لحد الآن طرق فرعية فقط غير مصنفة. هذه الوضعية تميزت بها كذلك قصور طلمين، أولاد عيسى وأولاد سعيد التي نلاحظ فيها ربط للقصور الأكثر حجما سكانيا فقط بالطرقات البلدية. أما وقوع قصور أوقروت على الطريق الوطني رقم 51 جعلها على غنى عن الربط بالطرق البلدية.

تختلف وضعية الربط بالطرق في البلديات الأخرى، ففي منطقة تينركوك نجد كل القصور مربوطة تقريبا بطرق بلدية، ما عدا في قصر "ودغاغ" التابع لبلدية تينركوك، وقصر تقانت غرب بلدية قصر قدور؛ هذين القصرين يعتبران من أقل القصور حجما سكانيا في المنطقة، أما إعادة تهيئة وتصنيف طرق القصور الأخرى كطرق بلدية كان في السنوات الأخيرة فقط. نفس نمط الربط تعرفه قصور شروين التي لم يبقى منها سوى قصري "بني سلم" الذي هو مربوط بطرق شبه مزفتة من طرف البلدية، أما "اسفاو" فهو غير مربوط بأي نمط من الطرق ويعود السبب في ذلك إلى صغر حجمه السكاني(أقل من 50نسمة).

رغم التحسن الملحوظ لوضعية شبكة الطرق نحو قصور منطقة قورارة؛ إلا أنه تبقى العديد منها لحد الآن منعزلة، وذلك بسبب عدم توفر وسائل النقل المنظم، وإن توفرت فهي من طرف الخواص، وتتميز بعدم انتظامها؛ سواء في الأوقات أو في كيفيات التنقل.

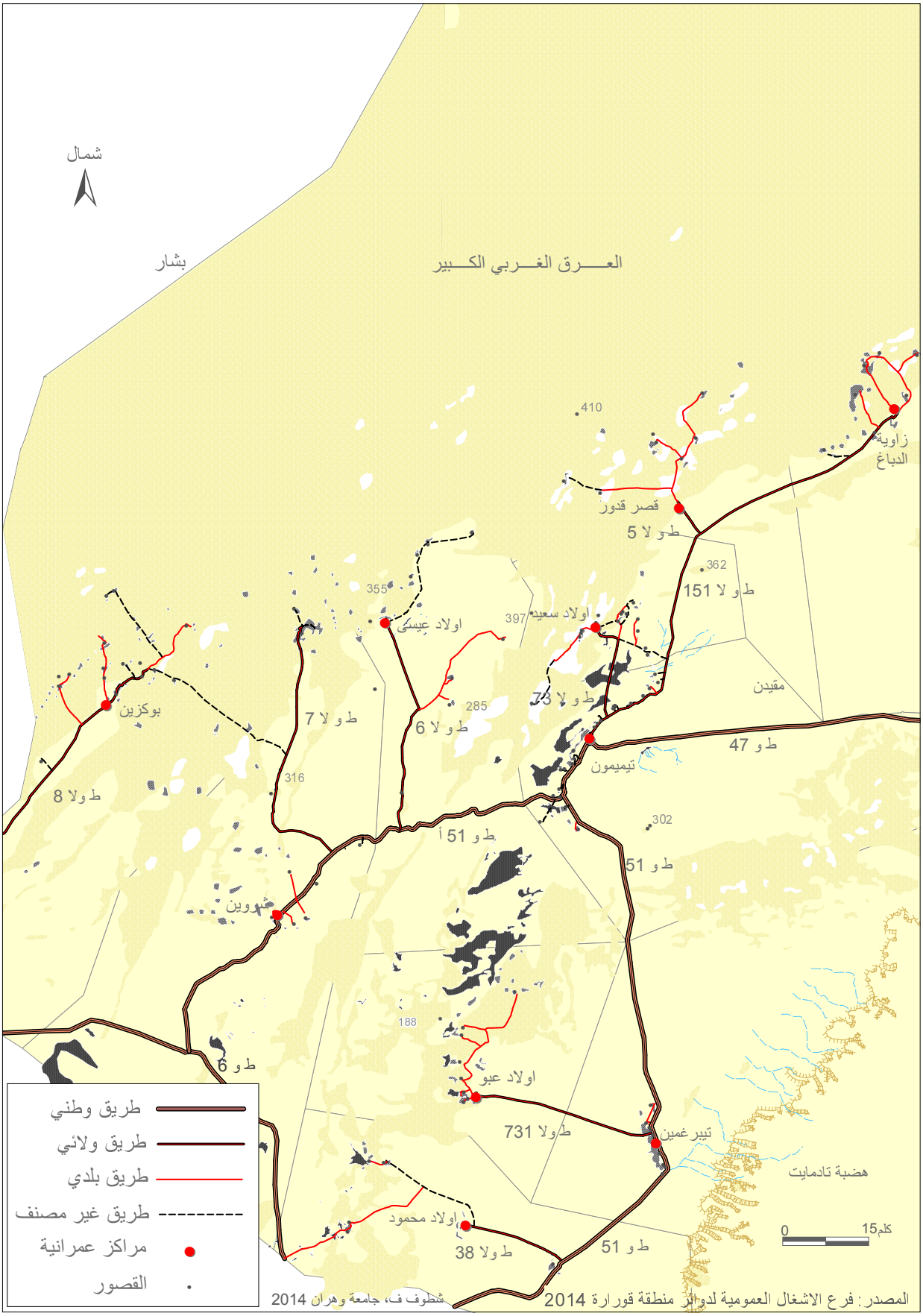

خريطة (6): الوضعية الحالية لشبكة الطرق بمنطقة قورارة

3.3.3. أمقيدن: قرية فلاحية بين شبكة قصور قورارة

مقيدن قرية انشأت في منطقة قورارة في بداية سنوات 1970 في إطار مشروع إنشاء 1000 قرية فلاحية اشتراكية، تقع هذه القرية على هضبة أمقيدن التي أخذت منها اسمها على الطريق الوطني رقم 47، في الناحية الشرقية لمنطقة قورارة، وهي تابعة إداريا لبلدية تيميمون حيث تبعد عن مقر البلدية بحوالي 140 كلم. سكن قرية أمقيدن في السنوات الأولى من نشأتها حوالي 653 نسمة (إحصاء 1977) حيث فاق حجمها العديد من القصور في هذه الفترة، لكن سرعان ما تراجع نموها السكاني لينخفض عدد سكانها 400 نسمة في إحصاء 1987(معدل نمو 4,36- %)، أصبحت وتيرة نموها متذبذبة وضعيفة في السنوات الأخيرة، حيث لم يعد يتجاوز عدد سكانها 500 نسمة، بمعدل نمو لا يزيد عن 1%، أما عدد الأسر بها فلم يتعدى فيها 80 أسرة في تعداد 2008.

صنفت هذه القرية ضمن المجمعات الثانوية منذ ظهورها، تحتوي على ما يقارب 160 مسكن وبعض التجهيزات، تمت تهيئتها بشكل مجالي وفق مخطط يسمح بحمايتها من زحف الرمال (Otmane T, 2010)، جهزت القرية عند نشأتها ببعض الهياكل التي استفادت منها غيرها من القصور خلال تلك الفترة، تقتصر هذه التجهيزات على مسجد، مدرسة ابتدائية، وقاعة علاج، بالإضافة لحظيرة رعوية، أما حاليا فقد دعمت بهياكل أخرى كالفرع الإداري للبلدية، مركز بريد، مقر للدرك الوطني، وبعض الخدمات التجارية على طول الطريق الوطني.

تعرف القرية توسع مجالي بطيء، هذا النمو العمراني موجه نحو الطريق الوطني رقم47 في الجهة الشرقية والشمالية أحيانا، وكذا نحو الجنوب أحيانا أخرى، من خلال الهياكل والتجهيزات التي استفادت منها، وكذا من خلال برامج السكن التي اقتصرت على السكن الفردي، الذي كان في بداية الأمر بمواد بناء تقليدية، وبعد تحسن ظروف المعيشة لدى السكان وتدخل دعم الدولة للسكن في المراكز الريفية، عن طريق الإعانات المالية لتحسين السكن الريفي والهش؛ خاصة المتأثرة منها بالظروف الطبيعية (الأمطار)، التي دفعت بالسكان إلى التكثيف من استعمال مواد البناء الحديثة، فقد استفادت القرية من 113 إعانة مالية في إطار مساعدة المتضررين من أمطار 2004، إضافة إلى برامج البناء الريفي والسكن الهش التي خصصت لها مبالغ معتبرة في هذه الفترة، استفادت منها قرية أمقيدن، ومختلف المجمعات في المنطقة.

يسكن القرية مجموعات سكانية تم استقطابهم من المناطق المجاورة، عن طريق الاستفادة من قطع أرضية للاستصلاح الزراعي في إطار الثورة الزراعية، حيث تحتوي على ثلاثة محيطات مستصلحة تصل مساحة كل منها إلى حوالي 40 هكتار.

صورة (2): قرية مقيدن الاشتراكية

(تصوير حداید م، 2009)

تأقلم سكان هذه القرية مع هذه المنطقة رغم بعدها عن مقر البلدية والقصور المجاورة، ورغم مجيئهم من أماكن مختلفة، إلا أن تمسكهم بالعمل الزراعي في المنطقة سمح بنمو وتطور القرية ليصبح حجمها بنفس حجم قصور قورارة الأخرى؛ التي تعود نشأتها إلى أكثر من 6 أو 7 قرون، واستطاعت بذلك أن تصبح جزء من الشبكة العمرانية لقصور قورارة وأن تندمج معها، لكن ما طبيعة العلاقات التي تربط هذه القرية بقصور المنطقة؟ من هم سكان أمقيدن؟ ومن أي قصور قورارة جاءوا؟

خلاصة الفصل الأول

وقوع منطقة قورارة على حواف هضبة تادمايت ووسط العرق الغربي، التي يعبرها ويصب فيها في بعض الأحيان الوديان والأنهار (مقيدن، واد الساورة- مسعود)، وغنى هذه المنطقة بالمياه الجوفية، جعلها تلعب دور نقطة التقاء القوافل التجارية العابرة للصحراء، وبمرور الوقت تشكلت العديد من الواحات على هذه النقاط، ولعل توضع هذه القصور والواحات بشكل خطي على طول حواف هذه الأودية؛ لدليل على طبيعة التبادلات التي كان يقوم بها عابري الصحراء، فقد كان لواد الساورة- مسعود القرار النهائي؛ في التنظيم المجالي والاستيطان البشري في القصور بإقليم توات بشكل عام.

بمهارة من طرف المجموعات البشرية المتنوعة من الزناتة والعرب، الذين جاءوا من مناطق عديدة ليستقروا بتوات؛ استطاعوا التأقلم مع الظروف الطبيعية الصعبة، بعد أن أوجدوا لأنفسهم نظام يمكن له أن يتكيف مع المنطقة، إما استغلال الماء عن طرق الفقارة، أو تشييد القصور بجانب واحات النخيل من أجل تسهيل ممارسة نشاطهم الرئيسي الذي كان يتمثل في الزراعة. بما أن الأرض والماء كانا يمثلان المورد الرئيسي للرزق لدى السكان في تلك المرحلة، انعكس ذلك على التنظيم الاجتماعي ورسم معالمه، فامتلاك هذين العنصرين من عدمه يتحكم في تحديد مكانة الفرد ضمن المجتمع، وهما

سمحا ببناء مجتمع تراتبي تلعب فيه الطبقية دور هام، فالماء والأرض تعود ملكيتهم إلى الأشراف والمرابطين، أما العمل الزراعي فيكون حكرا على الحراثين.

ظلت القبائل التي سكنت توات وقورارة تتحكم في تسيير القصور من طرف جماعة القصر وشيوخ الزوايا، بالإضافة إلى مراقبة القوافل التجارية العابرة للمنطقة لفترة طويلة، وذلك إلى غاية 1900 عندما سيطر الاستعمار على المنطقة، أين أحدث هزات وانكسارات في نظام الواحة والعلاقات التقليدية الموروثة، من خلال مشاركته في نظام عمل الفقارة وواحات النخيل، فقد عمل على تحويل نمط الإنتاج فيها من نظام التملك إلى نظام الأجر لعمالها، وحول مهمة مراقبة القوافل التجارية لصالحه، بواسطة إرساء إدارة وتشكيل قيادات خاصة للتحكم في القصور.

بعد الاستقلال جاء تدخل الدولة من أجل دمج قصور قورارة ضمن المجال الوطني، من خلال التقسيمات الإدارية التي سمحت بتكثيف الشبكة الإدارية وإرساء سلطة الدولة في المنطقة، عن طريق تعزيزها بإضافة وحدات للتسيير وبرمجة مشاريع للتنمية على المستوى المحلي (برامج تنمية البلدية والمشاريع الإقطاعية)، سمحت هذه البرامج بتجهيز القصور بهياكل شملت مختلف المجالات (مؤسسات إدارية، صحية، تعليمية، تعبيد الطرق...)، بالإضافة إلى التكثيف من إنتاج السكن بأنماط حديثة، وهو ما أدى شيئا فشيئا إلى الانفتاح على سوق العمل؛ وتحفيز العمالة بالأجر، تأثرت القصور بهذه التغييرات، أين أصبحت تعرف تحولات على مستويات مختلفة، يمكن ملاحظة ذلك اجتماعيا ومجاليا؛ من خلال الزيادة الديموغرافية السريعة لسكانها، تحول البنية السوسيو- اقتصادية للسكان بعد توجههم للشغل في قطاعات أخرى غير الزراعة؛ بهدف تحسين مستوى معيشتهم، بالإضافة إلى تحولات مرفولوجية في القصور فقد أصبحت تأخذ أشكالا وكيفيات جديدة في استهلاك المجال، هذه التحولات وغيرها التي عرفتها القصور، أدت إلى نقلها من منطق نظام الواحة التقليدي الذي كانت تتنظم به إلى مجمعات صحراوية مندمجة ضمن المجال الوطني، يتحكم في تسييرها الدولة.

الفصل الثاني:

ديناميكية التطور الاقتصادي والتحولات السوسيو-مجالية في قورارة: سكان يتجهون نحو التجمع والقصور تعرف تحولات بأشكال متعددة.

الفصل الثاني: ديناميكية التطور الاقتصادي والتحولات السوسيو- مجالية في قورارة: سكان يتجهون نحو التجمع والقصور تعرف تحولات بأشكال متعددة

يسمح لنا الاقتراب المجالي للحياة الاجتماعية؛ بدراسة العلاقة بين المجال والسكان ويخص ذلك المجال الريفي والحضري، لكن كذلك فهم كيف يمكن قراءة تحولات هذه المنطقة على مستويات مختلفة بمرور الزمن (الاجتماعية، الاقتصادية، المرفولوجية...)، وبالمقابل إلقاء الضوء على تأثير البيئة المجالية والمؤثرات الخارجية على الحياة الاجتماعية؛ لهذا المكان الذي تتم دراسته، ولعل قصور قورارة على غرار المجالات الصحراوية الأخرى؛ من بين الأوساط المليئة بهذه التحولات التي أثرت فيها بشكل واضح.

إن ديناميكية التعمير التي تعرفها قصور قورارة في الآونة الأخيرة؛ لم يسبق وأن شهدتها من قبل، فحقيقتها العمرانية اليوم؛ تقودنا إلى الوقوف على جملة من التحولات العميقة، التي كانت بدايتها منذ دخول الاستعمار الذي أدى إلى كسر توازن نظام الواحة، وإعادة توجيهه لتلبية مصالحه الخاصة، استمرت هذه التغيرات بوتيرة سريعة بعد الاستقلال؛ بفعل تدخل الدولة بعوامل وسياسة تحديث جديدة، عرفت من خلالها القصور نموا وتحولا تأثرت به مختلف المجالات، الاقتصادية، الاجتماعية، وكذا المجالية، خصوصا بعد توالي الترقيات الإدارية على المنطقة، تلك التي سمحت لها بالاستفادة من سلسلة معتبرة من التجهيزات، وبرامج لتحسين المستوى المعيشي للسكان. لذلك جاء هذا الفصل من أجل الوقوف على هذه التحولات التي تعرفها قصور قورارة، بين تدخل الدولة والديناميكية المحلية للسكان، خصوصا من الجانب الديموغرافي؛ الذي يمثل عنصر هام في إدراك حقائق هذه الديناميكية الحديثة التي تعرفها مثل هذه المجالات.

1. خصائص ديموغرافية متغيرة من مكان ووقت لأخر في قورارة

عرفت المجالات الصحراوية في الجزائر بعد الاستقلال ديناميكية ديموغرافية سريعة، رغم كونها من الأوساط ذات العوائق التي تحول دون سهولة الحياة البشرية فيها، هذه الحركية الديموغرافية الموجبة؛ التي تميزت بها هذه المناطق سمحت لها بتزايد حجم سكانها، الذي قدر حسب إحصائيات 2008 بـ3 ملايين نسمة، رغم أنه لم يكن يتجاوز 1مليون نسمة في 1966، بمعدل نمو سنوي فاق 3% خصوصا في السنوات الأولى من الاستقلال. أدى هذا التزايد الديموغرافي خلال هذه السنوات القليلة، إلى إخلال التنظيم الذي استمر منذ نشأته لوقت ليس بالقليل، فرغم شساعة المساحة إلا أن هذه الديناميكية سمحت بزيادة كثافة استخدام المجال على المستوى المحلي، بأشكال متعددة تختلف باختلاف

الخصائص المرفولوجية للمجال الصحراوي، وبالتباين في وتيرة النمو السكاني وأنماط توزيع السكان مجاليا في أوساطها المحلية.

1.1. ديناميكية ديموغرافية بقورارة: تزايد مستمر للسكان القصور

منذ مرحلة عبور واستقرار القوافل التجارية في منطقة قورارة؛ وإلى غاية 1906 لم يتجاوز عدد سكانها 20.473[1] نسمة (Bisson, J., 1957)، فأما وتيرة نموه فكانت جد ضعيفة في الفترة الاستعمارية؛ لأنه وإلى غاية 1954 أصبح عدد السكان يقدر بـ 28.918 نسمة فقط (معدل نمو ضعيف جدا)، بسبب سوء الظروف المعيشية وارتفاع نسبة الوفيات. بعد الاستقلال تغير مسار النمو الديموغرافي لسكان قورارة؛ الذي أصبح يرتفع بوتيرة سريعة نوعا ما، هذه الخاصية تميز بها خصوصا في الفترة ما بين 1966-1998، أي بعد مجيء سياسات الدولة التنموية؛ التي ترمي إلى تحسين المعيشة والانتعاش الاقتصادي، فقد كان تأثيرها واضح على التحولات الديموغرافية للسكان، هذا رغم أن نسبة سكان قورارة أصبحت تنخفض بالنسبة للمجموع العام لولاية ادرار، فبعد أن كانت تمثل 36% من مجموع سكان الولاية سنة 1977، أصبحت لا تتجاوز 30% سنة 2008. (الجدول 6)

جدول (6): تطور سكان منطقة قورارة (1966- 2008)

المنطقة	سكان 1966	سكان 1977	سكان 1987	سكان 1998	سكان 2008	م ن 77-66 %	م ن 87-77 %	م ن 98-87 %	م ن 08-98 %
قورارة	40408	50429	74164	101074	122021	2,2	3,8	3,1	1,9
ولاية ادرار	/	137500	217702	311614	399714	/	4,7	3,3	2,5

المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات (66، 77، 87، 98، 08)

تفحص النمو الديموغرافي لسكان قورارة، يسمح لنا بالوقوف عند تقييم مبدئي لتطور السكان من فترة لأخرى، كما أنه سيسمح لنا ذلك من تأكيد فكرة التحول الديموغرافي الذي تعرفه قصور المنطقة، فمن خلال تتبع معدلات النمو السنوي للسكان من فترة إحصائية إلى أخرى؛ يظهر أن هذا النمو غير منتظم، إذ لم يكن هذا المعدل يقارب الـ3% في الفترة 66-77، فيما بلغ معدل النمو بالمنطقة ذروته في الفترة التعدادية الموالية (77-87) بمعدل يقارب الـ4%، رغم أنه أقل من معدل النمو السنوي العام لولاية ادرار لنفس الفترة؛ الذي قدر فيها بـ 5% تقريبا، أما في الفترات التعدادية الأخيرة؛ فقد فقدت المنطقة حركيتها الديموغرافية السابقة، فمعدل النمو السنوي لم يعد يتجاوز 2% في الفترة (98- 08)،

[1] عدد سكان قورارة قدر بـ 20473 نسمة عام 1906 باستثناء البدو الرحل الذين لم يتم احصاءهم (Bisson, J., 1957)

ليصل عدد سكانها إلى حوالي 122000نسمة في 2008، هذا المجال انتعش فيه النمو الديموغرافي من خلال الديناميكية الريفية التي تعرفها القصور.

تميزت وتيرة النمو في قورارة بأنها أقل انخفاضا؛ عن غيرها من مناطق الولاية الأخرى (توات وتيديكلت)، رغم أن سكان قورارة في تزايد مستمر بشكل عام، إلا أن هذا الإيقاع الديموغرافي يتغير حسب البلديات؛ ولكن كذلك من قصر لآخر، متبعا بذلك تطور السياق السياسي والاقتصادي للبلاد؛ وكذلك التحولات الاجتماعية والثقافية للمجتمع والقصور.

2.1. توزيع مجالي متباين لسكان قورارة

إن توزيع السكان ما هو إلا عملية ديناميكية مستمرة، تختلف أسبابها ونتائجها في الزمان والمكان، يتضح ذلك جليا من خلال استعراض المؤثرات الجغرافية؛ التي تؤدي إلى تباين توزيعهم واختلاف كثافاتهم. أما خصوصية المجال الصحراوي في التوزيع المجالي للسكان؛ هي تميزه بتعدد تجمعاته (القصور) التي يغلب عليها الطابع الريفي، فمنطقة قورارة بصفة خاصة تضم ما يقارب 100 مجمعة سكاني من نمط القصور؛ أي حوالي 45% من مجموع المجمعات السكانية (القصور) لإقليم توات، رغم أن هذا الرقم يبقى تقريبي؛ بالنسبة لعدد القصور الحقيقي الذي لم يعد معلوم، بعد تدهور البعض، وتداخل النسيج السكني للبعض الآخر ليشكل قصر واحد. تتميز هذه القصور باختلاف كبير في أشكالها، أحجامها، وأماكن تمركزها الذي خضع لطرق القوافل التجارية العابرة للصحراء، تلك التي اختارت أماكن دون أخرى لتتجمع فيها، وذلك استجابة للمعطيات الطبيعية والمورفولوجية السائدة بالمنطقة.

1.2.1. كثافة سكانية منخفضة بسبب شساعة المساحة

إن شساعة المساحة التي تتميز بها المناطق الصحراوية، جعلت منها مجالات ذات كثافة سكانية منخفضة، فمنطقة قورارة التي تقدر مساحتها 65.203 كم²؛ أي ما يقارب ربع مساحة ولاية ادرار، تحتوي حاليا على 30% من سكان الولاية، تتميز بانخفاض شديد في الكثافة السكانية، فهي لم تتعدى 2ن/كلم^2، إلا أن هذا الرقم لا يعكس التمركز الحقيقي للسكان بقورارة، فكون العرق الغربي يشغل جزء هام منها في الناحية الشمالية؛ حتم ضرورة التمركز في أجزاء منها في المناطق المنبسطة، وهو ما جعلها تتغير في نسبتها بمرور الوقت من مكان لآخر في المنطقة.

جدول (7): تطور الكثافة السكانية حسب البلديات 66- 77

البلديات	الكثافة السكانية ن/كلم²	
	1966	1977
تيميمون	1	1,4
اوقروت	0,6	0,8
تينركوك	0,2	0,3
تاغوزي	1,3	1,5
منطقة قورارة	**0,6**	**0,8**

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء 1966، 1977

لم تكن الكثافة السكانية في منطقة قورارة بعد الاستقلال؛ وإلى غاية سنوات السبعينات تتجاوز الـ1ن/كلم^2، هذا الانخفاض سجلته خاصة بلديتي اوقروت وتينركوك، بعكس تيميمون وتاغوزي التي كانت فيهما الكثافة أكثر (الجدول7)، هذا ليس لأنها تستحوذ على أكبر عدد من السكان، ولكن لصغر مساحتيهما مقارنة بالبلديتين السابقتين، فبلدية تاغوزي في تلك الفترة عدد سكانها لا يتعدى 9000نسمة يتوزع على حوالي 5980كم^2 بعكس اوقروت التي فاقت مساحتها 16000كم^2 في نفس الفترة كانت تحتوي على أكثر من 11000نسمة، ومن خلال هذه الأرقام يمكن القول أن نسبة الكثافة السكانية في المنطقة تتحكم فيها المساحة أكثر مما يتحكم فيها عدد السكان.

بعد أن تمت إعادة هيكلة المجال في 1985 وتقسيمه إلى 10 بلديات، ظهرت بذلك أرقام جديدة للكثافات السكانية، وبالتزايد الديموغرافي سجلت هذه الأرقام ارتفاعا طفيفا، فاقت هذه الكثافة النسبة العامة للمنطقة (1,1ن/كم^2 في 1987) في أغلب البلديات، تجاوزت 9 ن/كم^2 في بلدية أولاد سعيد نظرا لصغر مساحتها التي لا تتعدى 700 كم^2، ولم تكن أقل من النسبة العامة فقط في بلديات أوقروت، تينركوك، وقصر قدور، هذه الكثافة في تزايد مستمر بتزايد عدد السكان (الخريطة7)، إلا أن أرقامها حسب البلديات أو على مستوى المجال ككل ليس لها أهمية؛ نظرا للخصوصية التي تتميز بها هذه المجالات؛ التي ارتبط تواجد السكان فيها بالمعطيات الطبوغرافية، وأماكن تواجد المياه؛ بمحاذاة الواحات التي تمثل مساحات صغيرة؛ مقارنة بامتداد رمال العرق الغربي الكبير وهضبة تادمايت.

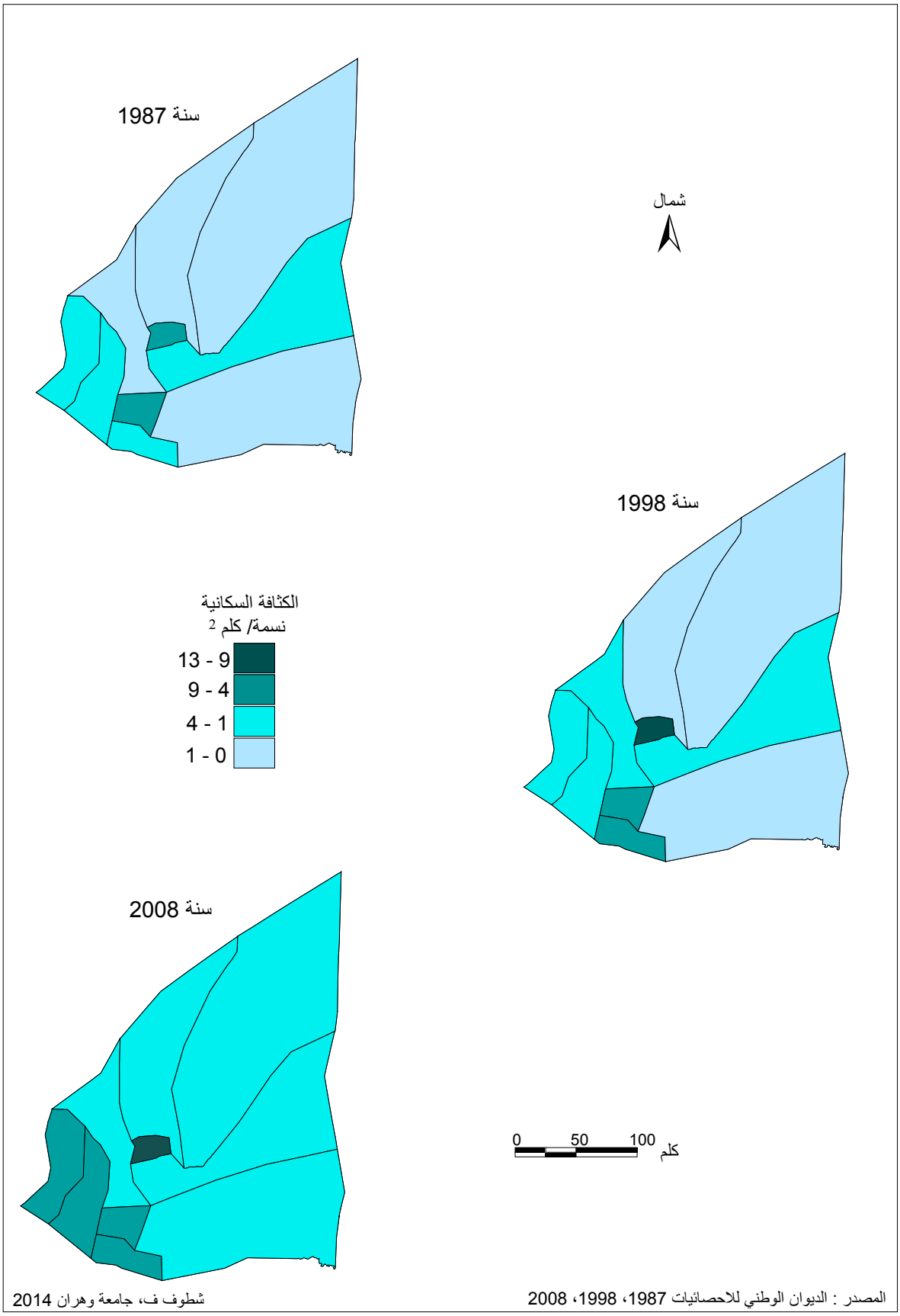

خريطة (7): تطور الكثافة السكانية في بلديات قورارة

2.2.1. المعطيات الطبيعية تتحكم في التوزيع المجالي لسكان القصور

ارتبطت حركة الاستيطان وطرق القوافل التجارية العابرة للصحراء، بالخصائص المورفولوجية والمناخية للمنطقة، ولما كانت ضرورتهما في المناطق الصحراوية كان على الإنسان التكيف حسب هذه الظروف؛ من أجل استمرار الحياة في هذا الوسط، فأنشأ بذلك نموذجا خاص به يتميز بمكونات تتلاءم مع هذا المجال، توفر له القيام بوظائفه ونشاطه الذي كان زراعيا بشكل أساسي، وبعض التبادلات التجارية بصفة ثانوية.

فتوفر الماء، الكثبان الرملية، اتجاه الرياح، والتباين المورفولوجي لمنطقة قورارة؛ أجبر السكان في تمركزهم المجالي؛ بالبحث على أكثر الأماكن التي تستجيب لمتطلباتهم، من أجل تسهيل الاندماج في هذا المجال الإيكولوجي بتعدد مظاهره.

1.2.2.1. توزيع مجالي للسكان ورثته قورارة منذ نشأة القصور

مر تاريخ الاستيطان البشري بقورارة كما سبق وأن ذكرنا؛ بمراحل عدة منذ مجيء الجيتول إلى المنطقة وإلى غاية الاستقرار النهائي للقبائل العابرة للمنطقة؛ بحكم وظائفها (التجارة والرعي)، مكونة بذلك أقطاب سكانية متجانسة نسبيا، فرضتها المظاهر المرفولوجية الموجودة بالمنطقة، فقد لعب كل من العرق الغربي، هضبة تادمايت التي شيدت على طول حوافها أغلب قصور قورارة؛ من أجل الاستفادة من طبيعتها الطبوغرافية لاستغلال المياه الجوفية بشكل طبيعي، الدور الحاسم في رسم محاور هذه الأقطاب السكانية، كما أن التكتل القبلي كان له دور كبير في هذا التوزيع، إذ كل قبيلة أو مجموعة من القبائل قد يكون لها نفس الانتماء، استقرت بنقطة معينة من قورارة مشكلة بذلك مناطق محلية، اتخذت كل منطقة على الأغلب اسم القبيلة التي استقرت بها (الخريطة 8).

ففي الشمال الشرقي لقورارة يتواجد ضمن حدود العرق بالقرب من سهل أمقيدن، قصور تينركوك أو بلاد المحارزة[1]، التي تشكلت منذ بداية استقرار البدو الرحل خلال القرن 17م، الذين كانوا يستعملون أمقيدن كمنتجع لأغنامهم، وعلى امتداد العرق وبالاتجاه غربا نجد هذه القبائل استقرت كذلك بقصر قدور (سواني[2])، والقصور التابعة لها، لم يتعدى عدد سكان تينركوك في 1952، 4000 نسمة، أما حاليا فتضم حوالي 20 ألف نسمة.

[1] المحارزة: اسم يطلق على القبائل العربية التي استقرت بقصور تينركوك.

[2] السواني (Swani) : كلمة تعني الجمال المستعملة من اجل استخراج المياه من الابار من اجل السقي(Bellil R, 2003) ، وهي الطريقة التي كانت المستعملة في استغلال المياه الجوفية في قصور بلدية قصر قدور لذلك اخذت هذا الاسم.

نحو أقصى الشمال الغربي لقورارة بمنطقة تاغوزي؛ التي استخدمت هي الأخرى في السابق كمكان للرعي، ينتشر أكثر من 20 تجمع سكاني حول قصر طلمين وتاغوزي. قدر عدد سكان قصور تاغوزي بـ6000 نسمة في 1952، ويفوق 18 ألف نسمة حاليا.

على حواف هضبة تادمايت في الجهة الجنوبية لقورارة، ظهرت سلسلة قصور اوقروت ومنطقة أو بلاد الزوى؛ نسبة إلى القبائل التي سكنت المنطقة (دلدول، وقصور المطارفة)، يتكون هذا الجزء من ما لا يقل عن 25 قصر، بلغ عدد سكانها حوالي 4000 نسمة خلال 1952، ويسكن هذه المنطقة حاليا أكثر من 17000 نسمة.

أما سلسلة قصور تيقورارين التي تبدأ من قصور أولاد سعيد شمالا، إلى غاية قصر الواجدة وتينومر في الجنوب، فقدت تمركزت حول السبخة التي يصل امتدادها إلى غاية منطقة دلدول، هي من أكثر المناطق تركزا سكانيا منذ نشأتها إلى يومنا هذا، كما أن عدد القصور فيها يفوق عدد القصور في المناطق الأخرى، وصل عدد سكانه إلى ما يقارب 9000 نسمة في 1952، ويفوق اليوم 41000 نسمة.

في الجهة الغربية لسبخة تيميمون، على هضبة منبسطة تتوضع قصور أولاد عيسى (أسرفات) (الخريطة8)، وبالقرب منها في الجنوب نجد قصور شروين؛ التي ظهرت على حواف الوديان الجافة، خلال 1952 لم يكن عدد سكانها يتعدى 2000 نسمة، أما حاليا فيسكنها أكثر من 18000 نسمة.

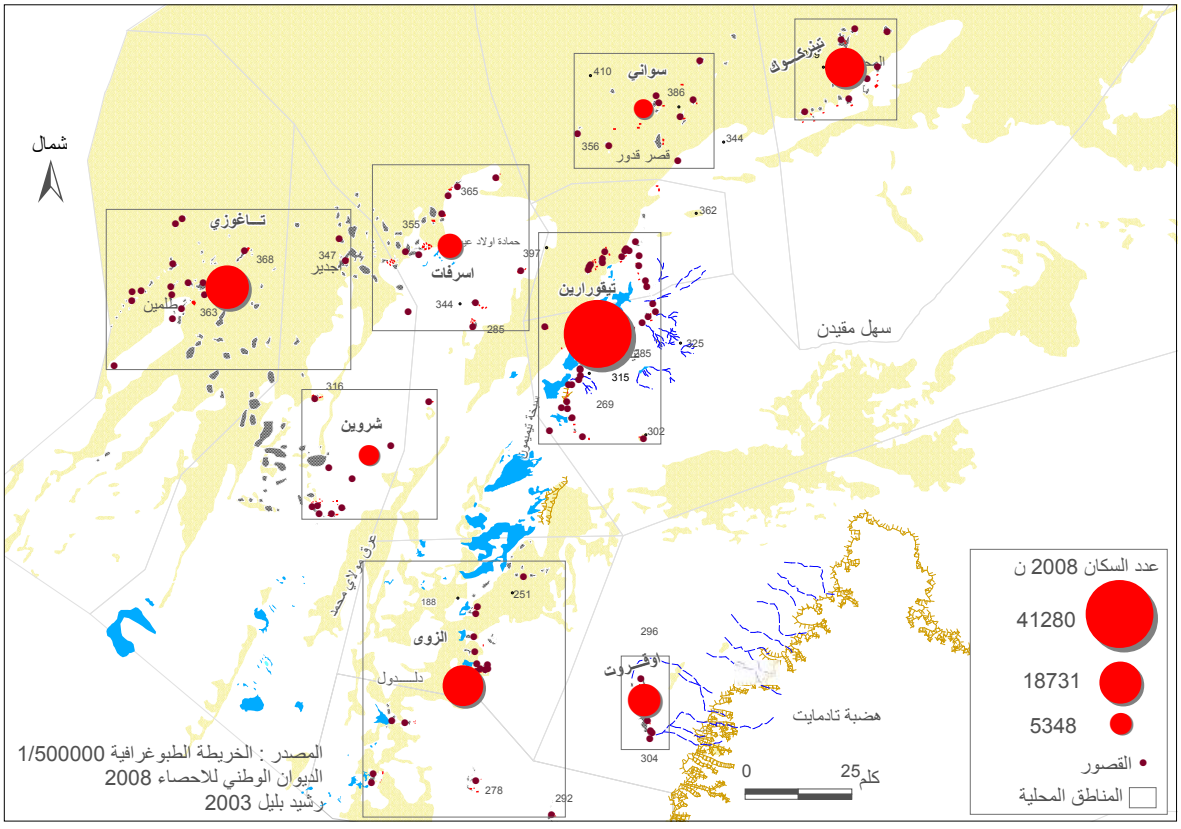

خريطة (8): توزيع السكان حسب المناطق المحلية لقورارة

2.2.2.1. توزيع مبعثر وتركز سكاني ضعيف في قصور العرق

تتميز ظاهرة تبعثر السكان في المنطقة؛ بأنها أكثر ارتفاعا في البلديات التي تتوضع قصورها وسط العرق الغربي، إلا أن ميزة التبعثر في هذه القصور لها خصوصية في أنها لا تتمثل في سكنات مبعثرة بل تتصف بأن السكان مبعثرين على شكل مجموعات تشكل قرى صغيرة، تشكلت بعد زحف الرمال على القصر القديم؛ وهجرته على شكل مجموعات نحو الأماكن الأقل ترملا، هذه الوضعية عرفتها خصوصا منطقة تاغوزي التي ترتفع فيها نسبة السكان المبعثرين بشكل كبير؛ أكثر من المناطق الأخرى، فقد عرفت هذه المنطقة حركة مكثفة للسكان في القرنين الماضيين، وإلى غاية أواخر الستينات وسنوات السبعينات من القصور القديمة، التي لا تتمثل سوى في 2 أو 3 قصور والتي تعود نشأتها إلى 10قرون فأكثر (الساقية، طلمين، تنزيري[1])، لهذا السبب ارتفعت نسبة السكان المبعثرين في هذه البلدية التي لم تكون تتجاوز نسبتهم 50% في 1966، وفاقت 80% في تعداد 1977، بينما كانت النسبة العامة للمنطقة لم تتعدى هي الأخرى 50% في كلتا السنتين (الجدول8)، أما قصور البلديات الأخرى فيهي أقل من ذلك؛ رغم أنها كانت مرتفعة في السنوات الأولى للاستقلال، إلا أنه بعد إنشاء مقرات للبلدية في بعض القصور، وتوفير المرافق الضرورية؛ عملت على جذب السكان والتجمع بالقرب من هذه المقرات.

جدول (8): توزيع السكان المبعثرين بمنطقة قورارة (66- 77)

البلديات	السكان المبعثرين%		عدد القصور المبعثر سكانها		عدد القصور الكلي
	1966	1977	1966	1977	
تيميمون	59,4	39,3	51	45	53
اوقروت	16,3	30,4	14	11	28
تينركوك	57,2	31,3	12	11	16
تاغوزي	44,2	88,9	17	18	19
منطقة قورارة	44,7	44,3	91	80	116

المصدر: دفاتر المقاطعات 1966، 1977 (ONS)

بعد أن تعززت المنطقة بمقرات بلديات أخرى خلال التقسيمات الإدارية الأخيرة، انخفضت نسب السكان المبعثرين، هذا رغم إعادة تقسيم القصور، الذي أصبح يتراوح عددها ما بين 4 و20 قصر في البلدية، إلا أنه بقيت مرتفعة في البلديات المتواجدة وسط العرق، خصوصا في بلدية قصر قدور التي قاربت فيها نسبة السكان المبعثرين 100%، في 1987، فلم يكن يسكن في مقر البلدية الذي تم إنشاءه بقصر قدور سوى 87 نسمة، هذا القصر الذي تمت هجرته من طرف سكانه، قبل أن يتحول إلى مركز البلدية وهو ما ساهم في إعادة إسكانه، فيما لم تعد فئة المبعثرين مرتفعة في قصور بلدية تينركوك؛ إذ

[1] تينزيري يمثل القصر القديم لمجمعتي أجدير الشرقي والغربي التابعين إداريا لبلدية شروين

انخفضت نسبتهم إلى أقل من 10% (الخريطة 9 ص71)، رغم أنها من بين البلديات التي تتمركز قصورها وسط العرق، وهو ما يقودنا إلى طرح التساؤل عن سبب انخفاض هذه النسبة، هل يتعلق ذلك بالنمو السكاني السريع للسكان المتجمعين مقارنة بالمبعثرين؟ أم إلى تزايد نسبة تجمع السكان المبعثرين نفسهم؟

كانت نسبة السكان المبعثرين أكثر ارتفاعا في كل من شروين؛ التي بلغت فيها 60% من مجموع السكان الكلي، ويتعلق الأمر بقصري أجدير الشرقي والغربي اللذان يتوضعان بين رمال العرق شمال بلدية شروين، إذ عرفت هذه المجمعات هي الأخرى نفس ظاهرة الهجرة من القصر القديم الذي تعرض لزحف الرمال، وأولاد عيسى بنسبة 47% لأن أغلب قصور هذه البلدية تقع على حواف العرق الغربي (الكرط، تاونزة، حيحا)، بالإضافة إلى طلمين التي فرض طبيعة موقعها الجغرافي تبعثر أكثر من 50% من سكانها، هذه القصور بدأت تنخفض فيها نسبة التبعثر في السنوات الأخيرة مقارنة بالفترة السابقة إلا أنها لا تقل عن 30%.

أما البلديات المتمركزة قصورها بجانب السبخة (تيميمون وأولاد سعيد)، فنسبة السكان المبعثرين منخفضة فيها، وارتفاعها النسبي في أولاد سعيد التي قارب فيها 30% في السنوات التعدادية الثلاث (الخريطة 9 ص71)، يعود إلى توزع سكانها على مجموعة من القصور حجمها لا يزيد عن 400 نسمة (تينجلت، سموطة، معمورة، امراد،...)، بسبب هجرة أغلب سكانها نحو المجمعات الرئيسية والثانوية لافتقارها لبعض المرافق خصوصا التعليمية، أما بلدية تيميمون فمنذ نشأة قصورها تجمع حولها قبائل كثيرة بما أنها كانت محطة هامة للتبادل التجاري، وكونها تحتوي على مقر دائرة منذ الاستقلال؛ جعلها تستحوذ على أكبر نسبة من السكان المتجمعين، وانخفاض ظاهرة التبعثر السكاني إلى أقل من 10% خلال 2008، ويتعلق الأمر ببعض القصور ذات حجم سكاني ضعيف (مساهل، تمانة، أغنت...).

في أقصى جنوب قورارة نجد قصور أوقروت ودلدول على حواف هضبة تادمايت، تنخفض فيها هي الأخرى نسبة تبعثر السكان إلى أقل من 10%، وذلك في بلدية المطرفة، وبلدية أوقروت (أقل من 3%) ويمثل هذا الرقم بعض البدو الرحل الذين ينتشرون بالمنطقة لحد الآن، يصل عددهم إلى 27 نسمة حسب إحصاء 2008، باستثناء بلدية لدلول التي تجاوز فيها السكان المبعثرين 10%، بسبب الهجرة التي عرفتها بعض قصور هذه البلدية نحو مراكز البلديات، ويتعلق الأمر بقصري (بلغازي وأولاد عبد الصمد) الواقعين وسط بعض الكثبان الرملية للعرق؛ التي زحفت على المناطق السكنية وأجبرت السكان على الهجرة وبقاء البعض منهم مبعثرين.

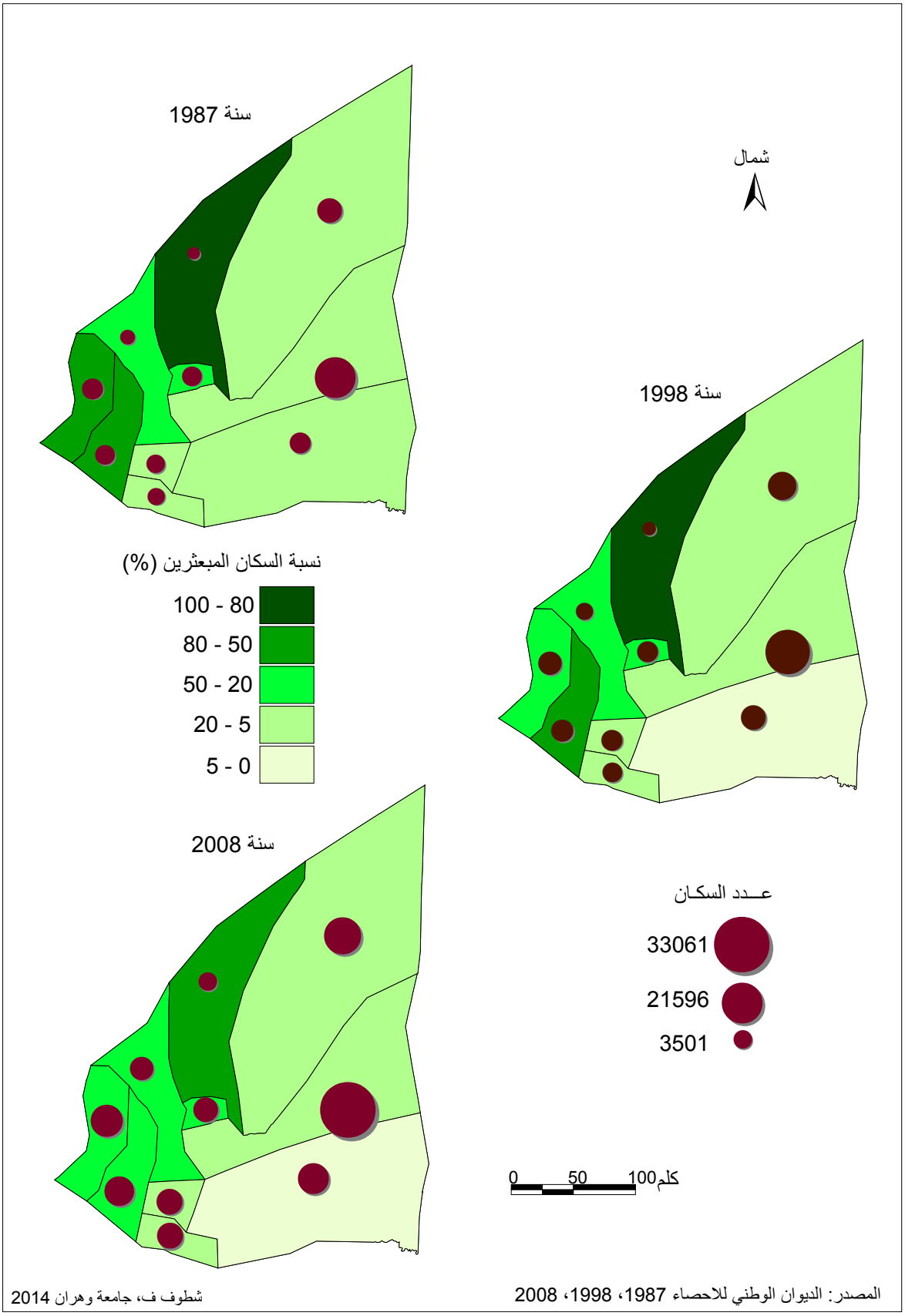

خريطة (9): تطور نسبة السكان المبعثرين حسب بلديات قورارة

3.2.2.1. تجمع السكان حول السبخة على حواف هضبة تادمايت وأمقيدن

كما سبق وأن تطرقنا إلى نسبة السكان المبعثرين؛ التي لاحظنا أنها أكثر ارتفاعا في القصور والأماكن التي تنتشر فيها رمال العرق، التي فرضت هذا النوع من التوزيع. بالمقابل نسبة السكان المتجمعين تتميز بأنها أكثر ارتفاعا؛ في سلسلة القصور المتوضعة على حواف هضبة تادمايت وسهل أمقيدن، يمثل سكان هذه القصور أولى القبائل التي استقرت بالمنطقة، وأنشأت القصور في هذه المواضع، مستغلة بذلك الطبيعة الطبوغرافية من أجل استغلال المياه الجوفية عن طريق الفقارة، فارتفاع عدد القصور في البلديات المتمركزة في هذه الأماكن، دليل على ارتفاع نسبة تجمع السكان في هذه المناطق (اوقروت وتيميمون).

وهو ما تبينه الأرقام بشكل واضح، إذ فاقت نسبة السكان المجمعين في قصور اوقروت 80% حسب إحصاء 1966 (الجدول 9)، إلا أن انخفاضها في 1977 يمكن تبريره بالنمو السكاني في المناطق المبعثرة؛ بسبب استقرار بعض البدو الرحل الذين كانوا يترددون على المنطقة، هذه الوضعية عرفتها كذلك قصور تاغوزي؛ التي يعود السبب في انخفاض نسبة المتجمعين عند إحصاء 1977 كما سبق وأن ذكرنا؛ إلى الهجرة الجماعية التي عرفتها قصورها القديمة المتعرضة لزحف الرمال؛ نحو أماكن غيرها، مشكلة بذلك قرى مبعثرة تجاوز عددها الـ 15 قرية جديدة (تاكيالت، قطوف، تيمارن، تامسقلوت، تعرابين...)، أما نسبة السكان المتجمعين فهي في تزايد مستمر في كل من تيميمون وتينركوك.

جدول(9): تطور نسبة السكان المتجمعين حسب بلديات منطقة قورارة (66- 77)

البلديات	نسبة السكان المتجمعين %		عدد القصور المتجمع سكانها		عدد القصور الكلي
	1966	1977	1966	1977	
تيميمون	40,6	60,7	2	8	53
اوقروت	83,7	69,6	14	16	28
تينركوك	42,8	68,7	3	4	16
تاغوزي	55,8	11,1	2	1	19
منطقة قورارة	55,3	55,7	21	29	116

المصدر: دفاتر المقاطعات 1966، 1977 (ONS)

لا يمكن مقارنة نسبة التجمع السكاني للبلديات في الفترة 66-77 بعد التقسيم الإداري لـ 1984؛ الذي أدى إلى إعادة هيكلة المجال وتنظيم القصور، سنتين بعد هذا التقسيم جاء إحصاء 1987 بأرقام وتنظيمات جديدة للقصور (الجدول10)، تلك التي ساهمت فيها التحولات التي عرفها المجال، وما صاحبها من برامج تنموية ونمو ديموغرافي بوتيرة سريعة، قادتها إلى حركة تعمير واسعة شملت

معظم القصور، أدت بذلك إلى توسع الأنسجة العمرانية والتحامها مع بعضها البعض؛ لتشكل تجمعات سكانية تضم أكثر من قصر واحد (قصور أوقروت، أولاد سعيد وتيميمون)، أو ظهور مجمعات سكانية جديدة وإن كانت لا تحمل نفس ملامح القصور القديمة، إلا أنها تحتوي نفس سكان هذه القصور (قصور تاغوزي)، في كلتا الحالتين النتيجة نفسها وهي ارتفاع نسبة تجمع السكان.

جدول(10): تطور توزيع القصور المتجمع سكانها حسب بلديات منطقة قورارة (87- 08)

البلديات	عدد القصور المتجمع سكانها			عدد القصور الكلي
	1987	1998	2008	
تيميمون	11	14	17	28
أولاد سعيد	4	5	5	15
أوقروت	9	9	9	11
المطارفة	5	5	5	6
دلدول	8	8	8	11
تينركوك	5	5	6	8
قصر قدور	1	1	2	8
شروين	2	2	4	11
أولاد عيسى	2	3	4	11
طلمين	4	6	6	8
منطقة قورارة	51	58	66	117

المصدر: دفاتر المقاطعات 1987، 1998، 2008، (البلدية، ONS، DPAT)

ارتفعت نسبة التجمع في قورارة بصفة عامة بعد 1987 إلى أكثر من 70%، شمل هذا الارتفاع كل القصور، وهو ما يظهر من خلال تقدير نسبها حسب البلديات التي تنتمي إليها هذه القصور (الخريطة 10)، كما هو الحال في بلدية أوقروت التي قاربت فيها هذه النسبة 100%، إذ توسعت أغلب قصورها على الطريق الوطني رقم51، والتحمت مع التجمع الحضري الرئيسي، نفس الوضعية عرفتها بعض قصور تيميمون (ماسين، أمزقاغ، امعني...)، وقصور أولاد سعيد (أولاد هارون، أولاد باموسى، بودارة....)، فقد ارتفعت هذه النسبة إلى أكثر من 90%، من مجموع السكان الكلي سنة 2008 في الأولى، وإلى أكثر من 70% في الثانية، هذا الارتفاع عرفته كذلك قصور تينركوك.

لم يكن يقتصر تجمع السكان في بلدية قصر قدور في 1987؛ سوى على مركز البلدية التي كانت تضم فقط 87 نسمة تمثل نسبة 2% من مجموع سكان البلدية، ارتفعت هذه النسبة إلى أكثر من 45%، بعد ارتفاع عدد سكان مقر البلدية إلى أكثر من 1000 نسمة، وظهور قصر جديد صنف ضمن المجمعات الثانوية (قصر آنجلو)، في ما بدأ استقرار السكان في قصور طلمين، وتزايد نسبة تجمع إلى أكثر من نصف سكانها بعد 1998 (الخريطة 10).

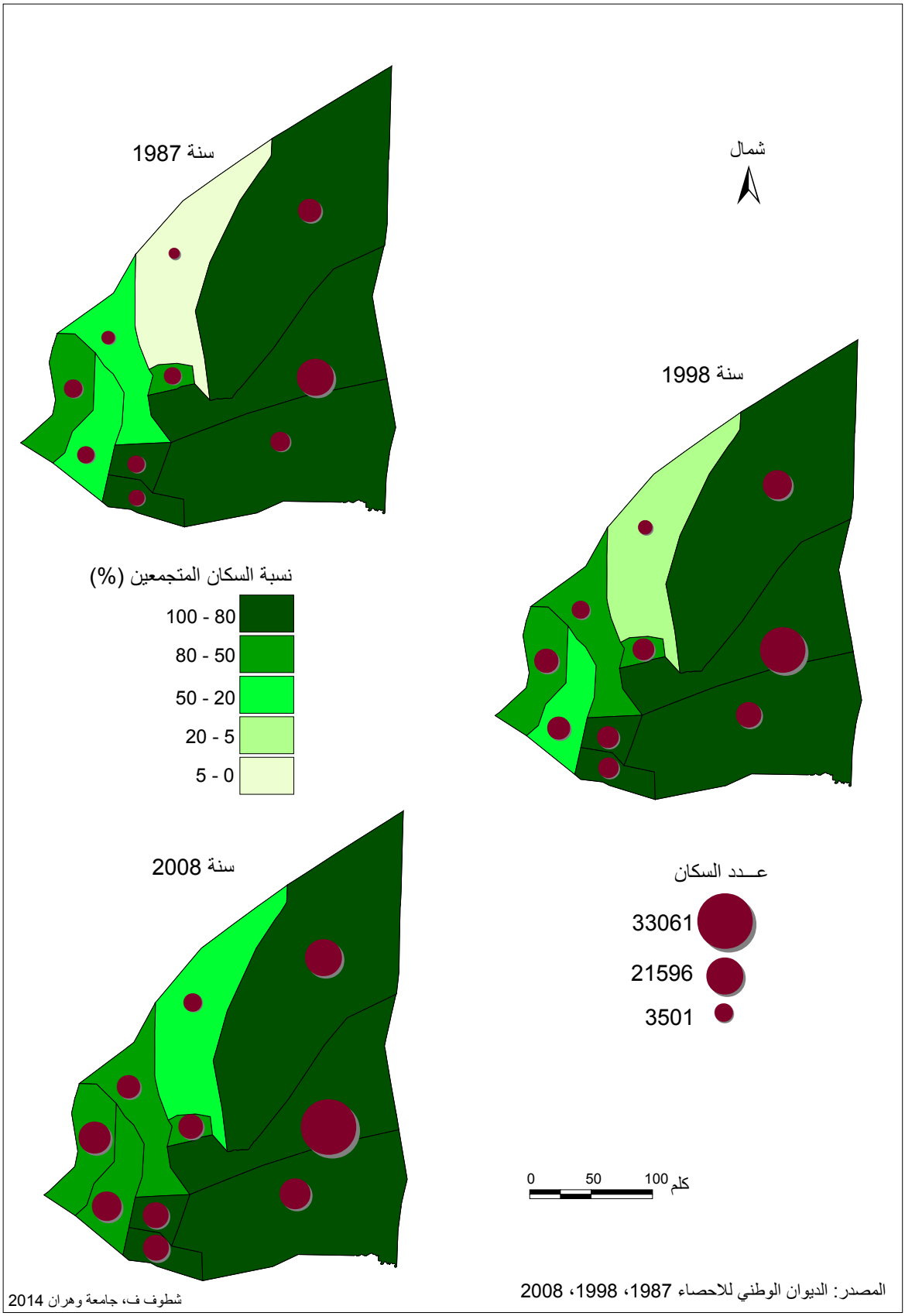

خريطة (10): تطور نسبة السكان المتجمعين حسب بلديات قورارة

3.1. زيادة سكانية تختلف بين البلديات والقصور وتتغير من سنة لأخرى

توجهت سياسة الدولة غداة الاستقلال نحو المجال الاجتماعي، من خلال تسطير برامج تهدف إلى الاندماج الاقتصادي للمجال الوطني، هذه البرامج سمحت بتحسن الإطار المعيشي للسكان وساهمت في استقرارهم، من خلال توفير بعض المرافق، خاصة وأن المنطقة كان تتردد عليها نسبة معتبرة من البدو الرحل، حيث عرفت استقرار حوالي 1000نسمة من البدو فيها ما بين 1960 و1967 (Etienne B., 1967)، وقد كان للترقية الإدارية دور بارز في هذه الزيادة السكانية، خصوصا الأخيرة التي سمحت للعديد من القصور؛ بأن تتحول إلى مقرات بلدية تستقطب سكان القصور المجاورة لها.

1.3.1. الفترة 1966- 1977: نمو سكاني بطيء

لم تكن قصور قورارة في هذه المرحلة مقسمة سوى على أربع بلديات، ارتبط هذا التقسيم على الأرجح بالمعطيات الطبيعية، والتجزئة التي ورثتها المنطقة من الفترة الاستعمارية، تضم بلدية تيميمون في هذه الفترة أكبر عدد من القصور والسكان، فأما بلدية تاغوزي؛ وبالرغم من أنها كانت تضم ما يقارب الـ 30 قصر إلا أن عدد سكانها لم يتجاوز 8700 نسمة، في تعدادا 1977، بعكس بلدية أوقروت؛ التي رغم أن عدد قصورها كان نفس عدد قصور بلدية تاغوزي، إلا أن عدد سكانها فاق الـ12000نسمة لنفس السنة (الجدول11).

جدول (11): تطور سكان قورارة حسب البلديات (66 – 77)

البلديات	عدد السكان 1966	عدد السكان 1977	معدل النمو 66- 77
تيميمون	15056	19949	2,9
أوقروت	10879	12805	1,6
تينركوك	6724	8915	2,9
تاغوزي	7749	8760	1,2

المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات (66- 77)

إن النسبة السكانية في كل بلدية؛ لم يكن يتحكم فيها عدد القصور التي كانت تابعة لها، بقدر ما كانت تتحكم فيها الظروف التي تعود لتاريخ نشأة هذه القصور، والقبائل التي استقرت بالمنطقة، فكانت هناك بعض القصور التي تشكلت من تجمع العديد من المجموعات السكانية (أكثر من 5 قبائل)؛ كما هو الحال "بأولاد سعيد"، على عكس البعض الآخر الذي لم يعرف سوى تجمع قبيلة أو قبيلتين.

معدلات النمو في البلديات هذه الفترة لم تكن تتجاوز الـ 3%، فيما كان هذا المعدل في كل من بلديات تاغوزي وأوقروت منخفض؛ حتى أنه أقل من المعدل العام لقورارة الذي قدر في هذه الفترة بـ 2,2%، فأما بلدية تينركوك سجلت نموا سكانيا فاق المعدل العام للمنطقة، الذي قارب الـ 3%، بعدد سكان

تجاوز الـ8900 نسمة في 1977، بعد أن كان عدد سكانها لا يتعدى 3246 نسمة سنة 1952، أي تضاعف السكان ثلاث مرات خلال 25 سنة، لم يرتبط هذا التزايد بالنمو الطبيعي للسكان، وإنما ساهم فيه استقرار البدو الرحل الذين كانوا يترددون العرق الغربي الكبير(Bisson J, Jarir M, 1986) وسهل أمقيدن، بعد أن تمت ترقية قصر زاوية الدباغ إلى صنف البلديات 1963، واستفادتها من بعض التجهيزات التي عملت على جذب السكان للاستقرار في واحاتها، نفس معدل النمو سجلته بلدية تيميمون بحكم أن هذه البلدية كانت تضم أكبر عدد من السكان، كما أن احتواءها على مقر دائرة لمنطقة قورارة؛ سيسمح لها بدون شك بأن تجذب إليها أعداد كبيرة من سكان البلديات المجاورة.

2.3.1. الفترة 1977- 1998: وتيرة نمو مرتفعة في البلديات

أ- ما بين 1977- 1987

عرفت قورارة في هذه الفترة التقسيم الإداري لـ 1984، الذي لعب دور هام في التنظيم المجالي لقورارة بظهور 6 بلديات أخرى انبثقت عن البلديات السابقة، فإذا أخذنا على سبيل المثال بلدية تيميمون التي انبثقت منها كل من بلديتي أولاد سعيد وأولاد عيسى، كان عدد سكانها حسب تعداد 1977 يتجاوز 19900نسمة، أصبح يتعدى 21500 نسمة في تعداد 1987، رغم أنه انفصل عنها ما يقارب 30 قصر، إلا أن احتوائها على مقر البلدية والدائرة آنذاك؛ سمح لها أن توفر مرافق للسكان لم تكن تتواجد في مقرات البلديات الأخرى، كالتجهيزات التعليمية (التعليم الثانوي) والصحية، التي كانت أكبر محفز لحركة سكان القصور الأخرى نحوها، كون مدينة تيميمون الوحيدة التي كانت تتوفر على هذا النوع من التجهيزات في تلك الفترة.

ب – ما بين 1987- 1998:

بعد ظهور بلديات جديدة عن التقسيم الإداري الأخير(1984)، أصبحت وضعية السكان في المنطقة تتحسن شيئا فشيئا؛ تحت تأثير توفر التجهيزات، تطور نشاطات القطاع الثالث، توسع شبكات الطرق الثانوية وإعادة تهيئتها، تعبيد الطرقات الوطنية، كل هذه العوامل ساهمت في ديناميكية ديموغرافية بوتيرة مرتفعة. عدد القصور في البلديات أصبح يتراوح ما بين 4 و30 قصر، رغم ذلك سجلت البلديات معدلات نمو مرتفعة، إلا أنه لم يتجاوز فيها معدل النمو العام للمنطقة الذي قدر بـ3,8%.

سجلت البلديات المتمركزة على طول محاور الطرقات الكبرى (خصوصا الطريق الوطني رقم51، والطريق الولائي رقم 151) معدلات نمو قدرت بـ 3,5%، ويتعلق الأمر بكل من شروين، اوقروت وتينركوك، أما أقل معدل نمو فقد كان في بلدية قصر قدور (2 %)، كما أنها أقل بلدية من حيث عدد

السكان الذي لم يتجاوز 3500نسمة، فيما كان هذا المعدل في البلديات الأخرى يتراوح ما بين 2,5 و3% .

3.3.1. تراجع وتيرة النمو في البلديات خلال الفترة 1998- 2008

سجل النمو الديموغرافي تراجع على المستوى الوطني في هذه الفترة التعدادية، إذ أصبح لا يتعدى 1,6%، هذا التراجع هو نتيجة مباشرة ليس فقط لتحول السياسة الاقتصادية للدولة، لكن كذلك للتحولات الاجتماعية، كتعليم المرأة الذي أثر بصفة مباشرة على معدلات الخصوبة التي عرفت انخفاضا، وبالتالي انخفاض نسبة الزيادة الطبيعية، هذه الوتيرة عرفتها منطقة قورارة كذلك وهذا على غرار مختلف مناطق الوطن، فقد فقدت المنطقة ديناميكيتها الديموغرافية التي اصبحت تقل عن 2%، بسبب انخفاض وتيرة النمو في أغلب بلدياتها (الخريطة 11)، إلا أن البلديات المتوضعة في العرق استمرت في حفاظها على معدل نمو أكثر من 3%، كطلمين الذي سمح لها هذا النمو بأن يتجاوز عدد سكانها 12000نسمة في تعداد 2008، بعد أن كانت لا تتعدى 9000 نسمة سنة 1998، وبلدية شروين التي كان عدد سكانها في 1998 يقارب 8700 نسمة؛ ارتفع إلى ما يقارب 11000 نسمة بمعدل نمو لم يتجاوز 3%، نفس الوتيرة عرفتها كل من قصر قدور وأولاد عيسى.

إن تباين وتيرة النمو في البلديات من سنة لأخرى، تعكس لنا بشكل واضح اختلافها على مستوى القصور، خصوصا في المجمعات الرئيسية والثانوية، التي تستحوذ على أكبر قدر من التجهيزات والمرافق، تلك التي ستعمل على جذب سكان القصور الأقل حظا في هذه المرافق والخدمات إليها، رغبة منهم في تحسين شروط حياتهم الاقتصادية والاجتماعية، منتجة بذلك أشكال جديدة من تيارات الهجرة على مستويات مختلفة، ساهمت في إعادة تركيب المجال اجتماعيا(الخريطة11).

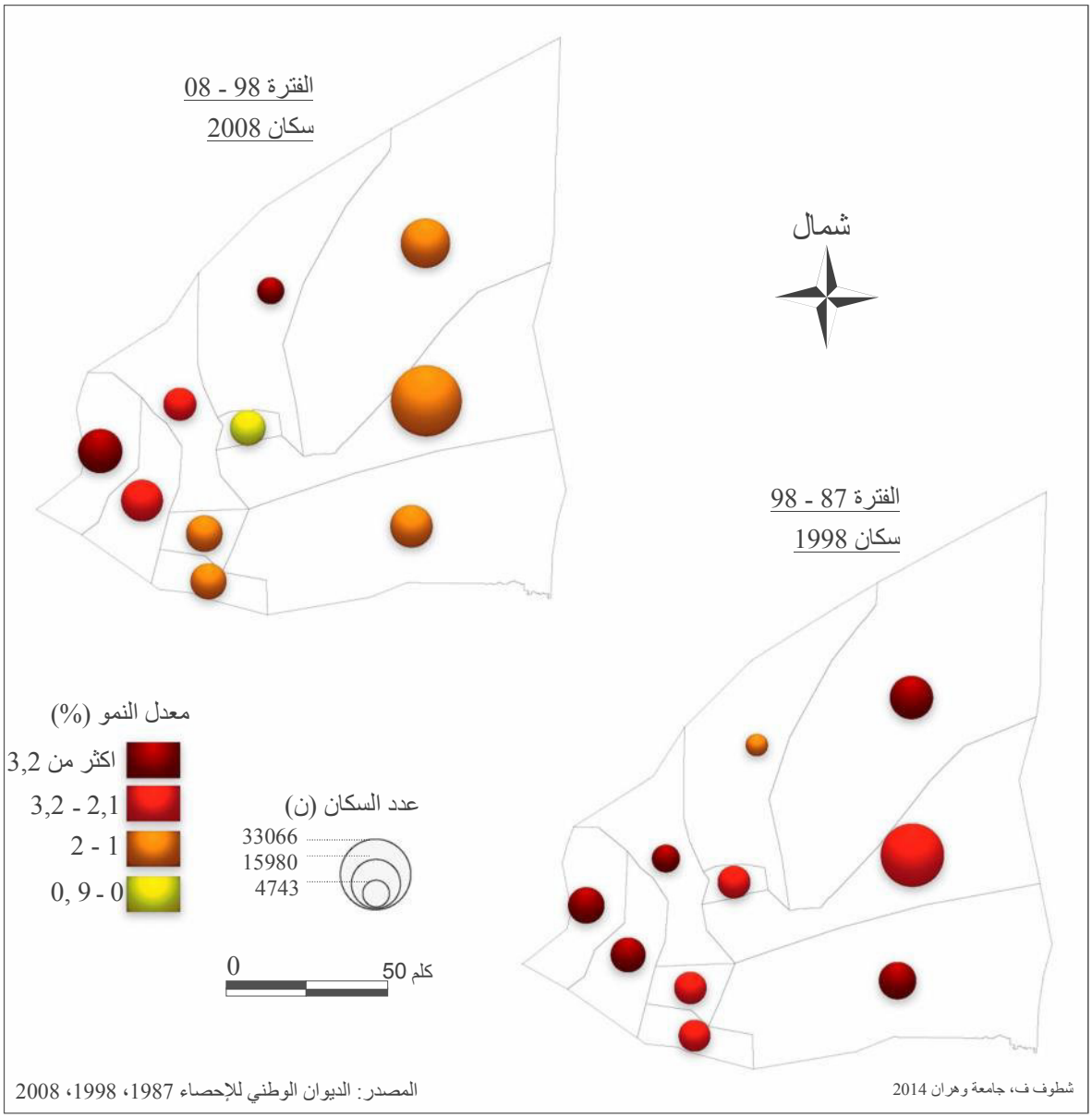

خريطة (11): وتيرة النمو السكاني ببلديات قورارة

4.3.1. الانتقال الديموغرافي لسكان قورارة: كل قصر بإيقاع خاص

عرفت قصور قورارة في المرحلة الممتدة ما بين 1987 و2008 تحول سكاني بارز، ميز هذا النمو بشكل خاص كما سبق وأن ذكرنا؛ القصور التي تمت ترقيتها لتكون مقرات للبلديات والدوائر، وكذا القصور المصنفة كمجمعات ثانوية، والتي غالبا ما تكون بجوار هذه المقرات، هذا الذي تجاوز في بعض القصور المعدل العام لقورارة وحتى المعدل الوطني، يمكن اعتباره سبب وفي نفس الوقت نتيجة للتحولات التنظيمية التي بدأت تعرفها القصور، وذلك بعد تدخل فاعلين جدد بتقنيات وبرامج تنموية جديدة؛ سمحت بتفعيل وتشجيع وتيرة النمو الديموغرافي في القصور.

1.4.3.1. نمو سكاني مرتفع ميز أغلب القصور خلال 1987- 1998

سجلت القصور في هذه الفترة معدلات نمو مرتفعة، فاق معظمها المتوسط العام لقورارة (3,1%) ؛ الذي لم يكن يتجاوز المعدل الوطني بشكل كبير(3,08%)، فاستفادة البعض منها من خدمات جديدة تؤهلها لجذب السكان نحوها؛ يبرر هذا الارتفاع لكن البعض الاخر نموها كان طبيعي.

وصل أقصى معدل نمو إلى أكثر من 24% في قصر قدور، رغم أن عدد سكانه لم يتجاوز 600 نسمة في 1998، ويعود السبب في ذلك على الأرجح إلى الهجرة المكثفة نحو هذا القصر من القصور الأخرى المجاورة بعد ترقيته إلى مقر البلدية، وتجسد ذلك بشكل واضح في معدلات نمو القصور التابعة لهذه البلدية التي كانت منخفضة (تيلغمين 0,3، تقانت 2,2-، بني عيسي 0,6-) ماعدا قصر أولاد عياش (أنجلو) الذي عرف معدل نمو أكثر من 6%، بعكس قصور طلمين؛ التي رغم أنها عرفت في هذه الفترة ظهور مركز جديد لمقر البلدية الذي تميز بوتيرة نمو مرتفعة (بوكزين 5,93%)، إلا أن القصور الأخرى بقيت بوتيرة نمو مرتفعة، ولم تتراجع بشكل كبير لصالح هذا المقر الجديد (تاغوزي 3,75%، تاكيالت 6,42%...) (الخريطة12).

لم تختلف الديناميكية الديموغرافية في هذه الفترة في واحات هضبة تادمايت عن غيرها، رغم موقعها والخصائص الهيدروغرافية الجيدة التي تتميز بها، والتي تؤهّلها لأن يكون نموها الديموغرافي في تزايد، هو ما تجسده لنا الأرقام في قصور أوقروت ودلدول، التي تراوحت فيها نسبة النمو السكاني ما بين 2,5% وأكثر من 7%، وكذا في واحات تيميمون وأولاد سعيد؛ التي تراوحت فيها هذه النسب ما بين 2% و6%، مع وجود بعض الحالات الاستثنائية لبعض القصور؛ التي فاقت فيها نسب الهجرة الزيادة الطبيعية لها، وأثرت على معدلات نموها الذي كان متناقص، ويتعلق الأمر بكل من "اغلاد" 0,57-%، و3,5-% في "لازورة وتاغيرت" بمنطقة أولاد سعيد، هذه القصور عبارة عن قرى صغيرة تحتوي سكان مبعثرين؛ يتراوح عددهم ما بين 100 و150 نسمة في 1998، وهي لا تبعد عن مقر البلدية بأكثر من 10 كلم، لكن نقص التنمية فيها التي كانت أكثر تركزا في المراكز المجمعة، ساهم في ارتفاع نسبة الهجرة منها.

يمكن تجسيد فكرة النمو الديموغرافي لقورارة كذلك، عند الاطلاع على معدلات النمو لقصور شروين خصوصا في مقر البلدية الذي تزايد سكانه بنسبة 9% سنويا، رغم أنه حديث النشأة، فنموه ليس بفعل الزيادة الطبيعية أو الهجرة فقط، ولكن يعود كذلك لدمج الأحياء التي يعود ظهورها إلى المرحلة الاستعمارية ضمن حدوده، هذا رغم أن أرقام النمو لدى بعض القصور الأخرى؛ تؤكد لنا أنه كان هناك نسبة هامة من الهجرة نحوه، كما هو الحال في قصور أولاد موسى، أولاد الحاج، المنصور

وغيرها التي كان معدل نموها أقل من 1%، وهي تبعد عن هذا المركز بأقل من 1كلم، أغلب سكان هذه القصور يسكنون المركز وهي حاليا تقترب من أن تخلو من ساكنيها، أما قصور المجمعات السكانية الثانوية والمبعثرة فتراوحت فيها نسبة النمو ما بين 3 و 6%، نفس الوضعية مرت بها قصور أولاد عيسى في هذه المرحلة، غير قصري "الكرط وياكو" اللذان يعانيان من إشكالية زحف الرمال على واحتيهما والتي ستساهم بدون شك في هجرة السكان منهما، إلا أنهما سجلا معدلات نمو ملفتة للانتباه (فاقت 6%)، (الخريطة12).

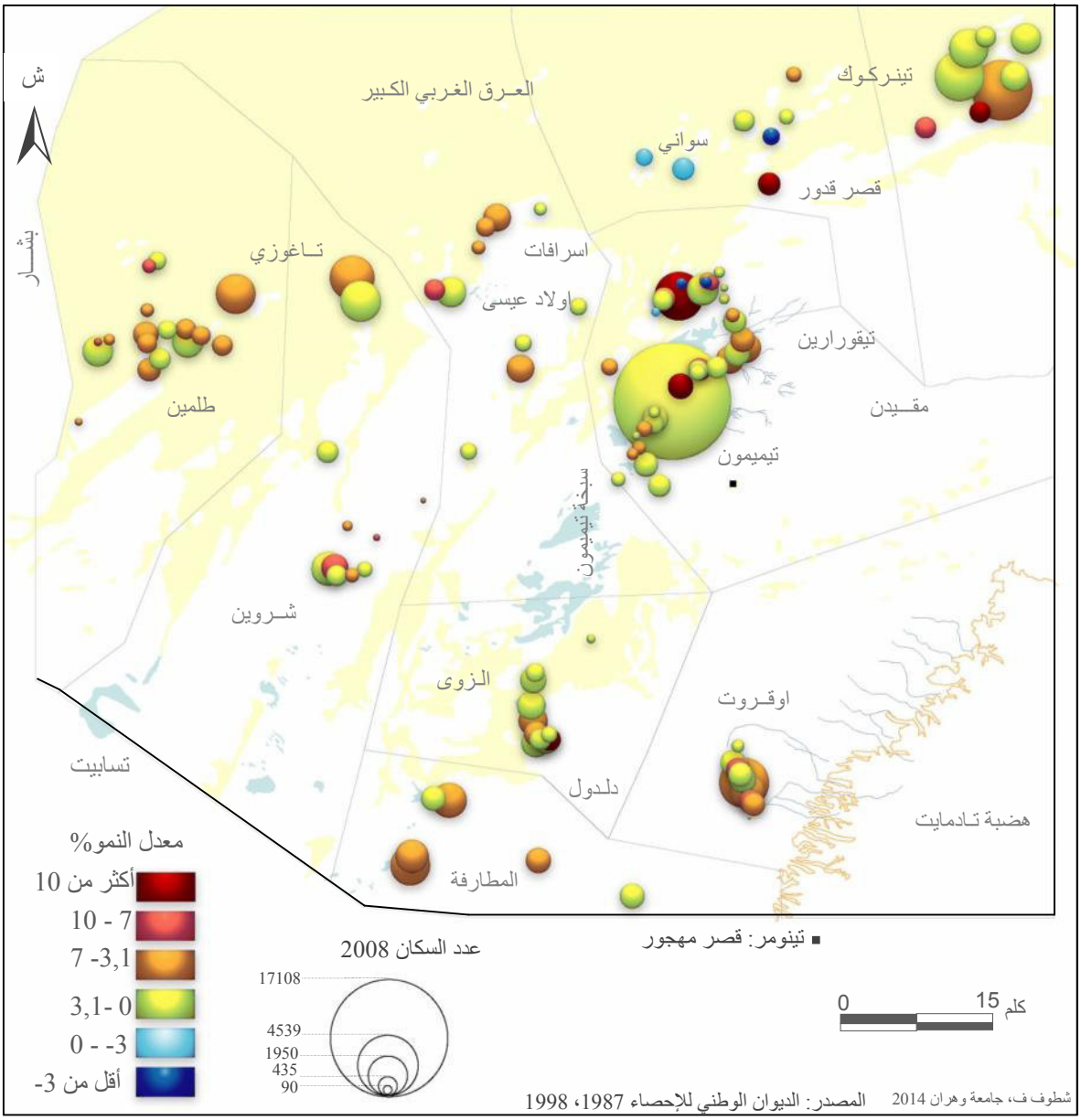

خريطة (12): النمو السكاني لقصور قورارة ما بين 1987- 1998

2.4.3.1. القصور فقدت ديناميكيتها الديموغرافية المرتفعة خلال 1998- 2008

لم تعد الزيادة السكانية في هذه الفترة؛ بنفس الوتيرة المرتفعة التي كانت عليها، هذه الخاصية تميزت بها أغلب القصور، وإن اختلفت الأسباب التي ساهمت في هذا الانخفاض بين تراجع الزيادة الطبيعية، وكثافة تيارات الهجرة الداخلية بين هذه الواحات.

قصور أصبحت معدلات نموها سالبة:

يظهر ذلك على مستوى بلدية تيميمون في كل من بادريان1,31- %، الكاف 0,66- %، القصبة 0,03- % في الجهة الشمالية للبلدية، هذه القصور عرفت تراجع في حجمها السكاني بسبب هجرة ساكنيها نحو التجمع الحضري الرئيسي (تيميمون)، فهذا التجمع يضم العديد من عائلات تلك القصور وإن لم تتوفر الأرقام التي تثبت ذلك. هذه الهجرة كانت بسبب زحف الرمال، كما هو الحال في "بادريان" الذي يعاني من هذه الظاهرة؛ خصوصا في نسيجه السكني القديم، أما في الناحية الجنوبية فقد تميز بهذه الظاهرة كل من الساهلة، بلغازي، أولاد عبد الصمد، وكذا بعض قصور تاغوزي تاكيالت، قطوف ونعمة، وأولاد عياش في الشمال الشرقي للمنطقة.

إن توفير مدينة تيميمون لفرص الشغل والتجهيزات التعليمية؛ ساهم في الهجرة، هذه الوضعية عرفتها كل من قصور "إغزر"، "حاج قلمان" وخاصة "تاغيرت" في أولاد سعيد؛ التي انخفض نموها إلى أكثر من 9- % (الخريطة 13)، وقصور "شروين"، "بني سلم" و"أسفاو" وإن تدخل سبب آخر للهجرة في القصرين الأخيرين؛ تمثل في التلوث الجوي الذي عانت منه واحاتها، وأدى إلى نقص إنتاجها بعد ظهور مؤسسات أشغال البناء وتفتيت الحجر بجوارها.

قصور تراوحت معدلات نموها بين 0 و3 %:

هذه الخاصية تميزت بها أغلب القصور، بغض النظر عن نمطها سواء كانت مجمعات ثانوية أو مبعثرة، وبغض النظر عن حجمها السكاني، مع العلم أن معدل نمو أغلبها كان أقل من المعدل العام للمنطقة الذي قدر بـ2,1% في هذه الفترة.

قصور فاقت معدلات نموها 3%: أغلب هذه القصور توجد ضمن حدود التجمع الحضري الرئيسي أو بالقرب منه، ومن الطبيعي أن تبقى معدلات نموها مرتفعة، بما أن هذه الأرقام انخفضت في القصور الأخرى، وهو ما يؤكد فكرة أن الهجرة الداخلية في هذه المنطقة كانت نحو هذه التجمعات.

أما صحة هذه الأرقام من عدمها، فيعتمد على مدى دقة الإحصائيات، خاصة وأن هذه القصور بسبب صغر حجمها؛ يتم في بعض الأحيان دمج 3 او 4 منها مع بعضها البعض في عملية الإحصاء.

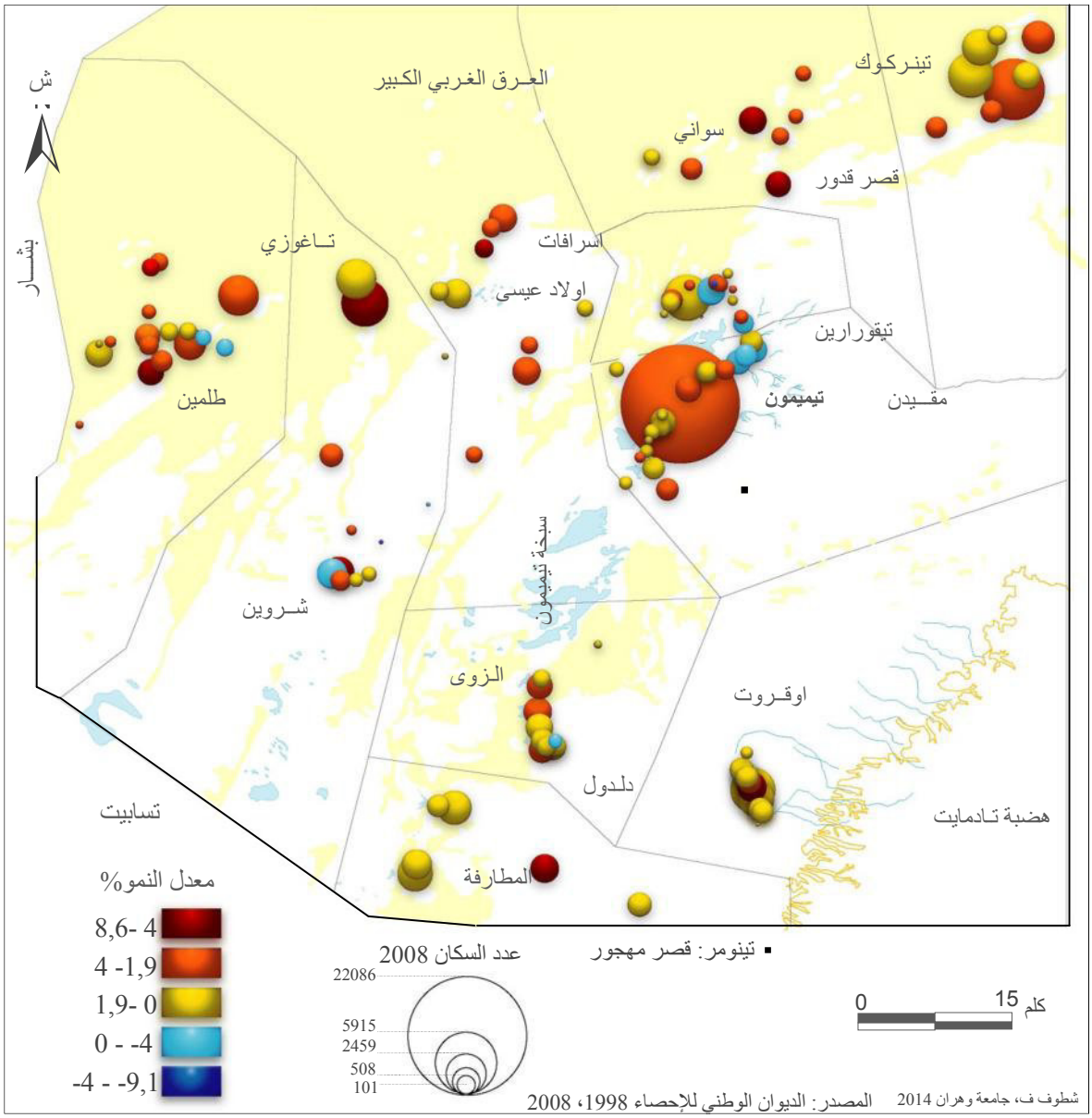

خريطة (13): النمو السكاني لقصور قورارة ما بين 1998- 2008

4.1. تركز سكان قورارة في القصور المرقاة إلى مراكز للبلديات

إن التعديلات الإدارية لـ 1991 التي أهّلت بعض المراكز لتكون مقرات دوائر، أعطى دفعة قوية لهذه المراكز في مجال التنمية التي مست قطاعات متعددة أهمها السكن، الشغل وتوفير التجهيزات، وهو ما سمح لها بأن تأخذ مكانة هامة لدى سكان القصور المجاورة، إما بالحركة اليومية والمؤقتة من أجل تلبية طلباتهم أو بالهجرة التامة نحوها. إن أحجام هذه المراكز والتحولات الجذرية التي عرفتها في الآونة الأخيرة تثبت لنا فكرة التحول الديموغرافي، الذي بدأت تعرفه منذ تدخل الدولة ببرامجها المكثفة من أجل دمجها في المجال الوطني، من خلال تحسين كيفيات الاستهلاك ومستوى المعيشة.

خلال الفترة 66-77 أكثر من نصف سكان قورارة سكن المجمعات الثانوية والمبعثرة، أما المجمعات الرئيسية فلم يكن يسكن فيها سوى 20% من مجموع السكان، هذه النسبة كانت يختلف حجمها من بلدية لأخرى.

عرفت تيميمون نسبة قاربت الـ 40%، وهي أكبر نسبة في المنطقة، التركز السكاني في هذا المركز كانت بدايته منذ نشأة قصوره، بما أنها اعتبرت أهم نقطة للالتقاء والتبادل التجاري، خلال المرحلة الاستعمارية تم اتخاذه مركزا عسكريا للتحكم في قصور قورارة، وبعد الاستقلال تحول إلى مقر دائرة التي كانت الوحيدة في المنطقة، فرضت عليه هذه المراحل التي مر بها بأن يمثل أهم مركز في المنطقة. أما مراكز البلديات الأخرى فلم تكن هذه النسبة فيها تتجاوز 10 % في أغلبها، وفاقت الـ20% في بلدية زاوية دباغ، فهي في هذه المرحلة لم تكن سوى مراكز لبلديات فتية، خصوصا في حالة اختيار مكان لم يكن مأهول من قبل بالسكان، كما هو الحال في مركز بلدية تاغوزي الذي انخفض فيه معدل التركز السكاني في 1977، بسبب تحوله عند تقسيم 1974 من قصر تاغوزي إلى شروين (الجدول 12).

جدول (12): تطور نسبة التركز السكاني في التجمعات الرئيسية لقورارة

البلديات	معدل التركز السكاني في ت. ح. ر %	
	1966	1977
تيميمون	32,3	39,6
اوقروت	8,4	8,6
تينركوك	10,8	24,0
تاغوزي	9,8	1,2
منطقة قورارة	18,0	22,3

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء 1987، 1998، 2008

ارتفعت نسبة تركز السكان في المجمعات الرئيسية لقورارة، وقاربت الـ 40% سنة 1987، أي بعد التقسيمات الإدارية لـ 1984، التي ظهر من خلالها مجمعات رئيسية جديدة، خاصة أن أغلبها تم إنشاؤها بالقرب من القصور، إذ يتم إحصاء سكان هذه القصور مع سكان هذه المجمعات، بالإضافة إلى الهجرة التي عرفتها من القصور المجاورة لها، ليصل هذا المتوسط في 2008 إلى أكثر من 50% (الشكل6).

إن نسبة تركز السكان في المراكز؛ التي أصبحت تتزايد من سنة لأخرى و تأخذ اتساع كبير؛ ساهمت في إعادة هيكلة هذه المجالات، هذا التركز يظهر بشكل واضح في مدينة تيميمون حيث ارتفعت هذه النسبة من 59% في 1987 إلى أكثر من 66 % سنة 2008، نفس الوتيرة عرفها مقر بلدية أوقروت، أما البلديات الأخرى فرغم أنها في تزايد من سنة لأخرى إلا أنها لم تتجاوز 40% من

مجموع السكان، يتعلق الأمر خصوصا بكل من تينركوك، أولاد سعيد، المطارفة ودلدول، أما طلمين فتميزت بتركز السكان أكثر في المجمعات الثانوية والمبعثرة، لأن متوسط التركز السكاني في مركزها لم يتجاوز 10%، فيما تعرف هذه النسبة تراجع في بلدية أولاد عيسى.

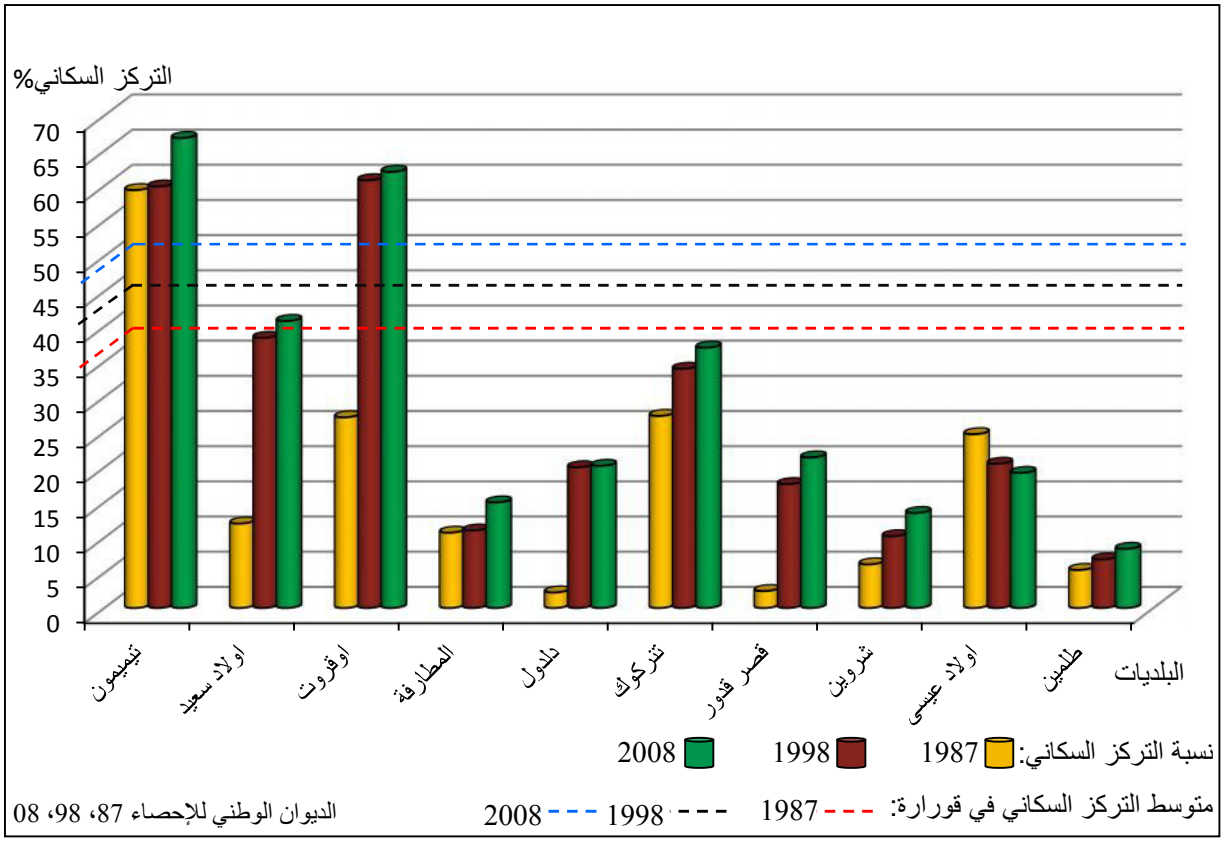

شكل (6): تطور نسبة التركز السكاني في التجمعات الرئيسية لقورارة

2. تحولات سوسيو-اقتصادية في القصور: ساهم فيها تدخل الدولة وممارسات السكان المحليين

لم يكن القصر في الماضي القريب بحاجة إلى تجهيزات إدارية ضخمة لسببين، أحدهما يتمثل في كونه يحتوي على نمط آخر من التجهيزات التي كانت تسيره بطريقة تقليدية، والسبب الثاني هو كونه لا يضم عدد كبير من السكان، لكن بعد التزايد المرحلي للسكان وتدخل الدولة لتنمية القصور وتحسين مستوى التجهيز بها، من خلال توفير أنواع جديدة من الهياكل لم يكن يعرفها القصر، أدت بذلك إلى تعدد وظائفه؛ بعد أن كانت تقتصر على الوظيفة الزراعية، سمحت هذه الوظائف التي تبنتها القصور بانفتاحها على العالم الخارجي، مؤثرة بذلك على المجتمع القصوري؛ من خلال انجذابه نحو سوق العمل في قطاع الخدمات والأشغال العمومية، هذه الوضعية بدأت تعرفها قصور قورارة بشكل واضح منذ التقسيمات الإدارية لـ1984، التي عززت من تواجد الإدارة بالمنطقة.

1.2. توجه السكان نحو العمل في قطاع الخدمات والأشغال العمومية وهجرة النشاط الزراعي:

واكب النمو الديموغرافي الذي عرفه سكان قصور قورارة؛ تحولات واسعة على مستوى البنية الاقتصادية له، فبعد تجميد قانون الثورة الزراعية، والذي بموجبه وتفاعل ظروف أخرى؛ تدهورت وضعية مساحات واسعة من القطاع التقليدي، خاصة بعد أن لجأ أصحاب القرار السياسي إلى الاستصلاح الزراعي، جعل السكان يتجهون نحو هذا النمط من الزراعة، ونحو قطاعات أخرى مغايرة كالتجارة والخدمات الإدارية وكذا الأشغال العمومية (جدول 13).

جدول (13): تطور توزيع الناشطين في منطقة قورارة حسب القطاعات الاقتصادية

القطاع	الزراعة	الصناعة	الأشغال العمومية والبناء	التجارة والخدمات	أخرى	المجموع
1966	3792	276	-	543	2312	7047
النسبة%	53,8	4,1	-	9.3	32,8	100
1977	5131	258	1557	1025	-	7971
النسبة%	64,4	3,3	19,5	12,8	-	100
1987	5923	418	1584	4053	-	11978
النسبة%	49,5	3,5	13,2	33,8	-	100
1998	2385	8833				11218
النسبة%	21,3	78,7				100

المصدر: دفاتر المقاطعات 66، 77، 87، 98 (البلدية ,DPAT, ONS)

أدى ظهور قطاعات جديدة في القصور خاصة المراكز العمرانية منها، إلى الرفع من نسبة النشاط لدى السكان التي قاربت الـ40% في المنطقة سنة 2008، وهو ما انعكس على القطاع الزراعي الذي تخلى عنه أغلب السكان، فقد أصبحت نسبة الناشطين في هذا القطاع لا تتجاوز 22% سنة 1998 بعد أن كانت تفوق 53% حسب إحصاء 1966، وهذا لصالح القطاعات الأخرى التي أصبحت تستحوذ على أكبر نسبة من السكان الناشطين (أكثر من 78% سنة 1998)، هذه التحولات مرتبطة أساسا برفع مدخول العاملين في القطاع الإداري، وحتى في قطاع التجارة والخدمات الأخرى. تأثر بهذه التحولات سكان كل القصور رغم أن هذه القطاعات الحديثة تركزت أكثر في المراكز العمرانية، وهو ما ساهم بشكل مباشر في جذب سكان المجمعات الصغرى نحو المراكز، وتنشيط الحركة اليومية لهم خصوصا بعد توفير وتهيئة شبكة الطرق في المجمعات الثانوية والمبعثرة في الآونة الأخيرة.

2.2. انخفاض نسبة البطالة وتزايد نسبة السكان الناشطين

أدى التحسن التدريجي لمستوى التجهيز في القصور، وتطور نشاطات القطاعين الثاني والثالث في منطقة قورارة، إلى توفير العديد من فرص الشغل لسكان المنطقة وخفض من نسبة البطالة، يظهر هذا جليا عند تتبع أرقام السكان الناشطين (جدول 14)، فبعد أن كان عددهم لا يتجاوز 7000 في 1966 أصبح اليوم يفوق 30 ألف نسمة تمارس نشاطات مختلفة، ومن الطبيعي أن يكون أغلبها في قطاع الإدارة والخدمات، وهو ما ساهم في تراجع نسب البطالة بشكل ملحوظ، فهي لم تعد تفوق 13% في 2008 بعد أن كانت تتجاوز الـ 40% في 1966.

جدول (14): تطور نسبة البطالة لدى السكان في قورارة

السنوات	عدد السكان الناشطين	عدد السكان غير الناشطين	معدل البطالة%
1966	7047	2890	41
1977	7971	2786	34,9
1987	11978	4557	38
1998	11218	-	-
2008	30280	3955	13,1

المصدر: دفاتر المقاطعات، 66، 77، 87، 98، 08
(البلدية، ONS، DPAT)

تختلف هذه النسب من بلدية إلى أخرى ولكن كذلك من قصر لآخر، ففي البلديات ذات المراكز العمرانية الكبرى نجد نسبة البطالة أكثر انخفاضا من غيرها، فمقراتها تستحوذ على أكبر عدد من التجهيزات المساهمة في تشغيل سكان قصورها المجاورة، هذه الخاصية تميزت بها بلدية تيميمون التي تحتوي على أكبر تجمع عمراني بعد أن كانت تتجاوز فيها نسبة البطالة 25% في 1987، وأصبحت اليوم أقل من 10%، نفس الوضعية تميزت بها بلدية أوقروت التي كانت النسبة فيها جد مرتفعة؛ قبل أن تتم ترقية مقر بلديتها (تيبرغمين) إلى صنف الدوائر سنة 1991، فقد سمح لها ذلك بأن تستفيد من العديد من التجهيزات، التي من شأنها أن تخفض هذه النسبة (8% في 2008)، أضف إلى ذلك يعرف القطاع الزراعي في هذه البلدية نشاط هام وفر فرص الشغل، ناهيك عن احتواءها على مقر شركة كوسيدار للغاز، التي فتحت آفاق الشغل لسكان القصور حتى من المناطق المجاورة. أما بالنسبة للبلديات الأخرى؛ فرغم أنها لم تسجل نفس الانخفاض في معدلات البطالة، إلا أنها تراجعت نوعا ما عما كانت عليه في 1987، فهي لم تتجاوز فيها الـ 30% في 2008 (الشكل7).

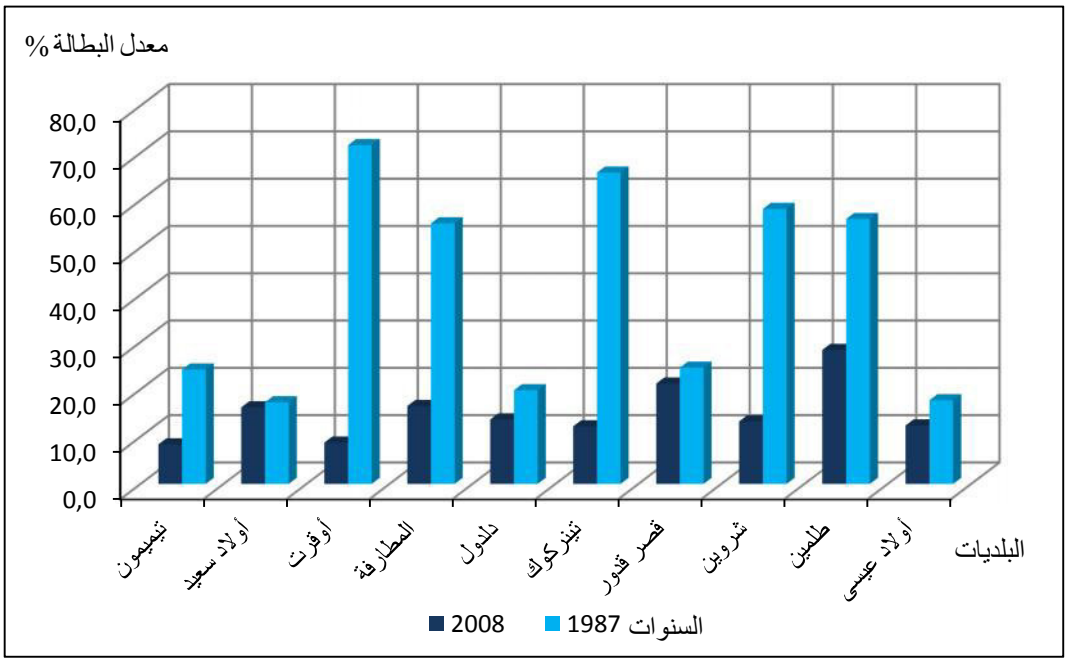

شكل (7): تطور معدل البطالة في بلديات قورارة

3. تحولات مجالية واسعة في القصور اختلفت العوامل المساهمة فيها

ساهم النمو الديموغرافي الكبير للسكان ولا سيما زيادة احتياجاتهم، التي تم تلبية أغلبها عن طريق برامج التنمية المختلفة التي عرفتها المنطقة؛ في التغيير بطريقة حساسة في مرفورلوجية القصور، التي أصبح أغلبها يخضع في نموه المجالي إلى توجيهات مخططات التعمير، شبكة الطرق التي انشأت حديثا والبرامج السكنية الحديثة التي أضفت على هذه القصور نمطا جديدا من استهلاك المجال.

1.3. النسيج العمراني للقصور: تحول مورفولوجي متباين بين القصور

إن النسيج العمراني الحالي لقصور قورارة، يشهد على عدة مراحل وظروف مرت بها المنطقة ليصل إلى ما هو عليه الآن، فمنذ نشأتها ولقرون عدة؛ كانت القصور في مجالها العمراني عبارة عن قصبات وسكنات كثيفة ومتراصة فيما بينها، وبمواد بناء محلية تحيط بها الواحة (الواحة- القصبة او القصر القديم)، لكن بعد النمو الديموغرافي لسكان القصور وتدخل فاعلين جدد منذ ما يقارب أكثر من نصف قرن، بدأت القصور تعرف تحولات في كيفيات استغلال وتنظيم مجالها، مشكلة نطاق آخر في المجمعات يختلف عن سابقه، ويتمثل في التوسعات التي ظهرت بجانب القصر (الواحة- القصر- توسعات سكنية جديدة بواحاتها)، اختلفت وتيرة النمو المجالي للقصور، باختلاف النمو الديموغرافي للسكان، والأهداف التي من أجلها تم توجيه تطورها العمراني من طرف المتدخلين في هذه المجالات.

1.1.3. توسع عمراني موجه في قصور التجمعات العمرانية الرئيسية

خضعت الأنسجة العمرانية للقصور التي تم اختيارها كمراكز للبلديات؛ إلى نمو مجالي مغاير من خلال تطبيق مبادئ التهيئة العمرانية التي جاءت بها وسائل التعمير، أدى ذلك إلى تحويل اتجاه وكيفيات استهلاك المجال فقد عملت هذه المخططات على برمجة العديد من الهياكل، وأنماط جديدة من السكن تكون أكثر تجهيزا، خارج النطاق التقليدي للقصر الذي أصبح على هامش هذه التوسعات.

1.1.1.3. انقسام السكن في القصور خلال الفترة الاستعمارية

بدأ المجال العمراني للقصور في المجمعات العمرانية الرئيسة الحالية لمنطقة قورارة، في التحول منذ دخول الاستعمار إلى المنطقة؛ الذي عمل على توجيه التوسع لتلبية أغراضه الخاصة، ويتعلق الأمر بتيميمون التي كان توسعها العمراني يأخذ محاور امتداده نحو الجهة الغربية للمدينة على حساب الواحة، أصبح نموها نحو الجهة الشرقية الذي نتج عنه نطاق جديد في المدينة، حيث فرضت فيه الإدارة الفرنسية وضع المباني بشكل متعامد (هندسي) بغرض السيطرة على تحركات السكان، مع الحفاظ على نفس مواد البناء التي كانت مستعملة (الطوب الطيني أو الحجارة والطين)، نتج عن هذا التنظيم توزيع الجزيرات على شكل مستطيلات منتظمة، غير ذلك التنظيم المتراص للمساكن الذي كان من قبل في القصر(الصورة3).

أما بالنسبة لتوسع القصور الأخرى خلال المرحلة الاستعمارية، والتي تحولت فيما بعد إلى مجمعات رئيسية فغالبا ما كان بجانب القصبة كما هو الحال بقصور شروين وأوقروت، التي رغم أنه اتخاذها أحد المراكز العسكرية، إلا أنه لم يتدخل في توجيه التعمير في هذه التجمعات بشكل كبير، واقتصرت بناياته فيها على بعض المنشئات.

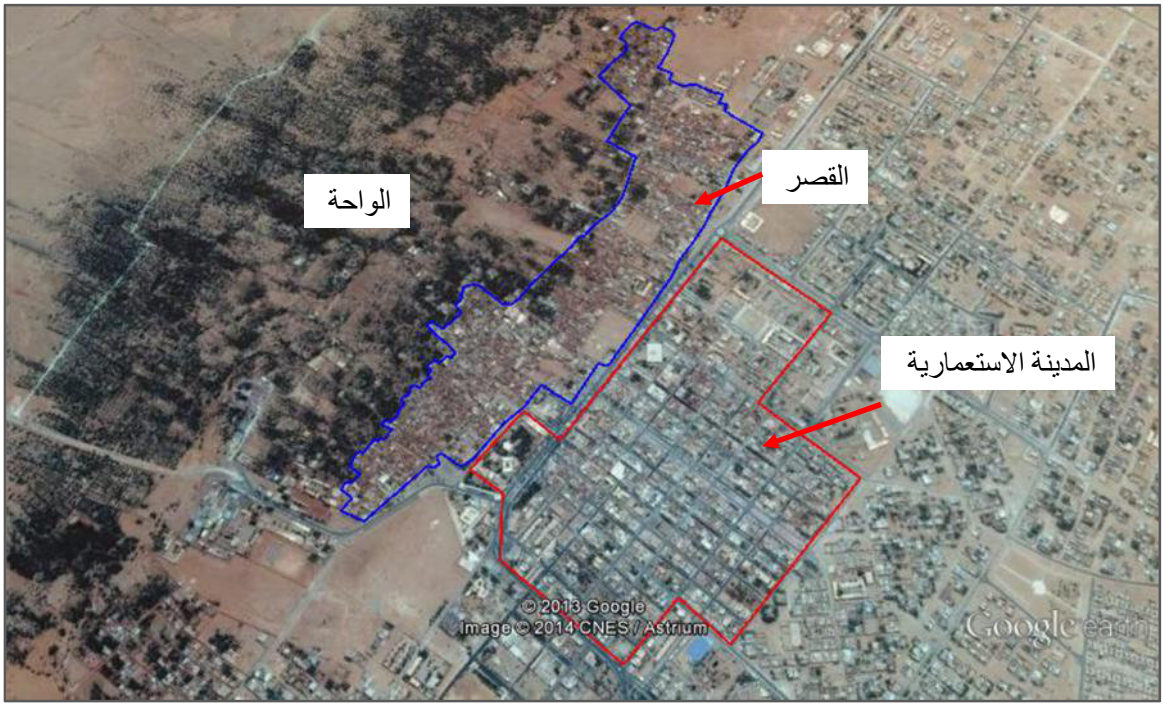

صورة (3): ظهور نطاق آخر بمدينة تيميمون خلال المرحلة الاستعمارية (1900- 1962)

2.1.1.3. التوسعات العمرانية الحديثة تنظمها مخططات التعمير

أ- قبل 1990: بعد الاستقلال جاء تدخل الدولة من أجل تحسين وضعية السكان، وتنمية ودمج التجمعات الريفية، وفي هذا الإطار استفادت قصور المنطقة من ثلاثة مراكز عمرانية بالإضافة إلى تيميمون، أما وسائل التعمير (PUP ,PMU ,PUD)[1] في هذه المرحلة، فكانت أغلب اقتراحاتها موجهة نحو هذه المراكز، انصب اهتمامها حول تلبية احتياجات الإسكان، والتجهيزات في التجمعات العمرانية الرئيسية دون النظر إلى ديناميكية إقليم البلدية للقصور المجاورة، مما أدى إلى جذب سكان القصور بالتوسع حول هذه الهياكل.

بعد الترقية الإدارية لـ 1984 (التي تبقى تتكرر دائما في كل الحالات إذ يمكن اعتبارها نقطة بداية التحولات في القصور)، ظهرت 6 مراكز عمرانية فمنها تلك التي تم إنشاؤها بجانب القصور، كما هو الحال بشروين، أولاد سعيد وقصر قدور الذي رغم أن القصر كان مهجور تماما، ومنها التي تم اختيار أماكن جديدة من أجل إقامة هذه المقرات (حالة بوكزين، دلدول)، هذه المراكز جاءت بتنظيم آخر من خلال برمجة أنماط سكنية مغايرة، ذات أشكال هندسية وتجهيزات (التعليمية والإدارية) لم تكن موجودة من قبل في القصر، مع انعدام النسج العمراني التقليدي (الخريطة 14)، التوسع المجالي لتلك المراكز كان بطيء جدا في هذه الفترة، أما وتيرة النمو المجالي في تيميمون فكانت جد سريعة،

[1] PUD المخطط العمراني الموجه، PMU المخطط التحديث العمراني،PUP المخطط العمراني المؤقت

باعتبارها أكبر التجمعات السكانية، فقد فاق عدد سكانها 10000نسمة 1987، لكن ليس بنفس الوتيرة في كل من تينركوك واوقروت.

خريطة (14): التوسع المجالي لمقر بلدية دلدول

ب- بعد 1990 تدخل المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير بمنطق جديد:

جاء المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير سنة 1990 كأداة للتخطيط المجالي والتسيير الحضري، يهدف إلى تحديد التوجهات الأساسية للتهيئة العمرانية واتجاهات التعمير في البلديات[1]، إلا أن تأثير هذا المخطط في المنطقة اقتصر على التجمعات الرئيسة.

أنجزت المخططات التوجيهية للتهيئة التعمير(PDAU) لبلديات المنطقة في الفترة 1994- 1997 على مستوى الدوائر إن صح القول، لأن كان لكل بلديات الدوائر الأربعة مخطط توجيهي واحد، اعتبر هذا المخطط نطاق القصر في التجمعات الرئيسة من النطاقات المعمرة، حدد القطاعات القابلة للتعمير وقطاعات التعمير المستقبلية لكل مركز خارج القصر، عن طريق برمجة مجموعة من التجهيزات والسكنات بصيغ متعددة، تحدد مخططات شغل الأراضي POS، كيفيات ومقاييس استعمال المجال واتجاهات التوسع، أدى التكثيف من هذه البرامج في المراكز العمرانية إلى حدوث أزمة في العقار،

[1] القانون 90-29 لـ 1 ديسمبر 1990 يتعلق بالتهيئة والتعمير

وهو ما دفع إلى ضرورة مراجعة مخططات الـPDAU، على مستوى كل مراكز بلديات قورارة (هي حاليا في طور الدراسة في أغلب بلديات المنطقة).

اقتصرت توجيهات هذه المخططات في مجملها على مراكز البلديات، إذ يظهر تأثيرها ذلك بشكل واضح في هذه المجمعات، فهي تبرمج فيها أغلب مخططات شغل الأراضي. يتم في بعض الأحيان برمجة هذه المخططات في المجمعات الثانوية في حالة ما كانت المجمعة الثانوية لا تبعد بمسافة كبيرة عن المركز، وموقعها في اتجاه توسعه، كما هو الحال ببلدية بتيميمون التي تضم 11 مخطط لشغل الأراضي، واحد منها فقط في قصر "زاوية سيد الحاج بلقاسم"، هذه المجمعة تبعد بأقل من 2 كلم عن مدينة تيميمون، وتوسع هذا القصر موجه نحوها، ووضع أحد مخططات شغل الأراضي (P.O.S) لهدف واحد فقط، وهو تهيئة الساحة العمومية التي تقام فيها تظاهرة السبوع[1]، أما قصور أوقروت المحاذية لمقر البلدية تيبرغمين، تم دمجها في مخططات شغل الأراضي للتجمع الحضري الرئيسي، بعد حركة التوسع التي عرفها هذا المركز نحو هذه القصور.

في بعض البلديات يتم برمجة مخططات شغل الأراضي، في المجمعات الثانوية خارج حدود التجمع الحضري الرئيسي، عند وقوع هذا التجمع في منطقة غير قابلة للتعمير، بسبب العوائق التي تعترضه، هذه الحالة تميز بها خصوصا مقر بلدية المطارفة (أولاد محمود) فوقوعه على حواف سبخات؛ قلص من أراضيها القابلة للتعمير، وهو ما أدى إلى ضرورة برمجة مخطط لشغل الأراضي في أحد قصورها (الساهلة)، نفس الوضعية عرفتها كل من مراكز بلديات شروين وأولاد سعيد.

2.1.3. توسع عمراني نحو الطرق العامة في قصور المجمعات الثانوية والمبعثرة

إن النمو المجالي في القصور المصنفة ضمن المجمعات الثانوية والمبعثرة، لا يتبع توجهات مخططات التعمير، فهي لم تبرمج فيها أية مخططات لشغل الأراضي، ما عدا بعض التوجيهات التي يقترحها الـPDAU بشكل عام لهذه المجمعات. فتوسع هذه القصور كان بداية الأمر خصوصا في المرحلة الاستعمارية والسنوات الأولى من الاستقلال بجانب القصبة، أو ساحة الجماعة؛ ليتحول في أغلبها في سنوات 1980؛ نحو الطرق العامة التي أنجزتها الدولة خلال هذه المرحلة (بلدية، ولائية، وطنية) (الخريطة 15).

[1] السبوع: تظاهرة سنوية تقام في المنطقة بمناسبة المولد النبوي الشريف تستقطب عدد هام من السواح نحو المنطقة.

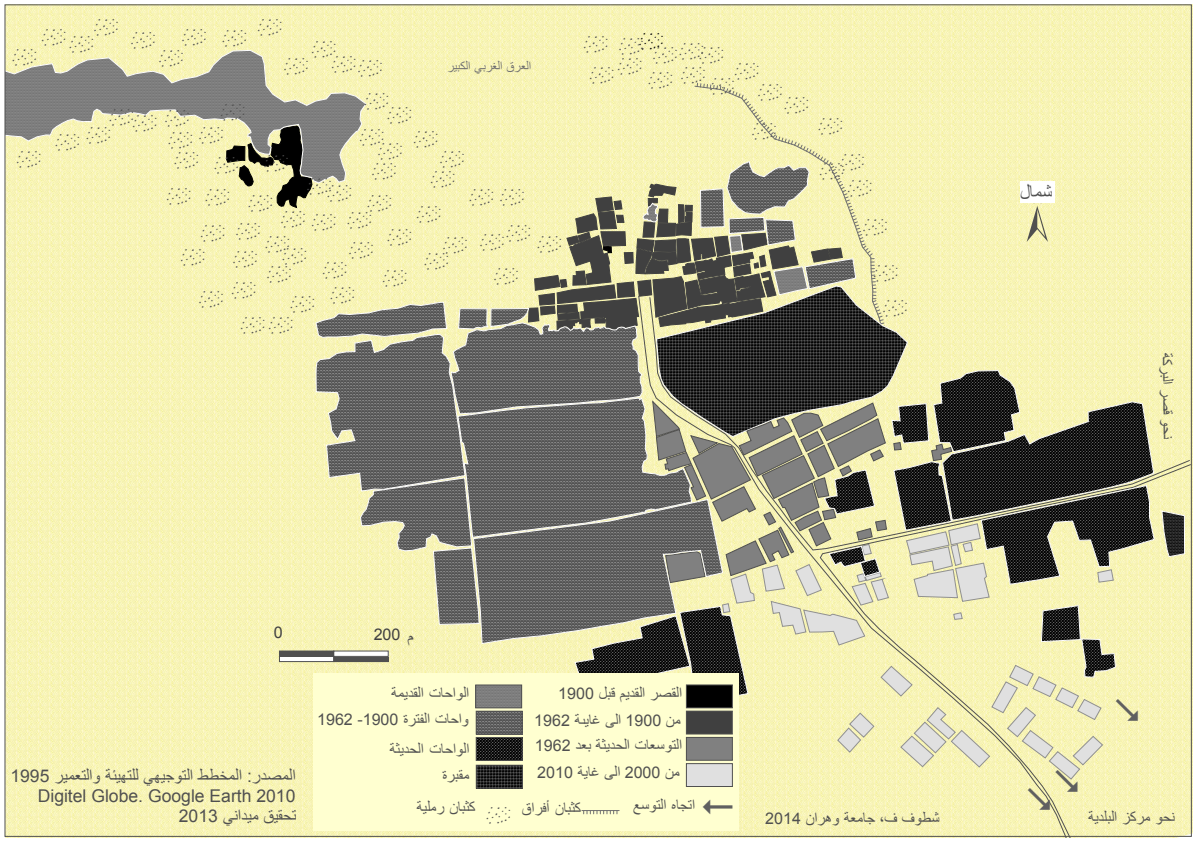

خريطة (15): التوسع المجالي لقصر اقسطن

تقتصر التوجيهات التي يقترحها المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير في هذه القصور على تحديد اتجاه التوسع وعامل شغل واستغلال الأرض (COS) إلا أنه لم يتم اتباعها.

فقد حدد المخطط التوجيهي اتجاه توسع قصر "الواجدة" أحد القصور الجنوبية لبلدية تيميمون، نحو الجهة الشمالية على طول الطريق البلدي رقم 16، الذي يربطه بالطريق الوطني رقم 51 على بعد 2 كلم، حيث نجد بعض المساكن التي استفاد منها القصر في إطار البناء الريفي وبعض التجهيزات، فيما لم يتم اتباع هذا الاقتراح من طرف سكان القصر، الذي أصبح توسعهم في السنوات الأخيرة يأخذ اتجاهات متعددة نحو الجنوب والغرب (الخريطة 16)، على طول الأراضي التي يتم استغلالها بشكل مجاني (عشوائي)، دون أي تدخل لمصالح البلدية، هذه الظاهرة أصبحت تأخذ منحى واسع في كل القصور التي لا تدخل في حدود مخططات شغل الأراضي وفي غياب وكالات الدولة المنظمة للعقار.

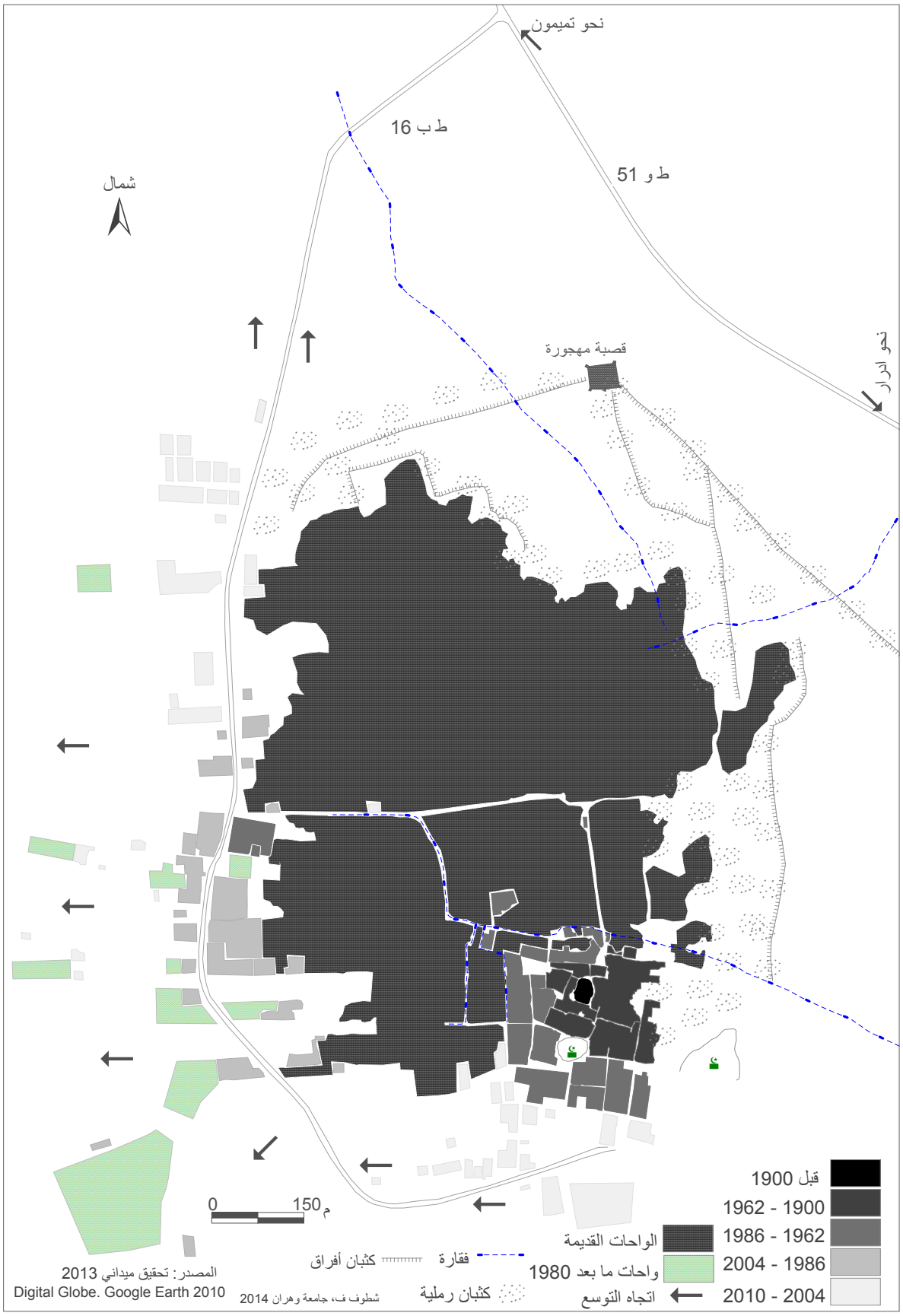

خريطة (16): التوسع المجالي لقصر الواجدة

2.3. برامج سكنية متعددة أعطت تنظيم مجالي جديد للقصور

ارتبطت وتيرة التعمير السريعة التي أصبحت تعرفها القصور؛ بالإفراط في تلبية الطلب المتزايد لحاجيات السكان الذي يسعى لتحسين شروط حياته الاقتصادية والاجتماعية، ويعتبر السكن من بين القطاعات الذي أثر وتأثر بهذه الظاهرة، فتوجه اهتمام الدولة نحو تنمية مستوى التجهيز وتوفير السكن في المجمعات الريفية الصحراوية؛ في السنوات الأولى من الاستقلال، على غرار مختلف مناطق الوطن، أدى بها إلى حل المشاكل العالقة في هذا المجال في السنوات الأخيرة. تدخلت الدولة ببرامج مختلفة منها تلك الخاصة بالمناطق الصحراوية (برامج البناء الصحراوي، والبرنامج الخاص بالجنوب P.S.S)، ومنها التي جاءت في إطار المخططات الخماسية، كثفت هذه المشاريع من إنتاج السكن بصيغ متعددة لم تكن موجودة من قبل في القصر، خصوصا بعد مجيء عنصر بشري جديد جذبه الشغل وتوفر التجهيزات، فمن التحصيصات السكنية في سنوات 1980، إلى تنوع صيغ السكن منذ 1990 إلى يومنا هذا (السكن التطوري، الاجتماعي، التساهمي، إعانات البناء الريفي وإعادة الاعتبار للسكن الهش R.H.P). اختلف توزيع هذه الأنماط من السكن في القصور، باختلاف وظائفها وأحجامها، منتجة بذلك نطاقات جديدة خارج نسيجها التقليدي.

1.2.3. مراكز البلديات: برامج سكنية بصيغ مختلفة غيرت من مرفولوجية القصور

إن تعدد صيغ إنتاج السكن اقتصر بشكل خاص إنشاؤها بجوار القصور، التي توجد حدودها ضمن المراكز العمرانية. منذ 1970 كلف ديوان الترقية والتسيير العقاري؛ بعمليات إنجاز ومتابعة البرامج السكنية المجمعة في هذه المراكز، فقد أشرفت هذه المؤسسة منذ 1973 إلى 2013 على متابعة أكثر من 5150 وحدة سكنية، موزعة عبر كل مراكز بلديات قورارة (جدول 15)، أما فيما يخص السكن الفردي فقد تم تنظيم إنتاجه في إطار التجزئات والتعاونيات العقارية.

تحصل مدينة تيميمون في كل مرة على أكبر حصة سكنية، باعتبارها أكبر المراكز العمرانية بالمنطقة، كانت بداية هذه البرامج بها منذ 1973، وهي المركز الوحيد الذي استفاد من 20 مسكن، ثم من 110مسكن سنة 1978، و60 مسكن في نفس السنة، وجهت لموظفي قطاع الأمن، بالإضافة الى حصة 200 مسكن سنة 1979، ما ميز هذه البرامج هو أن العض منها كان عبارة عن مساكن شبه جماعية، ووجهت على شكل حصص للموظفين في بعض القطاعات الإدارية، بعد 1980 بدأت تبرمج هذه السكنات في المراكز العمرانية الأخرى، إلا أنها اقتصرت إلى غاية 1990على أوقروت، تينركوك، شروين وأولاد سعيد، بحصص تتراوح ما بين 5 و35 مسكن في كل مركز، بخلاف تيميمون التي تمنح لها أكبر حصة دائما؛ حيث استفادت من برنامج 200مسكن آخر في 1981.

جدول (15): المساكن التي أشرف على إنجازها "OPGI"[1] ما بين 1973- 2013

البلدية	عدد المساكن	النسبة %
تيميمون	2300	50
اولاد سعيد	245	7, 3
اوقروت	742	13,3
دلدول	203	3,7
المطارفة	123	2,5
تينركوك	485	8,1
قصر قدور	180	3,6
شروين	469	7,8
اولاد عيسى	185	3,9
طلمين	227	3,4
المجموع	**5159**	100

المصدر: ديوان الترقية التسيير العقاري تيميمون 2013

خلال سنوات 1980 أدرجت أنماط سكنية أخرى في هذه المراكز؛ تمثلت في التجزئات والتعاونيات العقارية، فقد اعتمد هذا النمط في كل المراكز تقريبا، خصوصا التجزئات التي أنجزت من طرف البلدية؛ عن طريق تقسيم الأراضي التي تدخل ضمن احتياطاتها العقارية. استفادت مدينة تيميمون من 11 حصة في إطار التجزئات، أنجز خلالها إلى غاية 2006 حوالي 2165 وحدة سكنية (منها تجزئة 450، و401 قطعة برمجت في السنوات الأخيرة)، و24 تعاونية عقارية أنجز خلالها 1611 قطعة سكنية، أما المراكز الأخرى فكانت أقل حظا في هذا النمط، فمركز بلدية شروين مثلا بني به 344 مسكن في إطار التجزئات، في حين استفادت كل من أولاد سعيد وتينركوك من 50 قطعة سكن فقط لكل واحدة منها، في نفس الفترة (Yousfi B, 2012)، أما تيبرغمين استفادت في السنوات الأخيرة من 5 حصص في هذا الإطار حيث ستساهم في إنجاز 424 وحدة سكنية.

بعد 1990 اعتبر قطاع السكن من الأولويات الكبرى في السياسة الاقتصادية والاجتماعية للدولة، من خلال هذا القرار تم التكثيف من إنتاج السكن، فهذه البرامج خصصت لمختلف الفئات الاجتماعية، كالسكن العمومي الإيجاري (LPL) (الصورة 4 ص 97)، السكن الوظيفي، السكن الترقوي والتطوري (LE)، والبناء التساهمي (LSP). أشرف على إنجاز أغلب هذه البرامج؛ ديوان الترقية والتسيير العقاري، تأثرت المراكز العمرانية لقورارة بهذه السياسة خاصة في مقرات الدوائر، أين برمجت فيها هذه المساكن بمختلف صيغها، هذه الوضعية تميزت بها خصوصا مدينة تيميمون، التي استفادت بأكثر من 290 سكن اجتماعي، 142 سكن تطوري، بالإضافة إلى برامج أخرى منها التساهمي والوظيفي،

[1] ديوان الترقية والتسيير العقاري

وذلك خلال الفترة 1990- 2000، أما في أوقروت فأنجزت بها 14مسكن تساهمي، 42 سكن وظيفي، وأكثر من 80 مسكن ترقوي، نفس البرامج عرفتها كل من تينركوك وشروين، أما مراكز البلديات الأخرى فقد اقتصر فيها صيغ السكن في أغلبها، على السكن الاجتماعي والوظيفي بحصص لم تتجاوز 20مسكن لكل بلدية خلال هذه الفترة.

في إطار المخطط الخماسي الأول (2005-2009)، تم تخصيص برنامج سكني خاص بالجنوب (PSS)، بالإضافة إلى الصيغ السابقة الذكر؛ شمل كذلك برنامج البناء الريفي المجمع(HR)، أنجز خلاله أكثر من 900 مسكن؛ موزع عبر كل المراكز حسب الاحتياجات، ما عدا مركز بلدية أولاد عيسى الذي لم يستفد منه (الشكل 8).

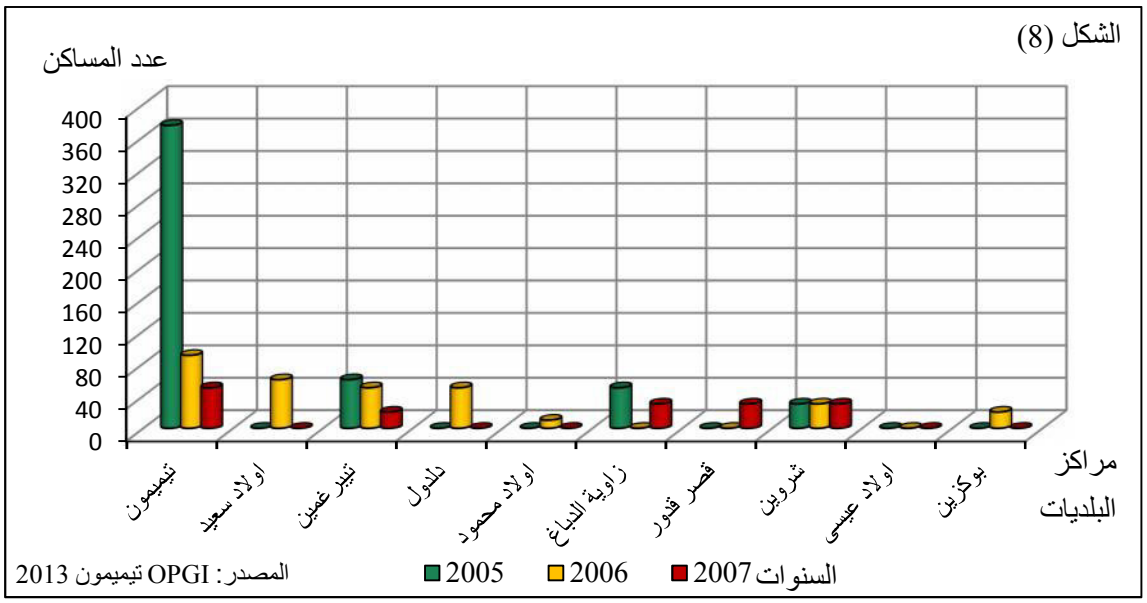

شكل (8): المساكن المنجزة بمتابعة من OPGI في إطار برنامج PSS (2005- 2009)

إن مراكز البلديات التي لم تكن تمنح لها حصص سكنية في السنوات السابقة، كان لها حظا أوفر خلال المخطط الخماسي الأخير (الشكل9)، الذي برمج في إطاره حوالي 1830مسكن بصيغة السكن العمومي الإيجاري في المراكز العمرانية لقورارة، فأما في 2010 فقد استفادت ولاية ادرار من برنامج 2000 وحدة سكنية خصص منها 530 لهذه المجمعات، ما عدا أولاد سعيد وتيميمون اللتان لم تستفيدا من هذا البرنامج. خلال 2011 برمج لولاية ادرار 4000 مسكن بنفس الصيغة (LPL) على شطرين، الشطر الأول تمثل في برنامج 1000مسكن، منحت منها 440 وحدة لبلديات قورارة، أما الشطر الثاني فتمثل في برنامج 3000مسكن؛ حصلت منها منطقة قورارة على 860 وحدة سكنية.

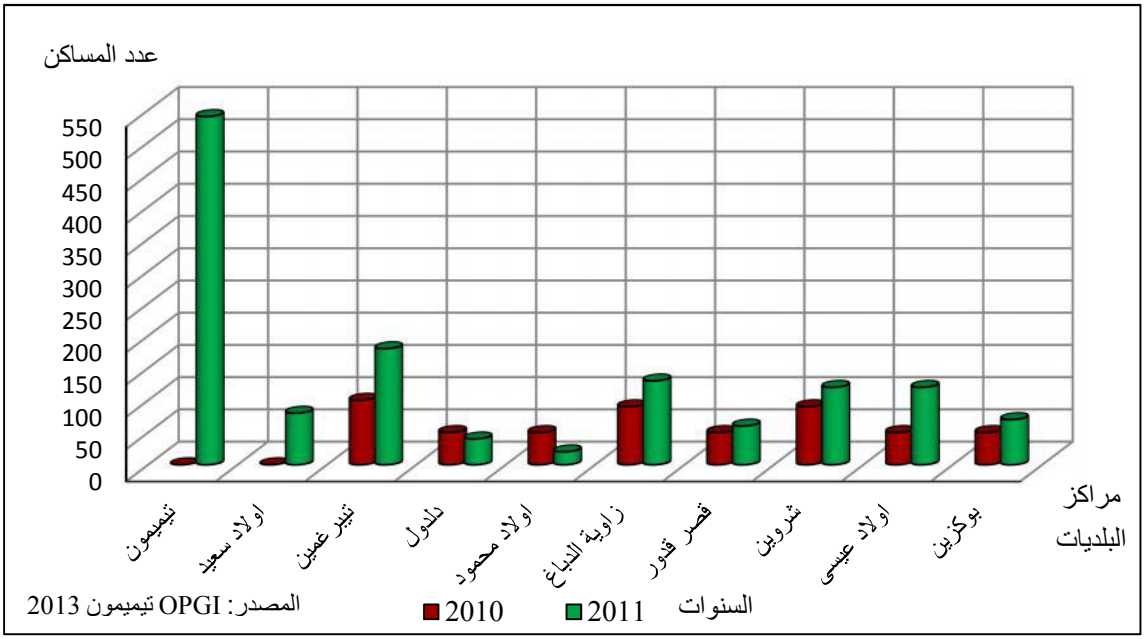

شكل (9): المساكن المنجزة بمتابعة من OPGI في إطار المخطط الخماسي (2010- 2014)

صورة (4): برامج السكن العمومي الإيجاري بإحدى مراكز بلديات قورارة (2013)

إن أرقام البرامج السكنية التي أنجزت في هذه المراكز العمرانية بمختلف صيغها؛ كانت كفيلة بإنتاج أحياء جديدة؛ ذات مميزات في استهلاك وتنظيم المجال، مغايرة لخصائص النسيج السكني الكثيف والمتراص للقصر (صورة 5)، فبمقارنة المجال الذي يشغله النسج التقليدي، والذي تشغله هذه البرامج نجد هذه الأخيرة أكبر بكثير منه، وهي لم تساهم فقط في إنتاج نطاقات حديثة بجوارها، ولكن كذلك أدت إلى إعادة تنظيم المجال اجتماعيا؛ بجذب فئات اجتماعية من أماكن مختلفة خصوصا من المجمعات المجاورة، مشكلة بذلك أحياء ذات تركيب اجتماعي متنوع، يختلف عن ذلك التركيب القبلي الذي كان يتنظم به القصر، كما أن ظهور هذه الأحياء بشكل مكثف بجانب القصر، بأنماط سكنية حديثة

والتي غالبا ما تكون أكثر تجهيزا بهياكل غير موجودة في النسيج التقليدي، جعلت من سكان القصر يتخلون عنه إما بالهجرة الكلية ليصبح جزء غير ديناميكي، وعلى هامش هذه التوسعات بعدما كان مجال للنشاط الزراعي، أو التغير في أشكال النمط التقليدي للسكن، وهو ما سيؤدي شيئا فشيئا إلى فقدان ملامحه التي كان عليها أو إلى اختفاءه كليا.

صورة (5): ظهور أحياء جديدة بصيغ سكنية مختلفة خارج نطاق القصر بمدينة تيميمون

2.2.3. إعانات الدولة للسكن في قصور المجمعات الثانوية والمبعثرة

إذا كان التنوع في أنماط السكن خصص للقصور المصنفة كمراكز عمرانية، فإن القصور التي بقيت كمجمعات ثانوية، عرفت نمط آخر من إنتاج السكن تمثل في البناء الريفي، أو إعانات الدولة في إطار البناء الريفي، وإعادة الاعتبار للسكن الهش في القصور، هذا النمط كانت بدايته منذ نهاية الثمانينات؛ بهدف تحسين ظروف السكن في هذه التجمعات، أما عملية تسيير هذه الإعانات المالية فقد كلف بها الصندوق الوطني للسكن (CNL) في السنوات الأخيرة. المنح المالية التي استفادت منها قصور قورارة فاقت الـ20000 إعانة خلال الفترة ما بين 1993 و2011، وزعت هذه المبالغ المالية في إطار المساعدة على البناء الريفي، أو إعادة الاعتبار للسكن القصوري، بالإضافة إلى مساعدات مالية وجهت للسكنات المتضررة من أمطار 1998 و2004، وتجدر الإشارة هنا أنه خصص منها جزء لساكني القصور الموجودة ضمن المراكز العمرانية. أدت هذه العملية إلى تحول مجالي واضح للقصور خاصة في الآونة الأخيرة، أين تم التكثيف من إنتاج السكن في هذا الإطار.

1.2.2.3. البناء الريفي والهش: برنامجين يهدفان إلى تحسن وضعية وإعادة الاعتبار للسكن القصوري

تمنح الإعانات المالية من أجل مساعدة سكان المناطق الريفية، في الحصول على مساكن لائقة في أماكن تواجدهم، وهو ثلاث حالات: إما الاستفادة من المبلغ المالي بأكمله، وهذا النوع يكون أكثر في القصور الريفية؛ التي غالبا ما يملك أصحابها مساكن طوبية، والتي يتم إعادة بناءها بهذه المنحة، أو يملكون عقارات والتي تكون ملكيتها في هذه المجمعات؛ في أغلب الحالات بصفة مجانية، النوع الثاني هو في حالة ما إذا كان المستفيد لا يملك عقار للبناء، في هذه الوضعية يمنح جزء فقط من هذه المنحة والجزء الآخر يتم الاستفادة منه على شكل عقار، هذا النوع يكون أكثر في المراكز العمرانية التي تتميز بصعوبة الحصول على أرض للبناء، عملية الإنجاز في هاته الحالتين تتم من طرف المستفيد، أما النمط الثالث فيتمثل في السكن الريفي المجمع تشرف على إنجازه البلدية، قد يكون هذا النوع في القصور الريفية كما قد يكون في المراكز العمرانية.

في إطار امتصاص السكن الهش، برمجت الدولة منذ 2007 عملية إحصائية لهذا النوع من السكن على مستوى الوطن، من أجل التخلص منه نهائيا عن طريق عملية الهدم وإعادة البناء، إلا أنها اعتبرت بموجب هذا القرار السكن القصوري نمط تقليدي، يجب إعادة الاعتبار له عن طريق الترميم، من أجل تحقيق ذلك خصصت إعانات مالية؛ للسكنات التي تم تصنيفها ضمن السكن الهش الذي يجب ترميمه.

الإعانات المالية التي خصصت لهذه البرامج؛ ترتفع مبالغها تدريجيا من سنة لأخرى، فبعد أن كانت لا تتجاوز 50 الف دج (000 50 دج) سنة 1986، أصبحت اليوم 000 1000 دج للمسكن الواحد هذا بالنسبة للسكن الريفي، أما الحصص المخصصة للترميمات فقد كانت لا تجاوز 200ألف دج (000 200دج) عند بداية هذه العملية، أما حاليا فهي عند مبلغ 500ألف دج (000 500دج).

أما المستفيدين من هذه المنحة فيخضعون للشروط المبينة، في التعليمة الوزارية المشتركة رقم 06 المؤرخة في 31 جويلية 2002، والمتضمنة كيفيات إنجاز عمليات السكن الريفي في إطار جهاز التنمية الريفية، إذ يجب على كل مستفيد تسوية الوضعية العقارية للأرضية أو للمسكن المراد بناءه عن طريق إعداد رخصة البناء، خاصة وأن طبيعة ملكية السكن القصوري تخضع للقوانين العرفية. تتم متابعة عملية تقدم أشغال إنجاز هذه المساكن من طرف البلدية، و تسدد هذه الإعانات حسب نسبة تقدمها أي عملية الإنجاز، ويشترط أن تكون واجهة المسكن باللون الأحمر لمنح المبلغ المالي النهائي.

جدول (16): المساعدات المالية التي استفادت منها البلديات خلال 1993- 2011

البلديات	عدد المساكن	النسبة%*
تيميمون	2012	18,1
اولاد سعيد	1010	8,8
اوقروت	1275	11,2
دلدول	794	7
المطارفة	993	8,7
تينركوك	1255	11
قصر قدور	967	8,4
شروين	1151	10,1
اولاد عيسى	923	8,1
طلمين	979	8,6
مجموع قورارة	11423	**28,2
ولاية ادرار	40440	-

* النسب المئوية للبلديات بالنسبة لمجموع منطقة قورارة المصدر: البلديات، SLEP[1]، 2013
** النسبة المئوية لمنطقة قورارة بالنسبة لمجموع ولاية ادرار

استفادت منطقة قورارة في إطار المساعدة على البناء الريفي، من أكثر من 11000 إعانة مالية خلال الفترة ما بين 1993- 2011، أي ما يمثل 28% من مجموع الإعانات التي استفادت منها ولاية ادرار خلال نفس الفترة (الجدول16)، وزعت هذه المنح على القصور، ففي السنوات الأولى من بداية هذه العملية، التوزيع كان يتم بشكل عشوائي في المجمعات، لكن سرعان ما تطور اليوم، وأصبح يعتمد على عدد سكان القصر، وحسب الاحتياجات وعدد الطلبات، التي أودعت إلى البلدية وبالتشاور مع مسؤولي القصور (الخريطة 17).

[1] SLEP: فرع السكن والتجهيزات العمومية لدوائر منطقة قورارة.

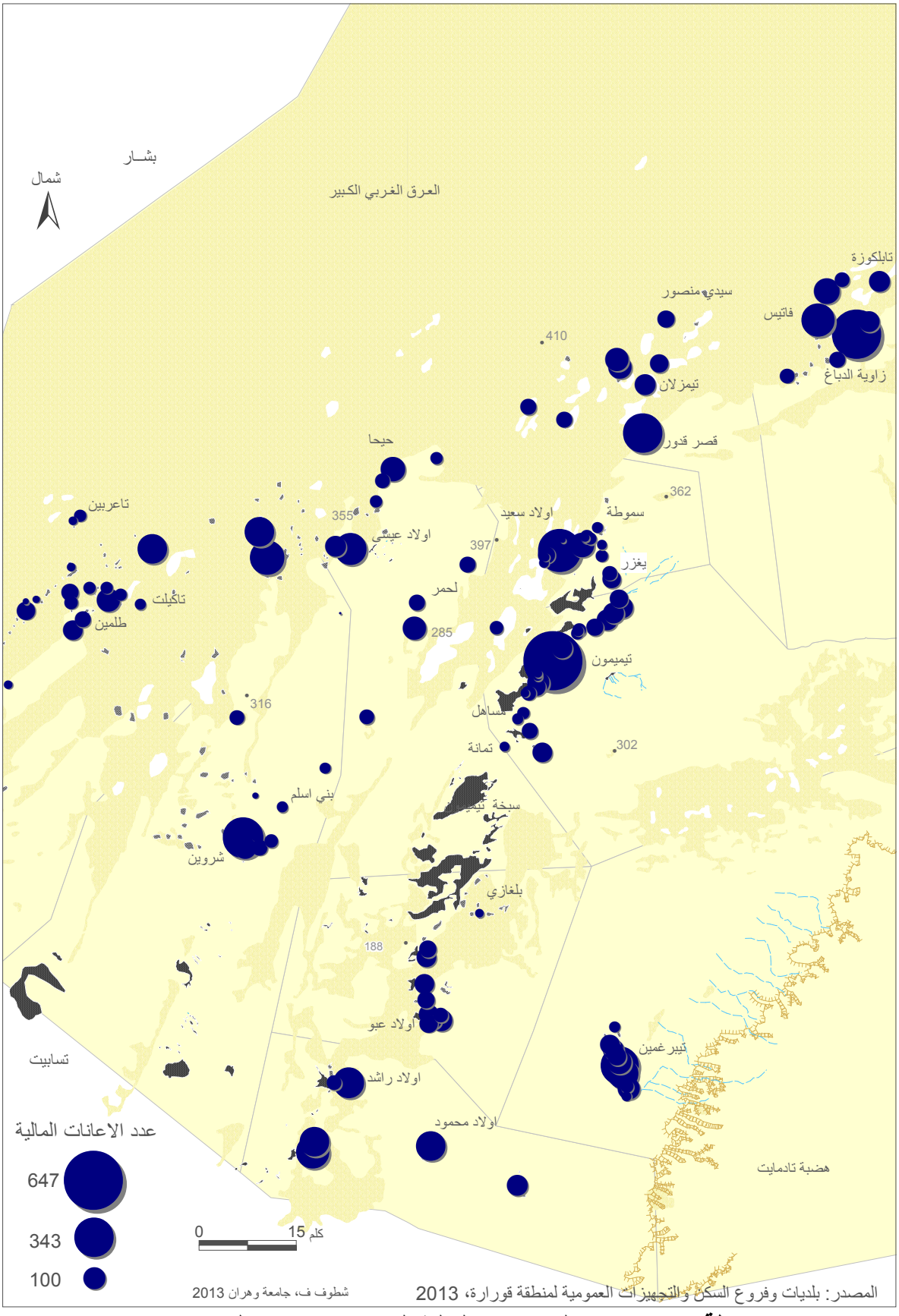

خريطة (17): توزيع المساعدات المالية التي استفادت منها القصور في إطار البناء الريفي خلال 1993- 2011

من أجل إعادة الاعتبار للسكن القصوري (السكن الهش)، خصص لقصور قورارة خلال 2011 في إطار المخطط الخماسي 2010- 2014 أكثر من 2000 إعانة، حسب الحوار الذي أجريناه مع المسؤولين المحليين للمنطقة، يتم توزيع هذه الإعانات هي الأخرى على سكان القصور حسب درجة هشاشة المساكن المحصاة واحتياجات السكان، بالإضافة إلى تدخل عدد سكان القصر، وهو ما يظهر من خلال (الجدول 17)، فالبلديات الأكبر حجما من حيث عدد السكان كتيميمون، تينركوك وأوقروت وجه لها أكبر عدد من هذه المنح (الخريطة 18)، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه تم استغلال جزء من هذه المنح بطريقة مغايرة، ففي إطار تهيئة وتوسيع الطرقات داخل النسيج التقليدي للقصور، يتم الاستفادة من هذه المنحة كل من يقع مسكنه ضمن الحدود التي سيعبرها الطريق.

جدول (17): توزيع المساكن الهشة المستفيدة من الإعانات حسب بلديات قورارة سنة 2011

البلديات	عدد المساكن الهشة 2011	عدد المساكن الهشة المستفيدة من الاعانات 2011
تيميمون	2946	*552
اولاد سعيد	1003	140
اوقروت	795	290
دلدول	663	140
المطارفة	402	170
تينركوك	1280	350
قصر قدور	428	70
شروين	900	240
اولاد عيسى	700	160
طلمين	1200	160
ولاية ادرار	**10317**	**2272**

*عدد الاعانات المالية لبلدية تيميمون فى 2013

المصدر: البلديات، SLEP، 2013
Monographie wilaya d'Adrar 2011 (DPAT)

إن تمويل الدولة للسكن في هذه القصور، خاصة في الآونة الأخيرة (2012، 2013) التي تعرف فيها هذه العملية ديناميكية سريعة وأرقام كبيرة توجه لهذا البرنامج، فمثلا استفادت قصور بلدية تيميمون لوحدها سنة 2013 من 1500 إعانة في إطار البناء الريفي ونفس الوضعية تعرفها قصور البلديات الأخرى، ساهم في إحداث تحولات مجالية عميقة في القصر، إما بالتخلي نهائيا عن السكن القديم والبناء خارج نطاق القصر، أو بهدم وإعادة بناء المسكن في نفس المكان وبمواد بناء حديثة وأشكال هندسية مغايرة، رغم أنه من بين أهداف هذه البرامج (إعانات السكن الهش) هو إعادة الاعتبار للقصور والحفاظ عليها، إلا أنها تعرف اليوم تحول جذري سيؤدي إلى اختفاءها نهائيا بمرور الزمن (الصور 6، 7، 8، 9 ص 104).

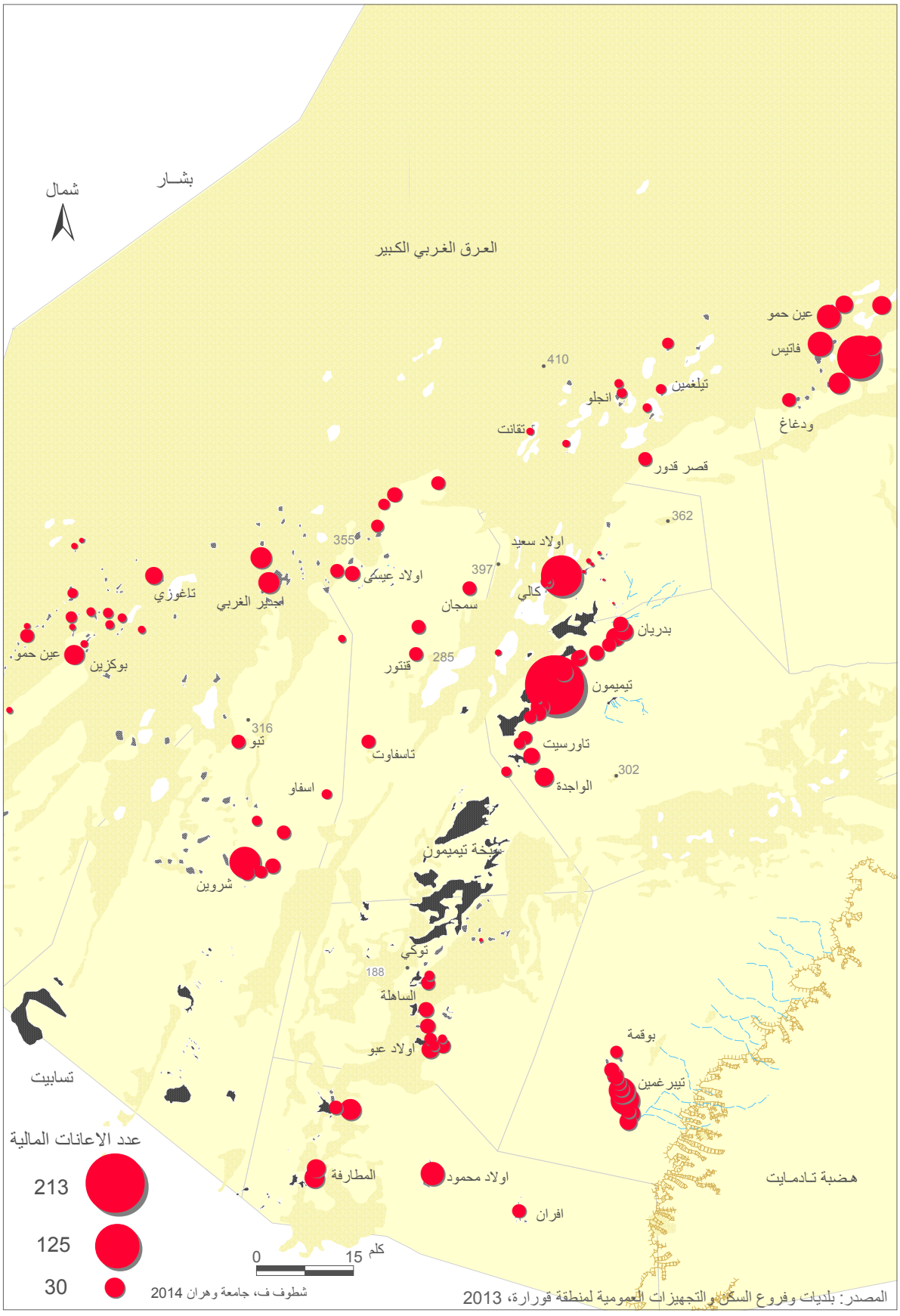

خريطة (18): توزيع المساعدات المالية التي استفادت منها القصور في إطار إعادة الاعتبار للسكن الهش سنة 2011

صورة (6): بناء المسكن خارج القصر

صورة (7): إعادة بناء المسكن داخل القصر

صورة (8): ترميم المسكن ببناء غرفة بمواد بناء حديثة

صورة (9): إنهاء تعديل الواجهة قبل بناء المسكن بهدف التعجيل بالاستفادة من المنحة

صور (6،7،8،9): تأثير برامج البناء الريفي والهش على النسج العمراني للقصر

2.2.2.3. فيضانات 2004: تضرر السكن القصوري وتدخل الدولة لمساعدة المنكوبين

تسبّب الأمطار الغزيرة التي تعرفها المنطقة بين الحين والآخر؛ خسائر وتحولات هامة في المجال القصوري، إما على الجانب العمراني بسبب هشاشة مواد بناء هذه المساكن، أو الجانب الاجتماعي التي تؤدى إلى تغيير أماكن إقامة العديد من السكان. يمكن اعتبار الأمطار التي عرفتها منطقة قورارة في 2004، حدث مهم كان له تأثير عميق؛ وساهم في إحداث تغييرات واسعة على المجال السكني للقصور (تضرر حوالي 10000مسكن) (الجدول18)، وهذا على غرار تلك التغيرات المناخية التي مرت بها المنطقة من وقت لآخر، والتي ساهمت في تدهور وضعية السكن القصوري تدريجيا. تشغل هذه المساكن المتضررة عدد هام من السكان وهو ما جعل الدولة تتدخل لمساعدة أصحابها، من خلال اتخاذ مجموعة من الإجراءات، أهمها برمجة إعانات مالية وبرامج سكنية من أجل إعادة إسكانهم.

وزعت المبالغ التي تراوحت ما بين 50ألف و100ألف دج حسب درجة تضرر المساكن، من أجل ترميمها، فأما المتضررة مساكنهم كليا فقد تم إعادة إسكانهم في أحياء سكنية مجمعة، خارج نطاق القصر، وزعت هذه الإعانات والمساكن على القصور حسب عدد السكنات المتضررة (14سكن ريفي بالواجدة، 146 مسكن في ماسين، 20 مسكن قصر ليشتا...) (الخريطة 19).

جدول (18): توزيع الاعانات المبرمجة للمساكن المتضررة حسب البلديات

البلديات	عدد المساعدات المالية	النسبة%
تيميمون	2840	28,1
اولاد سعيد	916	9,1
اوقروت	454	4,5
دلدول	936	9,2
المطارفة	752	7,4
تينركوك	626	6,2
قصر قدور	303	3
شروين	1220	12,1
اولاد عيسى	724	7,1
طلمين	1343	13,3
المجموع	10114	100

المصدر: البلديات، SLEP، 2013

أعطت هذه البرامج وجه مغاير للقصور، فهي بالإضافة إلى أنها ساهمت في إدخال مواد بناء جديدة إلى القصر، أنتجت أجزاء جديدة بنمط سكني مختلف (صورة 10)، تم فيها إعادة إسكان المتضررين وبالتالي التخلي عن مساكنهم المنهارة وإهمالها. كما أن التوسع المجالي لهذه التجمعات أصبح في أغلبه بجانب هذه الأحياء الجديدة، أما تكرر مثل هذه الظواهر في السنوات الأخيرة في منطقة قورارة، أجبر أغلب سكان القصور على هجرة سكناتهم الطوبية واستعمال مواد حديثة في عمليات البناء.

صورة (10): ظهور حي جديد بقصر تبو بعد إعادة إسكان المتضررين من امطار 2004

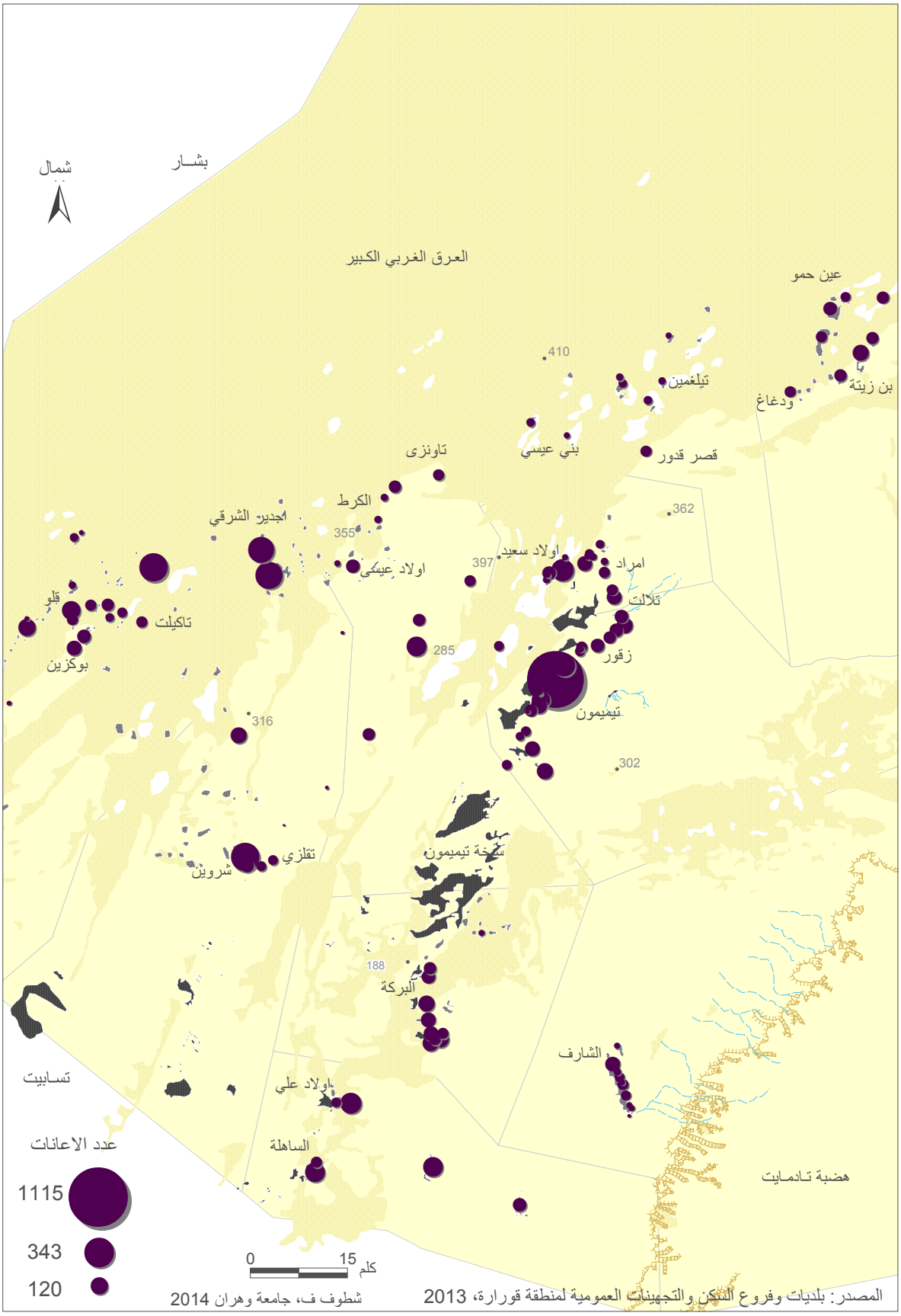

خريطة (19): توزيع إعانات الدولة للمساكن المتضررة من أمطار 2004 في قصور قورارة

خلاصة الفصل الثاني

تأثرت قصور قورارة بشكل واضح بتدخل الدولة الذي جاء بعد الاستقلال، من أجل دمج القصور ضمن المجال الوطني، فإدراجها لسياسة التنمية والتحديث في المنطقة، أنتج تحولات متعددة المجالات، إذ يمكن ملاحظة ذلك مجاليا من خلال الزيادة الديموغرافية السريعة لسكان المنطقة الذي تضاعف من 40400 نسمة سنة 1966، إلى أكثر من 122000نسمة في 2008، بمعدل نمو فاق الـ2% خلال هذه الفترة، هذا النمو السكاني ارتبط خصوصا؛ بتحسن ظروف المعيشة لدى السكان، وجذب المنطقة لتشكيلات اجتماعية جديدة، بسبب التجهيزات التي استفادت منها بعد توالي الترقيات الإدارية، التي سمحت بالانفتاح على العالم الخارجي وفتح سوق العمل، ويتصف النمو السكاني للقصور بالارتفاع خلال الفترة 1987- 1998 في أغلبها خصوصا مراكز البلديات، لكن سرعان ما أصبحت هذه المعدلات منخفضة؛ والبعض منها سالبة خلال الفترة الاخيرة، ويعلق الامر غالبا ببعض القصور التي تتمركز بجوار المراكز العمرانية التي ينجذب أغلب سكانها نحوها.

إن تركز هذه التجهيزات في نقاط دون أخرى (مراكز البلديات خصوصا)، أدى إلى إنتاج حركة مجالية للسكان في المنطقة، وساهم في إعادة توزيعهم في القصور، رغم أن هذا التوزيع تتحكم فيه المعطيات الطبيعية بالدرجة الأولى. فتوفرها في بعض القصور أي التجهيزات ساهم في تجمع السكان نحوها، وهو ما لاحظناه بصفة جلية؛ من خلال تطور نسب تجمع السكان من سنة لأخرى لتفوق 70% في السنوات الأخيرة، إذ تأتي في مقدمة هذه النسب ارتفاعا قصور أوقروت وتيميمون، التي تكاد تصل نسبة تجمع سكانها في المراكز والمجمعات الثانوية 100%، على عكس قصور تنركوك وتاغوزي نجد نسبة التبعثر أكثر ارتفاعا فيها؛ بسبب وقوعها وسط العرق؛ الذي يفرض نمط التبعثر.

انعكست هذه التحولات الديموغرافية بشكل غير مسبوق له، على مرفولوجية القصور التي أصبحت تأخذ أشكالا جديدة، بخضوع جلها إلى منطق مخططات التعمير سواء القديمة أو الحديثة، فإدراج PUD في البداية ثم PDAU بعد 1990 الذي عمد إلى توجيه التعمير واتجاهات توسع القصور خارج النسيج السكني التقليدي، رغم أن بداية انقسام السكن في القصور كان منذ المرحلة الاستعمارية، إلا أن هذا النمط اقتصر على المراكز التي اتخذ منها نقاط تحكم في المنطقة (تيميمون)، أين تشكل جزء هام من المدينة خلال هذه الفترة، أما توجيهات هذه المخططات التي جاءت بها الدولة؛ للتحكم في التوسعات المجالية للقصور فقد اقتصرت في مجملها على مراكز البلديات، التي اختيرت لها نقاطا دون أخرى لتتوسع عليها، على عكس المجمعات الثانوية والمبعثرة، التي لم يعرف أغلبها لحد الآن تدخل هذه

المخططات في توجيه نموها المجالي، إلا أنه يكون في أغلبه خارج القصر، وذلك بجانب التجهيزات والطرق العامة التي أنشأتها الدولة بها حديثا.

إن التزايد الديموغرافي لسكان المنطقة ارتفع بسببه نسبة الطلب على السكن بعدة صيغ، وهو ما دفع الدولة منذ مجيئها، تساهم في إنتاجه بشكل مكثف، خاصة في المراكز العمرانية التي تعددت في أنماط الإنتاج بتعدد البرامج التي جاءت في إطارها هذه العمليات، وما استفادة مراكز بلديات قورارة من أكثر من 5000 وحدة سكنية خلال الفترة 1993- 2011 في إطار السكن الاجتماعي، إلا دليل على ذلك، ناهيك عن الصيغ الأخرى والبناء الذاتي؛ الذي عرفت عملية إنتاج السكن منه وتيرة مرتفعة، أما في ما يتعلق بدعم السكن بالمراكز الريفية، فقد تم التركيز على إنتاجه بصيغتين، البناء الريفي، وبرامج القضاء على السكن الهش التي أصبحت القصور تستفيد من هذا النمط بشكل مكثف خصوصا في الآونة الأخيرة.

هذه التغيرات التي عرفتها قصور قورارة؛ أحدثت فيها تحولات عميقة، إما في أحجامها التي أصبحت تتزايد بشكل مستمر، أو في وظائفها ومرفولوجيتها التي أصبحت تأخذ أشكالا متعددة بعد أن كانت متشابهة نسبيا في السابق. إن تعدد أنماط وأشكال القصور بسبب هذه التحولات ساهم في إعادة تنظيم الشبكة العمرانية للمنطقة التي أصبحت تعرف ترتيبا مغايرا لما كانت عليه.

الفصل الثالث:
قصور قورارة: محاولة تصنيف تهدف إلى تحديد دورها في تنظيم الشبكة العمرانية بالمنطقة.

الفصل الثالث: قصور قورارة: محاولة تصنيف تهدف إلى تحديد دورها في تنظيم الشبكة العمرانية بالمنطقة.

إن التحولات التي عرفتها قصور قورارة، والتي ارتبطت عموما بالمتغيرات الاقتصادية، الاجتماعية، التنظيمية (الإدارية) وكذا المجالية؛ لم تكن بنفس الوتيرة، وليست متشابهة فهي تختلف من قصر لآخر، ذلك ما أدى إلى بروز مجمعات سكانية مختلفة الأحجام، فمنها تلك التي بقيت بحجم صغير (أقل من100نسمة)، ومنها ما ارتفع حجمها السكاني إلى أكثر من 20 الف نسمة، فهذه التطورات السكانية والتي ارتبطت خصوصا بالتحول الوظيفي لهذه القصور؛ انعكست بشكل مباشر على مرفولوجيتها فقد أصبحت تأخذ أشكال مغايرة لتلك التي كانت تميزها.

ساهمت هذه التطورات التي شهدتها القصور بقورارة في هيكلة مجالية من نوع خاص، تتميز بوجود فوارق واختلالات عديدة، فالبعض منها تطور من مجرد مراكز ريفية إلى مراكز شبه حضرية أو حضرية؛ بإمكانها أن تساهم في ميلاد مدن صغيرة يمكن دمجها في الشبكة العمرانية؛ سواء اقليميا أو وطنيا، فيما بقيت قصور أخرى محافظة على طبيعتها كمراكز ريفية بما أن هذه التحولات تتم فيها بوتيرة ضعيفة، فمثلما قد تنعكس هذه التغيرات إيجابيا على بعض القصور، بإمكانها أن تؤثر سلبا على البعض الآخر وذلك عندما تؤدي إلى التقليل من مكانتها مقارنة بتلك التي تطورت وظيفيا واقتصاديا، وبالتالي يتم التخلي عنها لفائدة هذه المجمعات الأكثر أهمية. اعتمادا على هذه التحولات نحاول من خلال هذا الفصل تصنيف القصور، بهدف الوصول إلى ترتيب لها وذلك حسب عدة معايير، فهذا سيسمح لنا بتحديد الفوارق بين هذه المجمعات، والاطلاع في نفس الوقت على الكيفية التي تتنظم بها الشبكة العمرانية للمنطقة.

1. قصور قورارة حسب التصنيفات السابقة: تصنيفات اعتمدت على أشكال وموقع ومواد بناء القصور والقصبات

إن تعدد القصور في المناطق الصحراوية، يفرض بلا شك تعدد في أشكالها، تنظيمها وحجمها، هذه الخاصية التي تميزت بها صعبت على الباحثين تصنيفها لتسهيل دراستها وتحليلها، هناك بعض الدراسات التي تضمنت تصنيف القصور؛ إلا أنه اعتمد أغلبها على أشكال قصباتها ومواقعها كما الحال عند دراسة الباحث **"إيشالي"**، وتصنيفات **"بيسون"** التي صنفت قصور قورارة حسب احتواها على القصبة أو غير ذلك.

1.1. تصنيف (J, Bisson) للقصور:

صنف (J, Bisson) قصور قورارة في 1957 إلى ثلاثة أصناف (الشكل 10)، معتمدا في تصنيفه على كيفية تنظيم العناصر المكونة لهذه القصور كواحة النخيل، موقع القصبة بالنسبة لسكنات القصر، موضع القصر طبوغرافيا.

1.2.1. قصور ذات قصبة: تجمع السكان حول القصبة

إن الصنف الأكثر ترددا في منطقة قورارة، هو القصور التي تحتوي على قصبة تشرف على القصر، وتقع مباشرة بجانب أو أعلى واحة النخيل؛ عندما يتعلق الأمر بالقصور التي تتوضع على منطقة مرتفعة مثل: إغزر، أمراد، تاوريرت، تقلزي، وغيرها. إن وقوع القصبة على حافة المرتفع الصخري يحول دون التوسع المجالي بجانبها مباشرة، لذلك فغالبا ما تنمو هذه القصور تحت المرتفع بجانب أو أعلى الواحة التي تم إنشاؤها هي الأخرى أسفل المرتفع، أما بالنسبة للقصور التي تتواجد بجانب واحة النخيل؛ فذلك يتعلق بالقصور التي تم إنشاؤها على العرق مثل قصر الساقية، تبو، طلمين، في هذه الحالة غالبا ما يكون موقع التجمع السكاني (القصر) عند أقدام القصبة في الجهة الجنوبية الغربية، من أجل التحكم في الرياح ذات الاتجاه من الشرق نحو الشمال الشرقي.

2.2.1. قصور العرق: تبعثر المساكن بجانب القصبة

غالبا ما يتواجد بهذه القصور قصبة أو قصبتين (فاتيس)، أما المساكن فتكون متبعثرة بين الكثبان الرملية المتواجدة بجانبها، وعندما تكون الكثبان الرملية كثيفة تبدو المساكن أكثر تبعثر (قلو، نعمة)، أما إذا كانت غير كثيفة فيكون توزيع المساكن على شكل مجموعات؛ تضم من ثلاث إلى أربع مساكن بالقرب منها واحة النخيل (تاعنطاس، تابلكوزة)، في كلتا الحالتين توزيع هذه القصور يكون مرتبط بنمط السقي (استغلال المياه بشكل يدوي[1])، والذي يتطلب التواجد اليومي للسكان في البساتين.

3.2.1. قصور بدون قصبة: نسيج عمراني متداخل بالواحة

في هذه الحالة تكون السكنات مندمجة أو ملتصقة مباشرة بواحات النخيل، وهذا النوع يكون أكثر ترددا في القصور التي تتواجد على حافة السبخة كقصر (طاروايا بتيميمون، وبعض قصور منطقة دلدول)، أو تلك التي تتواجد على حافة العرق مثل قصور أولاد عيسى.

[1]- تستخرج المياه في هذه القصور بشكل يدوي وهذا راجع إلى عدم ميلان السطح، وما يساعد في ذلك قرب المياه الجوفية من السطح لهذا تحفر الآبار وتستخرج مياهها بواسطة أرجوحة فتدعى بالآبار ذات الأرجوحة، (Les puits a balancier)

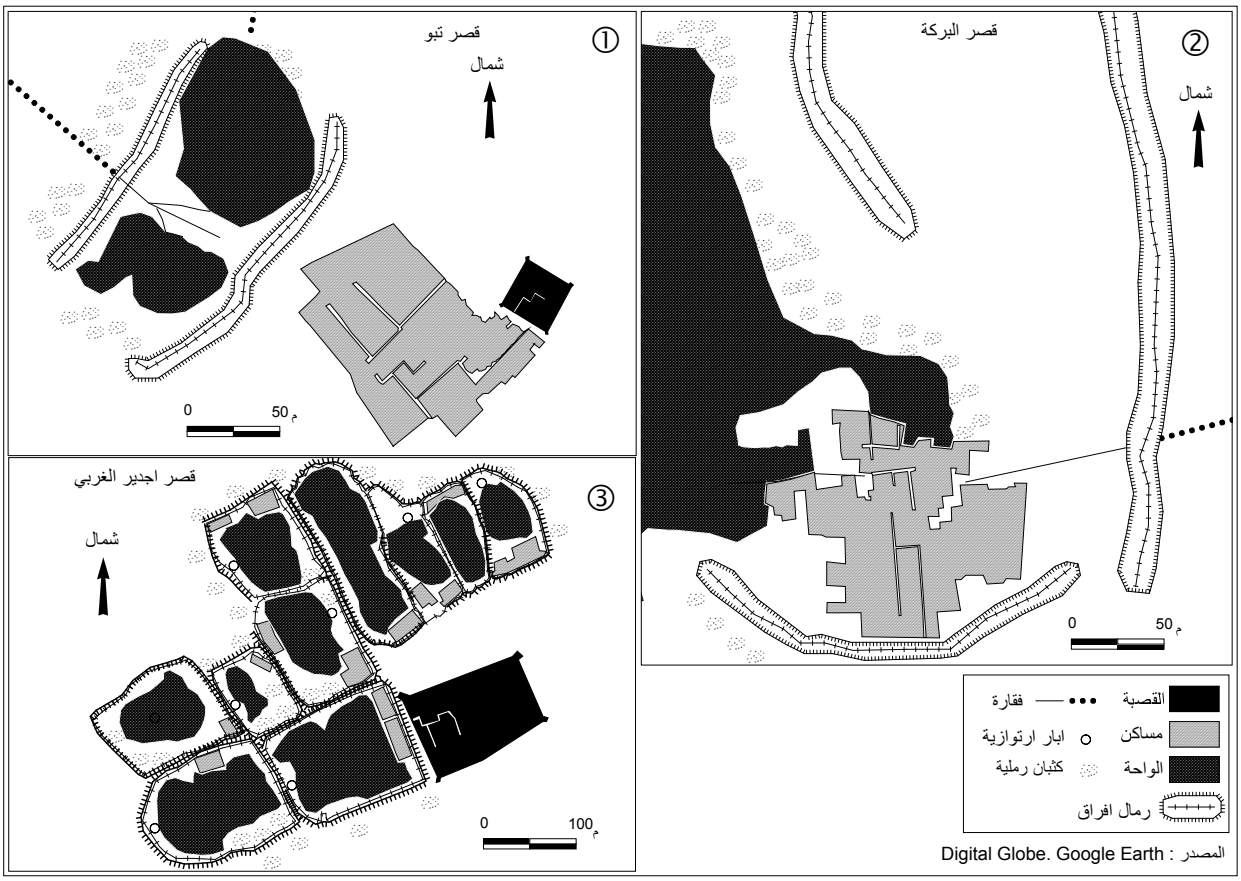

شكل (10): أنماط القصور بقورارة

2.1. تصنيف القصور عند إيشالي J.G.Echallier :

يعتبر " إيشالي J.G.Echallier " من بين الباحثين الذين حاولوا إيجاد تصنيف لهذه القصور؛ بالاعتماد على العديد من المصادر لمن سبقوه في التصنيف، شملت دراسته 333 قصر، اعتمد في تصنيفه على شكل قصبات ومباني هذه القصور وكذا موضعها، وانتهى بتقسيمها إلى ستة أنماط. لم تكن دراسة الباحث "إيشالي" خاصة بقصور قورارة على وجه التحديد، إلا أنه من خلال المواصفات التي صنف بها هذه الأنماط؛ التي يمكن تلخيصها في الشكل الدائري أو المربع والمستطيل لقصبات هذه القصور، والتي قد تكون على مرتفع صخري أو غير ذلك، وحسب الجولات الميدانية التي قمنا بها وصور الأقمار الصناعية لقصور قورارة، نجد الكثير منها يحمل هذه المميزات.

النمط الأول: يتميز هذا النمط ببناء السور الخارجي على أطراف هضبة صخرية، وعادة ما يكون القصر قديم وفي وضعية جد متدهورة ومهجور تماما، ويقسمه إيشالي إلى قسمين: الأول يتألف من مجموعة أبنية ضخمة، عادة ما تبنى فوق مرتفع طبيعي يحيط به سور من الحجارة والطين؛ وغالبا ما يكون شكله دائريا، وما يلاحظ على هذا الصنف أن السور يلامس حواف المرتفع الصخري المشيد

فوقه، يمثل هذا النمط مكان لتخزين المنتجات الزراعية وملجأ للسكان عند الضرورة. أما الثاني فهو يشبه الأول غير أنه أكبر منه حجماً وأكثر تقنية.

النمط الثاني: يكون أكثر تطورا من النمط الأول وقسمه هو الآخر إلى صنفين: أحدهما يتمثل في كونه عبارة عن مجموعة من الأبنية؛ التي تم إنشاؤها فوق مرتفعات صخرية يحيط بها سور محكم البناء، ونادرا ما يحتوى السور على برج للمراقبة يتقدم المدخل الرئيسي للقصر، يتخذ السور شكلا دائريا أو ذو أضلاع منحنية، أما الصنف الثاني في هذا النمط فهو يشبه الأول في موضعه، ومن الصعب تمييزهما من الخارج إلا أنهما يختلفان عن بعضهما في توزيعهما الداخلي.

إن وقوع منطقة أولاد سعيد على أرضية مرتفعة؛ جعل بعض قصورها تحمل هذه المواصفات التي تتميز بها خصوصا (إغزر، سموطة، فرعون...) (الصورة 11)، وفي قصور شروين "كتقلزي وتاوريرت"؛ التي فرضت الطبيعة الطبوغرافية بناء النواة الأولى لهذه القصور على مناطق مرتفعة، هذا بالإضافة إلى الأسباب الدفاعية التي بنيت من أجلها هذه القصور، لاحظنا أيضا هذا النوع من القصبات عند بعض قصور تيميمون، كقصر "الواجدة" الذي تم بناءه على مرتفع صخري مع وجود خندق ومخازن للمنتجات الزراعية، نفس الخاصية تتميز بها قصبة قصر "تلالت".

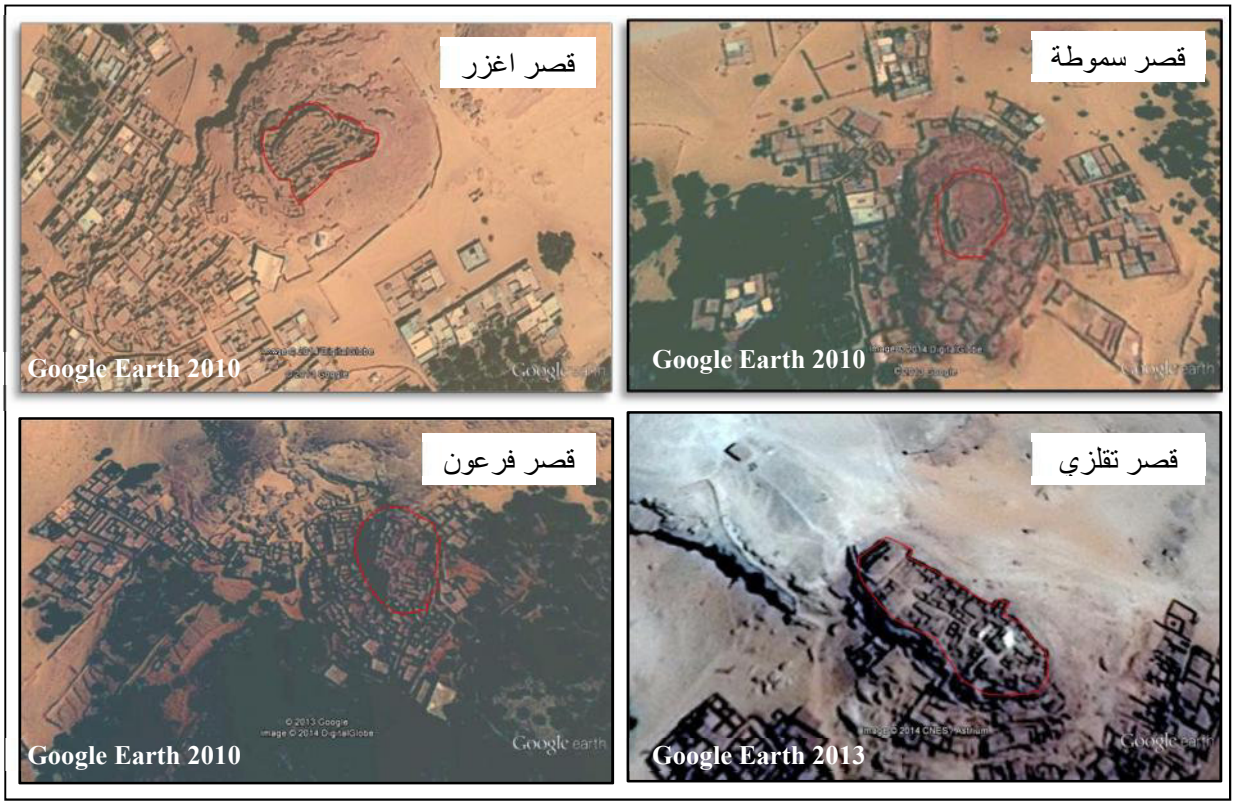

صورة (11): قصور لقصبة من الشكل الدائري بمنطقة قورارة

النمط الثالث: يتشابه مع الأنماط السابقة في مواد بنائه وموقعه، إلا أنه يتميز عنهما في تخطيطه العام، فهو مستطيل الشكل أو مربع، محاط بسور وخندق أحيانا، يخلو هذا النمط تماما من الأبراج الركنية عدا برج أو اثنان للمراقبة؛ ويتم الوصول للقصر عبر الجسر لأن الخندق يحيط به من كل الجهات، عمارته متقنة وذو زوايا حادة.

النمط الرابع: إن هذا النمط هو عبارة عن مباني شيدت من حجارة ضخمة من الملح المخلوط بالطين وهي ميزته الأساسية، أما مخططه فهو غير دقيق لعدم وجود السور المحيط به.

النمط الخامس: تنعدم القاعدة الصخرية التي تميز الأنماط السابقة، وتقنية البناء غير متقنة، وهو يتألف من منشئات حجرية يحيط بها سور مربع أو مستطيل الشكل، البعض منها يحتوي على أبراج ركنية والبعض الآخر لا.

النمط السادس: مبني بالأجور وبالطين شكله يكون مستطيل، وقد يضم أروقة ورحبات للاستراحة، قد يحيط به سور وخندق مربع خالي من الأبراج و ممر السور، وقد يتميز باحتوائه على هذه العناصر.

يتصف بخصائص الشكل المستطيل أو المربع للقصبة؛ التي تتميز بموقعها الذي تنعدم فيه القاعدة الصخرية؛ قصبات قصور قورارة المتوضعة على حواف هضبة تادمايت بمنطقة أوقروت (اقبور، الشارف، بن عايد) (الصورة 12)، بالإضافة إلى قصور دلدول، وبعض قصور تيميمون المتوضعة على حواف السبخة، كما أن وقوع قصور منطقة أولاد عيسى على أرضية منبسطة بنيت فيها قصبات من هذا الشكل.

صورة (12): قصور لقصبة من الشكل المستطيل والمربع بمنطقة قورارة

قد يتلاحم و يتداخل قصران أو أكثر، ينتميان إلى أنماط مختلف مكونة قصر واحد، أو قد يحتوي قصر واحد على نوعين من هذه القصبات كما هو الحال بقصر تاورسيت وتينكرام (الصورة13) الذي يحتوي على نوعين من القصبات

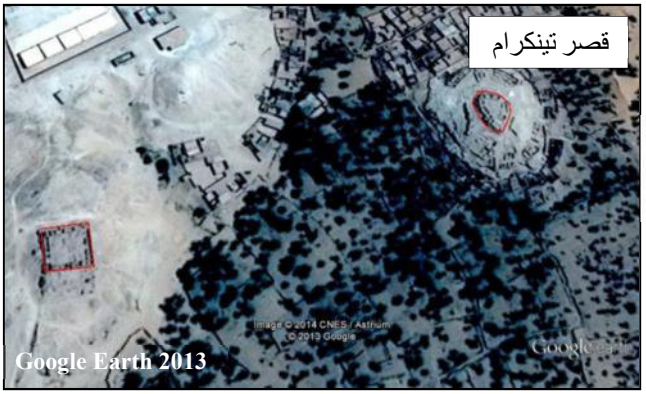

صورة (13): قصر يجمع نوعين المقصبات الشكل المستطيل والمربع

اختلفت أشكال هذه القصور باختلاف القبائل والمهاجرين الذين شيدوا هذه القصور، رغم أن شكلها وتنظيمها الداخلي أمر فرضه الموقع الجغرافي أكثر مما فرضته عوامل أخرى، فالموقع تم اختياره في أغلب القصور لعوامل دفاعية.

عموما أنماط القصبات، موقعها أو مواد بناءها لا يمكن الأخذ بها كمعيار لتصنيف هذه القصور، خصوصا في الوقت الحالي الذي تدهورت، واختفت فيه العديد من هذه القصبات، وإن وجدت فمن الصعب تمييزها، كما أن هذه القصور أصبحت تعرف تحولات مغايرة؛ في مرفولوجيتها، وظائفها وأحجامها وذلك تحت تأثير عوامل جديدة، هو ما يستدعي ضرورة إعادة تصنيفها اعتمادا على هذه التحولات والعوامل المساهمة فيها.

2. خصائص القصور في قورارة اعتمادا على تصنيف متعدد المتغيرات

إن عملية تصنيف المجمعات السكانية المعتمدة عادة من طرف الباحثين، ترتكز على معيارين، يتعلق الأول بالجانب الديموغرافي: حجم هذه المراكز، وتيرة نموها السكاني، الهجرة..، أما الثاني فيرتبط بالمعيار الوظيفي، أي كل الوظائف التي تميز هذه المراكز، سواء كانت حضرية أو ريفية (Hadeid M,2006) ، فكل من هذين المعيارين يتأثر بالآخر؛ إذ يتحكم المعيار الديموغرافي بما فيه حجم هذه المجمعات ومعدل النمو لسكانها في توزيع الوظائف بها، خاصة عندما يتعلق الأمر بالوظيفة الإدارية وما يلازمها من تجهيزات ونشاطات تجارية، كما هو الحال بمنطقة قورارة التي تحكمت التنظيمات الإدارية التي توالت عليها؛ في تنوع التجهيزات التي تتوفر عليها والوظائف الأخرى التي يمكن أن تقدمها القصور، سواء تعلق الأمر بتلك التي تم ترقيتها أو بالتي تأثرت بهذا التنظيم.

باختلاف خصائص المجمعات السكانية من منطقة لأخرى، يمكن إضافة متغيرات جديدة قد تعطي دلالات ذات أهمية في عملية التصنيف. إن التحولات الديموغرافية والوظيفية التي عرفتها منطقة قورارة أثرت بشكل واضح كما سبق وأن ذكرنا؛ على مرفولوجية القصور، حيث أصبحت تعرف أنماط توسع مغايرة لتلك كانت تتميز بها عند نشأتها، هذا الاختلاف، وهذا التحول المجالي السريع

للقصور؛ يستوجب اعتماد هذا العنصر كمعيار في التصنيف. لم نتوقف عند ذلك ولكن أدخلنا متغيرا آخر يتمثل في وضعية نظام الواحة في هذه المجمعات، من خلال إدراج درجة تأثر القصور بزحف الرمال وحالة الفقارة، خصوصا إذا تم ربطه بالمعايير السابق ذكرها؛ فسيسمح لنا ذلك باستنتاج ما إن كان لهذه المعايير دور في تراجع نظام عمل الفقارة أم لا؟ باعتبارها العنصر الرئيسي الذي ساهم في نشأة القصور.

1.2. منهجية التصنيف باستخدام التحليل الاحصائي

تتمثل المنهجية التي سيتم اعتمادها في عملية التصنيف، في التحليل الإحصائي باستخدام عدة متغيرات، وهو أسلوب إحصائي يستعمل من أجل توظيف بيانات متعددة؛ ارتبطت فيما بينها بدرجات مختلفة، ليتم تلخيصها في صورة تصنيفات مستقلة قائمة على أسس نوعية مشتركة، وفقا للإطار النظري والمنطق العلمي. نتيجة لتطور التحليل العاملي أو بالعوامل (AF)[1] واتساع استخدامه في العلوم الانسانية، أصبح هذا الأسلوب نموذجا رياضيا مناسبا لتفسير الكثير الظواهر الاجتماعية، الجغرافية، الطبيعية وغيرها. فالغرض الأساسي إذاً من هذا النوع من التحليل؛ هو دراسة ظاهرة معينة قصد إرجاعها إلى أهم العوامل التي تؤثر فيها، من خلال استخراج العلاقات بين عدة متغيرات، ويعتمد تركيب هذه العوامل على أسس إحصائية مثل الانحدار، النماذج النسبية أو الارتباط، بحيث يكون عددها أقل من عدد المتغيرات الأصلية، وبالتالي تساعد على فهم طبيعة العلاقات بين هذه المتغيرات.

هناك عدة طرق يتم الاعتماد عليها في التحليل العاملي (AF)، هذا حسب نوع المعطيات أهمها: طريقة التحليل العاملي التوافقي أو التقابلي (AFC)[2]، والتحليل بالمكونات الأساسية (ACP)[3]. تأتي هذه الأخيرة في مقدمة هذه الطرق نظرا لبساطتها.

طريقة التحليل بالمكونات الأساسية (ACP):

تهتم هذه الطريقة بالمتغيرات الكمية، تهدف إلى دراسة العلاقات بين المتغيرات، وتلخيص مجموعة كبيرة من المعطيات الكمية؛ وذلك من خلال تحديد المركبات الأساسية التي تلخص المتغيرات المقاسة. كما أنها تهدف إلى عرض البيانات في فضاء ذو بعد منخفض، مع المحافظة على أكبر قدر من المعلومات. من بين الأهداف التي يستعمل من أجلها هذه الطريقة من التحليل كذلك؛ هي تكوين متغيرات غير مرتبطة خطيا فيما بينها انطلاقا من المتغيرة الأصلية.

[1] L'analyse factorielle
[2] L'analyse factorielle des Correspondances
[3] L'analyse en composantes principales

2.2. محاولة تصنيف قصور قورارة بالتحليل العاملي

إن تصنيف القصور بالاعتماد على التحليل بالعناصر الأساسية، سيسمح لنا باستخلاص أهم الخصائص التي تميزها وتلك التي تجمع البعض منها، وباستعمال هذا النوع من التحليل عن طريق الاستعانة ببرنامج SPSS الذي يعتبر من أكثر البرامج استعمالا، من أجل تلخيص مجموعة من البيانات بمتغيرات متعددة، فهو يعمل على تحديد العوامل (المكونات)، التي تفسر أفضل تشتت نحو المتغيرات.

اعتمادا على طريقة التحليل بالمكونات الأساسية (ACP)، حاولنا إيجاد تصنيفات لقصور قورارة بعدة متغيرات، تتلخص فيها أهم الخصائص التي تتميز بها. تم تمثيل نتائج تحليل المتغيرات؛ بالعاملين 1و2 باعتبارهما أكثر العوامل تمثيل؛ نظرا لتمثيلهما لأكبر عدد من المعطيات، 39,8% من المعطيات للعامل1، و13,5% للعامل2.

ما يمكن ملاحظته (الشكل11 أ ص 119)، هو تجمع لبعض المعايير في مجموعة واحدة، ويتعلق الأمر خصوصا بدرجة ربط القصور بالشبكات (الماء والصرف الصحي)، عدد سكان القصر، معدلات النمو المرتفعة، بالإضافة إلى عدد التجهيزات والمحلات التجارية التي يحتويها كل قصر، هذا التجمع للمعايير مقرون بالوظيفة الإدارية، فارتفاع نسبة أو درجة توفر هذه التجهيزات في القصر؛ يعتمد على الوظيفة التي يؤديها (الإدارية)، لهذا السبب نجد كل القصور المرقاة إداريا توجد ضمن هذه المجموعة، وهو ما يمكن تفسيره كذلك من خلال عنصر "المسافة بين القصر ومقر بلديته"، فنلاحظ أن هناك علاقة عكسية بينها (المسافة) وبين المتغيرات التي سبق ذكرها، أي كلما ابتعدنا عن المقر يقل تجهيز القصور وينخفض معدل نمو السكاني...والعكس كلما اقتربنا؛ إلى أن نصل إلى المقر في حد ذاته الذي يكون أكثر تشبعا بهذه المتغيرات. في حين يظهر عنصر كل من نمط التوسع ووضعية الفقارات، والتأثر بزحف الرمال، في الشكل بمعزل عن غيرها من العناصر، إذ يمكن تفسير ذلك بأنه ليس لكيفية توسع القصر علاقة بوظيفة القصر سواء كانت الإدارية أو غيرها، ولا علاقة له بحجم السكان.

خلصت عملية التصنيف إلى استخراج 7 مجموعات من القصر؛ تميزها خاصية معينة عن غيرها، بالإضافة إلى قصر "تينومر"[1] الذي يمكن اعتباره حالة استثنائية بما أنه مهجور تماما (الشكل 11 ب ص 119)، وهي كالتالي:

[1] تينومر: أحد القصور التابعة لبلدية تيميمون إداريا، يقع في الجهة الجنوبية للبلدية، يبعد عن مقر البلدية بحوالي 27 كلم، لم يسكن هذا القصر منذ نشأته سوى مجموعات قليلة من السكان، أما هجرته بصفة نهائية من طرف السكان فقد كانت في سنوات 1980، أغلب العائلات التي انتقلت من القصر تسكن حاليا بمقر البلدية، رغم أن هذه القصر يتميز بأرضيته الخصبة الصالحة للزراعة، مع العلم أنه عرف هذا القطاع (الزراعة) نشاطا هاما من طرف سكان القصور المجاورة خلال سنوات 1983 أين تحصل فيه العديد منهم على قطع أرضية ودعم فلاحي، إلا أنه حاليا لم يعد كذلك فهو مستغل في الزراعة من طرف بعض الأفراد فقط.

المجموعة الأولى: تمثل مجمعة تيميمون التي تم تمييزها عن غيرها باعتبارها مدينة المنطقة، فهي تختلف عن كل قصور؛ بسبب كونها تستحوذ على أكبر عدد من السكان، وأكبر حجم من التجهيزات والنشاطات التجارية. وهي تتحكم في شبكة القصور في منطقة قورارة

المجموعة الثانية: تمثل القصور التي تم ترقيتها إداريا حديثا (قصر قدور، شروين، أولاد محمود....)، فقد أثرت هذه الترقية فيها بشكل واضح، سواء في أحجامها السكانية التي تزايدت إلى أكثر من 1000 نسمة أو في الوظائف الجديدة التي أصبحت تقدمها من خلال الهياكل والخدمات التي جهزت بها، هذا بعد أن كانت لا تختلف في خصائصها عن غيرها من القصور الأخرى.

المجموعة الثالثة: حصرنا فيها مجموعة من القصور يصل عددها إلى 11 قصر تتوزع هذه الأخيرة في مختلف جهات المنطقة (فاتيس، الساهلة، المطارفة، أنجلو...)، أما الخاصية التي تجمعها فهو حجمها السكاني الهام والمتكافئ فيما بينها، أهّلها ذلك لأن تستفيد من بعض التجهيزات والخدمات كتلك التي توجد في المراكز العمرانية (مركز بريد، مؤسسة للتعليم المتوسط..)، خاصة وأن أغلبها تم تحويلها إلى فروع إدارية للبلديات التابعة لها.

المجموعة الرابعة: هذه المجموعة تجمع أغلب القصور المتمركزة بجوار المراكز العمرانية، التي غالبا ما تكون متأثرة بها بشكل كبير (أقبور، الشارف، تاوريرت...)، إلا أنها تحتوي مجمعات سكانية أخرى لا تتميز بهذه الخاصية (الواجدة، تورسيت، إغزر، أولاد علي...)، والمتغير الذي جعلها تظهر في هذه المجموعة؛ هو العدد الهام من الفقارات الميتة الذي تحتويه هذه القصور.

المجموعة الخامسة: تمثل هذه المجموعة القصور ذات أحجام سكانية صغيرة، الأمر الذي أثر ذلك بشكل مباشر على درجة تجهيزها مقارنة بالقصور الأخرى، أما الخاصية الأخرى التي تتميز بها فهي وقوع أغلبها بالقرب من محور الفقارة، فهي تتميز بارتفاع عدد الفقارات الحية مقارنة بالميتة.

المجموعة السادسة: هي مجموعة من القصور تتباين في موقع تواجدها في المنطقة، وتختلف في أحجامها السكانية (حيحا، لازورة، تمانة، تقانت)، إلا أن الخاصية التي جعلتها تظهر في كتلة واحدة هو تأثرها بزحف الرمال بشكل كبير.

المجموعة السابعة: وتجمع أغلب قصور تاغوزي، تختلف في خصائصها الديموغرافية والوظيفية، إلا أنها تشترك في خاصية كونها قرى حديثة النشأة، تشكلت بمرور الوقت من النمو المجالي للقصور القديمة. (الخريطة 20 ص 120).

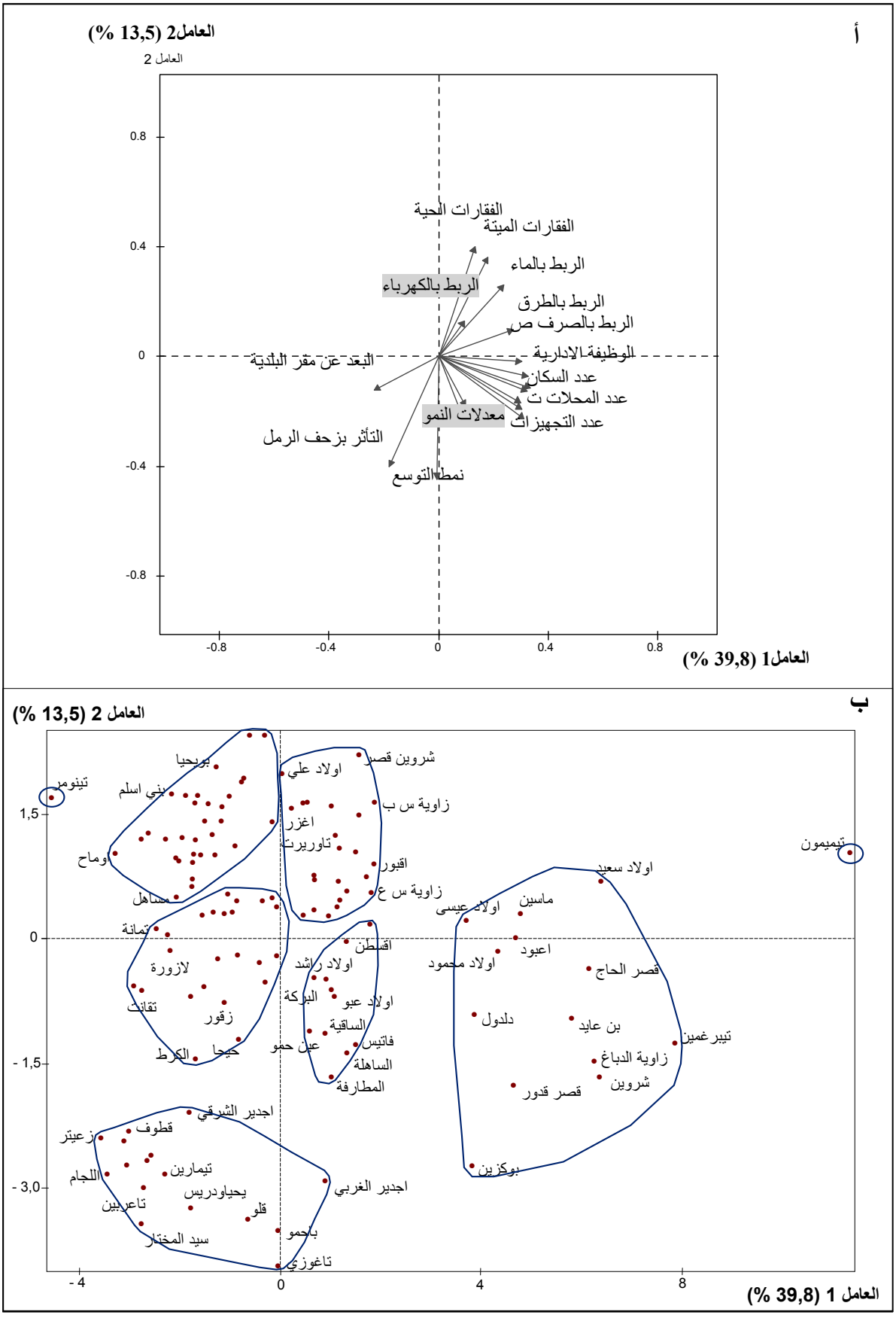

شكل (11): تمثيل قصور قورارة بالتصنيف متعدد المتغيرات باستخدام ACP

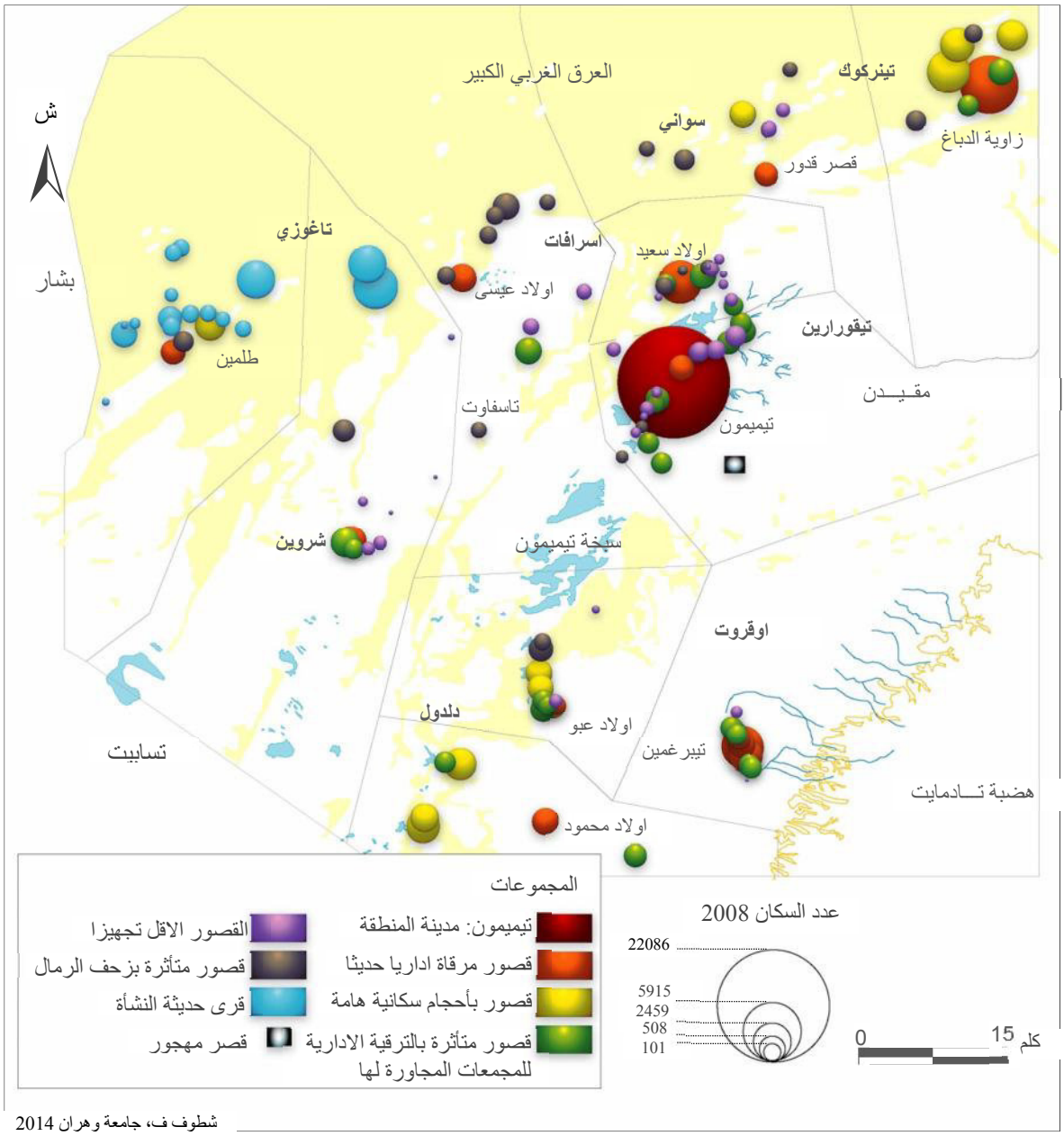

خريطة (20): تصنيف القصور بقورارة حسب خصائصها

تميزت عملية التصنيف التي تم الاعتماد عليها؛ لاستخراج خصائص للقصور بقورارة، بنوع من التعميم، فقد عممت بعض المعايير على بعض القصور؛ وأهملت معايير أخرى ربما قد يكون لها أهمية، كالحجم السكاني مثلا الذي تم إهماله في بعض المجمعات، كقصور: حيجا، اجدير الغربي، توكي، التي تتميز بأحجام سكانية هامة تفوق الألف نسمة، إلا أن تأثرها بظاهرة زحف الرمال بشكل كبير، جعلها تصنف ضمن مجموعة القصور المتأثرة بزحف الرمال، وذلك مع قصور تقلها حجما سكانيا، أو كمجمعة بوكزين التي تعتبر في خانة القرى الحديثة النشأة؛ التي ظهرت بمنطقة تاغوزي، إلا أن ترقيتها إداريا، سمحت لها بأن تتميز بنفس خصائص القصور الأخرى التي تأثرت بهذا العامل،

وتصنف ضمن هذه المجموعة، وأهملت فيها خاصية كونها من القرى الحديثة النشأة، هذه الاختلافات التي نتجت عن هذا التصنيف، قادتنا للتفكير في استخراج أنماطا للقصور؛ اعتماد على هذه المعايير على حدى.

3. تعدد أنماط القصور بقورارة حسب الحجم والشكل

إن عدد التجمعات السكانية أو القصور بقورارة يزيد عن 100 قصر، تتمركز هذه القصور في المنطقة بأماكن تختلف من حيث معطياتها الفيزيائية، كما أن هذه القصور تختلف عن بعضها في كيفية نشأتها، الأفراد الذين ساهموا في ظهورها، وكيفية تطورها، هذه المعطيات وغيرها سمحت بأن يتميز كل قصر عن غيره؛ إما في عدد السكان الذي أعطى لها أحجاما متعددة، أو في أشكالها ومرفولوجيتها، التي أصبحت تتحول بشكل ملفت للانتباه وتأخذ أنماطا مختلفة.

1.3.تزايد عدد القصور ذات الحجم 1000 نسمة والسكان يتجهون نحو التجمع فيها

تحكم في حجم القصور عند نشأتها بالمنطقة عدد القبائل التي استوطنتها، إذ كان لكل قبيلة أو مجموعة من القبائل قصرها الخاص، في هذه المرحلة كانت هذه التجمعات على شكل قصبات، لذلك أخذت أغلب القصور اسماءها نسبة إلى العشيرة التي أسسته، أما أحجامها السكانية؛ فلم تكن تتجاوز الـ100، بدليل أن عدد سكان منطقة قورارة لم يكن يتجاوز 25 الف نسمة سنة 1952، ارتفعت وتيرة تزايد عدد سكان هذه المجمعات منذ سنوات 1960، أين أصبح حجم أكبر تجمع سكاني يتجاوز 4000 نسمة (تيميمون)، رغم أن هذا العدد يمثل حجم سكاني لثلاثة أو أربع قصور التحمت مع بعضها بعد نموها المجالي. نمو القصور خلال هذه السنوات؛ كان يعتمد في أغلبه على التزايد الطبيعي، ولم تكن هناك حركة سكانية كثيفة بينها، فهي متكافئة من حيث مستوى تجهيزها.

جدول(19): تطور تصنيف قصور قورارة حسب الحجم اعتمادا على الإحصاءات السكانية

	1966		1977		1987		1998		2008	
	العدد	عدد السكان	العدد	عدد السكان	العدد	عدد السكان	العدد	عدد السكان	العدد	عدد السكان
+20000	-	-	-	-	-	-	-	-	**1**	**22086**
20000-10000	-	-	-	-	**1**	**12812**	**1**	**17108**	-	-
10000-5000	-	-	**1**	**7585**	-	-	-	-	1	5915
5000-3000	**1**	**4859**	-	-	-	-	3	10693	4	13110
3000-1000	2	3507	5	8779	13	20927	20	29995	28	40230
1000-500	؟	؟	؟	؟	34	23380	45	30327	43	28824
500-100	؟	؟	؟	؟	62	16527	45	12192	37	10721
-100	؟	؟	؟	؟	14	653	11	583	11	652

المصدر: إحصائيات 1966، 1977، 1987، 1998 و2008 (ONS، DPAT)

كانت أحجام القصور إلى غاية 1977 شبه متكافئة؛ فهي لم يتجاوز عدد سكان أغلبها الـ1000 نسمة (الجدول 19)، ما عدا في بعض المجمعات كتيميمون التي عرفت هذا النمو من جراء الظروف التي مرت بها، وتبقى دائما في قمة هرم القصور من حيث الحجم، أو في كل من أولاد سعيد التي ارتفع عدد سكانها حسب إحصاء 1977؛ إلى أكثر من 2000 نسمة، إذ لم يكن يتجاوز في الإحصاء السابق 1200 نسمة، فقد سجلت هذا الرقم بعد تجمع ما يقارب 14 قصر في كتلة واحدة، أو بقصر فاتيس الذي يأتي في المرتبة الثانية مباشرة بعد تيميمون، ارتفع حجم هذا القصر خلال هذه الفترة؛ بعد أن عرفت قصور منطقة تينركوك استقرار مكثف للبدو الرحل؛ خلال السنوات الأولى من الاستقلال، أما القصور الأخرى ذات الحجم أكثر من 1000 نسمة؛ فهي تتمثل في تلك التي تم ترقيتها إلى مقر بلديات منذ 1963 (زاوية الدباغ، تيبرغمين)، ارتبط نموها خصوصا بالحركة السكانية المكثفة نحوها التي عرفتها خلال هذه المرحلة. بالمقابل القصور ذات الأحجام المتوسطة (100-1000) وتيرة نموها مرتبطة بالزيادة الطبيعية البطيئة، أحجامها بقيت شبه مستقرة خلال هذه السنوات.

1.1.3. إحصاء 1987: أغلب القصور من الحجم (100-1000نسمة)

خلال 1987 تميز ترتيب القصور في منطقة قورارة؛ بنفس الخاصية التي كانت تتميز بها في السنوات السابقة؛ وهي أن 78% من القصور هي ذات الحجم (100-1000نسمة) (الشكل 12)، يسكن هذه لقصور أكثر من نصف سكان المنطقة (53,7%)، تتعلق هذه الصفة خصوصا بالمجمعات الثانوية والقصور المبعثرة، التي تتميز بتكافؤ في مستوى تجهيزها، فتقتصر هذه الأخيرة فيها على بعض التجهيزات التعليمية والصحية، وليس هناك أي جذب أو حركة سكانية بين هذه القصور (تاورسيت، بادريان، تعنطاس، اقسطن،....).

أغلب المراكز التي تم ترقيتها إلى مقرات بلدية حديثا، توجد ضمن هذه المجموعة فهي لا يزيد حجمها عن 1000 نسمة، إلا أنها تختلف في ترتيبها حسب أحجامها، كمركز بلدية أولاد عيسى الذي يوجد في المرتبة 16 من الترتيب بـ 967 نسمة، أنشأ هذا المركز بجوار قصر أولاد عيسى، لذلك أصبح حجمه من حجم هذا القصر، نفس الخاصية تميزت بها كل من مراكز بلديات المطارفة، شروين، بوكزين، ومراتبها كانت ما بين 40 و60 في ترتيب القصور.

تم اختيار مراكز جديدة لكل من بلدية دلدول وقصر قدور، الذي أنشأ بجوار قصر كان مهجورا تماما في السابق، لهذا السبب رتبت هذه المقرات في المراتب الأخيرة؛ بسبب حجم سكانها الضعيف (دلدول 122 نسمة المرتبة 102، قصر قدور 87 نسمة المرتبة 117)، لكن هل سترقى هذه القصور

إلى مراتب أعلى بعد مدة زمنية، بتحسن مستوى تجهيزها بحجة أنه تم اختيارها لتكون مراكز بلدية تتحكم في القصور المجاورة لها أم لا؟.

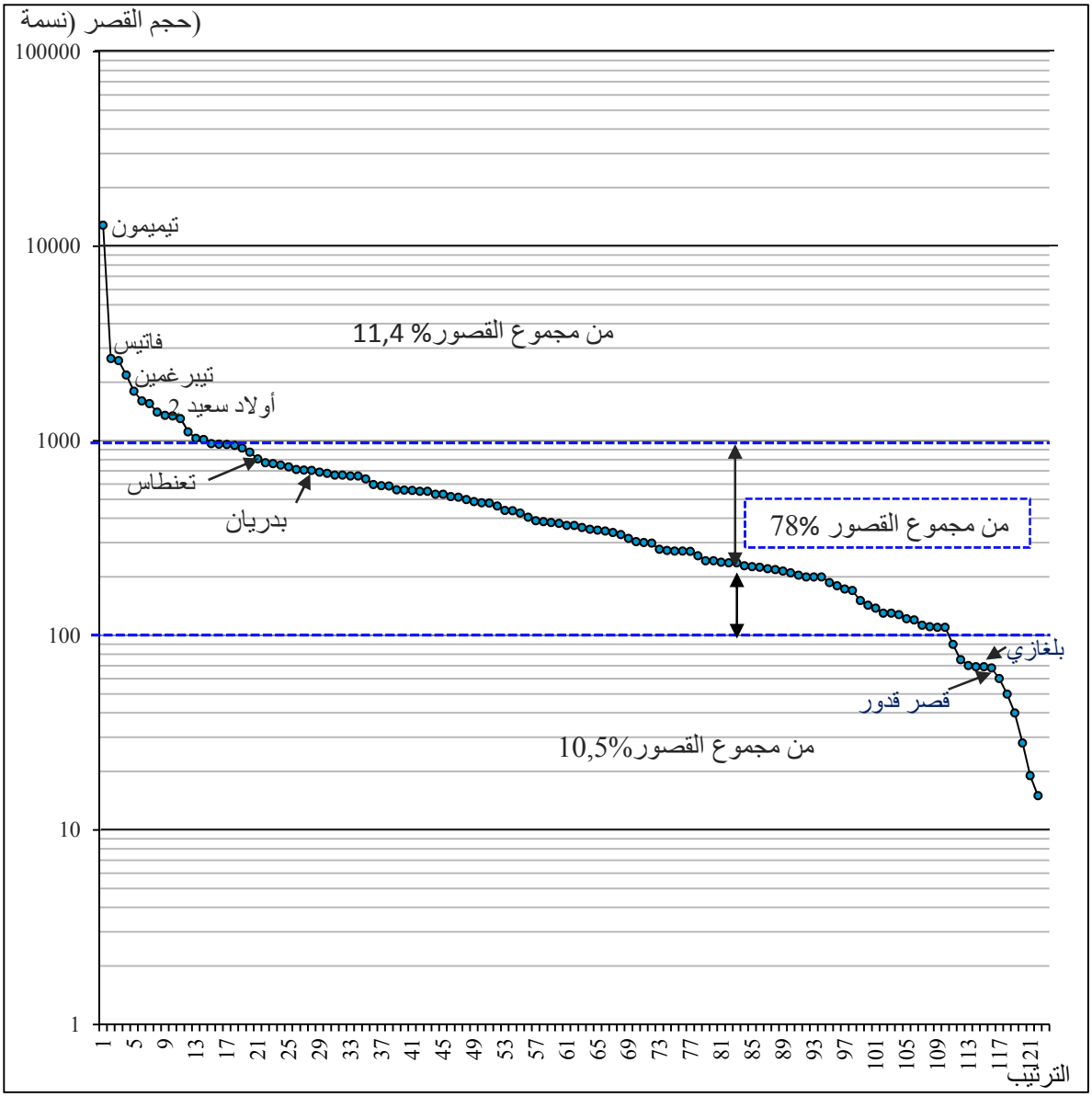

شكل (12): ترتيب القصور حسب الحجم سنة 1987

خلال هذه السنوات حافظت القصور التي رُقّيت إلى صنف مقرات البلدية منذ 1963؛ على مراتبها التي تندرج ضمن مجموعة القصور الأكثر من 1000 نسمة، لكن مع ظهور قصور أخرى منافسة لها رغم أنها لا تكافئها في مستوى تجهيزها، إلا أن كِبر حجم هذه التجمعات منذ نشأتها؛ جعلها تحتل هذه المراتب.

يتوزع هذا النمط من القصور في أماكن مختلفة من منطقة قورارة، فنجد بتينـركوك كل من "عين حمو وفاتيس"، فبروز هذه الأخيرة بهذا الحجم؛ بجوار مقر البلدية "زاوية الدباغ" التي لا تبعد عنها سوى بـ 8كلم، يمكن تبريره بأن هذا المقر لم يكن له ثقل كبير على القصور المجاورة، بحيث يجعله يجذب أكبر عدد من السكان، هذه الخاصية تميزت بها كذلك؛ كل من بلدية اولاد سعيد بظهور قصر "الحاج قلمان"، بلدية المطارفة؛ بظهور كل من قصري "أولاد راشد، المطارفة" بحجم سكاني يفوق حتى حجم مقر البلدية. هذا بعكس شبكة قصور بلدية تيميمون واوقروت، التي لم يبرز فيها أي مجمعة بهذا الحجم، رغم أن هناك بعض القصور في بلدية تيميمون؛ تبعد عن المقر بأكثر من 16 كلم (قصر تلالت)، فمراكز هذه البلديات سيطرت على مجال القصور المجاورة، وجعلتها دائما بأحجام سكانية أقل منها بكثير.

انخفض عدد التجمعات التي يقل عدد سكانها عن 100نسمة، إلى 14 قصر فقط في 1987، هذه الخاصية تميزت بها خصوصا كل من قصور "بني اسلم، اسفاو وبكو"، فقد تمت هجرة سكان هذه القصور بصفة كلية في مرحلة زمنية معينة، لكن أعيد إسكانها فيما بعد، لذلك بقيت بأحجام سكانية صغيرة جدا (لا تزيد مدة إعادة إسكان هذه القصور عن القرن) (حاج حمو، عزيزي، 2002)، أما في بلدية طلمين فيتعلق الأمر بتلك المجمعات التي ظهرت حديثا في المنطقة، فمنها تلك التي ظهرت بعد 1984، كقرية "اللجام" التي نشأت بظهور نظام استصلاح الأراضي الزراعية بالمنطقة.

يختلف سبب صغر حجم بعض القصور في المناطق الأخرى من قورارة، كما هو الأمر بقصر "بلغازي" بمنطقة دلدول، فهذا القصر تراجع عدد سكانه بسبب الهجرة المكثفة منه، خلال سنوات السبعينات نحو تيميمون، فأغلب العائلات التي رحلت منه تسكن اليوم في كل من قصر تمانة، ومقر بلدية تيميمون، أما أسباب هذه الهجرة فتعود في أغلب الحالات، إلى البحث عن العمل في المؤسسات الإدارية، عدم توفر التجهيزات التعليمية بالقصر، فهو كان يعاني من العزلة في تلك المرحلة، وتجدر الإشارة إلى أن هذا القصر متأثر كذلك بزحف الرمال.

2.1.3. تغير ترتيب القصور بعد 1998 بظهور قصور جديدة في المراتب الأولى

بدأ تأثير تدخل الدولة من أجل تنمية القصور وتحسين المستوى المعيشي لسكانها، على أحجام القصور وترتيبها بعد سنوات 1990، فبعد أن استفادت المقرات الإدارية التي ظهرت في التقسيم الأخير من بعض التجهيزات والبرامج السكنية؛ سمح لها ذلك بجذب العديد من السكان المبعثرين نحوها ونحو التجمعات المجاورة لها. بدأ ينخفض عدد القصور ذات الحجم ما بين 100- 1000 نسمة

لصالح التجمعات ذات الحجم أكثر من 1000 نسمة التي فاق عددها الـ 20 تجمع سكاني، وأصبح سكنها أكثر من 57% من مجموع سكان منطقة قورارة (الشكل 13).

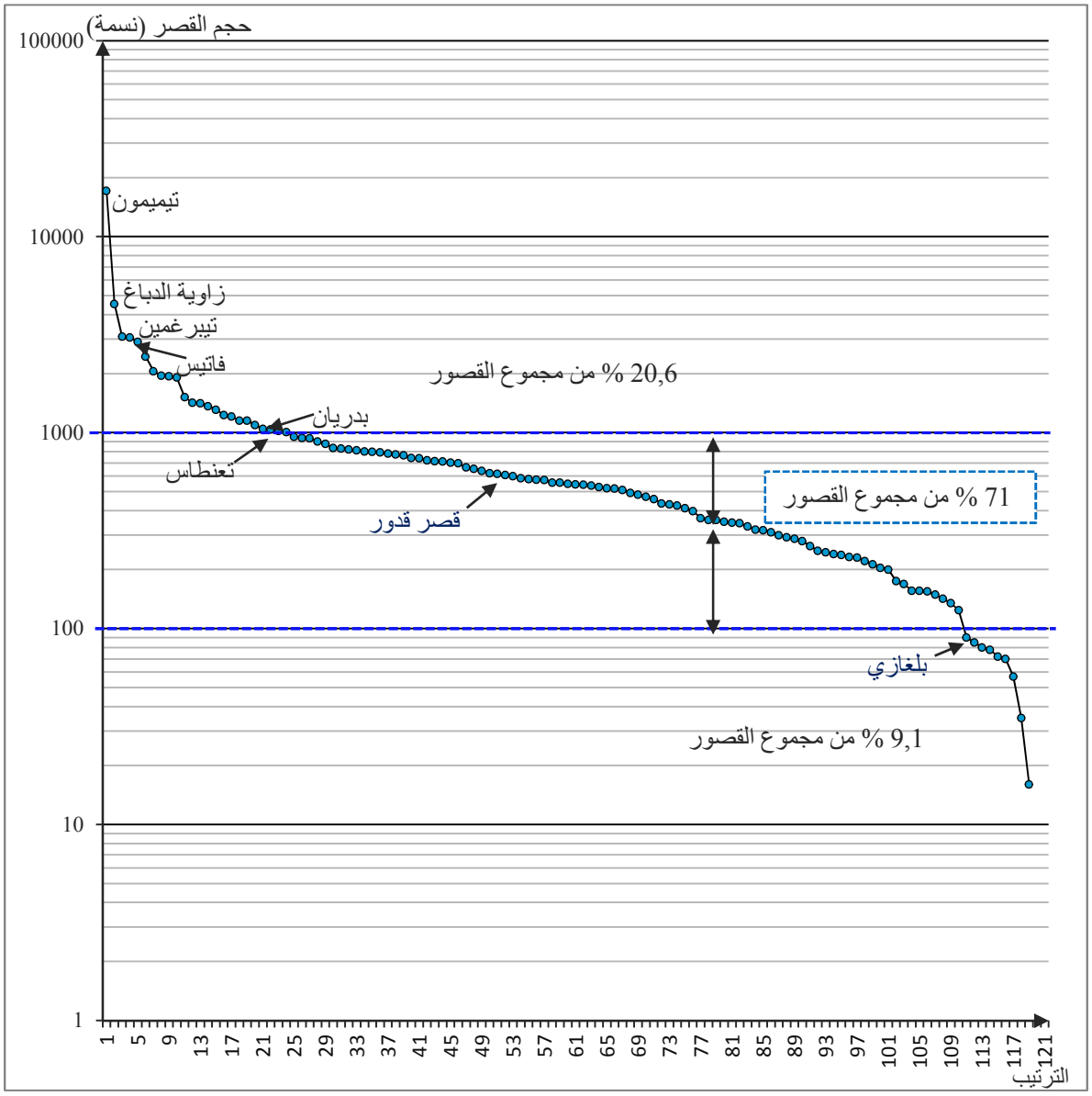

شكل (13): ترتيب القصور حسب الحجم سنة 1998

تزايدت أحجام بعض المراكز بشكل ملحوظ، فمنها التي تم ترقيتها إلى مقرات بلديات في 1984، فقد برزت خلال هذه المرحلة؛ فئة أخرى من التجمعات لم تكن تظهر منذ إحصاء 1966، أين كانت مدينة تيميمون ضمنها، تتمثل هذه المجموعة في قصور ذات الأحجام ما بين 3000-5000 نسمة، إلا أنها كانت تقتصر فقط على ثلاث قصور تتمثل في: تيبرغمين، زاوية الدباغ اللذان تم ترقتهما إلى مقرات دائرة، فمن الطبيعي أن يستحوذا على أكبر عدد من التجهيزات التي تجذب إليهما السكان، و

"فاتيس" الذي تميز بوتيرة نمو مرتفعة نوعا ما خلال هذه الفترة، رغم أن خصائصه من نفس خصائص غيره من القصور التابعة لنفس البلدية؟

أصبح حجم ومرتبة مجمعة "قصر قدور"، من نفس مرتبة القصور التي عرفت الترقية في نفس المرحلة؛ وكانت بنفس الحجم (أولاد محمود، شروين، بوكزين)، فبعد أن كان في مجموعة القصور أقل من 100نسمة، أصبح حسب إحصاء 1998؛ بين مجموعة قصور الأكثر من 500 نسمة والأقل من الألف، هذا إذا قارناه مع المجمعات الأخرى؛ التي كانت بنفس حجمه "كاسفاو، بلغازي، بني سلم"، فقد بقيت هذه القصور بنفس أحجامها تقريبا. أما بالنسبة لمركز بلدية دلدول فقد ارتفع حجمه بعد أن توسع والتحم مع قصر "أولاد عبو".

تحسن ظروف المعيشة لدى السكان، لم تتأثر به فقط القصور التي رقيت إلى مراكز البلديات؛ وأصبحت كلها حسب إحصاء 2008 ضمن مجموعة القصور ذات الحجم أكثر من الـ 1000 نسمة، ولكن كذلك التجمعات الثانوية، خصوصا السنوات الأخيرة، أين ربطت أغلب القصور بالطرقات بهدف فك العزلة، وتحسن مستوى الخدمات التعليمية والصحية فيها، فهي تمثل 28% من مجموع القصور ويسكنها 66,9% من سكان قورارة (الشكل14).

إن خاصية القصور ذات الحجم أكثر من 1000 نسمة؛ التي تميزت بها بعض التجمعات لم تقتصر على منطقة معينة في قورارة، ولكن ظهر هذا الصنف في كل البلديات والمناطق المحلية، "تابلكوزة، انجلو" بتنركوك، "إقسطن، البركة والمطارفة" بمنطقة دلدول، "حاج قلمان" بأولاد سعيد، "باحمو، أجدير الغربي، الساقية" بتاغوزي، بالإضافة إلى "حيحا، قنتور" التابعة لبلدية أولاد عيسى، هذا وباستثناء بلدية تيميمون؛ التي لم يظهر فيها هذا النمط من القصور، بعد أن كانت تحتوي على قصر واحد بهذا الحجم حسب إحصاء 1998 هو قصر "بادريان"، لكن سرعان ما تراجع حجمه إلى 900 نسمة في الإحصاء الاخير، يعود السبب في ذلك ربما إلى هجرة سكانه منه، وذلك لأن نسيجه التقليدي تأثر بشكل واضح بظاهرة زحف الرمال، هذا بالإضافة إلى سيطرة مدينة تيميمون على مجموعة القصور بالمنطقة؟

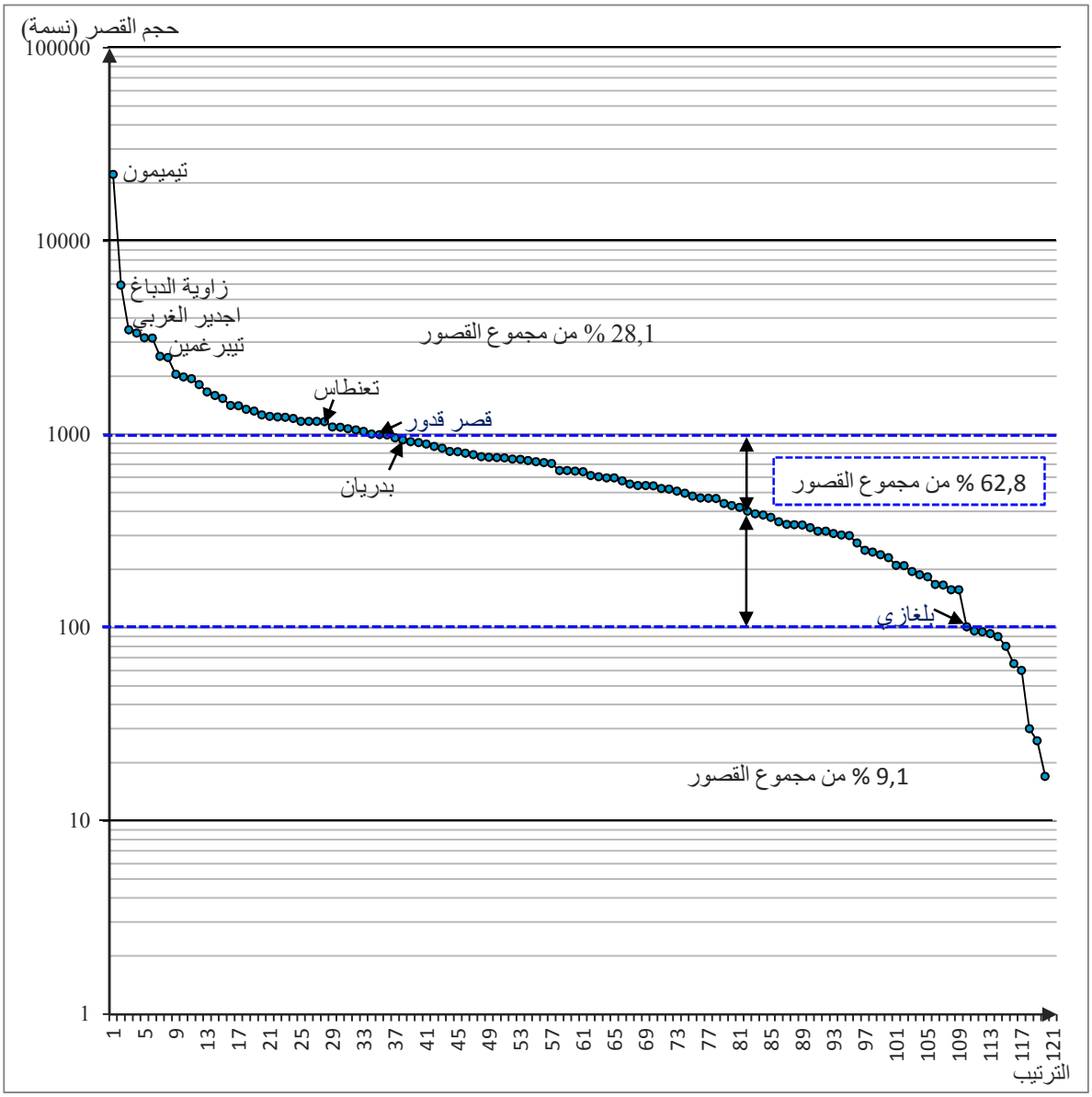

شكل (14): ترتيب القصور حسب الحجم سنة 2008

تعرف التجمعات التي توجد ضمن مجموعة القصور الأقل من 100 نسمة حالة ثبات، فهي بقيت بنفس الأحجام منذ احصاء 1987، ما عدا قصر قدور؛ الذي ارتقى كما سبق وأن ذكرنا إلى مجموعة القصور الأكثر من 1000 نسمة، و"بلغازي" الذي ارتفع حجمه نوعا ما إلى أكثر من 100 نسمة في السنوات الأخيرة، أما كل من قصور "بني سلم، اسفاو، وبكو"؛ فقد ظهر بجوارهم عامل آخر لا يساعد على استقرار السكان فيها، وهو مؤسسات خاصة بأشغال تفتيت الحجر، التي عملت على تلويث المنطقة ، فهذه القصور تعرف لحد الآن؛ هجرة بعض السكان منها إما نحو شروين أو نحو تيميمون.

3.1.3. هيكلة المجال القوراري بشبكة عمرانية صغيرة شكلتها القصور

ساهم هذا التزايد تارة؛ والتراجع تارة أخرى في أحجام القصور بقورارة في تنظيم وهيكلة أو إعطاء ميزة خاصة بالشبكة العمرانية للمنطقة:

ـ الصنف الأول: تتصف هذه الشبكة بتضخم الرأس، الذي تمثله مدينة تيميمون المصنفة ضمن المدن الصغيرة، التي لا يزيد حجمها عن 25000 نسمة، تبقى دائما في قمة هرم هذه الشبكة، فهي لا يقتصر نفوذها على القصور التابعة لها إداريا بل ويتعداه إلى كل قصور منطقة قورارة.

ـ الصنف الثاني من هذه الشبكة يشكله تجمعين، هما كل من "تيبرغمين" بأكثر من 7000 نسمة فهي تأتي في المرتبة الثانية مباشرة بعد تيميمون، هذا رغم أن هذا التجمع ظهر في هذه المرتبة فقط؛ بعد أن انضمت إليه حوالي 4000 نسمة تشكلها ثلاث قصور مجاورة له تتمثل في "بن عايد، أعبود، وقصر الحاج" (الشكل15)، مع العلم أنه في هذا الشكل، وفي الأشكال السابقة التي رتبت فيها القصور تم فصل هذه القصور عن تيبرغمين، من أجل توضيح فقط، الدور الذي لعبته في إعطاء هذا الترتيب له، وبالمقابل تأثير الترقية الإدارية لتيبرغمين على هذه القصور، الذي جعلها تبرز في الشبكة العمرانية للمنطقة بأحجام هامة، أما التجمع الثاني فهو "زاوية الدباغ" الذي يقارب حجمه 6000 نسمة.

ـ الصنف الثالث المهيكل للشبكة، هو سلسلة القصور التي يتراوح حجمها ما بين 1000 و5000 نسمة، يمثل هذا الصنف 29 تجمع سكاني، يوجد ضمنها المراكز العمرانية الحديثة الترقية، وما ميز هذا الصنف هو أن أغلبها ارتفعت مراتبه خلال الفترة 1987، 2008، مع العلم أن هناك البعض منها تراجعت مرتبته لصالح مجمعات أخرى، وعدد قصور هذه الصنف في تزايد مستمر.

ـ الصنف الرابع من الشبكة العمرانية الذي أكسبها وسط هرم عريض، يتمثل في قصور ذات الحجم ما بين 100 و1000نسمة، يشكلها حوالي 71 قصر أغلبها يفوق حجمه 500 نسمة، ما يميز البعض من هذه التجمعات هو ديناميكية التحول السريعة التي تعرفها، وتسعى دائما بأن تبقى في أعلى المراتب، بعكس البعض الآخر الذي يعرف تراجع في مرتبته بسبب ديناميكية تحوله البطيئة.

ـ الصنف الخامس الذي يوجد في أدنى المراتب يتمثل في شبكة القصور الأقل من 100نسمة، الذي أعطى للشبكة العمرانية لقورارة قاعدة ضيقة، فهي تمثل فقط 11 قصر وبقي عددها ثابت منذ 1998 كما أن نموها كما سبق وأن ذكرنا شبه ثابت.

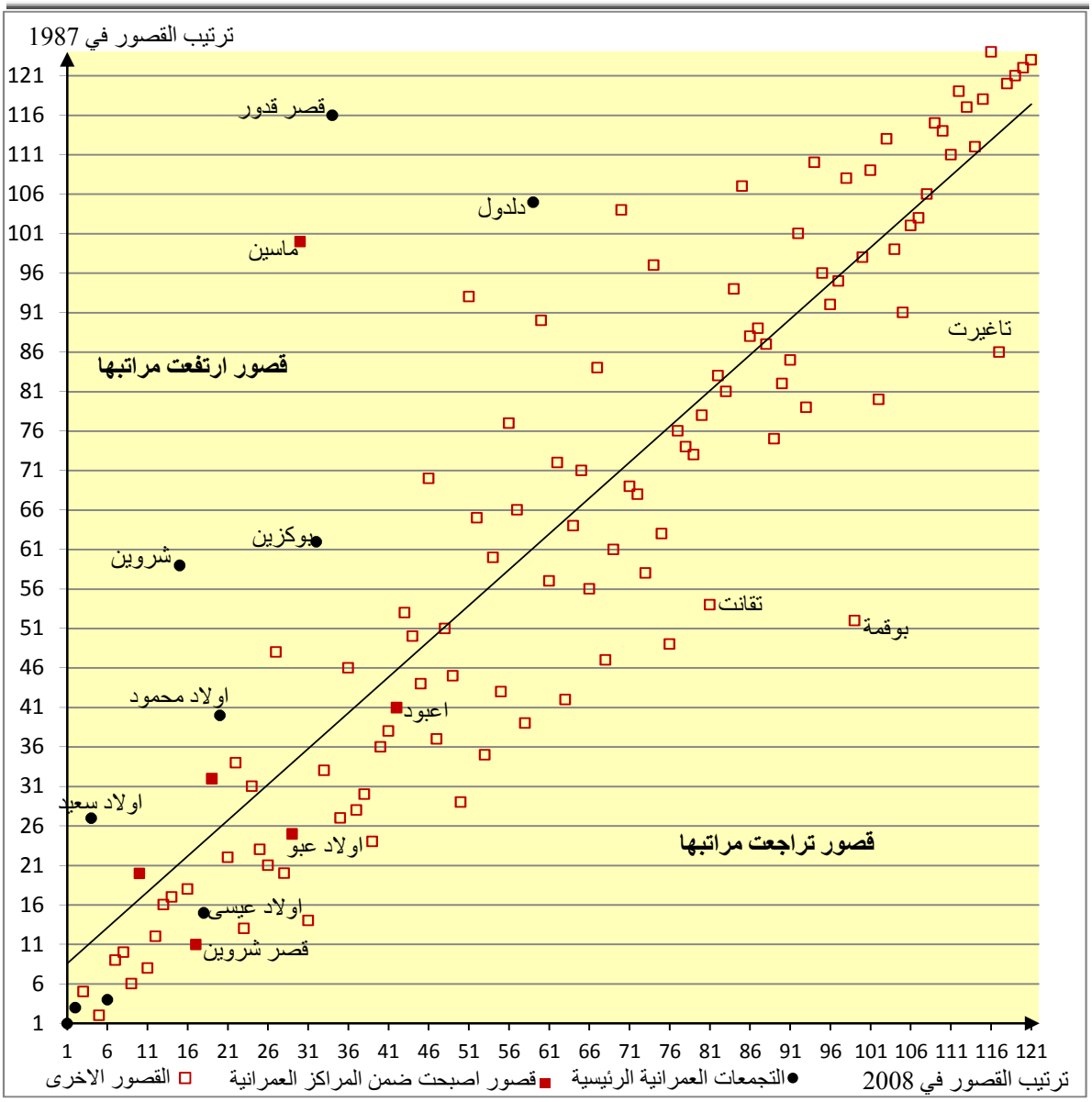

شكل (15): تطور ترتيب القصور حسب الحجم خلال 1987- 2008

تجدر الإشارة هنا إلى أنه تم التطرق إلى ترتيب القصور حسب حجمها، لكن هذا العنصر لم يكن يظهر بشكل جلي؛ خلال عملية تصنيف القصور بمتغيرات متعددة، ذلك لأن هذا العامل تحكمت فيه متغيرات أخرى، مع العلم أن هذا التصنيف للقصور اعتماد على الحجم، لم يكن هدف بقدر ما هو وسيلة ستساعدنا في تحليل العناصر الموالية، لأن عدد سكان كل قصر يتحكم في مستوى التجهيز وحصة الهياكل التي يمكن أن يستفيد منها، كما أنه يتحكم في ديناميكية التوسع المجالي لهذه المجمعات.

2.3. النمو المجالي للقصور: ثلاث أنماط من التوسع في منطقة قورارة

بعد النمو الديموغرافي للقبائل التي كانت تسكن القصبات؛ لم تعد تتسع لها، لذا تحول النمو المجالي القصور ليتم حول هذه القصبات أو بعيدا عنها في بعض الأحيان، لكن في كلتا الحالتين النتيجة نفسها،

وهي تشكل نسيج عمراني كثيف، متراص وبتنظيم ومواد بناء تتلاءم وطبيعة المنطقة، لكن منذ تدخل فاعلين جدد في هذه القصور، تغيرت كيفيات النمو المجالي لها الذي أخضعه في البداية الاستعمار لخدمة مصالحه الخاصة، وإن شملت هذه التغييرات المراكز العمرانية دون المجمعات الأخرى.

منذ برمجة الدولة لسياسة التنمية المحلية، التي شملت مختلف المجالات في المنطقة، ساهم ذلك في التغيير بطريقة حساسة في مرفولوجية القصور، فبعد أن كانت التوسعات السابقة؛ تخضع لخصائص الانسجام والتجمع حول العناصر الأساسية المكونة له، أصبحت اليوم تتحكم فيها عوامل مغايرة؛ منها ظهور هياكل وبرامج سكنية جديدة بجوار القصر، والعوامل الطبيعية (زحف الرمال)، التي لها دور في التغيير من اتجاهات التوسع. اعتمادا على الزيارات الميدانية للقصور وصور الأقمار الصناعية لها لاحظنا بأن تأثير هذه العوامل أنتج ثلاث أنماط من التوسع:

- النمط الأول: توسع خارج النسيج التقليدي للقصر.
- النمط الثالث: توسع مجالي خارج القصر لكن بتشكل تجمعات سكانية جديدة.
- النمط الثاني: تحول مجالي داخل وخارج القصر.

إن التزايد الديموغرافي والتحولات الاجتماعية لسكان القصور؛ خاصة في الآونة الاخيرة، أدى بدوره إلى زيادة أحجام هذه المجمعات، ساهم ذلك في تعميق هذه الأشكال من التوسع المجالي، خاصة داخل النسيج التقليدي للقصر؛ الذي تميز بإدخال أنماط حضرية جديدة مشابهة لمدن الشمال خاصة في المراكز العمرانية، أما التوسعات الحديثة؛ فهي تختلف تماما عما كان عليه القصر من حيث كيفيات استهلاك المجال، إذ تتميز باستهلاك العقار بمساحات كبيرة، خاصة وأن هذه التوسعات تتم بطرق تلقائية أو عشوائية إن صح القول، دون تدخل مخططات التعمير في العديد من القصور.

جدول(20): أنماط التوسع في قصور قورارة حسب البلديات

	توسع خارج القصر	توسع داخل وخارج القصر	توسع خارج القصر بتشكل مجمعات سكانية جديدة	المجموع
تيميمون	21	5	-	26
اولاد سعيد	13	2	-	15
اوقروت	-	11	-	11
دلدول	10	1	-	11
المطارفة	4	2	-	6
تينركوك	8	-	-	8
قصر قدور	8	-	-	8
شروين	11	-	1	12
اولاد عيسى	9	1	-	10
طلمين	-	-	5	5
المجموع	**84**	**22**	**6**	**112**

المصدر: تحقيق ميداني 2013، Image Google earth 2007,2010

1.2.3. توسع مجالي خارج نطاق القصر القديم يختلف باختلاف دوافعه

أغلب القصور بقورارة (84 قصر) تعرف توسع خارج نطاق للقصر (الجدول 20)، قد يكون التوسع في هذه المجمعات؛ بالتخلي عن النسيج التقليدي للقصر بصفة تامة، وفي هذه الحالة يكون القصر في وضعية جد متدهورة، كما قد يكون بهجرة أغلب السكان لهذا النطاق، لكن مع بقاء بعض الأسر التي تنتظر فرصة من أجل خروجها منه، هذا النمط من التوسع تميزت به أغلب التجمعات في قورارة، إلا أنه تختلف فيه الدوافع التي أدت بالسكان إلى تغيير مكان السكن من القصر نحو مناطق أخرى من قصر إلى آخر، هذا رغم أنه لعبت الظروف الطبيعية (الأمطار، وزحف الرمال) دورا كبيرا في هجرة القصر مرحليا. أما اتجاهات التوسعات الحديثة لهذه التجمعات فقد تحكم في رسم محاور نموها المجالي؛ الطرق العامة سواء كانت الوطنية (الطريق الوطني51)، الولائية أو البلدية حسب موقع القصر، كما قد تتحكم فيها البرامج السكنية والتجهيزات التي أنشأت حديثا.

1.1.2.3. قصور تخلت على النسيج التقليدي وتوسعت نحو الطرق العامة

بما أن التوسع العمراني في المجمعات الثانوية يتم في غياب وسائل مخططات تنظيم التعمير، فإن اتجاهاته غالبا ما يكون اختيارها من طرف السكان المحليين للقصر، فبهدف فك العزلة عن القصور برمجت الدولة العديد من الطرق نحو هذه المجمعات وذلك باختلاف مستوياتها، هذا ما جعل السكان يوجهون توسعاتهم نحو هذه الطرق، رغبة منهم في تحسين شروط حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، من خلال التقرب من شبكات الطرق؛ تلك التي ستسمح لهم بسهولة الوصول إلى المراكز العمرانية، التي تعتبر مكانا لنشاطاتهم الجديدة، خاصة وأن أغلب هذه القصور لا تتوفر على وسائل النقل المنظم نحوها. هذا النمط من التوسع تميزت به العديد من قصور المنطقة إن لم نقل كلها، نذكر من بينها:

- قصور تيميمون: ظهرت واحات وقصور تيميمون على محور الطريق الوطني رقم 51، الذي يعتبر الرابط بين منطقتي توات وقورارة، يعتبر هذا الطريق أحد أهم المحاور النشيطة في المنطقة، وعلى الطريق الولائي151 الذي يمكن اعتباره امتداد للطريق الوطني، تتوسع القصور باتجاه هذين المحورين (الخريطة (49) في الملاحق).

في المحور الشمالي على الطريق الولائي رقم 151، نجد 9 قصور(من اعلا ملال إلى غاية تلالت) تعرف نمو مجالي بوتيرة سريعة نحوه، تتميز هذه المجمعات بهجرة شبه تامة للنسيج التقليدي للقصر.

في حالة قصر "القصبة"؛ الذي يعتبر من بين أكبر قصور بلدية تيميمون (936 نسمة)، نجد القصر القديم في هذا التجمع الذي يوجد داخل واحة النخيل، تمت هجرته بصفة نهائية وبقي على هامش التوسع الحديث الذي يفوقه مساحة، وذلك على محور الطريق الذي يبعد عنه بأمتار قليلة،

وبوقوع " قصر القصبة" وسط القصور المجاورة، وحجمه السكاني أهّله بأن يستفيد بتجهيز تعليمي للطور المتوسط، وفرع إداري للبلدية، تتم توسعات هذا القصر في ثلاثة اتجاهات (الخريطة 21).

أما في المحور الجنوبي لبلدية تيميمون بجوار الطريق الوطني51، نجد الجزء الثاني من قصور البلدية (11قصر)، من "بويحيا"، إلى غاية "الواجدة"، تعرف حركة مجالية واسعة، رغم أنها أقل وتيرة من القصور التي سبق ذكرها. من بين هذه التجمعات قصر "بني مهلال" (543 نسمة)، يتميز هذا القصر بتوسع مجالي في الناحية الشمالية، باتجاه مدينة تيميمون التي يبعد عنها بأقل من 5كلم (الخريطة 21)، كما أن نسيجه العمراني؛ على وشك أن يلتحم بالنسيج العمراني لقصر "زاوية س ح ب" المجاور له، هذا مع العلم أن العديد من سكانه يسكنون نطاق القصر.

نفس نمط التوسع تعرفه القصور الأخرى، باستثناء كل من قصر "زقور والكاف" على المحور الشمالي، وقصر "تاورسيت" في الجنوب فبالإضافة إلى أنها تعرف تحولات مجالية نحو هذه الطرق؛ إلا أنها تتميز كذلك بتحول مورفولوجي داخل النسيج التقليدي.

خريطة (21): توسع مجالي نحو الطرق العامة والتخلي عن النسيج التقليدي للقصر

- قصور تينركوك: ما يميز نمط التوسع في منطقة تينركوك؛ أنه يتم في أغلبه وسط واحات النخيل بعد تدهور القصر القديم، فهي شبه مختفية في هذه المجمعات، بعد تعرضها لزحف الرمال بسبب وقوعها وسط العرق الغربي الكبير، الأمر الذي جعل سكان هذه المنطقة يهجرون هذه القصور، والتمركز على الحواف الخارجية للكثبان الرملية للعرق (Bisson J, Jarir M., 1986)، أين ظهرت بجوار هذه التجمعات السكانية شبكات الطرق التي أنشأتها الدولة لتوسع هذه القصور على جوانبها.

هجرة النسيج التقليدي والتوسع المجالي على شبكة الطرق؛ تظهر جليا في مجمعة "زاوية الدباغ" مقر دائرة تينركوك، تلك التي أصبح نسيجها العمراني ينمو على الطريق الولائي 151، بعد ترقيتها إلى مقر بلدية في سنوات الستينيات، يمكن القول هنا أن هجرة النسيج التقليدي، كان رغبة إدارية عندما بنت تجهيزاتها على حواف العرق (Bisson J, Jarir M., 1986)، إن استفادة هذه المجمعة من هياكل وبرامج جديدة؛ أثر على ديناميكيته الديموغرافية، التي ارتفعت وتيرتها منذ سنوات السبعينات، انعكس ذلك بشكل واضح على بنيتها المجالية، التي أصبحت تتكون من جزئيين: جزء يعرف تحول مجالي ضمن الواحة، ويتعلق الامر هنا بالبناء الذاتي للسكان، وجزء آخر يتوسع نحو هضبة مقيدن في الجهة الجنوبية الشرقية، تشكل هذا الأخير من البرامج السكنية الحديثة والهياكل التي ظهرت بجوار هذه الواحات (الخريطة 22).

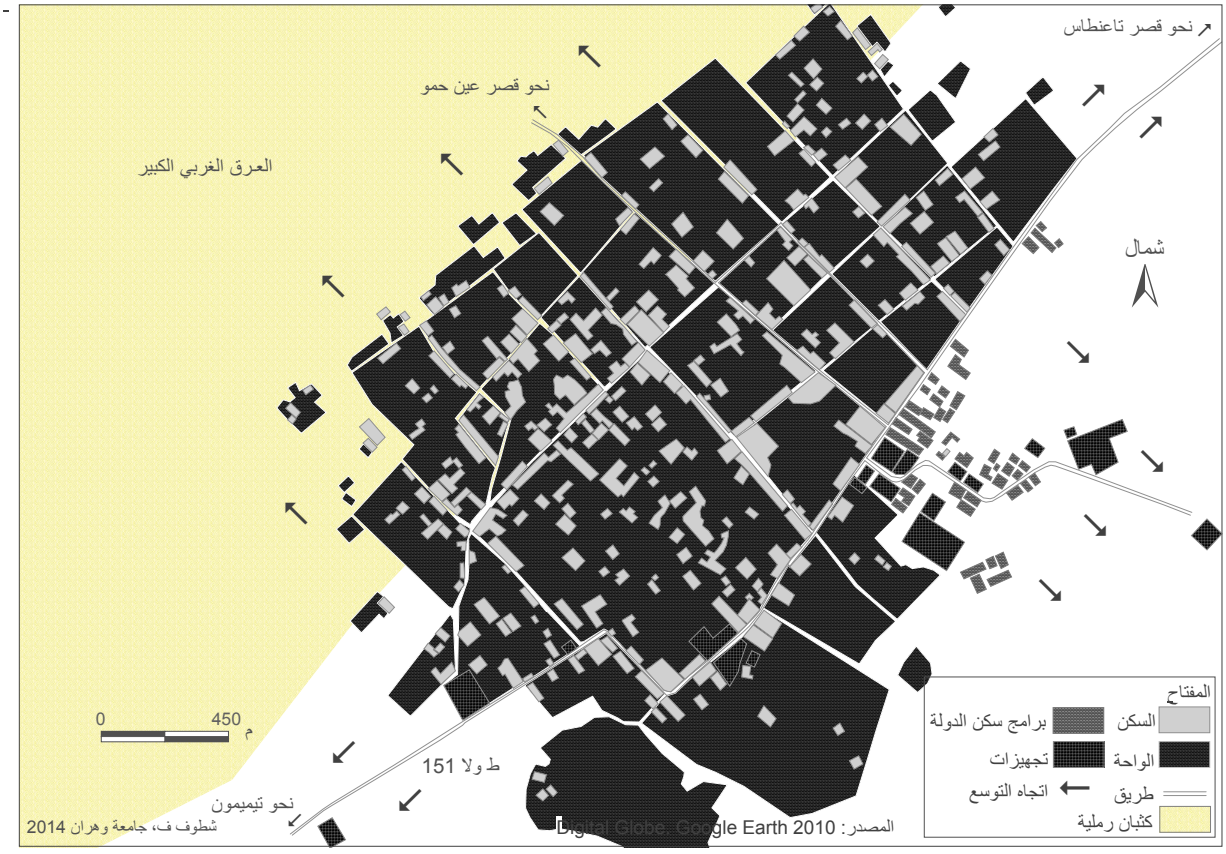

الخريطة (22): قصر زاوية الدباغ

قصور أولاد عيسى: تتوضع قصور منطقة أولاد عيسى على حواف العرق الغربي الكبير، الأمر فرض عليها هجرة النسيج التقليدي والتوسع نحو الجهة الجنوبية للبلدية، بسبب زحف الرمال. يتم هذا التوسع على حمادة أولاد عيسى التي يمكن اعتبارها؛ الوعاء العقاري للنمو المجالي لهذه القصور (PDAU 1995)، وذلك بجوار الطرق والهياكل التي أنشأتها الدولة بها، هذه الخاصية تميزت بها القصور الشمالية للبلدية "كحيحا، الكرط، ياكو، تاونزى" ومقر البلدية "أولاد عيسى"، أما القصور الأخرى (لحمر، قنتور، سمجان وتاسفاوت) فعرفت نفس نمط التوسع باتجاه الطرق البلدية لكن ليس بسبب وقوعها على العرق.

على الطريق الولائي 6 يوجد التجمع السكاني لقصر أولاد عيسى، ذو حجم سكاني قدر مؤخرا بحوالي 1350 نسمة، هذا التجمع عرف توسع مجالي نحو هذا الطريق؛ خصوصا بعد ترقيته إلى مقر بلدية خلال التقسيم الإداري الأخير (1984)، فقد جذب سكان قصرين مجاورين له، كانت تشكل النواة الأولى للتجمع السكاني في هذا الموضع، تتمثل هذه القصور في كل من قصر "السوق" و"أولاد عيسى"، بعد ظهور بعض التجهيزات بمختلف وظائفها ومجموعة من البرامج السكنية الحديثة (185 مسكن في إطار السكن العمومي الإيجاري)، بالإضافة إلى توجه العديد من سكان هذين القصرين نحو الاستصلاحات الزراعية الصغيرة[1]، التي برمجت في الناحية الجنوبية على طول الطريق الولائي رقم 6، رغم أن هذه الاستصلاحات يمكن أن تشكل عائقا للتوسع العمراني لهذا التجمع السكاني، الذي يعرف نمو مجالي باتجاهه (PDAU 1995) (الخريطة 23). بالإضافة إلى التحام القصرين السابق ذكرهما مع النسيج العمراني الحديث لأولاد عيسى، مع العلم أنهما أصبحا يمثلان جزء مهجور من هذا التجمع، خاصة قصر "السوق" الذي أصبح عبارة عن أطلال فقط، يتوسع مقر بلدية أولاد عيسى في الناحية الغربية، نحو قصر "وانودي" (553 نسمة) الذي هو على وشك أن يندمج معه، كما أن هذا التجمع يعرف هو الآخر حركة مجالية نحو مركز البلدية.

نفس نمط التوسع تتميز به القصور الأخرى لمنطقة أولاد عيسى، من بينها قصر قنتور (1228نسمة)، سمح الحجم السكاني الهام لهذا القصر؛ بالاستفادة من بعض التجهيزات كالفرع الإداري للبلدية وإكمالية، بالإضافة إلى برامج سكنية في إطار السكن الريفي، الوظيفي والعمومي الإيجاري، وقوع هذه السكنات والهياكل على الطريق البلدي 62، عملت على توجيه التوسع المجالي لهذا القصر نحوها، هذا رغم أنه هناك نسبة كبيرة من سكانه يسكن النسج التقليدي، دون حدوث

[1] كانت تشغل هذه الاستصلاحات الزراعية الصغيرة التي أنشأت على طول الطريق الولائي 6 حسب معطيات المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لـ 1995 ما مساحته 21,76 هكتار موزعة على سكان هذ القصور بـ 1,82هكتار للفرد، أصبحت اليوم تشغل 500 هكتار، يستغل منها حاليا حوالي 122 هكتار (مقاطعة الفلاحة شروين)، عملت هذه الاستصلاحات على تحويل نمط المعيشة لسكان القصر بعد أن كان يعتمد على مجموعة من العلاقات التي تربط بسكان واحاتها التقليدية تحولت حاليا إلى نمط حياة زراعي فردي انجذب نحوه سكان هذه القصور.

تغييرات واضحة على هذا النسيج (الصورة 14)، لكن ليس نفس نمط التحول المجالي في قصر " لحمر"، الذي يتم فيه هجرة القصر والتوسع نحو الجهة الشمالية، عكس اتجاه الطريق الموجود في الناحية الغربية منه، وذلك بسبب وجود كثبان رملية على حوافه.

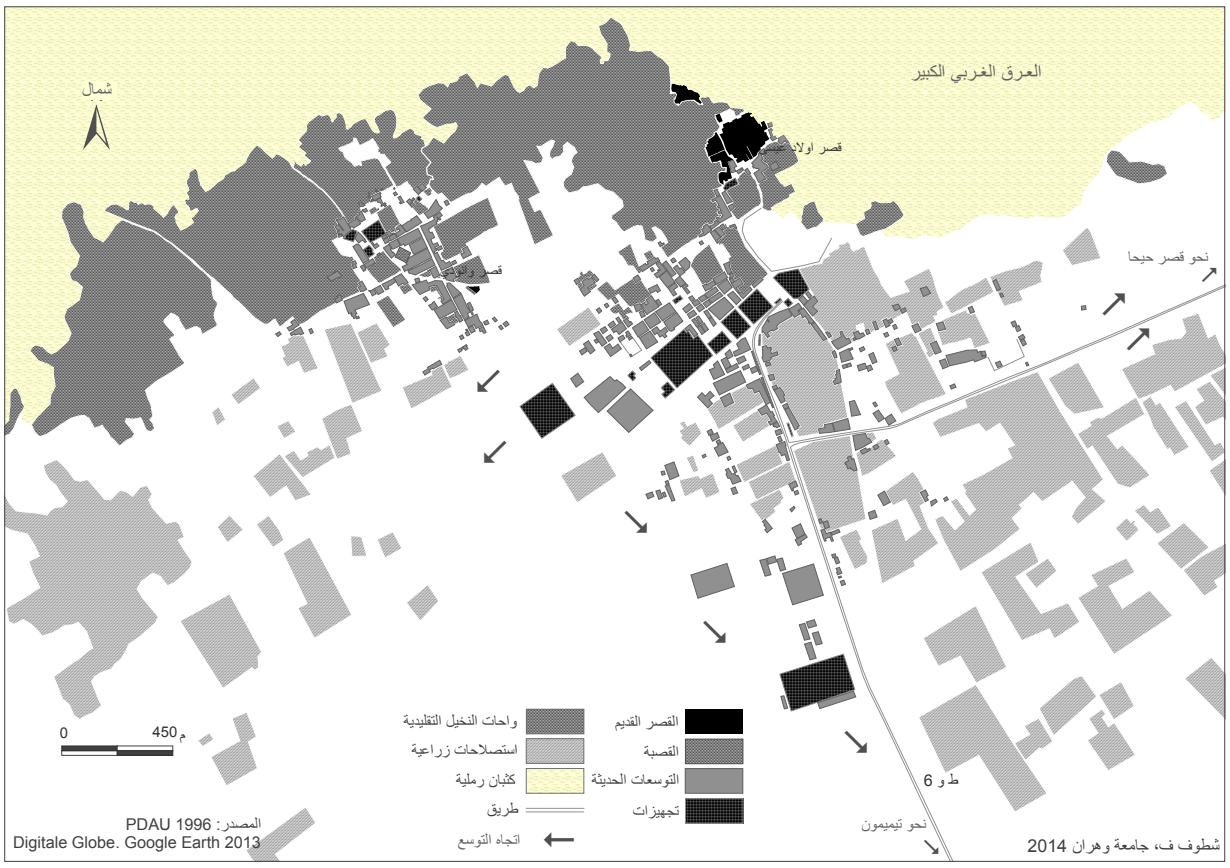

الخريطة (23): التوسع المجالي لقصر أولاد عيسى

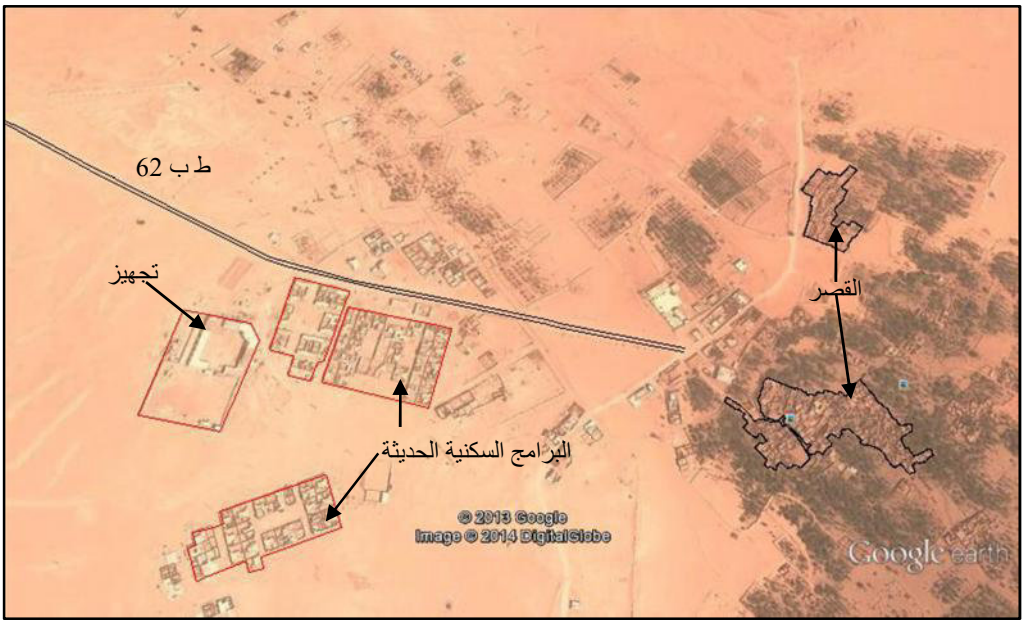

الصورة (14): قصر قنتور 2013

2.1.2.3 الطبيعة الطبوغرافية تفرض التوسع الخارجي في قصور أولاد سعيد وشروين

تتحكم الطبيعة الطبوغرافية في توسع النسيج السكني للمجمعات السكانية بصفة عامة، أما في منطقة قورارة فقد ساهمت في توجيه توسع بعض القصور بشكل خاص (أولاد سعيد وشروين)، إن بناء النواة الأولى لهذه القصور؛ على مرتفعات ومنحدرات لأسباب دفاعية، وعلى حواف الوديان لأغراض اقتصادية، أصبح الموقع الطبوغرافي بمرور الوقت، يشكل عائقا أمام نموها المجالي واستمرار نسيجها العمراني بشكل متراص و كثيف، هذا ما يؤدي إلى حدوث انقطاع بين هذا النسيج وتوسعها الحديث الذي يكون بجوار هذه المرتفعات في أماكن منبسطة.

فأما بالنسبة لقصور شروين؛ فقد تميزت بهذه الخاصية العديد من قصورها (تاوريرت، تينكرام، تقلزي، شروين، أسفاو، وبني اسلم)، فوقوعها على أماكن شديدة الانحدار أجبر سكانها على هجرة النسيج التقليدي (الصورة 15)، أغلب توسعات هذه المجمعات خارج نطاق القصر؛ كانت بعد المرحلة الاستعمارية. ما عدا كل من قصري "تبو، وبكو" اللذان يقعان على مناطق منبسطة وتوسعهما يتبع الطرق العامة كغيرهم من القصور التي سبق ذكرها.

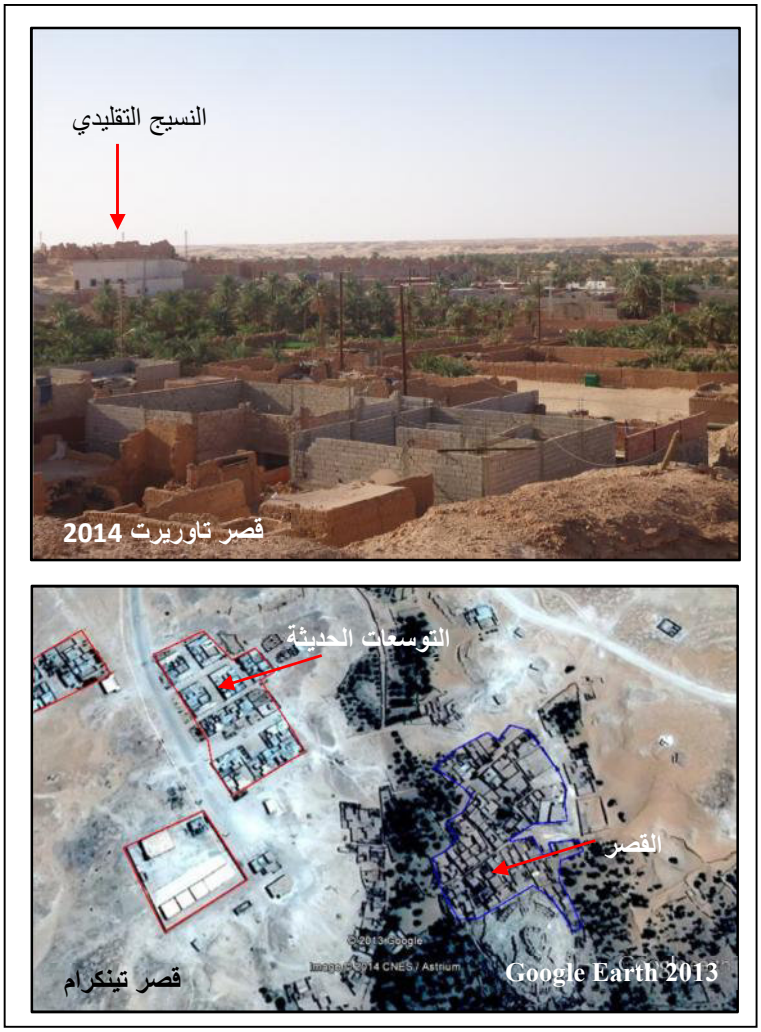

الصورة (15): توسع مجالي خارج النسيج التقليدي في قصور شروين

في حين قصور أولاد سعيد أخذ البعض منها توسعه خارج النسيج التقليدي، بسبب بناء أول نواة لها على مرتفعات صخرية على حواف هضبة مقيدن، خاصة سلسلة القصور الممتدة من "إغزر" إلى غاية قصر "الحاج قلمان"، يظهر ذلك جليا في قصر إغزر؛ الذي يعرف هجرة مرحلية من النسيج التقليدي وإنتاج توسعات جديدة خارج هذا النسيج (الصورة 16)، هذا النمط من التوسع لم تتميز به التجمعات الأخرى، كسلسلة قصور مقر بلدية أولاد سعيد؛ التي تعرف تحولات مجالية داخل وخارج النسيج التقليدي، وكل من قصر "كالي واغلاد" اللذان يعرفان توسعات خارج القصر؛ لكن لأسباب تتعلق بزحف الرمال على النسيج التقليدي ورغبة السكان المحليين في التوسع نحو الطرق العامة.

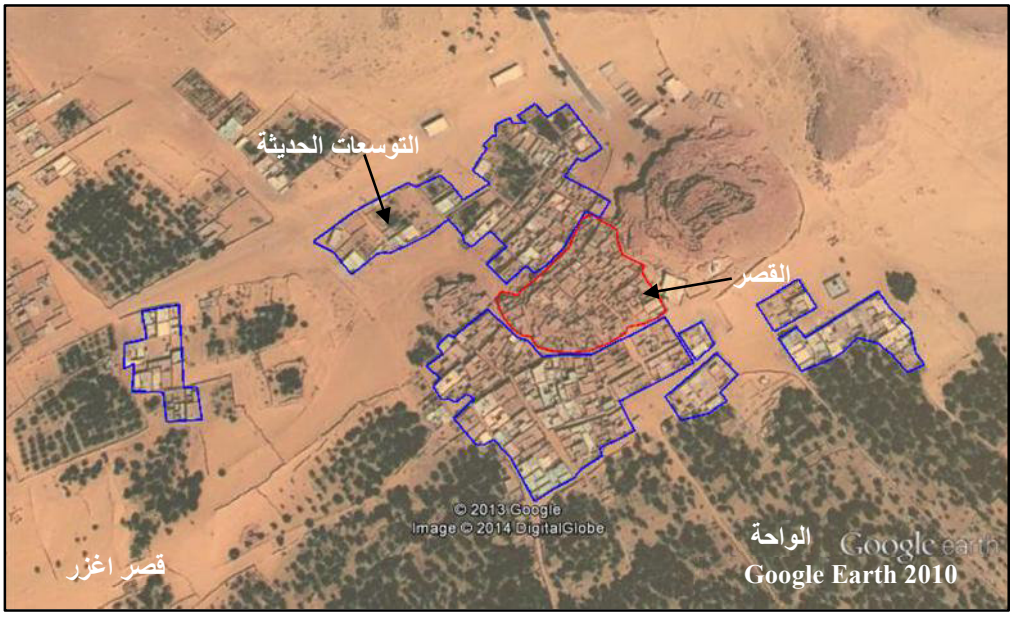

الصورة (16): توسع خارج نطاق النسج التقليدي لقصر اغزر

3.1.2.3. توسع خارج القصر سببه زحف الرمال على النسيج التقليدي في "بادريان وقصور دلدول"

وقوع منطقة دلدول في أقصى جنوب القورارة، على أجزاء من رمال العرق الغربي الكبير، في منطقة أكثر انخفاضا من غيرها من مناطق قورارة الأخرى، جعلها تتعرض للرياح التي تهب من الشرق نحو الشمال الشرقي، دفعت هذه الوضعية بالسكان؛ إلى إنشاء واحاتهم في الجهة الجنوبية الشرقية للقصر وحمايتها بواسطة أسوار "أفراق"، إلا أنه بمرور الوقت وبسبب عدم صيانة هذه الأسوار، تشكلت كثبان رملية بجانبها أي بالقرب من قصور وواحات المنطقة، سببت هذه الكثبان في زحف الرمال عليها، ودفعت بالسكان إلى هجرة هذه القصور شيئا فشيئا، نحو أماكن اقل ترملا، في قصر "البركة، توكي، أولاد عبد الصمد، وقصر الساهلة" يظهر بشكل واضح تأثير زحف الرمال على القصر وواحات النخيل، التي تمت هجرتها بسبب هذه الظاهرة (الخريطة24) و(الصورة17).

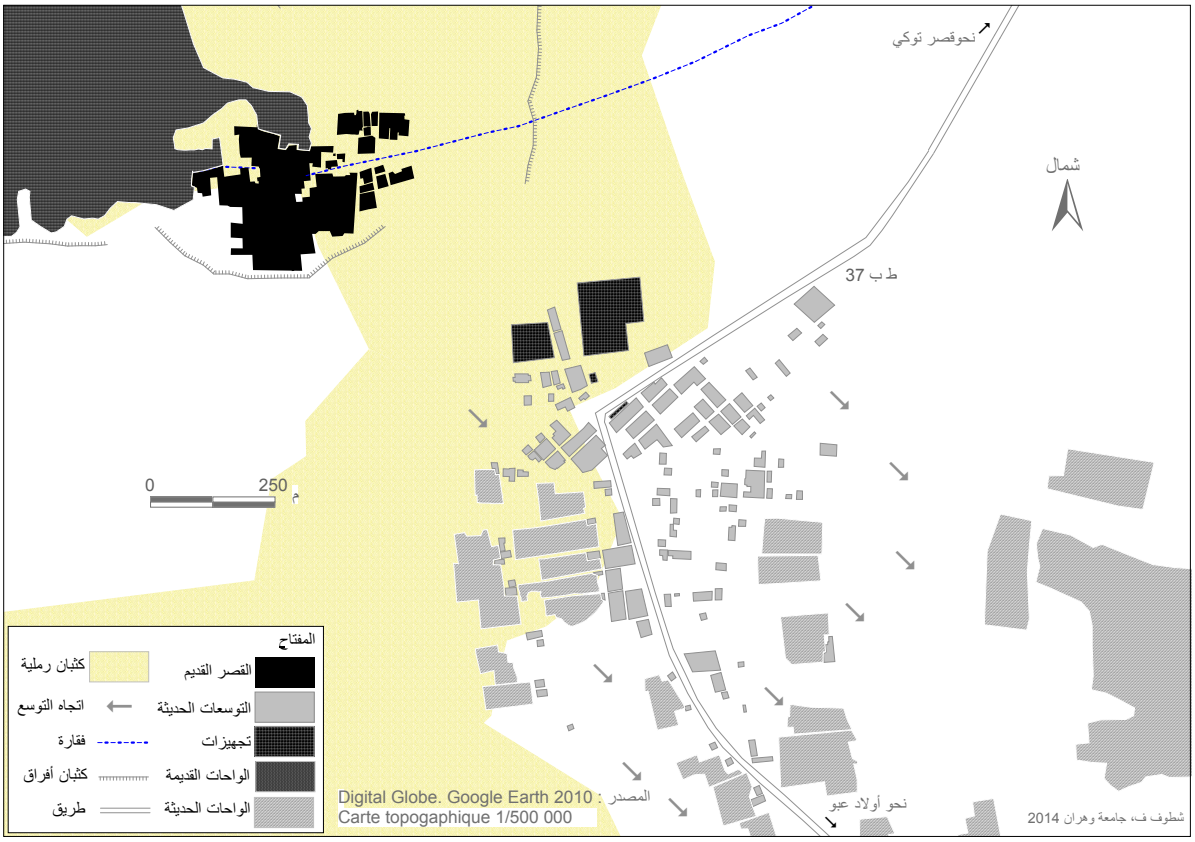

الخريطة (24): التوسع المجالي لقصر البركة

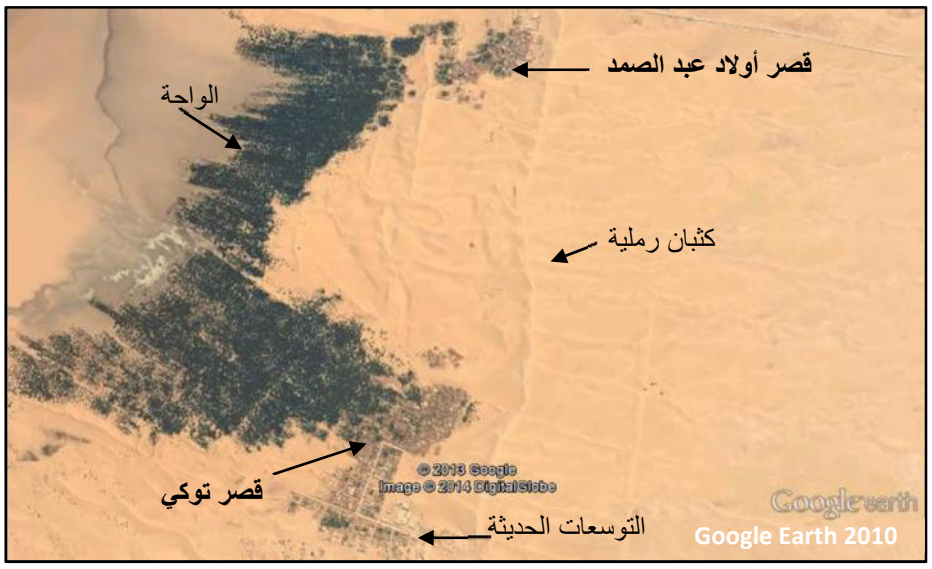

الصورة (17): زحف الرمال على النسيج التقليدي بقصور دلدول

نفس الظاهرة عرفها قصر "بادريان" (958 نسمة) في شمال تيميمون، التي أجبرت سكان هذا القصر على إنشاء سور " أفراق" على بعد 22 متر فقط من القصر، وقد أدى ذلك إلى تشكل كثبان رملية على جانبي هذا السور بطول يفوق 1متر، أثرت هذه الكثبان الرملية على النسيج التقليدي

وواحات النخيل بالقصر، وهو ما دفع بسكانه إلى التحول نحو أماكن أقل ترملا على الطريق الولائي 151 (الخريطة25) و(الصورة 18).

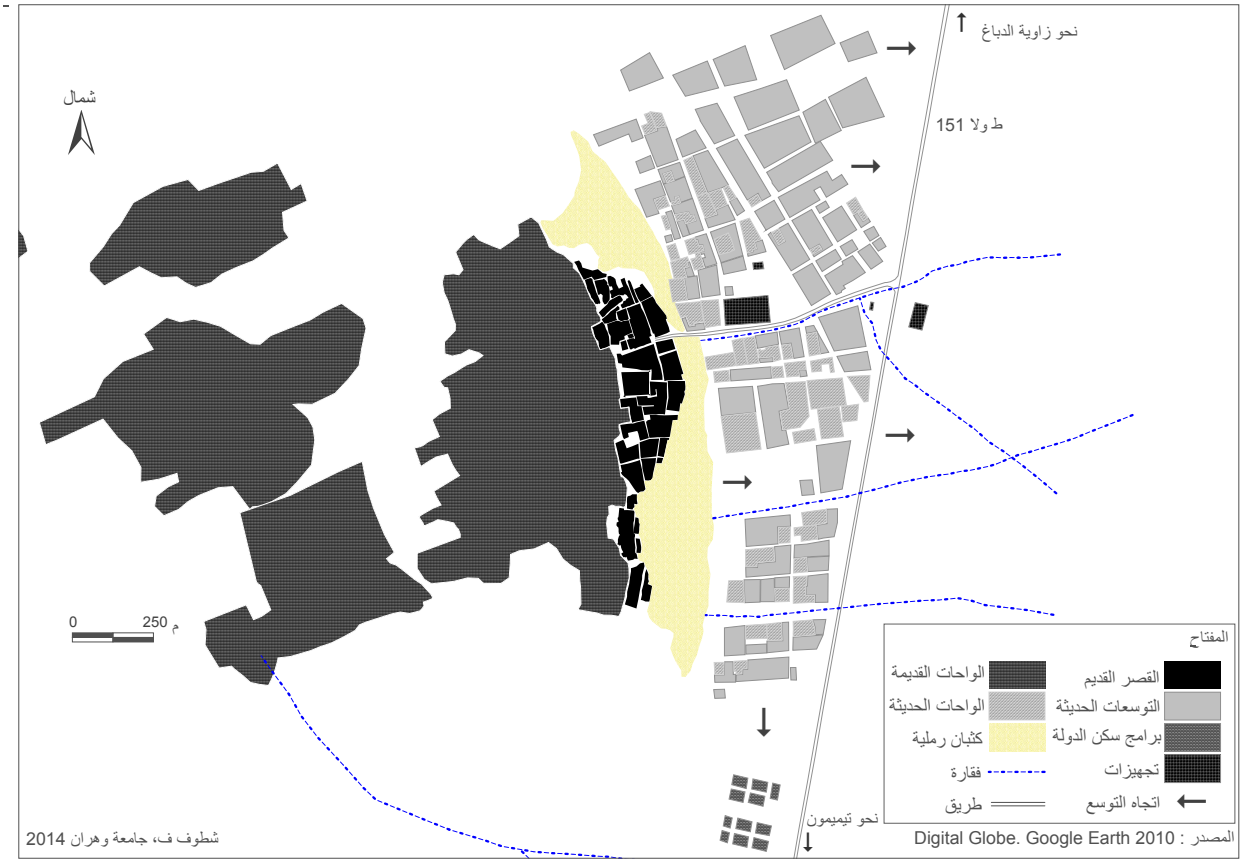

الخريطة (25): التوسع المجالي لقصر بادريان

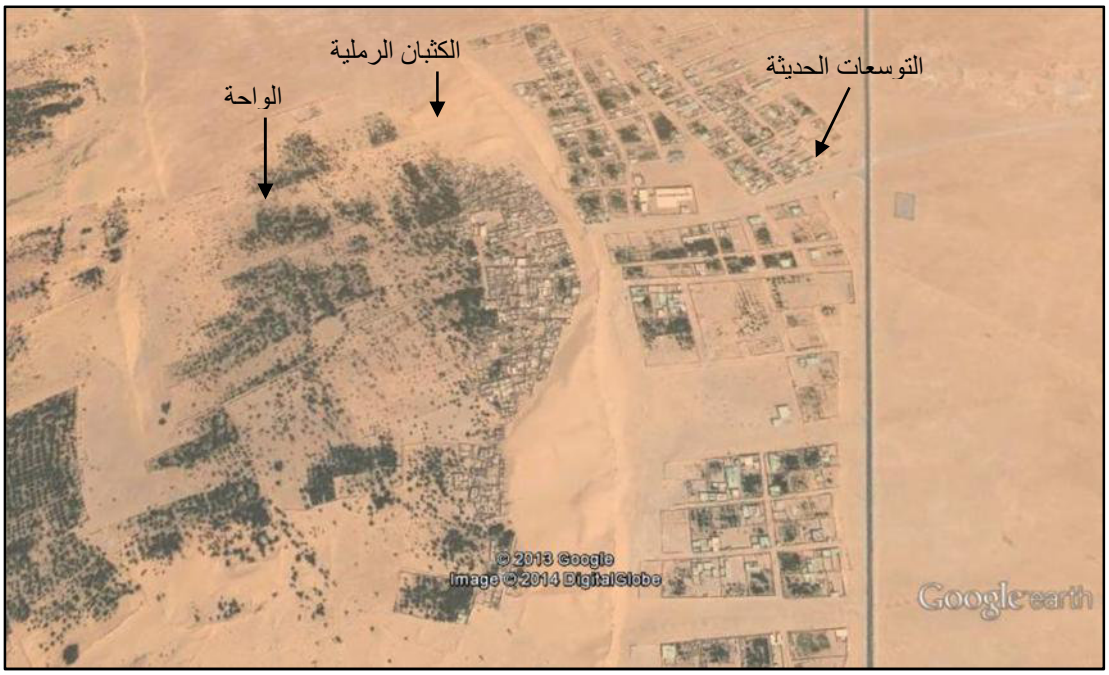

الصورة (18): قصر بادريان: توسع مجالي خارجي بسبب زحف الرمال على النسيج التقليدي

2.2.3. تحول مجالي داخل وخارج النسيج التقليدي في بعض القصور

يعرف النسيج العمراني لبعض القصور في قورارة (22 قصر)؛ توسعات مجالية خارج النسيج القديم، وذلك بجوار البرامج السكنية الحديثة والهياكل كغيرها من القصور، بالإضافة إلى ذلك تتميز بتحولات مرفولوجية داخل نسيجها التقليدي، أي عدم هجرة القصر والبقاء العديد من سكانه فيه، لكن مع التغيير في أشكال ومواد بناء المساكن، أدت هذه التغييرات إلى ظهور تحولات عمرانية واضحة على هذه القصور، فهي سببت في اختفاء النسيج المعماري الذي يميزه مواد بناء محلية؛ تضفي على القصر نسقا عمرانيا يبدو ككتلة واحدة متجانسة، بدخول أنماط وسكنات تشبه تلك التي ظهرت خارج النسيج التقليدي للقصر.

هذا النمط من التحولات المجالية؛ تميزت به خصوصا قصور التجمعات العمرانية الرئيسية ذات الكثافة السكانية المرتفعة (تيميمون وتيبرغمين)، يمكن تبرير ذلك بسبب تدخل فاعلين جدد باستراتيجيات ووسائل جديدة في تسيير العقار، فقد أدى ذلك إلى ارتفاع قيمته وصعوبة الحصول عليه، وهو ما جعل أغلب السكان يلجؤون إلى التغيير في نفس المساكن، نفس الظاهرة عرفتها قصور مركز بلدية أولاد سعيد؛ رغم أنها أقل كثافة سكانية من المراكز التي سبق ذكرها.

لم يقتصر هذا النمط من التوسع على المراكز العمرانية فقط، وإنما عرفته بعض القصور في التجمعات الثانوية والمبعثرة. إنها حالة قصور "الساهلة والمطارفة"، لاحظنا في هذه القصور؛ أنها تعرف نمو مجالي هام؛ وذلك نحو الطرق العامة والتجهيزات والبرامج السكنية التي أنشأت بها حديثا. استفاد قصر "الساهلة" في السنوات الأخيرة، من برنامج سكني بصيغة العمومي الإيجاري، وتجهيز تعليمي للطور المتوسط (الصورة 19)، وذلك في إطار توجيهات مخطط شغل الأراضي (POS)،التي برمجت فيه بسبب صعوبة التوسع في مركز البلدية "أولاد محمود" (PDAU 1995)، أما توسعات قصر "المطارفة"، فتتمثل في بعض السكنات بصيغة البناء الذاتي، وكذا برنامج السكن الريفي المجمع، الذي تم إنجازه بعد أمطار 2004 في إطار مساعدة المنكوبين (الصورة19). رغم ذلك إلا أن النسيج التقليدي لهذه التجمعات؛ لم تتم هجرته بصفة تامة، فهو يضم جزء هام من السكان الذين أحدثوا تغييرات واسعة على المساكن القديمة، ويظهر أنه أكثر مساحة من التوسعات الحديثة، هذا رغم أن هذه القصور تعرف تجمع وزحف للرمال حول نسيجها السكني، كغيرها من واحات منطقة دلدول التي سبق ذكرها.

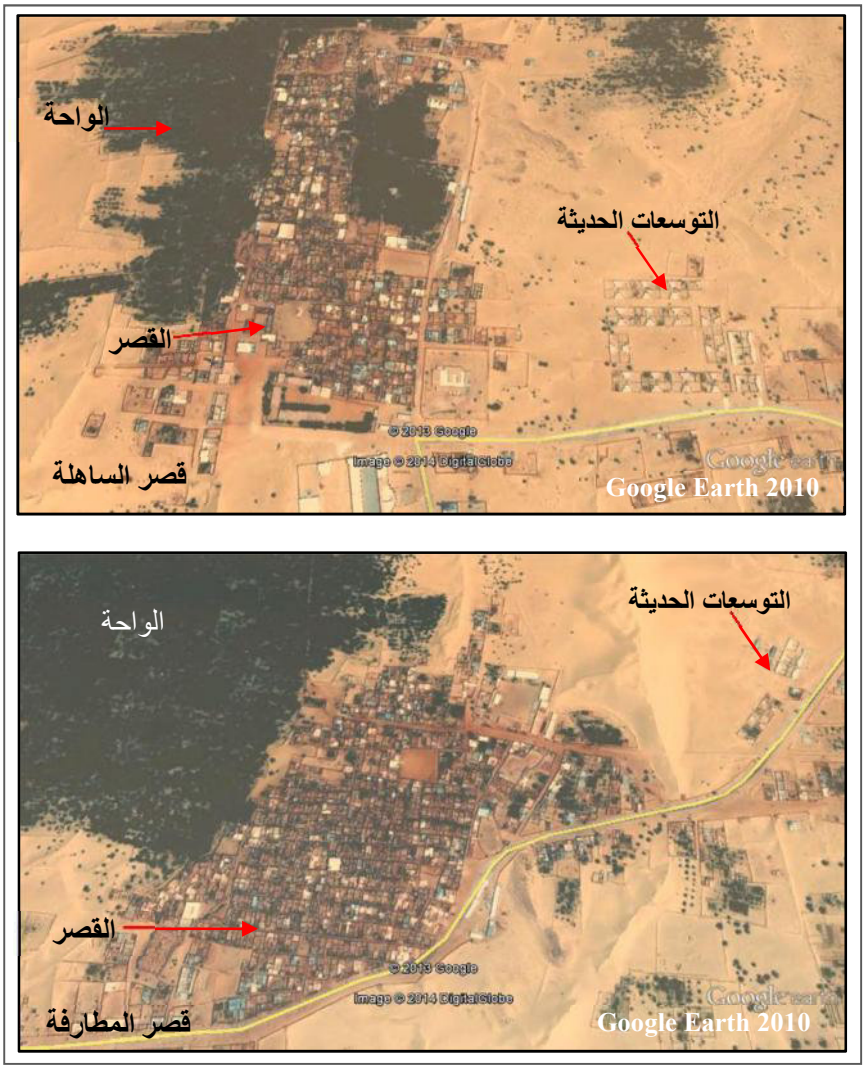

الصورة (19): تحولات مجالية داخل وخارج النسيج التقليدي لقصور المطارفة والساهلة.

أما في منطقة تيقورارين؛ فهناك ثلاث تجمعات سكانية، عرفت هذا النمط من التوسع المجالي، تتمثل في "الكاف وزقور" في الناحية الشمالية لبلدية تيميمون، يتمركز هذين القصرين على الطريق الولائي رقم 151، جذب إليه هذا الأخير العديد من سكان هذه المجمعات، مما أدى ذلك إلى بروز عملية تعمير واسعة عليه، تتمثل هذه التوسعات في عمليات البناء الذاتي للسكان، وإنشاء بعض واحات النخيل بالقرب من هذه المساكن؛ التي يتم سقيها باستغلال المياه الجوفية عن طريق الآبار، خاصة بعد انخفاض منسوب مياه العديد من الفقارات؛ التي تسقي واحات النخيل القديمة، هذا وبالرغم من وجود فئة سكانية هامة، ما تزال متمسكة بالقصر، ويظهر ذلك جليا من خلال التغييرات الواسعة التي تعرفها المساكن داخل النسيج التقليدي.

نفس نمط التوسع عرفه قصر "تاورسيت"؛ الذي يقع في الناحية الجنوبية لبلدية تيميمون على الطريق الوطني رقم 51، سمح له موقعه بأن يستفيد من بعض التجهيزات، غير تلك الموجودة في القصور الأخرى المجاورة له (مركز بريد، تجهيز للتعليم في الطور المتوسط...)، أدت هذه التجهيزات

إلى تشكل حركة يومية كثيفة نحو هذا التجمع. رغم أن هذه الهياكل التي يتوفر عليها تتوضع إلى حافة الطريق بعيدا عن النسيج التقليدي، إلا أن ما تزال نسبة كبيرة من سكانه، يسكن داخل القصر ولم تتأثر بها كغيرها من القصور الأخرى.

يمكن اعتبار التقرب من هذه التجهيزات والهياكل من بين الأسباب الدافعة إلى خروج السكان من القصر في أغلب المجمعات.

3.2.3. قصور تاغوزي: نمو مجالي عن طريق تشكيل تجمعات سكانية جديدة

إن النمو المجالي لقصور تاغوزي، يتميز عن غيره من قصور منطقة قورارة الأخرى؛ بأنه يتم بتشكيل تجمعات سكانية جديدة بعيدا عن النسيج التقليدي، فوقوع هذه المجمعات وسط العرق الغربي جعلها تتأثر بزحف كبير للرمال على مساكنها وواحاتها، مما أدى إلى تدهورها ودفع بالسكان إلى هجرتها، كما أن تمسك سكان هذه المنطقة بالنشاط الزراعي إلى حد ما، دفعهم إلى التحول من نقطة إلى أخرى، بحثا عن المناطق الأكثر انبساطا وتوفرا على الماء وأقل ترملا، بهدف استغلال مساحات واسعة في العمل الزراعي وإنتاج التمور، إذ تشتهر هذه المنطقة بجودة تمورها وتنوعها وكذا أراضيها الزراعية الخصبة. هذه الظاهرة ليست حديثة في المنطقة، ولكن تعود إلى أكثر من قرنين، وهي مستمرة لحد الآن، عرفت ديناميكية كثيفة خلال السنوات الأخيرة من المرحلة الاستعمارية، وفي السنوات الأولى بعد الاستقلال، أما حاليا فيهي بطيئة وتكاد تختفي، ماعدا ظهور بعض المجمعات ذات أحجام سكانية صغيرة (أقل من 100نسمة)؛ في أماكن برمجة نظام استصلاح الأراضي الزراعية.

1.3.2.3. قصور قديمة النشأة وأخرى تعود نشأتها إلى ما لا يزيد عن قرنين فقط؟

إن المعطيات التاريخية لمنطقة تاغوزي، تفيد بأن أغلب مجمعاتها السكانية لا تعود نشأتها إلى أكثر من 9 قرون، كما هو الحال بالنسبة لقصور المناطق الأخرى من قورارة، فحسب ما قاله الباحث J Bisson في مذكرته سنة 1957: « أقدم التجمعات السكانية لهذه المنطقة، تعود نشأتها إلى ما لا يزيد عن 3 أو 4 قرون، أما مؤسسي هذه الواحات فجاء أغلبهم من قصر "تينزيري"، الذي يوجد في شمال شرق قصر "لحمر" بمنطقة أولاد عيسى، ومن إحدى الواحات التي تحولت إلى أطلال اليوم، والموجودة بالقرب من قصر "تبو" بمنطقة شروين، أول القرى التي أنشأت بها كانت "طلمين والساقية"، التي ظهرت منذ ما يقارب 3 أو 4 قرون، تشكلت من بعدها قصور "باحمو، قلو وتاغوزي" منذ ما يقارب القرنين أو 150 سنة فقط، وظهرت فيما بعد كل من قرى "تاكيالت، قطوف" و"نعمة"، التي تشكلت من تجمع البعض من سكان قصر "الساقية"».

لكن بعد احتكاكنا ببعض السكان المحليين بالمنطقة، توصلنا إلى معلومات أخرى؛ تفيد بأن أقدم قصورها هو قصر "طلمين" الذي تعود نشأته إلى 8 قرون، ولازالت أثاره موجودة لحد الآن (الصورة 20)، أسس من طرف بعض الرحل العابرين للمنطقة، أما عن نزوح القبائل إلى هذا القصر فقد كان بعد الفتوحات الإسلامية، وقد سكنها في البداية ثلاث قبائل فقط، أما قصر "الساقية" فاحتواءه على الفقارة وآثار قصبة قديمة، يمكن اعتبار ذلك دليل عن قدم نشأة هذا القصر (الصورة 21).

رغم الاختلاف في تاريخ ظهور هذه المجمعات، بسبب قلة الدراسات حول هذه المنطقة التي تؤكد صحة المعطيات، إلا أن ما يهمنا هنا هو تلك المجمعات الحديثة النشأة، التي ظهرت في الآونة الأخيرة فهل هي تحمل نفس مواصفات هذه القصور القديمة التي انبثقت منها؛ لتجعلها تحمل اسم قصر؟

2.3.2.3. مجمعات سكانية حديثة النشأة: أي نوع من المجمعات تشكل؟

ناهيك عن التجمعات السكانية التي تعود نشأتها إلى قرون عدة، عرفت المنطقة حركة سكانية داخلية كثيفة خلال السنوات الأخيرة من الاستعمار وإلى غاية بداية السبعينات، نتج عن هذه الحركة تشكل العديد من التجمعات السكانية (أكثر من 17 قرية يتراوح عدد سكانها ما بين 50 و700 نسمة)، يوجد البعض منها في حدود بلدية طلمين (الخريطة 26 ص 146)، أما البعض الآخر فظهر في منطقة أجدير التابعة إداريا لبلدية شروين.

تشكلت قصور بلدية طلمين كما يلي:

- قصر طلمين: انبثق عنه كل من بوكزين مقر البلدية، وقصر تيمارين
- قصر الساقية: تشكل منه قرى قطوف، تاكيالت، راشد
- قصر تاغوزي: تشكل منه كل من تاعرابين، نعمة، تيناصر، فناون
- قصر قلو: تشكل منه قرى تمسقلوت، يحياودريس، تاوراخت
- قصر باحمو: انبثق عنه قصر اللجام، سيد المختار، وزعيتر

أما قصر اجدير: تشكل منه تجمعات يطلق عليها حاليا اسم أجدير الشرقي، منها (تينزيري، تينزا، ازكيو....). ارتئينا التطرق إليها هي الأخرى بالتفصيل، لولا نقص المعطيات التي حالت دون ذلك.

الصورة (20): القصر القديم لطلميــن 2013

الصورة (21): قصبة قصر الساقية

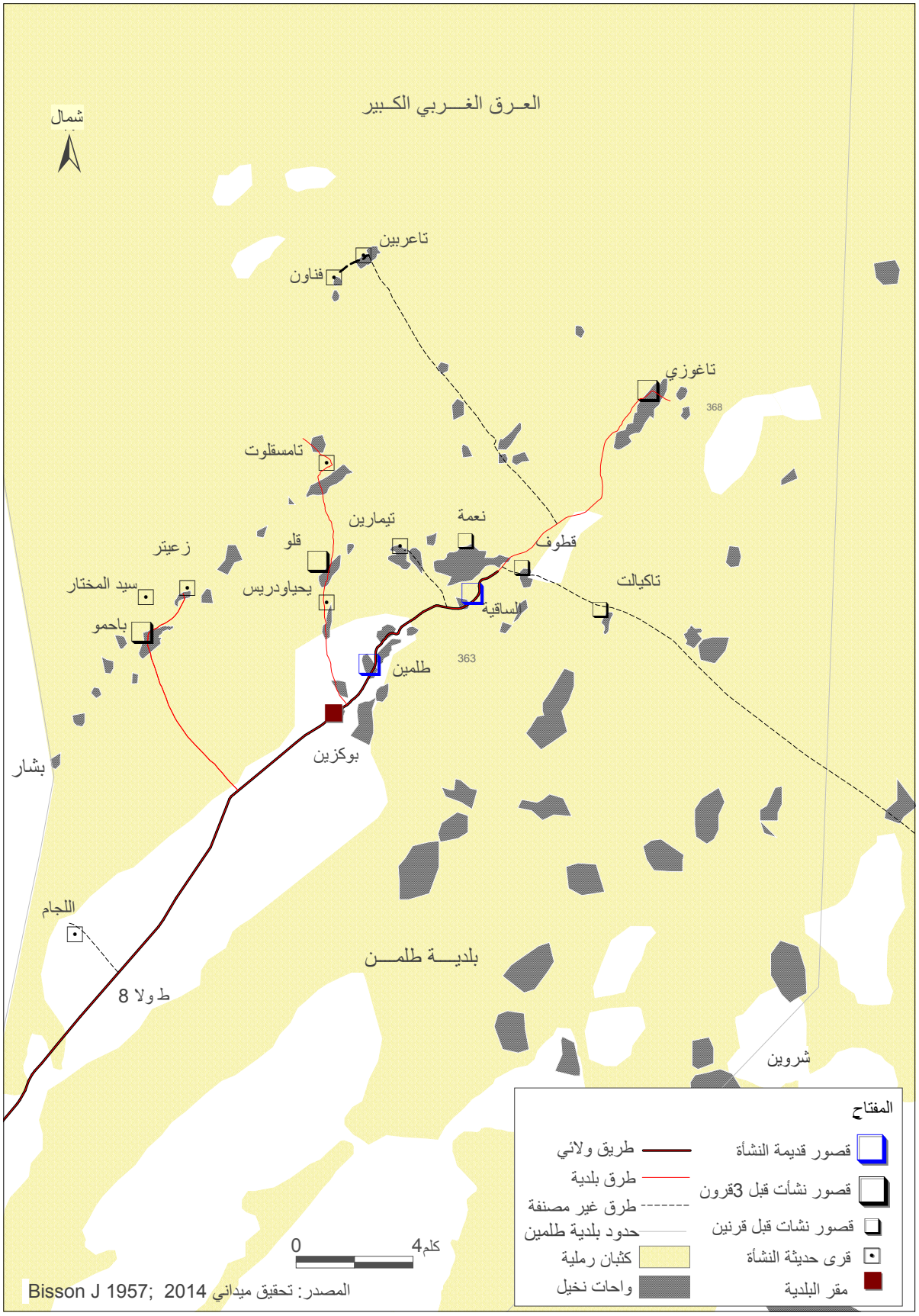

خريطة (26): توزيع المجمعات السكانية لبلدية طلمين

يتميز نمط التوسع بهذه المجمعات في حد ذاتها، بأنه يكون بجانب واحات النخيل وسط الكثبان الرملية مشكلة ما يسمى "بالغوط"؛ الذي يمتد إلى مساحات واسعة، وهو ما جعل أغلبها يصنف ضمن التجمعات المبعثرة. استفادت هذه المجمعات في السنوات الأخيرة من بعض التجهيزات التعليمية والصحية، كما أنه تم تعبيد الطرقات نحوها وربطها بالكهرباء، بهدف فك العزلة عنها وتثبيت السكان فيها. إن وتيرة النمو الديموغرافي بهذه المجمعات ليست مرتفعة، وتختلف من قصر لآخر، ما جعلها تتميز بأحجام سكانية صغيرة، ما عدا قصر "بوكزين" الذي يفوق عدد سكانه حاليا 1000نسمة، فقد تم اختياره ليكون مركزا للبلدية؛ بحكم وقوعه في منطقة منبسطة، يتحكم في تسيير هذه القرى، فاستفادته في هذا الإطار من مجموعة التجهيزات، جعلت منه نقطة جذب لسكان هذه المجمعات نحوه.

قصر باحمو (الخريطة 27)، أحد أكبر المجمعات السكانية لبلدية طلمين، بعد تاغوزي والساقية، تعود نشأته إلى قرنين (Bisson J, 1957)، قدر عدد سكانه بحوالي 1163 نسمة حسب احصاء 2008. يحتوي هذا القصر على بعض التجهيزات: منها مدرستين ابتدائيتين، قاعة علاج، قاعة متعددة النشاطات، مسجدين، كما أنه استفاد مؤخرا من فرع إداري للبلدية.

خريطة (27): قصر باحمو، بلدية طلمين

تتوسع هذه المجمعة السكانية (باحمو) على الطريق البلدي 41، الذي يربطه بمقر البلدية على بعد 11 كلم، أما نمط التوسع فهو كغيره من المجمعات الأخرى التي تتوضع وسط رمال العرق، يتم عن طريق إنشاء "الغوط"، الذي يحتوي على المسكن والمساحة المزروعة، يحميه من الرمال أسوار أفراق. انبثق عن هذا القصر ثلاث مجمعات يتراوح عدد سكانها ما بين 80 و200 نسمة، من بينها قرية "اللجام" التي سكنها السكان الذين استفادوا من قروض الامتياز لاستصلاح الأراضي الزراعية، فقد وزع فيها حوالي 200 هكتار في هذا الإطار.

رغم تصنيف القصور إلى ثلاثة أصناف، حسب أشكال توسعها باختلاف العوامل التي تحكمت في كيفيات التوسع، إلا أن عملية التعمير نحو الطرق المعبدة؛ وبجوار التجهيزات والبرامج السكنية الحديثة؛ التي أنشأتها الدولة في هذه القصور، يمكن اعتبارها عامل مشترك بينها، غير أنها تختلف فقط في ديناميكية توسعها.

4. شبكة عمرانية غير متوازنة: تباين في توزيع الهياكل والوظائف في القصور

إن استمرارية وأقدمية المجمعات السكانية؛ بمنطقة قورارة كغيرها من المناطق الصحراوية، كان يعتمد تاريخيا على تلك التوازنات المحلية، التي تتم عن طريق التكيف مع المحيط من جهة، ومن خلال توسيع نسيج العلاقات السوسيو اقتصادية والثقافية عبر مجالاتها من جهة أخرى، مشكلة بذلك شبكة عمرانية متكافئة، يتحكم في تنظيمها تلك العلاقات التقليدية التي ورثتها منذ قرون عدة.

بعد تدخل فاعلين جدد في تنظيم وتسيير هذه المجمعات، وذلك عن طريق إدراج أنشطة ووظائف جديدة غير النشاط الزراعي، أدى ذلك إلى قلب منطق التنظيمات والعلاقات التقليدية السابقة، ولكن كذلك سمحت بالتغيير في أحجامها ووظائفها، تلك التي سمحت لها بالتحول من مجرد مراكز ريفية؛ إلى مراكز حضرية (تيميمون)، خلقت لنفسها مكانة ضمن الشبكة الحضرية الوطنية، أو مراكز شبه حضرية (تيبرغمين)، تشكل نقاط إشعاع وجذب لسكان المجمعات والقصور المجاورة، الأقل حظا بهذه التطورات، أنتج ذلك بالإضافة إلى أحجام وأشكال مختلفة من المجمعات السكانية، قصور بوظائف متعددة ومستوى متباين بينها في مجال التجهيز والتنمية.

1.4. الترقية الإدارية: لماذا تم اختيار بعض القصور لتكون مراكز إدارية دون انتقاء غيرها؟

إن التنظيمات الإدارية التي توالت على قورارة، منذ السنوات الأولى للاستقلال وإلى غاية 1991 أدت إلى تكثيف الشبكة الإدارية. هدفها أي هذه التنظيمات هو تحقيق تنمية للقصور، إذن من المؤكد أنه تم الاعتماد على عدة اعتبارات، في توزيعها على المجال في قورارة، من بين أهم هذه الاعتبارات ربما، تقريب الإدارة من المواطن؛ عن طريق خلق نوع من التوازن، من خلال اختيار مراكز إدارية

في قصور تكون موزعة على كامل المنطقة، خاصة أن لقورارة مساحة شاسعة، وكذلك من أجل التحكم أكثر في هذه القصور التي يفوق عددها الـ100 قصر؛ ودمجها كمراكز ريفية في مسار التنمية التي تعتبر البلدية المحرك الرئيسي لها محليا.

1.1.4. مقرات إدارية في المجمعات الكبرى لقورارة وأخرى تم اختيارها حسب موقعها ولخلق التوازن الإداري بين القصور

اعتمد التنظيم الإداري لسنة 1963 في توزيع مراكزه الإدارية بمنطقة قورارة، على التقسيمات الموروثة من الفترة الاستعمارية. وذلك باتخاذ المراكز العسكرية السابقة كمقرات للبلدية (تيميمون، زاوية الدباغ، تيبرغمين)، كانت تمثل هذه القصور؛ كبريات المجمعات التي يفوق حجمها السكاني 1000 نسمة، فيما تم اتحاذ قصر تاغوزي كمقر للبلدية، يضم قصور منطقة تاغوزي وشروين من أجل تغطية والتحكم في المجال. لم يتغير هذا التنظيم في أغلبه خلال تقسيمات 1974؛ لولا استبدال مقر بلدية تاغوزي؛ بمركز إداري جديد قرب قصر شروين (يبعد هذا المركز بـ 1كلم عن القصر)، وذلك على الطريق الوطني 51 (صنف كطريق ولائي خلال تلك الفترة)، الذي تم إنشاء هذا الأخير خلال نفس السنة، إذ يمكن من خلال ذلك تفسير هذا التغيير؛ لمركز بلدية تاغوزي الذي يتوضع وسط العرق؛ نحو شروين والذي كان بهدف تقريب مقر البلدية من هذا الطريق.

لم يكن التحكم في القصور بشكل جيد خلال هذه التنظيمات، بدليل أنه تم تقسيم ما يفوق الـ 100 قصر على أربع بلديات، البعض منها التي كانت تسير ما يفوق الـ50 قصر، ويتعلق الأمر ببلدية تيميمون؛ التي كانت تضم قصور كل من منطقتي أولاد سعيد وأولاد عيسى، هذه الوضعية كانت تعرفها العديد من مناطق الوطن، وليس فقط منطقة قورارة، لذلك جاءت التقسيمات الإدارية لـ 1984، التي كان هدفها الأساسي؛ توسع التنمية المحلية على المستوى الوطني، من خلال دعم الشبكة الإدارية بعدد هام من البلديات، استفادت منطقة قورارة كما سبق وأن ذكرنا من 6 بلديات جديدة، أغلبها جاء لتغطية النقص في التسيير، وبهدف تقريب المؤسسات الإدارية والهياكل من المواطن، ويتعلق الأمر: بطلمين، اولاد عيسى، قصر قدور، دلول والمطارفة، أما بلدية أولاد سعيد التي انبثقت عن تيميمون، تم إنشاؤها رغم أنها لا تبعد عنها سوى بأقل من 30 كلم؛ إذ يمكن تفسير ذلك ربما بكثافة عدد القصور التي توجد في هذه المنطقة (أكثر من 38 قصر) ولكن كذلك كثافة عدد السكان، فقد كان يسكنها خلال هذه المرحلة ما يقارب 37% من مجموع سكان قورارة. أما اختيار بعض القصور؛ لتمثل هذه المقرات دون انتقاء غيرها، فيرتبط في أغلب الأحيان بالطبيعة الطوبوغرافية للمكان الذي تتوضع فيه، كما هو الحال بالنسبة "لبوكزين" مقر بلدية طلمين، الذي تم اختياره لكونه يوجد في موضع؛ تنعدم فيه الكثبان

الرملية للعرق على مسافة تقارب 60 كلم، هذا ما سمح بإنشاء التجهيزات والهياكل الإدارية فيه بما أنها تتطلب مثل هذه الشروط.

2.1.4. تكثيف الشبكة الإدارية لقورارة بعد 1984 سمح بالتغيير في وظائف القصور

بالإضافة إلى تأثير هذه التنظيمات الإدارية، على الأحجام السكانية لهذه للقصور وكذا مرفولوجيتها، أثرت كذلك على وظائفها؛ فبعد أن كانت تقتصر على الوظيفة الفلاحية بالدرجة الأولى، أدت ترقية البعض منها؛ إلى الاستفادة بالعديد من التجهيزات والهياكل المتعددة الخدمات (إدارية، صحية، تعليمية)، التي ساهمت في تقلدها لوظائف جديدة، وفتح المجال نحو سوق العمل في القطاعات الإدارية خصوصا، لتصبح بذلك نقاط جذب للسكان نحوها؛ سواء المحلية أين عرفت هذه المراكز حركة سكانية كثيفة نحوها خلال هذه الفترة، أو كذلك من خارج الولاية، فقد أدت إلى ظهور تشكيلات اجتماعية جديدة فيها جذبها توفر فرص الشغل.

التطور الوظيفي للقصور المرقاة خصوصا؛ لم يكن بنفس الوتيرة، فمنها التي تخلت في أغلبها على الوظيفة الفلاحية، وذلك لصالح وظائف جديدة كالإدارية، الخدماتية، ويتعلق الأمر بمدينة تيميمون التي تستحوذ على جميع هذه الوظائف؛ لتمثل نقطة جذب لها نفوذ في كل منطقة قورارة، فيما تأتي المراكز الأخرى بأهمية أقل منها، لكن البعض من هذه المراكز وإن أصبح يؤدي الوظيفة الإدارية، إلا أنه بقي يحافظ على وظيفته الفلاحية، ويقصد بذلك تلك المجمعات التي تم ترقيتها حديثا (اولاد سعيد، دلدول، قصر قدور...)، أما فيما يتعلق بالقصور التي لم تستفيد من هذه الترقيات، فقد بقيت محافظة على وظيفتها الفلاحية وبعض الصناعات التقليدية؛ وإن لم تصبح هذه الوظائف تمثل النشاط الرئيسي للسكان، بدليل أن هذه القصور؛ أصبحت تلعب دور ممول لليد العاملة، في القطاعات الإدارية لمراكز البلديات.

2.4. بروز أنماط جديدة من المجمعات السكانية في منطقة قورارة

أصبحت قصور المراكز العمرانية؛ تمثل نقاط جذب وتثبيت للسكان المبعثرين، فيمكن القول أن التحولات الإدارية لعبت دور بارز في قلب أنماط الاستيطان بالمنطقة، سواء تعلق الأمر بتلك القصور التي تم جمعها في مجمعة سكانية واحدة، ومنحها الوظيفة الإدارية بسبب قرب المسافة بينها، أو تلك التي تقع بجوار هذه المراكز فغالبا ما تكون متأثرة بها، فكلما ابتعدنا عن المركز تغير نمط الاستيطان في القصور من التجمع إلى التبعثر، رغم أن هذه الخاصية لا تنطبق على كل قصور المنطقة؛ ولكن في أغلبها على الأقل، ويرتبط ذلك باختلاف المعطيات الطبيعية فيها؛ والتي تبقى دائما إحدى العناصر الهامة التي تتحكم في ذلك.

1.2.4. تطور تصنيف القصور حسب أنماط التجمع

أثر النمو الديموغرافي والمجالي؛ بشكل واضح على تحول أنماط الاستيطان في منطقة قورارة، فمن خلال تتبعنا لتطور هذه الأنماط؛ حسب التعدادات السكانية الخمس، ستتجسد لنا هذه الفكرة التي توحي بتحول سكان قورارة؛ من نمط التبعثر إلى نمط التجمع في القصور (الجدول 21).

جدول (21): تطور تصنيف قصور قورارة حسب نمط الاستيطان

	1966	1977	1987	1998	2008
ت. ح. ر	4	4	13	15	19
ت. ث	16	23	36	38	43
م. م	104	97	76	72	63

ت. ح. ر: تجمع حضري رئيسي، ت. ث: تجمع ثانوي، م. م: مناطق مبعثرة

لم يكن يتجاوز عدد القصور المتجمع سكانها 21 قصر؛ حسب إحصاء 1966، إذ أغلب القصور كانت تصنف كمناطق مبعثرة (أكثر من 100 قصر)، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه يعود تصنيف هذه القصور كمجمعات مبعثر ة إلى صغر حجمها السكاني، وليس بسبب تبعثر سكانها أو مساكنها بما أنه أحد المقاييس المعتمد في هذه التصنيفات، ونحن نعلم أن القصور منذ نشأتها كانت تتميز بتكاثف وتراص نسيجها السكني، مع أن هذه الخاصية لا تنطبق على بعض القصور، أي تبعثر مساكنها هو السبب في تصنيفها كمجمعات مبعثرة، ويتعلق الأمر بقصور منطقة تاغوزي وتينركوك التي تبعثرَ سكانها في أماكن متعددة، بعد هجرتهم للنسيج السكني التقليدي، نظرا للمعطيات الطبوغرافية التي تتوضع فيها هذه القصور (العرق)، وتفرض هذا النمط من التجمع. فيما لم تعرف القصور تغيرات هامة في أنماط الاستيطان بها عند إحصاء 1977، خاصة بالنسبة للتجمعات العمرانية الرئيسية التي بقيت بنفس العدد، أما قصور التجمعات الثانوية فقد ارتفع عددها بشكل طفيف (24 قصر)، أغلب هذه القصور تميزت بأحجام تفوق الـ500 نسمة. ظهرت هذه المجمعات في: بلدية تيميمون (قنتور، تاورسيت، حاج قلمان، أولاد عيسى، زاوية س ح ب)، منطقة اوقروت ودلدول التي تتميز بأغلبية قصورها المصنفة ضمن هذا النمط. أما قصور تينركوك فبالإضافة إلى المجمعات السكانية السابقة (تابلكوزة، عين حمو) صنف خلال هذا الإحصاء قصر "فاتيس" كتجمع ثانوي بسبب حجمه السكاني الهام، وتلاحم نسيجه العمراني.

في السنوات الأخيرة (بعد 1984)، تغيرت أنماط الاستيطان بشكل ملحوظ في القصور، حيث أصبحت تصنف أغلبها ضمن التجمعات الثانوية (الخريطة 28)، كان ذلك خصوصا بظهور 10 قصور على الأقل منذ التحولات الإدارية الأخيرة، صنفت كمراكز عمرانية رئيسية هذا رغم الحجم السكاني الصغير للبعض منها (قصر قدور 87 نسمة، دلدول 122 نسمة).

رغم تصنيف العديد من القصور ضمن التجمعات الثانوية خلال إحصاء 1987 (أكثر من 30 قصر)، إلا أنه بقي العديد منها يصنف كمناطق مبعثرة، يتعلق الأمر بقصور العرق (تاغوزي وقصر قدور)، التي تتميز بهذه الظاهرة بسبب انخفاض الكثافة السكانية بهذه المنطقة، وبعض القصور ذات أحجام سكانية صغيرة في أولاد سعيد وتيميمون، فيما يكاد ينعدم هذا الصنف من القصور في جنوب منطقة قورارة (أوقروت، دلدول، المطارفة)، وفي أقصى شمالها في بلدية تينركوك، أين تزيد الأحجام السكانية لقصور هذه البلدية في أغلبها عن الـ 1000 نسمة (الخريطة 28).

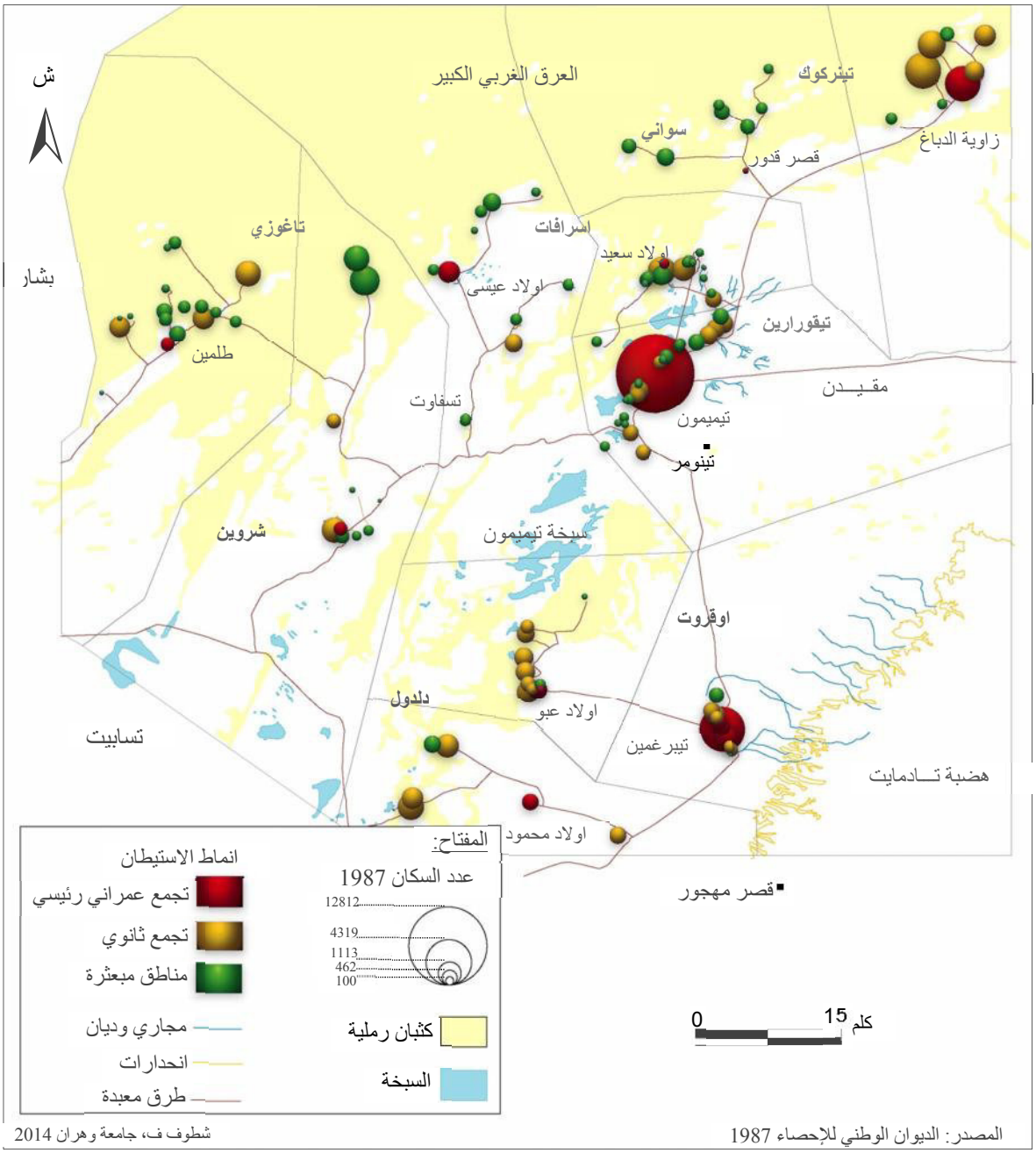

الخريطة (28): توزيع القصور بقورارة حسب أنماط الاستيطان سنة 1987

إن ظاهرة تجمع السكان في المنطقة؛ في تزايد مستمر خاصة في السنوات الأخيرة (2008)، بما أن عدد القصور المتجمع سكانها؛ يمثل أكثر من نصف مجموع القصور الكلي في المنطقة (الخريطة 29)، هذا التجمع تميزت به بعض القصور المتوضعة في العرق، فأما في بلدية طلمين، فقد ظهرت فيها مراكز جديدة تصنف ضمن التجمعات الثانوية (طلمين، قلو)، وهي تعتبر من أكبر القصور من حيث حجمها السكاني، فيما بقيت منطقة قصر قدور بنفس الخصائص السابقة (تبعثر السكان في القصور)؛ لولا ظهور قصر "انجلو" كتجمع ثانوي يفوق حجمه السكاني 1000 نسمة، بالإضافة إلى تجمع عدد هام من السكان، جذبه توفر المرافق في المركز العمراني لهذه البلدية. أما بلدية تينركوك فوتيرة تجمع السكان فيها تتم بصفة سريعة، أين عرفت خلال الإحصاء الأخير تحول أحد قصورها (بن زيتة)، إلى نمط التجمع في الاستيطان، ويعود السبب في ذلك أساسا لكونه يقع في منطقة منبسطة تقل فيها الكثبان الرملية؛ وذلك على الطريق الولائي 151، وهو ما أدى إلى جذب العديد من السكان الذين قدموا من القصور المجاورة (فاتيس)، خاصة الذين استفادوا من مساحات لاستصلاح الأراضي الزراعية؛ التي ظهرت بالقرب منه في أغلبها، كما أن نسيجه العمراني يكاد يلتحم بالنسيج العمراني لمقر البلدية "زاوية دباغ" فهو لا يبعد عنه سوى بـ4 كلم.

تتميز بلدية أولاد عيسى بتبعثر سكانها في أغلب قصورها، فهي تضم 7 مراكز صنفت كمناطق مبعثرة، هذا رغم ظهور تجمعات ثانوية أخرى خلال 2008، ويتعلق الأمر بقصر "وانودي" الذي تأثر بالتجمع الرئيسي للبلدية، فهو يقع بجواره حيث لا يمكن تمييز انسجتهما العمرانية، بالإضافة إلى ذلك صنف قصر "حيحا" كتجمع ثانوي خلال الإحصاء الأخير، هذا رغم أن هذا التجمع يتميز بنوع من التبعثر في نسيجه السكني الذي توسع خارج النسيج التقليدي للقصر، بسبب توضعه على حواف رمال العرق، لكن أهّله حجمه السكاني ليصنف ضمن هذه المجموعة؛ هذا إذا ما قارناه مع قصور أخرى يظهر نسيجها السكني أكثر تجمعا بجوار القصر القديم (تاسفوت، سمجان، لحمر)، لكن أحجامها السكانية الصغيرة جعلتها تبقى تصنف كمناطق مبعثرة، نفس السبب صنفت به العديد من قصور أولاد سعيد وتيميمون؛ رغم أنها في أكثر المناطق تركزا سكانيا في قورارة، إلا أن احتواءها على أكبر مركز عمراني (تيميمون) جعله يسيطر عليها، ليس فقط في التجهيزات والمرافق؛ ولكن كذلك في حجمها السكاني.

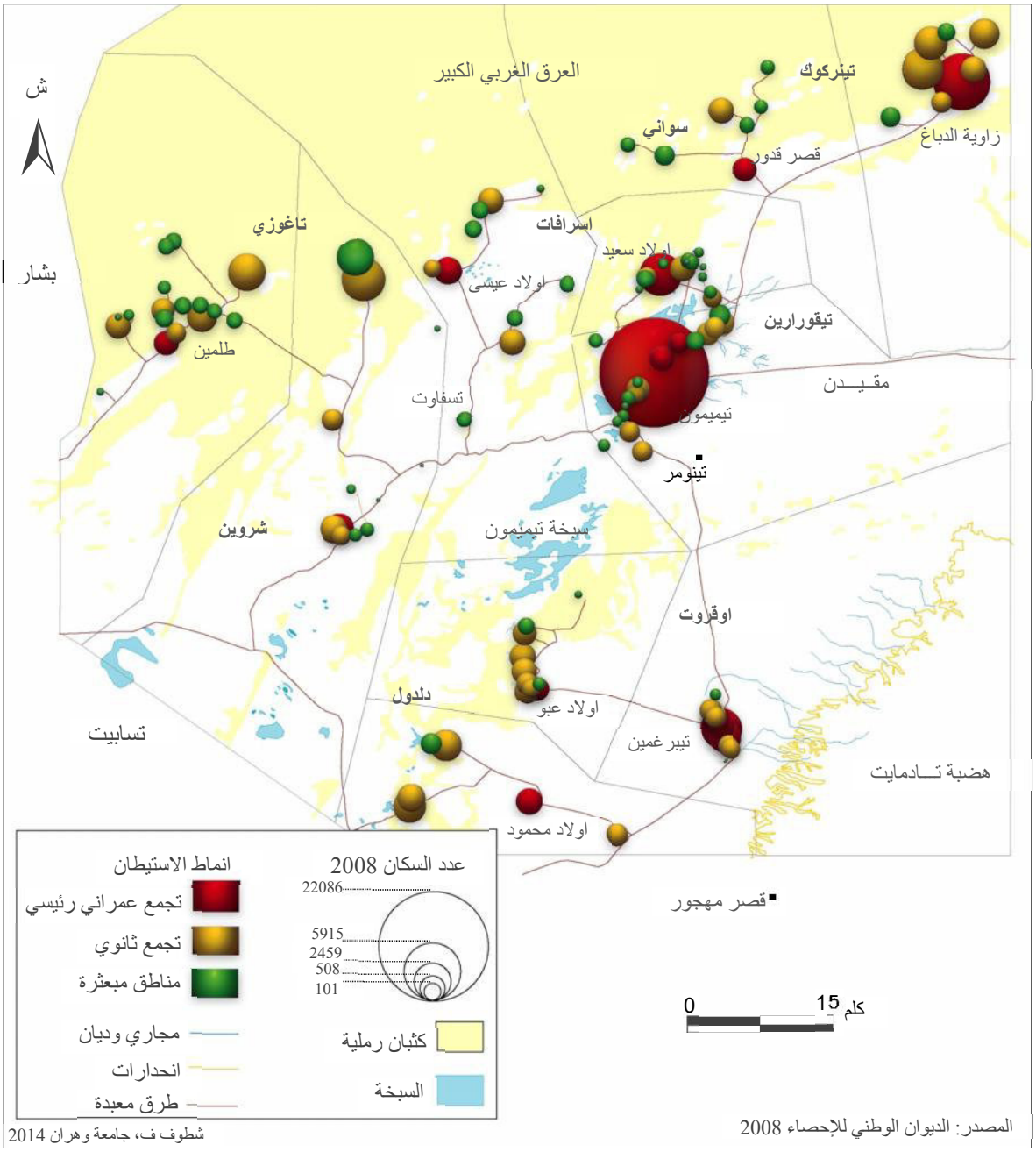

الخريطة (29): توزيع القصور بقورارة حسب أنماط الاستيطان سنة 2008

بقيت قصور أوقروت، دلدول، المطارفة، محافظة على خاصية تجمع السكان، وذلك بسبب أحجامها السكانية الكبيرة في أغلبها؛ إلا أنه خلال هذه المرحلة (2008)؛ أصبح قصر "أولاد عبد الصمد" التابع لبلدية دلدول؛ يصنف ضمن المناطق المبعثرة، بعد أن كان في التعدادات السابقة يصنف ضمن التجمعات الثانوية، يعود السبب في ذلك إلى تناقص حجمه السكاني؛ بسبب هجرة العديد من سكانه نحو المناطق المجاورة، بسبب معاناتهم من زحف كبير للرمال على واحته ونسيجه السكني.

يمكن القول عن هذه التصنيفات؛ أنها اعتمدت على مقياس الحجم السكاني للقصور، أكثر مما ركزت على درجة تبعثر وتجمع أنسجتها السكنية؛ خاصة تلك المتوضعة بين الكثبان الرملية للعرق. وهذا دون مراعاة خصوصيات البعض منها، الذي يتميز بتكاثف وتراص نسيجها العمراني منذ نشأته.

2.2.4. القصور جلها ريفية حسب الهيكلة الحضرية لـ 2008

إن المقاييس المعتمدة في تصنيف المجمعات السكانية، ما إن كانت ريفية أو حضرية؛ عرفت تطورات خلال التعدادات السكانية الخمس التي عرفتها البلاد، أما تلك التي تم اعتمادها خلال الإحصاء السكاني الأخير، تميزت بتحديد عدد سكان هذه المجمعات لتكون حضرية أن يفوق 5000 نسمة، والمشتغلين في النشاط الزراعي منهم يقل عن 25%، بالإضافة إلى ضرورة كون هذه المراكز مربوطة بمختلف الشبكات (الصرف الصحي، الماء، والكهرباء)، وأن تكون تحتوي على بعض التجهيزات (الصحية، التعليمية (ثانوي)، الترفيهية، الإدارية)، أضف إلى ذلك وتيرة النمو الديموغرافي لهذه المجمعات لمعرفة درجة جاذبيتها.

من خلال هذه المعايير؛ تم الوصول إلى تحديد ثلاث أنماط من المجمعات الحضرية تتمثل في: حضري ممتاز، حضري، نصف حضري وشبه حضري. فأما في منطقة قورارة فلم يظهر منها سوى تجمعين سكانيين صنفا ضمن هذه الأنماط، يتمثلان في: مدينة تيميمون وقصور ماسين المجاورة لها، التي صنفت كتجمع حضري، أهّلها لذلك خصائصها السكانية وتطور درجة تجهيزها، وقصور مجمعة تيبرغمين الأربعة التي صنفت كتجمع نصف حضري. أما القصور الأخرى فقد صنفت من خلال خصائصها التي تميزت بها؛ ضمن المراكز الشبه الريفية والريفية (الجدول 22)، وهو ما سمح بتأكيد فكرة أن منطقة قورارة تصنف ضمن المجالات الريفية بالدرجة الأولى.

جدول (22): تصنيف قصور قورارة حسب الهيكلة الحضرية لـ 2008

الصنف / البلديات	حضري	نصف حضري	شبه ريفي	ريفي مجمع	ريفي مبعثر	المجموع
تيميمون	5	-	-	10	11	26
اولاد سعيد	-	-	1	3	10	14
اوقروت	-	4	-	5	1	10
دلدول	-	-	-	7	2	9
المطارفة	-	-	2	3	1	6
تينركوك	-	-	2	4	2	8
قصر قدور	-	-	-	2	6	8
شروين	-	-	1	4	6	11
اولاد عيسى	-	-	-	4	7	11
طلمين	-	-	-	6	11	17
المجموع	5	4	6	48	57	120

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء 2008

تصنيف القصور كمراكز شبه ريفية شمل كذلك مقرات البلديات، خاصة تلك الحديثة النشأة، هذا رغم عددها السكاني الذي يفوق 5000نسمة، احتواءها على عدد هام من التجهيزات وربطها بمختلف الشبكات (زاوية الدباغ)، إلا أن اعتماد أغلبية سكانها في نشاطهم على الزراعة جعلها تبقى كذلك، ناهيك عن تلك التي يعود السبب في ذلك بالإضافة إلى ممارسة أغلبية سكانها للنشاط الزراعي؛ إلى حجمها السكاني الذي لم يتجاوز لحد الآن 2000 نسمة (المطارفة، قصر قدور، بوكزين، أولاد عيسى، شروين). أما تلك المصنفة كمجمعات ريفية، فهي نفسها تلك التي صنفت ضمن المجمعات الثانوية والمناطق المبعثرة، فهي أقل حجم سكاني، وأقل تجهيزا بالمرافق الضرورية ويشتغل أغلب سكانها في الفلاحة، رغم أن هذا النشاط أصبح نشاطا ثانويا لدى أغلبية سكان المنطقة.

3.4. توزيع تميز بتركز التجهيزات وخدمات القطاع الثالث في المراكز العمرانية

في إطار تصنيف القصور اعتمادا على متغيرات متعددة، من بين المعايير التي أدرجت في هذا التصنيف هي؛ عدد التجهيزات والمحلات التجارية التي يحتويها كل قصر، وبما أن عملية استخراج أنماط القصور بواسطة التحليل العاملي، يمكن القول عنها أنها أعطت نتائجها خصائص عامة حول القصور، ارتئينا دراسة العلاقة بين عنصرا التجهيزات والمحلات التجارية على حدى؛ من أجل استخراج أنماط أو مميزات القصور اعتمادا على هذين العاملين.

الطريقة المتبعة في هذا التصنيف؛ تتمثل في تلك التي اعتمدها كل من (Fontaine J, 1983) في تصنيفه لمجموعة من القرى في منطقة القبائل لولاية بجاية، من خلال اعتماد هذين العنصرين (النشاطات التجارية والتجهيزات)، بالإضافة إلى تلك التي أعدها الباحث (Cote M, 1977) من أجل ترتيب المراكز الريفية في الجزائر، مع العلم أنه تم التركيز في اعتماد كيفيات التصنيف في هذه الدراستين على ما قدمه (Hadeid M, 2006)، من خلال استخدامه لنفس الطريقة، من أجل تصنيف المراكز الريفية لمنطقة الهضاب العليا الغربية للجزائر.

ركز تصنيف الباحثين الذين تم ذكرهم، على تحديد عتبة لعدد التجهيزات والمحلات التجارية، لتصنيف هذه المراكز إلى ثلاث أنماط، فالقرى والمراكز الصغيرة تحدد بـ 10تجهيزات و10 محلات تجارية، في حين كل مركز يحتوي على حوالي 20 تجهيز و100 محل تجاري، تم تصنيفه ضمن المدن الصغيرة (Hadeid M, 2006).

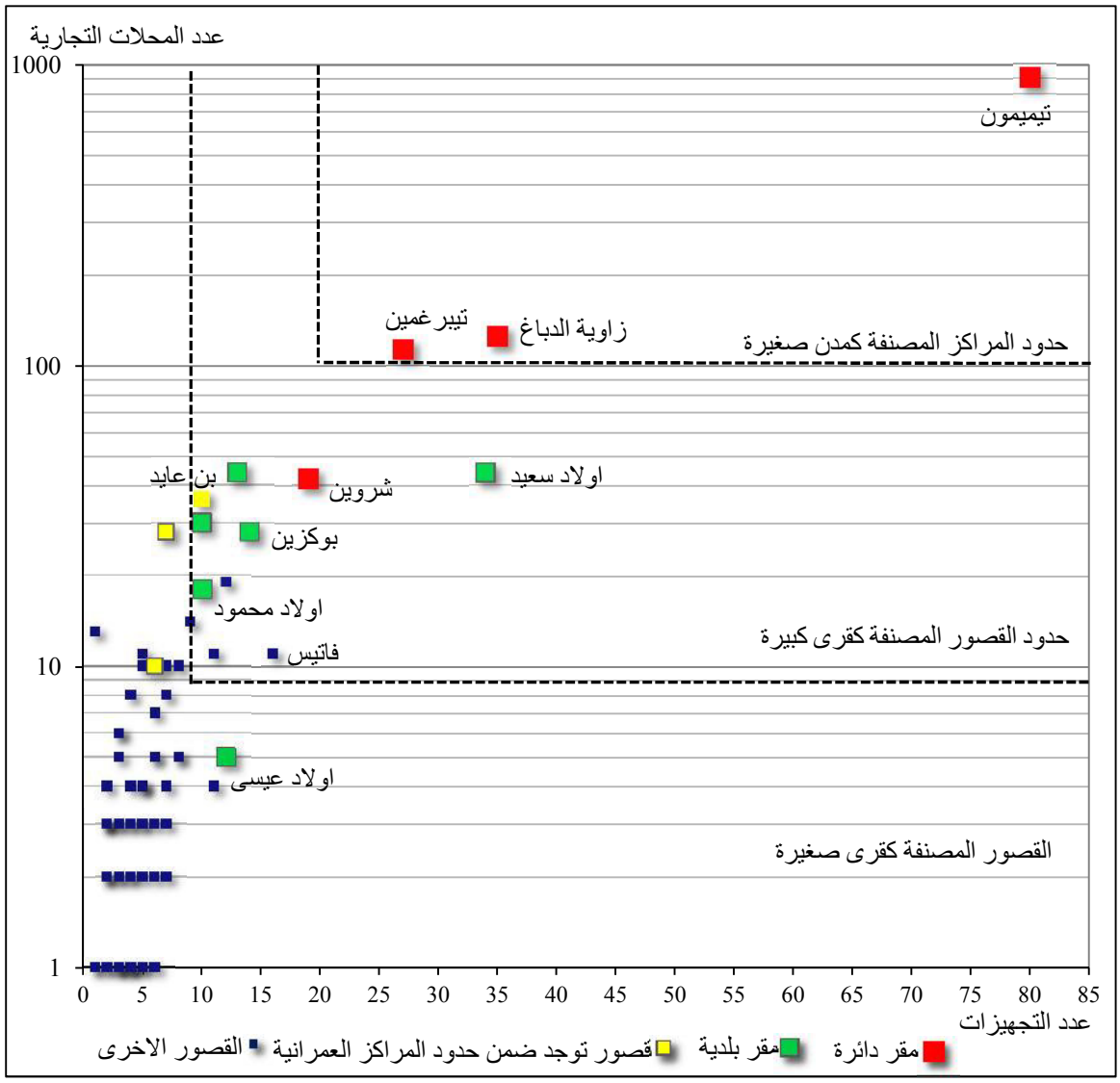

شكل (16): تصنيف القصور حسب عدد التجهيزات والمحلات التجارية

يمثل (الشكل 16) تصنيف قصور قورارة، إلى الأنماط الثلاثة اعتمادا على الوظائف التي تقدمها، من خلال عدد التجهيزات والمحلات التجارية التي تحتوي عليها. بالإضافة إلى تيميمون التي صنفت كمدينة صغيرة؛ حسب الهيكلة الحضرية لـ2008، ظهر من خلال هذا التنميط؛ كل من تيبرغمين وزاوية الدباغ، التي تم تصنيفها ضمن هذه المجموعة بسبب العدد الهام من التجهيزات، (أكثر من 25) والمحلات التجارية (أكثر من 100) التي تحتوي عليها؛ هذا رغم أن عدد سكانها لا يؤهلها لتكون كذلك.

المجموعة الثانية: هي تلك التي تحتوي على أكثر من 10 تجهيزات و10 محلات تجارية، تمثل هذه المجموعة أغلب القصور والمجمعات؛ التي تم ترقيتها حديثا إلى مراكز البلديات، ما عدا مقر بلدية "أولاد عيسى"، الذي لا يوجد ضمنها بسبب انخفاض عدد المحلات التجارية فيه إلى 5 محلات فقط.

ظهرت في هذه المجموعة ثلاثة قصور أخرى (فاتيس، المطارفة، اجدير الغربي)؛ تتميز هذه المراكز بكبر حجمها السكاني الذي أهّلها لأن تستفيد ببعض التجهيزات، وتظهر فيها بعض النشاطات التجارية غير تلك الموجودة في المراكز الأخرى؛ وهذا خاصة بعد تعيينها كفروع لبلدياتها (مركز بريد، فرع إداري، مؤسسة للتعليم المتوسط، قاعة متعددة النشاطات...).

المجموعة الثالثة: تمثل أكثر من نصف قصور المنطقة، خاصة إذا علمنا أن أكثر من 49 قصر لم يظهر في الشكل 16؛ بسبب عدم احتواءه على أي محل تجاري، صنفت كقرى صغيرة رغم اختلاف أحجامها السكانية، فهو بسبب تميزها بمستوى تجهيز ضعيف؛ كما أنها ليست لها وظائف تجارية هامة، لولا توفر هذا النشاط في البعض منها؛ خاصة بعد أن تم دعمه من طرف الدولة؛ عن طريق بناء محلات تجارية في كل قصر من أجل الاستعمال من طرف سكانه، إلا أنه بقيت بمستوى ضعيف جدا، وتعرف دائما تبعية نحو المراكز العمرانية في هذا المجال.

4.4. التراتب الوظيفي للقصور في قورارة

يمكن اعتبار هذا الترتيب للقصور حسب الوظائف؛ إتماما لما تقدم من تصنيف لها حسب حجمها السكاني، عدد التجهيزات والمحلات التجارية التي تحتوي عليها؛ بما أنه سيعتمد على هذه العناصر الثلاث. استخدم هذا التنميط للمراكز الريفية في بعض الدراسات من طرف العديد من الباحثين، يتعلق الأمر باستعمالها من طرف (Cote M) في 1977، وتم تعديلها من طرف الباحث (Fontaine J)، في دراسته للشبكة الحضرية لولاية بجاية سنة 1983 (Hadeid M, 2006). وحسب دراسة (Hadeid M) للمراكز الريفة للهضاب العليا الغربية للجزائر؛ التي استخدم فيها هذه الطريقة، تعتمد عملية تصنيف هذه المراكز، على ترتيبها من خلال تحديد الوظيفة التي تقدمها هذه المجمعات، وذلك في مجال التجهيزات وعلاقتها بتنظيمها الإداري وحجمها السكاني؛ وذلك باستخدام 4 معايير تتمثل في: عدد التجهيزات، عدد المحلات التجارية، الوظيفة الإدارية، حجم التجمع السكاني.

من خلال استخدام هذه المعايير التي سبق ذكرها تم تصنيف قصور قورارة اعتمادا على ذلك، وخلصت إلى ترتيب هذه القصور إلى مجموعات، هذا رغم أن هذه العملية تم الحصول على نتائجها الدقيقة بصعوبة، بسبب الحجم السكاني المتباين للقصور، إذ لم يتحكم بشكل واضح في الوظيفة الإدارية وتوزيع التجهيزات والمحلات، بدليل أنه كانت هناك العديد من المجمعات ذات أحجام سكانية صغيرة حوالي 1000نسمة إلا أنها تقلدت وظيفة إدارية، وفيها كذلك عدد معتبر من التجهيزات والمحلات التجارية، على عكس البعض الآخر، الذي رغم حجمه السكاني الذي يفوق 3000 نسمة، إلا أنه لم يتميز بهذه الخصائص (الجدول 23).

جدول (23): تراتب القصور في منطقة قورارة

(أ) التجهيزات		(ب) التجارة		(ج) الوظيفة الادارية		(د) عدد السكان مقسم على (أ، ب، ج)		المستوى التركيبي وعدد النقاط	
العدد	النقاط	العدد	النقاط	النمط	النقاط	عدد السكان	النقاط	النقاط	المستوى
أقل من 12	1	14 - 0	1	-	-	-100	1	5 - 3	1
أقل من 12	2	14 - 0	2	-	-	1000 -100	2	8 - 6	2
أقل من 12	3	14 - 0	3	-	-	5000 -1000	3	13 - 9	3
34 -12	4	45 - 14	4	بلدية	1	5000 -1000	3	16 -14	4
34 -12	5	45 - 14	5	دائرة	2	5000 -1000	3	19 -17	5
50 -35	6	190 -46	6	دائرة	2	8000 -5000	4	25 -20	6
اكثر من 50	7	190 +	7	دائرة	2	+20000	5	27+	7

المصدر: Hadeid M, (2006)+ تغييرات من طرف الطالبة

تتسم الشبكة العمرانية بمنطقة قورارة بعدم توازنها، يتعلق الأمر خصوصا بالمستوى(5) والمستوى (1). يظهر في المستوى (7)، مجمعة واحدة فقط تتمثل في مدينة تيميمون، وهي على رأس الشبكة العمرانية للمنطقة، وتمثل القطب الذي ينظم هذه الأخيرة. لم تحظى كل من تيبرغمين، وزاوية الدباغ بنفس المكانة، فهي في المستوى(6)، رغم أنها تؤدي نفس الوظيفة الإدارية، يعود السبب في ذلك إلى كونها مقرات دوائر فتية بوظائف بسيطة فقد رقيت في1991 فقط، بعكس تيميمون التي تمثل مركز يتحكم في المنطقة منذ المرحلة الاستعمارية، ما جعلها تستحوذ على أكبر عدد من السكان والتجهيزات، فهي تحتوي تجهيزات ونشاط تجاري لها دور إقليمي: كالمحكمة، المستشفى، البنك،... (الشكل 17).

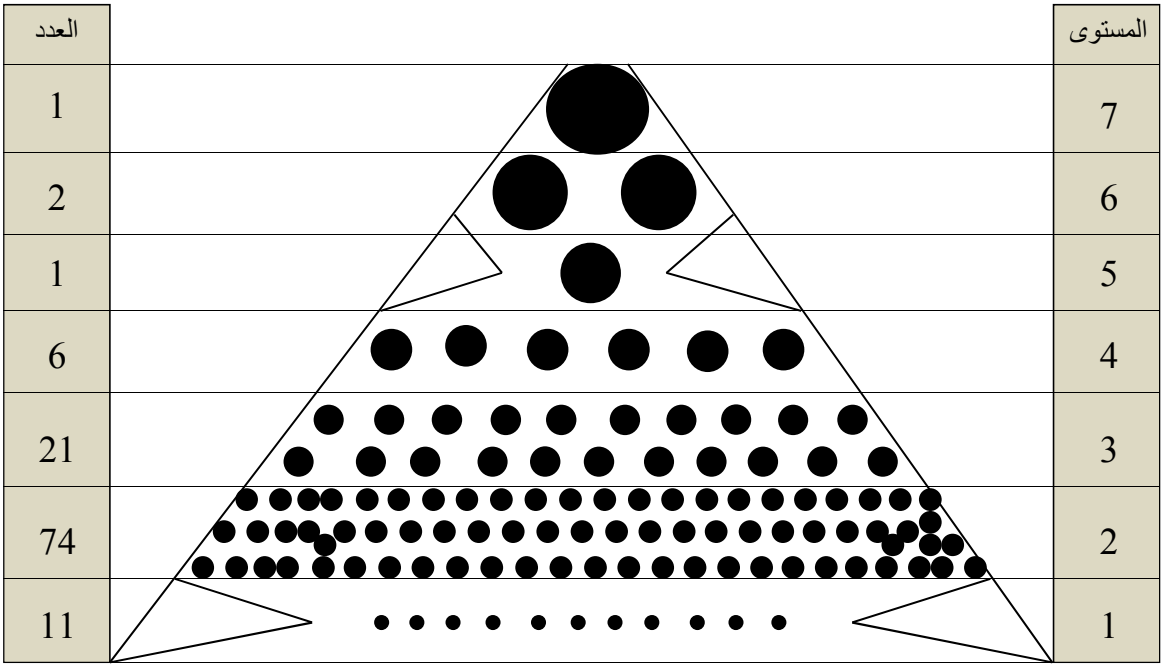

شكل (17): تراتب القصور بمنطقة قورارة

يمثل المستوى (5) مجمعة شروين، ظهرت في هذا المستوى كونها تمثل مقر لدائرة ، إذ لم ترتب مع تيبرغمين، وتينركوك؛ فحجمها السكاني لم يتجاوز الـ2000 نسمة، كما أنها لم تصنف مع المستوى (4)، الذي يضم 6 مجمعات؛ وهي تلك التي تم ترقيتها في 1984 إلى مقرات بلدية، رغم أنه يوجد ضمن هذه المجمعات الستة من يزيد حجمها عن 3000 نسمة (أولاد سعيد)، تتميز هذه المراكز بدرجة تجهيزها الضعيفة خاصة في مجال النشاط التجاري. بينما يضم المستوى(3) 18% من مجموع القصور، تبدو متكافئة من حيث مستوى تجهيزها سواء فيما بينها، أو مع قصور المستويين الثاني والأول، تتميز بأحجام سكانية هامة، وتتوزع في أماكن مختلفة من المنطقة منها: فاتيس، الساهلة....(الخريطة 30)، في حين أكبر عدد من القصور 63% ظهر في المستوى (2)، مع العلم أن هذه المجمعات منها من يؤدي وظائف بسيطة، كفروع للبلديات التابعة لها مثلا. لم يمثل المستوى(1) سوى 11 قصر وهي القصور ذات الأحجام السكانية أقل من 100، فهي تكاد تنعدم فيها التجهيزات.

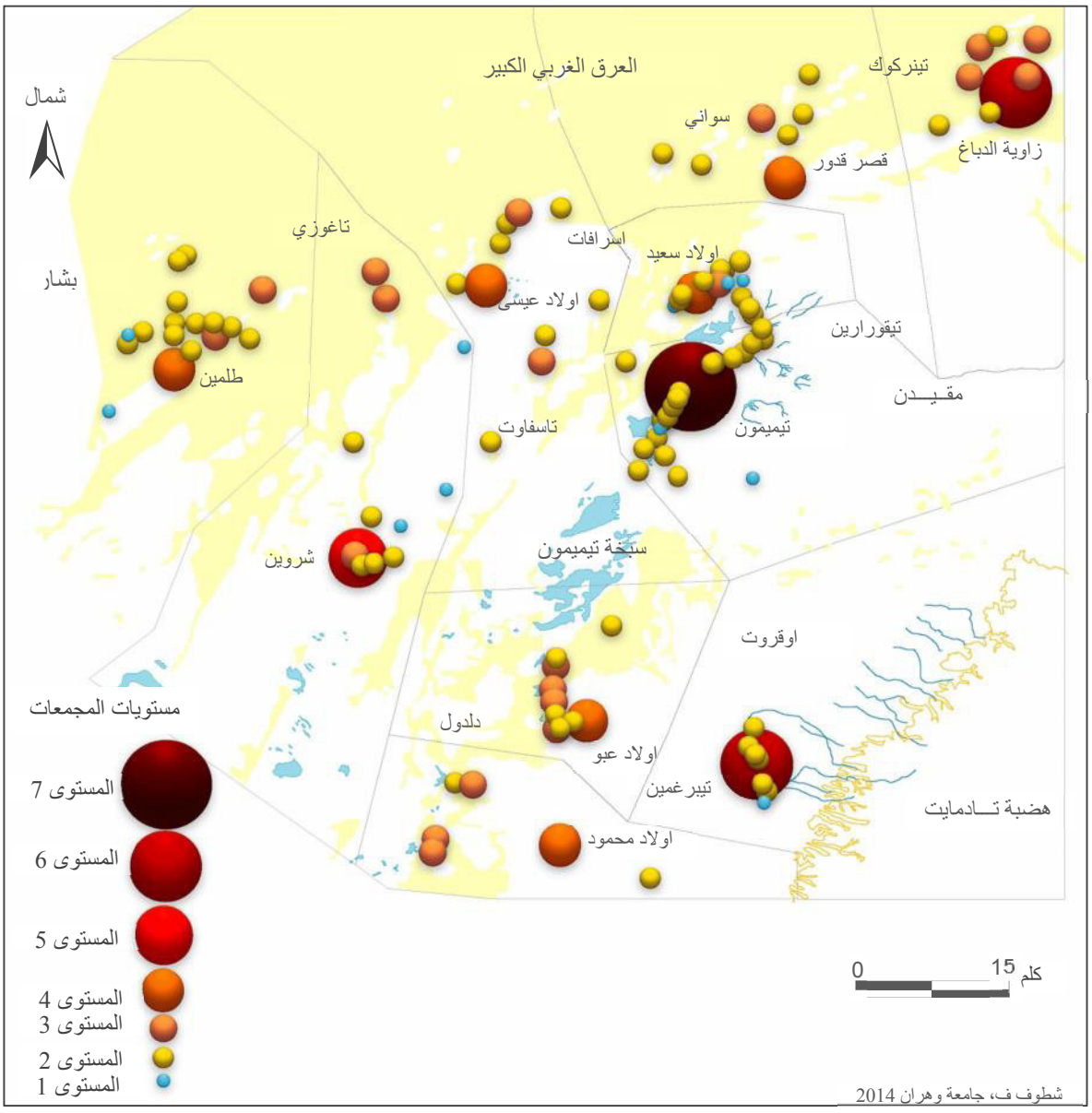

خريطة 30: التراتب الوظيفي للقصور بقورارة

5.4. مستوى الربط بالشبكات ضعيف في أغلب القصور

يتم الاعتماد على درجة ربط المساكن بالشبكات (الماء، الكهرباء، الصرف الصحي، الغاز)، بالإضافة إلى معايير أخرى في تصنيف المجمعات السكانية لمعرفة موقعها ضمن الشبكة العمرانية، ما يميز القصور بمنطقة قورارة هو ضعف تجهيزها بهذه الشبكات، يتعلق الأمر بقصور المجمعات الثانوية والمبعثرة، وهذا حسب نتائج الإحصاء الأخير (2008).

النقص الذي تعرفه هذه القصور، يتمثل في ربط المساكن بشبكتي الماء والصرف الصحي، أما الكهرباء فأغلب القصور والمساكن تم ربطها بهذه الشبكة، مع العلم أن؛ هناك البعض منها الذي تم إيصال هذه الشبكة نحوه؛ في السنوات الأخيرة فقط (بعد 2000)، ويتعلق الأمر خصوصا بقصور منطقة تاغوزي. أما شبكة الغاز فهي منعدمة تماما، لولا إيصالها إلى بعض المراكز العمرانية (تيميمون، تيبرغمين) في السنة الماضية 2013، إلا أن لم يتم استخدامها بشكل كبير لحد الآن من طرف السكان.

تختلف درجة ربط المساكن في القصور بشبكتي الماء والكهرباء، من بلدية لأخرى (الجدول 24)، يرتبط ذلك ربما بالطبيعة الطبوغرافية التي تتوضع عليها هذه القصور التي تصعب من عملية الربط بسهولة (قصور العرق)، كما قد يتعلق ذلك بالكيفيات التي توزع بها كل بلدية ميزانية مشاريعها التنموية، بالإضافة إلى هذه الأسباب؛ تتحكم طبيعة النسيج السكني التقليدي الذي يتميز بأزقته الضيقة، في إنجاز هذا النوع من المشاريع.

جدول (24): درجة ربط المساكن بالشبكات حسب البلديات (%)

	شبكة الماء		شبكة الصرف الصحي	
	مقر البلدية	القصور الأخرى	مقر البلدية	القصور الأخرى
تيميمون	96,7	39,25	81,2	1,3
اولاد سعيد	45,1	34,1	8,2	1,2
اوقروت	92,1	70,9	31,2	0,6
دلدول	52,4	60,9	0,5	1,7
المطارفة	97,9	53,4	3,3	2,3
تينركوك	78,2	37,7	2,6	1,5
قصر قدور	82,2	57,2	19,2	1,7
شروين	92,8	20,3	85,8	0,5
أولاد عيسى	74,7	17,5	2,2	0,8
طلمين	30,3	0,4	2,0	0,4

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء 2008

تتميز نسبة الربط بشبكة الماء الصالح للشرب، في كونها مرتفعة في المراكز العمرانية للبلديات، فهي لا تقل عن 70% في أغلبها، كما أنها تزيد عن 90%، في البعض منها (تيميمون، شروين، المطارفة)، في حين تنخفض هذه النسبة في بعض المجمعات عن الـ 50%، يتعلق الأمر بكل من بوكزين وأولاد سعيد، فأما الأولى فلم تتعدى فيها 30%، رغم توفر هذه الشبكة فيها، إلا أن السكان المحليين يفضلون استخدام مياه الآبار التي يتم حفرها بأنفسهم، ذلك لأن أغلب مساكنهم توجد بالقرب من واحتهم التي تحتوي هذه الآبار، أما الثانية أي مركز بلدية أولاد سعيد؛ فقد بلغت فيها هذه النسبة 45%، ذلك لأن هذه الشبكة يقتصر تواجدها على أحياء البرامج السكنية الحديثة. أما قصور المجمعات الثانوية والمبعثرة، فلا تزيد فيها هذه النسبة عن 70% في أغلب القصور، وتقل عن الـ1% في قصور طلمين، ذلك لأن هذه القصور تبقى دائما أقل حظا في هذا النوع من التجهيزات.

يختلف الأمر بالنسبة لشبكة الصرف الصحي، التي يمكن اعتبارها حكرا على المراكز العمرانية الكبرى (تيميمون)، فقد قدرت فيها نسبة الربط بـ 81%، أما النسبة المتبقية منها، فهي تتعلق بنسيجها السكني التقليدي؛ الذي لم تتوفر فيه هذه الشبكة لحد الآن، في حين ارتفاعها في مجمعة شروين (85%)، ذلك لأن هذه المجمعة تصنف كمقر بلدية؛ دون دمج النسيج التقليدي للقصر معها فهو يصنف إلى يومنا هذا كمجمعة ثانوية، هذا ما يفسر لنا أن هذه الشبكة؛ يقتصر ربطها في هذه المراكز؛ على البرامج السكنية الحديثة، لهذا السبب تنخفض في مقرات البلدية الأخرى.

في حين القصور الأخرى فهي غير معنية بالربط بهذه الشبكة، أما النسب التي ظهرت فيها فهي تتعلق بربط بعض المساكن بهذه الشبكة عن طريق حفر آبار خاصة تصرف فيها المياه المستعملة، قد يكون حفرها من طرف الخواص، كما قد يكون من طرف الدولة، هذه الأخيرة تكون في حالة وجود برامج سكنية أنجزت من طرفها كالسكن الريفي المجمع، يتم في هذه الحالة ربط هذه المساكن بآبار جماعية تصرف فيها المياه المستعملة، أما عن كيفية التخلص منها فقد وفرت البلدية خزانات متنقلة، تستعملها لصرف هذه المياه بشكل دوري، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الطريقة مستعملة كذلك في بعض المراكز العمرانية (طلمين، دلدول، أولاد سعيد...).

إن ربط المجمعات السكانية في منطقة قورارة بشبكة الصرف الصحي، يطرح مشكلة انعدام الأماكن المثالية، التي يجب أن تصرف فيها هذه المياه دون تلوث البيئة[1]، خاصة إذا علمنا أن المنطقة تنعدم فيها محطات للتصفية، كما أن توزيع القصور في أماكن مختلفة يصعب من طرحها في نقطة ما،

[1] تصرف المياه المستعملة لمدينة تيميمون نحو السبخة، التي تمتد إلى مساحة شاسعة في المنطقة، وكان لها دور في استقرار ونشأة القصور، إلا أنه أصبحت ملوثة في الآونة الاخيرة بسبب ذلك، كما أن صرف المياه المستعملة في هذا الاتجاه أدى إلى القضاء على العديد من الفقارات كفقارة أمغيّر التي تصرف فيها هذه المياه، مما أدى إلى اختفاءها

يمكن لها أن تؤثر على القصر المجاور، إلا أن الحلول المستعملة حاليا (استخدام الآبار)، خاصة تلك التي يتم إنشاؤها من طرف الخواص، يشكل خطرا جودة على المياه الجوفية للمنطقة في المستقبل؟

خلاصة الفصل الثالث

إن التحولات الجذرية التي عرفتها القصور، دفعتنا للتفكير في استخراج تصنيفات لها؛ اعتمادا على هذه التغيرات. سواء بالطرق الإحصائية التي توصلنا فيها إلى تصنيفها إلى 7مجموعات تختلف في خصائصها باختلاف المتغيرات المؤثرة فيها، هذا بالإضافة إلى قصر تينومر، الذي تم اعتباره حالة استثنائية في هذا التصنيف بما أنه مهجورٌ تماما، أو بالطرق الوصفية والترتيبية، فسواء كان ذلك بهذه الأخيرة أو بالتحليل المتعدد المتغيرات، النتيجة التي توصلنا إليها، هي أن المنطقة تعرف تزايد أحجام سكان مجمعاتها، خصوصا في المراكز العمرانية التي غالبا ما تكون أكثر تجهيزا، حيث تأتي مدينة تيميمون على رأس الشبكة العمرانية بالمنطقة، فهي تستحوذ على أكبر قدر من التجهيزات والوظائف، وعدد هام من السكان، تليها كل من تيبرغمين، زاوية الدباغ بدرجة أقل منها، ثم ترتب المقرات الإدارية التي تم ترقيتها في 1984، أما بالنسبة للقصور التي لم تستفيد من هذه التنظيمات، فدرجة تجهيزها يعتمد على حجمها السكاني، فكلما تزايد حجمها كانت أكثر حظا في توفرها أو أداءها لبعض الوظائف، لذلك يمكن القول أن الترقية الإدارية وما يصاحبها من وظائف؛ كانت أهم حدث تحكم في هذا التسلسل، وغير من أنماط القصور.

غيّرت التحولات التي عرفتها القصور من مرفولوجيتها كذلك، فبعد أن كانت تقتصر على القصر والقصبة وواحة النخيل، أصبحت الآن تأخذ أشكالا متمايزة تختلف من مجمعة لأخرى، كما قد تختلف في القصر نفسه، في حالة ما يعرف هذا الأخير أنماط سكنية وبرامج متعددة. اختلفت العوامل التي ساهمت في هذه التحولات فسواء، الطبيعية، الطبوغرافية، أو لقرار إداري، فقد أدى ذلك إلى ظهور أصناف مختلفة من المجمعات حسب أشكالها، إلا أن ما يغلب عليها هو التوسع خارج النسيج التقليدي للقصر، منتجة بذلك أجزاء جديدة، والتي غالبا ما تكون بجوار الطرق العامة والبرامج السكنية التجهيزات التي بنتها الدولة. هذه التغييرات وغيرها التي ميزت القصور بمنطقة قورارة منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، هي في تزايد مستمر، ولو أن ذلك يتم بوتيرة متباينة من مجمعة لأخرى، فملثما ساهمت في إعادة تنظيم الشبكة العمرانية بالمنطقة اليوم؛ وأنتجت أشكال لم يكن يعرفها هذا المجال في السابق، بإمكانها في السنوات القليلة المقبلة أن تعطي أصناف أخرى مغايرة، خاصة وأنها تضم مراكز إدارية فتية يمكن لها أن تساهم في ذلك من خلال تطوير خدماتها وهياكلها، إذ لا يمكن فهم حقائقها جيدا والوتيرة التي تتم بها، إلا بالتطرق إلى تفاصيلها محليا؛ وذلك على مستوى كل قصر.

الفصل الرابع:
من القصر إلى المدينة: مرحلة بتحولات عميقة يعرفها مجتمع يسعى وراء التحضر.

الفصل الرابــع: من القصر إلى المدينة: مرحلة بتحـولات عميقة، يعرفهـا مجتمع يسعى وراء التحضـر

إن المرور من القصر إلى المدينة نتيجة للتحولات الاجتماعية، الاقتصادية والمجالية، يطرح عدة تساؤلات حول التغيرات التي يحدثها على أنماط الحياة الاجتماعية لسكان هذه القصور بصفة عامة. فبعد أن كان القصر يمثل الوحدة البنيوية الأكثر تأقلما مع البيئة الصحراوية، أصبح اليوم يواجه عوامل جديدة تفرض عليه التماشي مع محيطه الجديد الذي هو المدينة أو المركز العمراني الحديث؛ وأصبح يمثل جزءا فقط بعد أن كان يمثل التجمع كله، وبعد أن كانت الواحة والفقارة تمثل المصدر الحيوي لسكان القصر لم تعد اليوم سوى عناصر ثانوية لديهم، فقد حل مكانها تقنيات حديثة تؤدي نفس الوظائف بشكل يتماشى مع متطلبات العصر.

لعل الحديث بشكل مفصل عن التغيرات التي تميزت بها القصور بمنطقة قورارة، واعتماد تصنيفات مختلفة من أجل استخراج أنماط لها من خلالها، فرض علينا ضرورة اختيار نماذج من هذه القصور حسب التحولات والخصاص التي اكتسبتها، من أجل توضيح أكثر الكيفيات التي تتم بها هذه التغيرات وتجسيد حدوثها. يعلق الفصل الرابع إذا بدراسة هذه التحولات سواء من الجانب الاجتماعي، الاقتصادي أو المجالي على المستوى المحلي وذلك من خلال اختيار مجموعة القصور تختلف فيها كيفيات وخصائص هذا التحول.

تباين مواضع المجمعات السكانية المدروسة

تنحصر منطقة قورارة بين ثلاث وحدات جغرافية متباينة (العرق، هضبة مقيدن وتادمايت)، ذلك ما أكسبها خصائص طبيعية مختلفة؛ أثرت بشكل أو بآخر على ديناميكيتها، وفرضت توزيعا جغرافيا متباينا للقصور وتجمع بالمنطقة. فالإضافة إلى الأنماط التي توصلنا إلى تحديدها من خلال تصنيف القصور بمتغيرات متعددة، تم اعتماد هذا العامل كمؤشر لاختيار نماذج لإبراز مختلف التحولات (الاجتماعية، الاقتصادية، المجالية) التي عرفتها القصور (الخريطة 31). فجاء اختيارنا على النحو التالي:

تيميمون وأولاد سعيد: جاء اختيارهما من سلسلة قصور تيقورارين التي تتوضع على حواف هضبة مقيدن عند سبخة تيميمون، هذه السبخة التي تمتد على حافتها من قصر إغزر شمالا إلى غاية قصور دلدول جنوبا، كان لها الدور في نشأة أغلب قصور قورارة وتركز هام للسكان فيها.

أما امتداد العرق الغربي الكبير من الشمال الشرقي إلى الشمال الغربي الذي يحتل مساحة هامة من المنطقة؛ فرض ضرورة انتقاء بعض نماذج دراسة للقصور من هذا الموقع، وذلك باختيار قصر فاتيس في الجهة الشمالية للعرق، ومجمعة بوكزين في الناحية الشمالية الغربية للعرق، مع العلم أن هذه المجمعتان قد تم تصنيفهما في مجموعات متباينة الخصائص، خلال عملية تنميط القصور بمتغيرات متعددة.

مجمعة شروين: ظهرت قصور مجمعة شروين في الجهة الغربية من المنطقة، وهي تتوضع على امتداد حمادة أولاد عيسى التي تتميز بانبساطها وتكتل لبعض الكثبان الرملية في الناحة الشمالية منها؛ وبطابعها الصخري في جزئها الجنوبي، هذا الجزء الذي تمركزت عليه أغلب قصور شروين.

مجمعة تيبرغمين: تتوضع في الناحية الجنوبية الشرقية لمنطقة قورارة؛ وهي إحدى مجمعات سلسلة القصور المتمركزة على واد اوقروت، ساعد على ظهورها تموقعها على حواف هضبة تادمايت التي تتميز بطابعها المنبسط، مما سهل من استغلال المياه الجوفية عن طريق الفقارة التي ساهمت في استقرار السكان بالمنطقة.

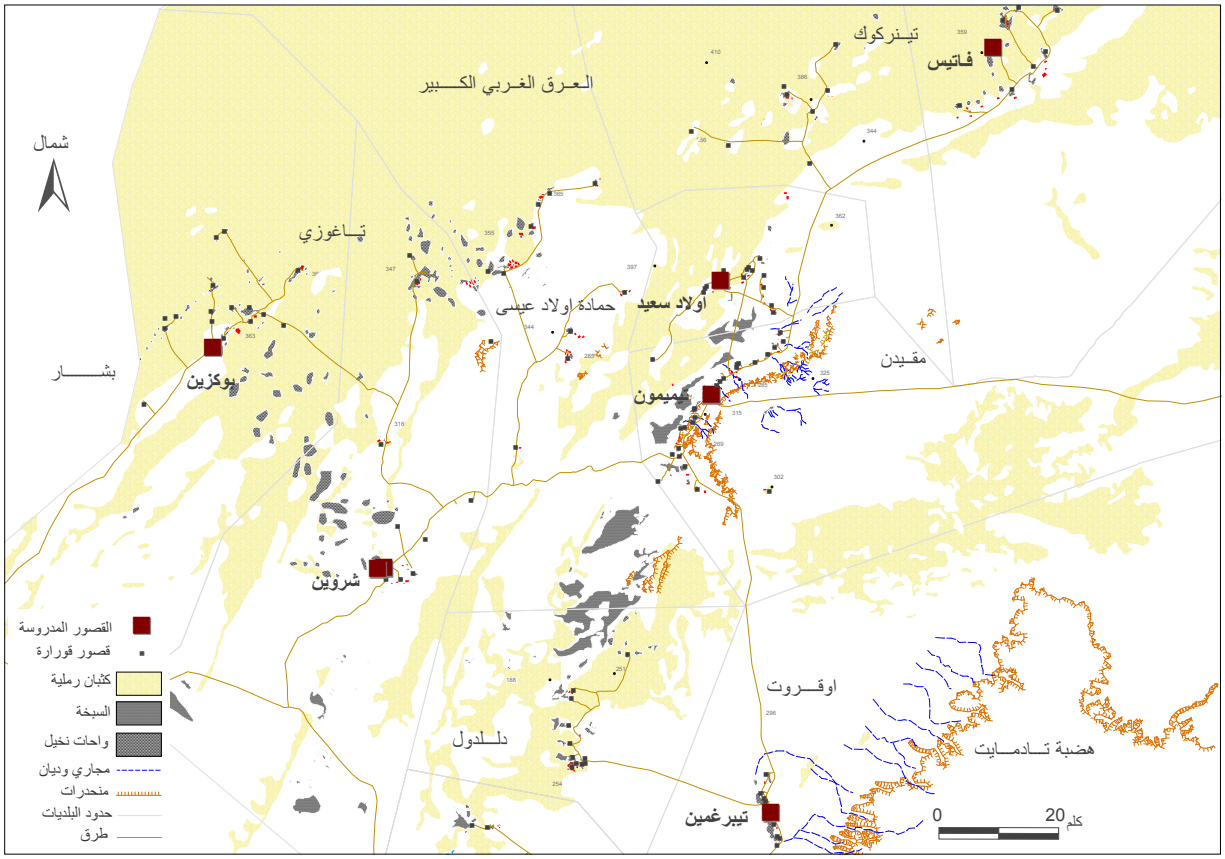

الخريطة (31): مواقع المجمعات السكانية المدروسة

1. خصائص متباينة تتميز بها المجمعات السكانية المدروسة

أنتجت عملية التعمير السريعة التي عرفتها جل قصور قورارة في الآونة الاخيرة، أنماط متعددة من المجمعات السكانية، فبعد أن كانت هذه القصور متكافئة تقريبا من حيث أحجامها، أشكالها ووظائفها، أصبحت اليوم تتباين فيها هذه الخصائص من مكان لأخر في المنطقة، وذلك تحت تأثير جملة من العوامل التي تدخلت في هذه الديناميكية، إذ يمكن اعتبار الترقية الإدارية أكبر محرك لهذه التحولات خاصة في المراكز العمرانية، فاستفادتها من هياكل وتجهيزات في هذا الإطار ساهم في تقلدها لوظائف متعددة وجذب أفراد جدد أدت إلى التغيير في بنيتها الاجتماعية وبالتالي تضخم أو ازدياد أحجامها، أما تلبية الحاجيات المتزايدة من مرافق ضرورية وبرامج سكنية حديثة، سواء لهذه الفئات الجديدة أو السكان المحليين للقصر بسبب تزايدهم الديموغرافي؛ سمح بظهور فضاءات جديدة أدت إلى التغيير في مرفولوجيتها وكيفيات استهلاكها للمجال. بالمقابل القصور التي لم تستفيد هذه الهياكل والبرامج السكنية بقيت وتيرة تحولها شبه مستقرة مقارنة بها.

1.1. مراكز عمرانية تشكلت من التحام مجموعة من القصور

إن دمج القصور ضمن المجال الوطني، كان من بين الأهداف التي وضعتها الدولة؛ من خلال البرامج والمخططات التنموية التي جاءت بها إلى المنطقة، جسدتها من خلال التنظيمات الإدارية التي كانت عن طريق اختيار قصر أو مجموعة من القصور كمركز عمراني تتركز فيه جميع هذه التجهيزات والهياكل التي يتم من خلالها تنظيم تسيير المجال، إلا أنه اختيار هذه المراكز كان لاعتبارات خاصة غالبا ما تتعلق بموقع القصر، نشأته وتاريخه (تيميمون، تيبرغمين، شروين، اولاد سعيد)، أو يتعلق بخلق نوع من التوازن ربما في توزيع الوظائف وتقريب الإدارة من السكان (المطارفة، دلدول، قصر قدور،...)، رغم أنه يمكن اعتبار الموقع هو الحاسم في هذه الاختيارات كما هو الحال "لبوكزين" الذي اختياره ليمثل مقر بلدية طلمين، بحكم وقوعه في موضع منبسط تنعدم فيه الكثبان الرملية.

فالترقية التي عرفتها هذه المجمعات والتي غالبا ما تكون بجوار القصور، أدت إلى التأثير بشكل مباشر على ديناميكية تحولها، خاصة في المجال العمراني والبناء، فالتجهيزات التي وضعت فيها في هذا الإطار والتكثيف من إنتاج السكن بصيغ مختلفة، سمح لها بأن تستهلك مساحات كبيرة من العقار، أدت إلى تضخمها وأصبحت تتوسع بجوار القصور التي تقربها مسافة، وبمرور الوقت يتلاحم نسيجها العمراني مع للقصور المجاورة لها، وبالتالي تصبح هذه القصور تصنف ضمن التجمع العمراني الرئيسي بعد أن كانت ضمن التجمعات الثانوية، لتستفيد هي الأخرى بالوظائف والبرامج السكنية التي

تركز خاصة في هذه المراكز وستساهم في تعميق التحولات بها، وهذه الظاهرة أصبحت تأخذ منحى واسع في العديد من المجمعات المرقاة إداريا، فعلى غرار تيميمون وتيبرغمين التي تميزت بوتيرة سريعة في ديناميكيتها العمرانية نحو القصور المجاورة لها، نجد نفس الوضعية تعرفها كل من مقر بلدية دلدول الذي أصبح يتوسع نحو قصور "أولاد عبو، أقبور، الحدبان، المنصور"، ومقر بلدية أولاد عيسى الذي ضم إليه كل من قصر "السوق، أولاد عيسى" وهو يتوسع في الجهة الغربية نحو قصر "وانودي"، نفس الظاهرة تعرفها كل من شروين، أولاد سعيد لكن بوتيرة أقل سرعة من سابقاتها.

1.1.1. تيميمون وتيبرغمين: استمرار التعمير بوتيرة سريعة نحو القصور المجاورة

أ ـ تيميمون: مدينة تشكلت من تجمع أكثر من عشر قصور

نشأت مدينة تيميمون حول ما يفوق 10قصور كانت تمثل أهم نقاط التقاء القوافل التجارية العابرة للمنطقة نحو ورقلة مرورا بالقليعة ومزاب وغيرها من المناطق، تشكلت هذه القصور من تجمع عدد من القبائل التي كانت تربطها علاقات وظيفية فيما بينها، ومع المجال (الزراعة والتجارة)، هذه المجمعات كانت عند نشأتها في بداية الأمر على شكل قصبات، لكن سرعان ما توسعت خارج أسوار القصبة ليلتحم نسيجها العمراني مشكلا بذلك كتلة سكنية واحدة، لا يمكن تمييز أحدها عن الآخر بسهولة، تختلف فقط في أسمائها التي كانت في أغلبها نسبة إلى المؤسس أو كبير القبيلة، وكذا لونها، وموقعها. فأما أقدم القصور بتيميمون فهي "تاحتايت، أولاد براهيم، أولاد المهدي، أولاد الحاج..."، ثم بنيت بعدها قصور "تازقاخت، تامصلوحت، أحراش، تادمايت، أغام املال" (الخريطة31)، وإن لم تعين كلها على الخريطة فيعود ذلك إلى تداخلها مع بعضها البعض مما صعب تمييز مواقعها.

بعد أن استولى الاستعمار على منطقة قورارة سنة 1900، اتخذ من مدينة تيميمون مركزا حربيا له، باعتبارها كانت أهم نقطة ربط للقوافل التجارية العابرة للمنطقة؛ وكذلك بحكم موقعها وسط المنطقة وتبعد بحوالي 80 كلم نحو كل الدوائر التي تجمع منطقة قورارة، بدأت التحولات تظهر بها منذ هذه الفترة، خاصة بعد أن حول نموها المجالي إلى خارج نطاق القصر، بعد الاستقلال شهدت المدينة مرحلة نمو وتطور عمراني أكثر ديناميكية، حيث عرفت انطلاقة سريعة نحو البناء والتعمير مما جعلها تتوسع مجاليا نحو القصور المجاورة لها، على الطريق الولائي 151 في الجهة الشمالية، وهو ما أدى إلى التحام نسيجها العمراني مع قصور "ماسين" (أغام أقبو، أمزقاغ، البركة)، التي أصبحت حدودها حاليا توجد ضمن حدود التجمع الحضري الرئيسي (الخريطة32)، صنفت هذه القصور حسب إحصاء 2008 كجزء من هذه المدينة، يتراوح عدد سكان هذه القصور كما هو موضح في الخريطة ما بين 80 و 900 نسمة مع العلم أن البعض منها يمثل مجموع سكان قصرين أو ثلاث.

أما توسع المدينة جنوبا على الطريق الوطني رقم 51، كان نحو قصري أولاد نوح (82نسمة) وبويحيا (296 نسمة)؛ التي أصبحت هي الأخرى جزء من مركز المدينة، وإن بقيت لحد تصنف كمناطق مبعثرة ولم تجمع مع التجمع الحضري الرئيسي. هذه الديناميكية المجالية التي تميزت بها المدينة نحو هذه القصور جعلتها تتأثر بتحولاتها، خاصة وأنه أصبحت تبرمج بجورها أغلب التجهيزات والبرامج السكنية.

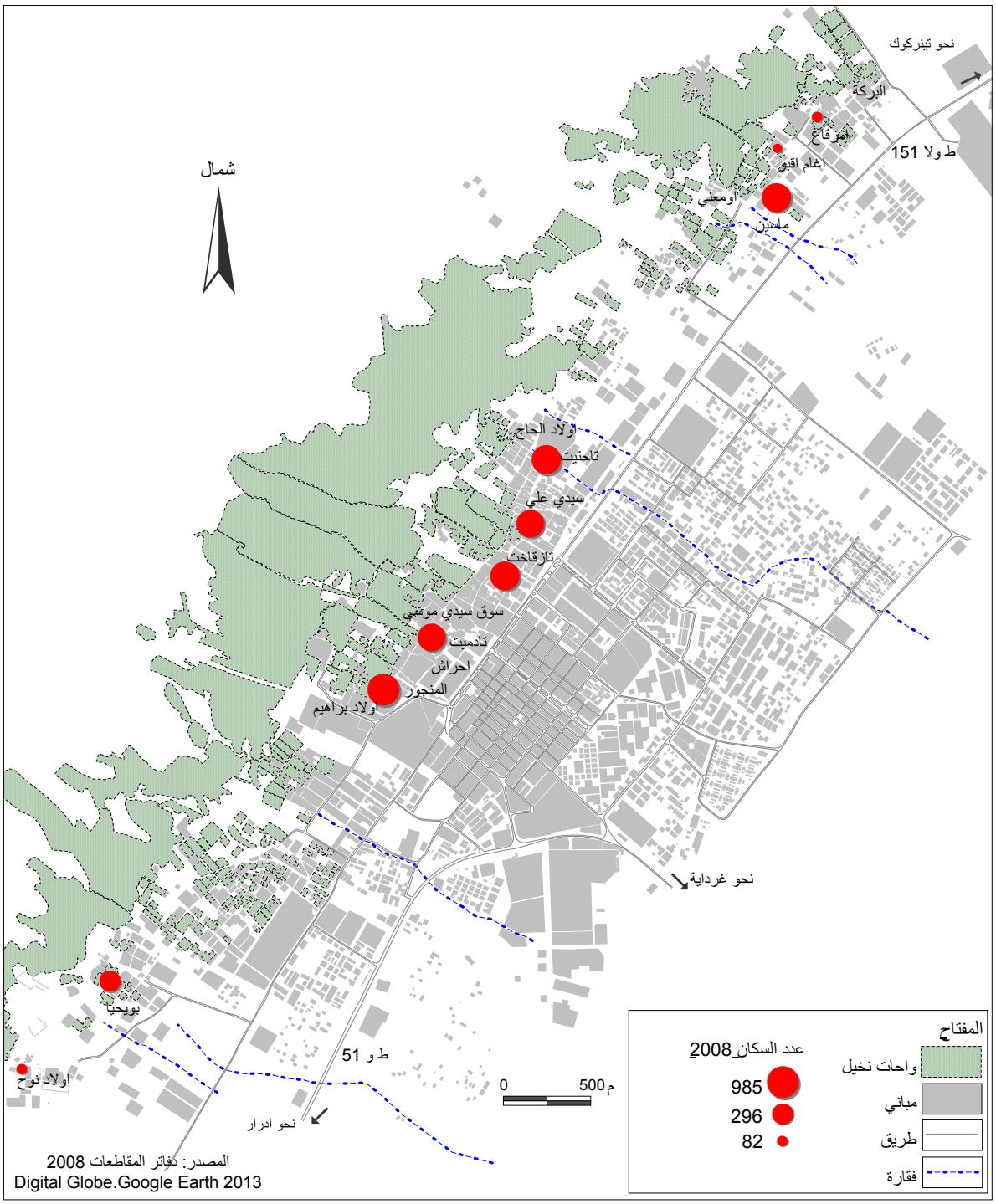

خريطة (32): توزيع قصور مدينة تيميمون

ب – مجمعة تيبرغمين: صنفت كمركز شبه حضري بعد أن جمعت 3 قصور

تتوزع قصور أوقروت في الجهة الجنوبية لمنطقة قورارة بشكل خطي على حوض سهل مقيدن الذي يتصف بطابعه المورفولوجي المتجانس وعلى حواف هضبة تادمايت، وهو ما جعلها تمتد في منطقة سطحية منخفضة يتراوح ارتفاعها ما بين 295م و300 متر. بداية نشأتها كانت من قصر "اعبود" الذي يعتبر أقدم قصور أوقروت، بما أنه كان نقطة التقاء القوافل التجارية لهذا المحور، وخلال هذه المرحلة استقرت بالقرب منه العديد من القبائل مشكلة بذلك سلسلة من المجمعات السكانية على نفس المحور تتمثل في "بوقمة، الشارف، زاوية س عمر، أقبور، بن عايد، تيبرغمين، قصر الحاج، تينقلين، تالة، زاوية س ع الله"، يتراوح عدد سكان هذه القصور ما بين 200[1] و3100 نسمة، ما عدا "زاوية س ع الله" التي تتميز بحجم سكاني ضعيف جدا (الخريطة33).

اتّخذ قصر تيبرغمين مركز عسكري من طرف الاستعمار عندما احتل المنطقة، لهذا السبب تم اختيارها عند التقسيم الاداري لـ1963 كمقر للبلدية، أثر ذلك على ديناميكية تعميرها التي تمت بوتيرة سريعة على هذا المحور شمالا وجنوبا خاصة بعد أن استفادت المنطقة من الطريق الوطني 51 في 1974 الذي يربطها بولاية ادرار، النمو السريع لتيبرغمين وكذا للقصور المجاورة له أدى إلى تجمع أغلب قصورها في نسيج عمراني واحد منتجة بذلك مجمعة شبه حضرية يصل حجمها السكاني إلى 7300 نسمة، ويتعلق الأمر بقصور "أعبود، بن عايد، تيبرغمين، قصر الحاج" (الخريطة32)، هذه النمو المجالي السريع سيساهم خلال السنوات القادمة في دمج كل من قصور "زاوية س ع، الشارف، اقبور" في الناحية الشمالية، ومجمعات "تالة، تينقلين، زاوية س ع الله" في الجهة الجنوبية؛ ضمن حدود هذه المجمعة إذ يصعب التمييز بينها حاليا، لتتحول بذلك إلى مجمعة سكانية ذو خصائص مغايرة لما كانت عليه هذه القصور، خاصة وأنه تم برمجة مخططات شغل الأراضي فيها.

[1] يمثل هذا الرقم الحجم السكاني لقصر بوقمة الذي لا يظهر على الخريطة، فهو يبعد عن مقر البلدية بحوالي 10 كلم في الناحية الشمالية.

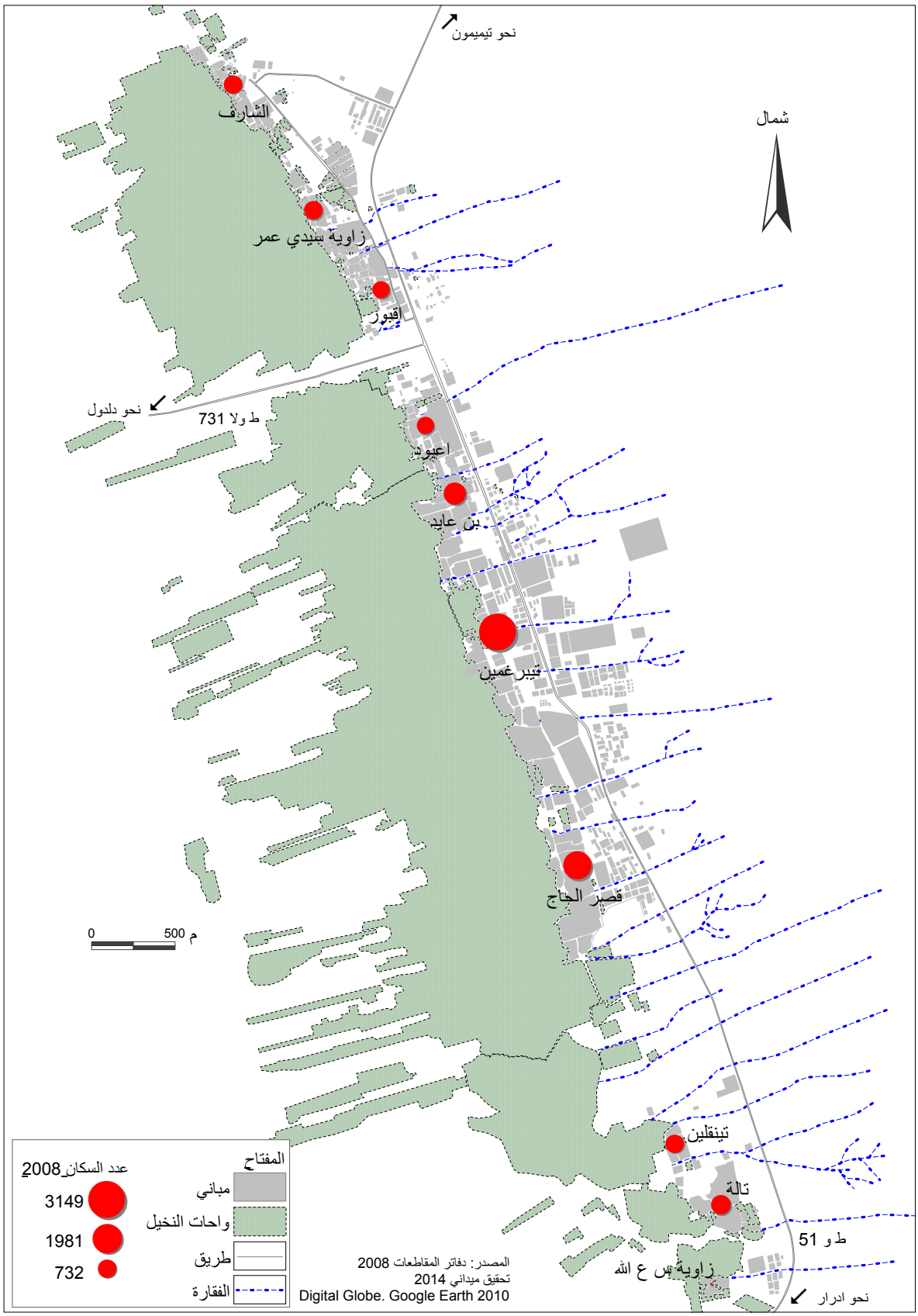

خريطة (33): توزيع قصور مجمعة تيبرغمين

2.1.1. شروين وأولاد سعيد: من مجموعة قصور صغيرة إلى مجمعات سكانية

ـ مجمعة شروين: أصبحت تمثل مقر لبلدية تاغوزي التي تضم قصور طلمين، أولاد عيسى وشروين في التقسم الإداري لـ1974، بعد أن كان مركز هذه البلدية بقصر تاغوزي في 1963، لم يكن يتجاوز عدد سكانها حينئذ 91 نسمة (إحصاء 1977)، لكن خلال التنظيمات الإدارية لـ1985 انفصلت عنها هذه البلديتين، لتصبح مركز لبلدية تضم 9 قصور (مجمعات سكانية)، اختيرت كمقر للبلدية بحكم موقعها على الطريق الوطني 51أ، تشكلت هذه المجمعة بجوار أربع قصور قديمة النشأة تبعد عنها بأقل من 1كلم، تتمثل في "المنصور، أولاد الحاج، أولاد موسى، كرفال"، أما "أولاد وعلان" فكان ظهوره خلال الفترة الاستعمارية، وتظهر مع هذه القصور وكأنها نسيج عمراني واحد لولا واحات النخيل التي تفصل بينهما (الخريطة34). بعد أن تمت ترقيتها إلى صنف الدوائر خلال التعديلات الإدارية لـ1991، استفادت من برامج سكنية بأنماط حديثة والعديد من التجهيزات والمرافق، جذبت إليها أغلب سكان هذه القصور وارتفع حجمها السكاني إلى 1536[1] نسمة حسب إحصاء 2008، وهو ما أدى إلى نمو نسيجها العمراني.

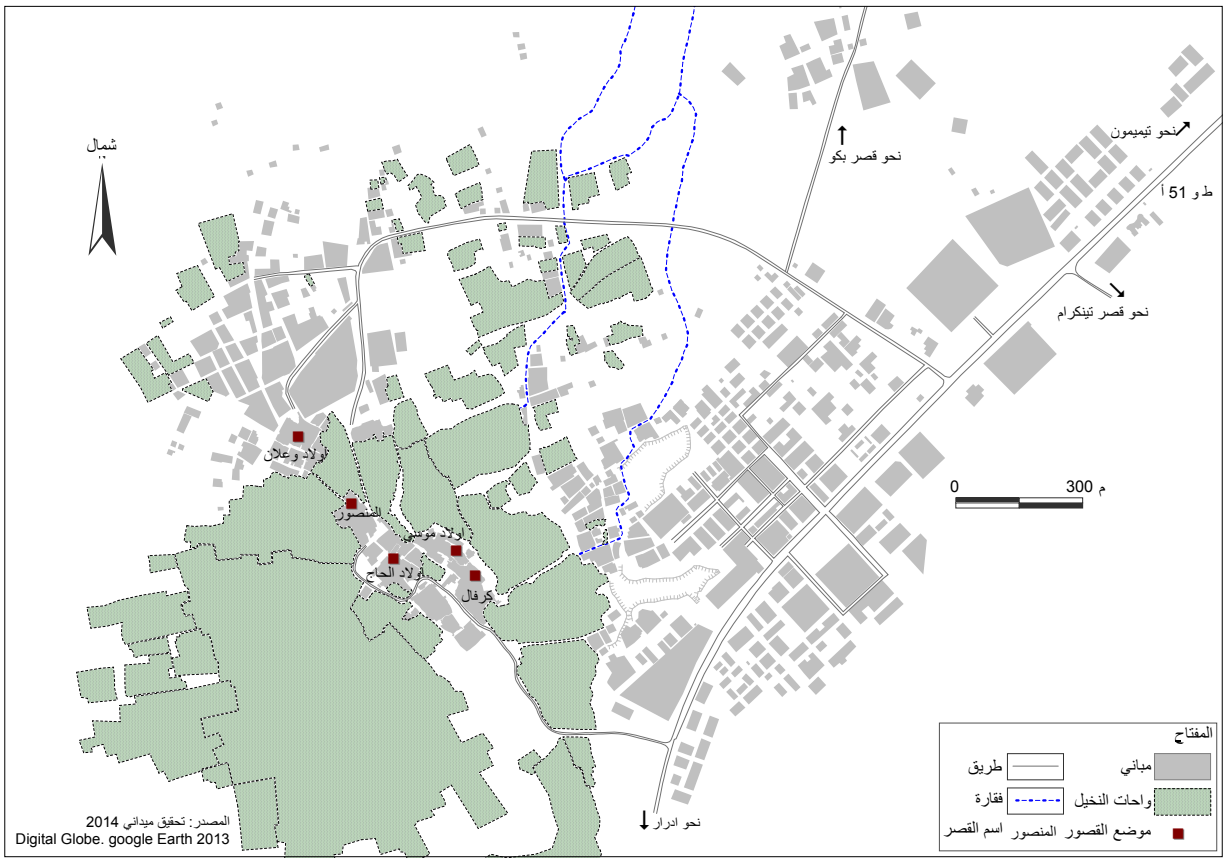

خريطة (34): مجمعة شروين

[1] هذا الرقم يمثل عدد سكان مجمعة شروين "الحي الحضري كما يسميه السكان المحليين للمجمعة" دون حساب سكان القصور الخمسة.

لم يعد يسكن هذه القصور القديمة لمجمعة شروين سوى بعض الأسر لا يتجاوز عددها 6 أسر في كل قصر، ماعدا قصر "أولاد وعلان" الذي بقي مأهول بالسكان، ويصل عدد سكان هذه القصور حاليا إلى 700 نسمة، مع العلم أنه تصنف هذه القصور بتوسعتها الحديثة التي تتم نحو الشمال الغربي للمجمعة كتجمع ثانوي ولم يتم دمجها لحد الآن ضمن التجمع الحضري الرئيسي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن بالإضافة إلى اختيار التجمع الحضري الرئيسي لبلدية شروين كنموذج للدراسة أدرجت كذلك هذه القصور القديمة معها بما أن أغلب سكان هذا المركز جاءوا من هذه القصور.

ـ مجمعة أولاد سعيد: بين واحات النخيل التقليدية توجد مجمعة أولاد سعيد التي تشكلت بنيتها الفريدة من نوعها من خلال التحام مجموعة من القصور توسعت بشكل كبير حول مجالها الزراعي (Bendjelid A, 2011)، تتراوح أحجامها السكانية ما بين 100 و400 نسمة. أقدم هذه القصور نشأة والتي تعود إلى القرن8هـ "القصر الشرقي"، وفيما بعد ظهرت القصور الأخرى (أولاد عبدلي، الصفاح، أولاد هارون، أولاد باموسى....). تعدد وجود هذه القصور بالقرب من بعضها يجسد لنا فكرة تعدد القبائل التي استقرت بهذه المنطقة.

تمثل هذه القصور حاليا التجمع العمراني الرئيسي للبلدية الذي استفادت منه المجمعة منذ التقسيمات الإدارية الأخيرة (1984)، تم دمجها مع مركز البلدية عند إحصاء 1998 بسبب تداخل الأنسجة العمرانية لهما، تتوسع هذه القصور يتم في أغلبه داخل هذه الواحات، يتعلق الأمر بالقصور التي تتوضع داخل هذه الواحات، مما يجعل معالم هذا التوسع لا تظهر بشكل واضح، أما توسعات الدولة الحديثة والتي تتمثل في بعض المنشئات الإدارية وبرامج سكنية، فقد بدأت تتوسع في الوهلة الأولى بجانب هذه القصور باتجاه الطريق الولائي 73 الذي يربطها بتيميمون، لكن سرعان ما تحولت توسعاتها نحو قصر كالي في الجهة الغربية للمجمعة، إذ هو على وشك أن يندمج هو الآخر مع هذا المركز (الخريطة35).

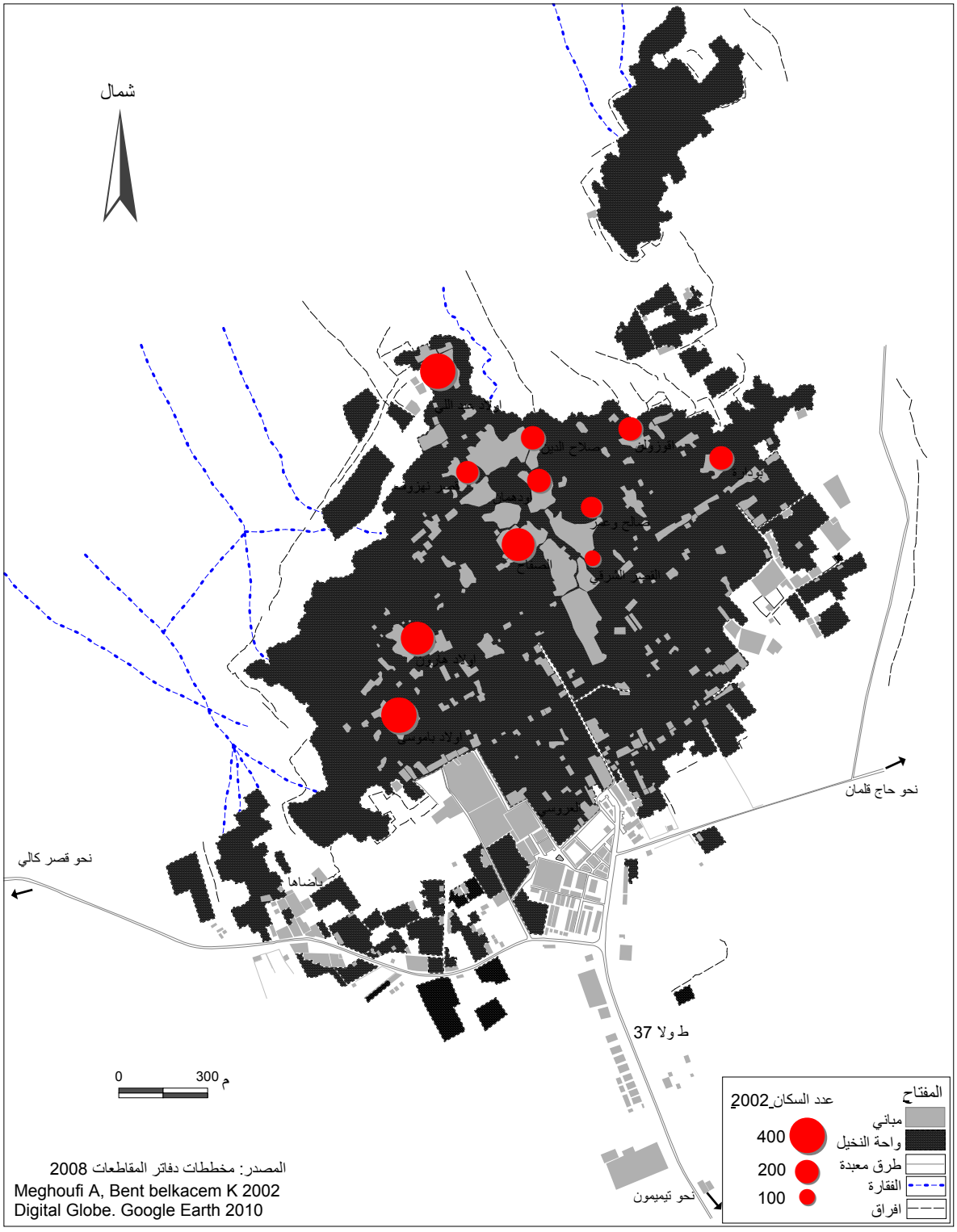

خريطة(35): توزيع قصور التجمع العمراني الرئيسي لبلدية أولاد سعيد

2.1. بوكزين مقر لبلدية طلمين تم اختاره بسبب موضعه

تعتبر مجمعة بوكزين من بين المجمعات السكانية التي نشأت حديثا؛ عن تجمع السكان الذي انتقل أغلبهم من قصر طلمين، تم ترقيته إلى مركز بلدية سنة 1984 نظرا لكونه يقع في منطقة غير مغطاة بالكثبان الرملية (يمكن اعتبار موضعه المنطقة الوحيدة التي تنعدم في الرمال في هذه البلدية)، وهو ما جعله يجذب العديد من سكان القرى الأخرى المجاورة له في الآونة الأخيرة. بداية التجمع في هذا المركز كان منذ سنوات 1970 من طرف بعض السكان المحليين الذين تنقلوا نحوه لأسباب تتعلق بوظيفتهم الفلاحية بالدرجة الأولى. منذ ترقية هذا المركز إداريا، أصبح يعرف نمط آخر من التوزيع المجالي للبنايات، بعد أن كان يعتمد من طرف السكان المحلين على إنشاء الواحة قرب المسكن، ظهرت برامج سكنية جديدة وتجهيزات كتلك التي تتميز بها التجمعات الكبرى، تتوضع هذه البرامج أساسا على الطريق الولائي8 الذي تم اتخاذه كمحور لتوسعات هذا المركز (الخريطة36).

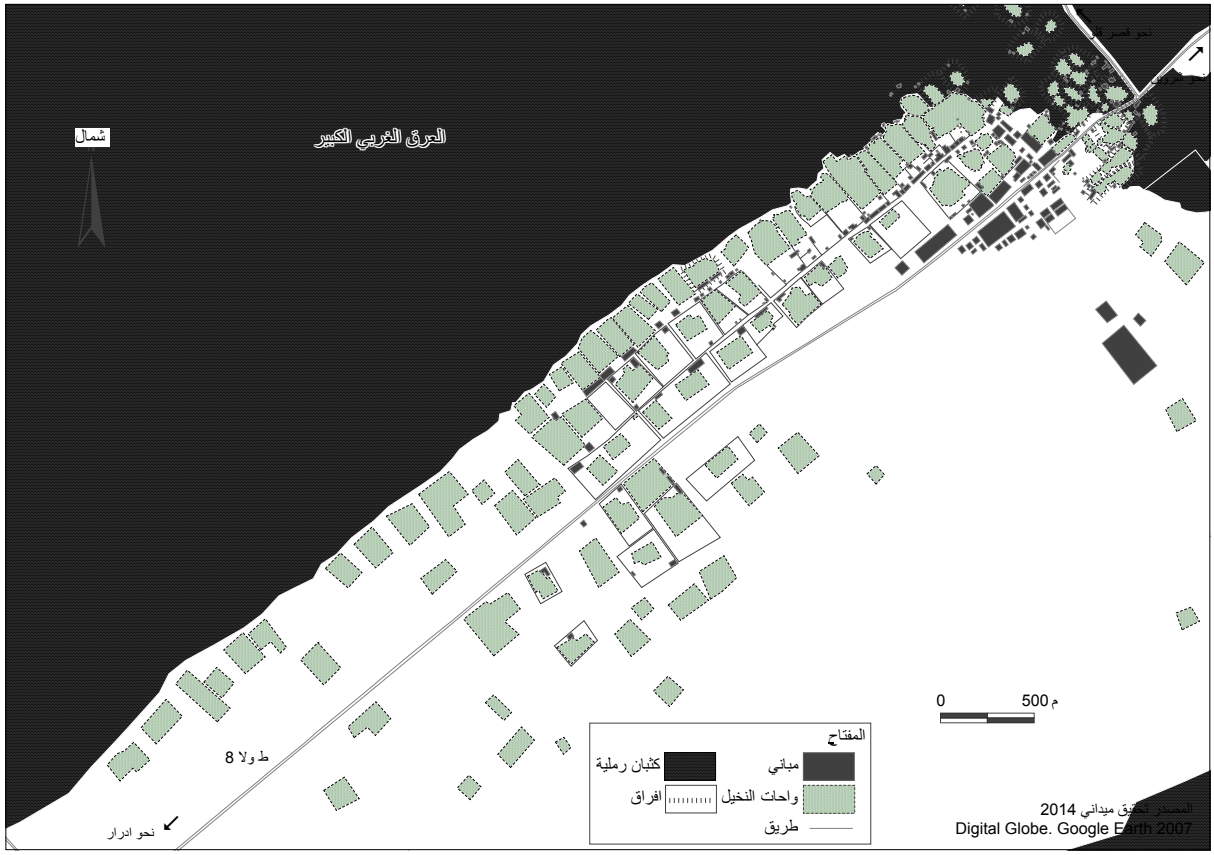

خريطة (36): بوكزين مقر بلدية طلمين

3.1. فاتيس: من أكبر قصور تينركوك القديمة النشأة

يمثل فاتيس أحد أكبر وأقدم قصور تينركوك، يبعد عن مقر البلدية زاوية الدباغ بحوالي 8 كلم، يسكن قصر فاتيس حاليا أكثر من 3100نسمة. يغلب على سكانه ممارسة النشاط الفلاحي والصناعة

التقليدية. إن توضع قصر فاتيس وسط الكثبان الرملية للعرق الغربي الكبير، جعله يتميز بصفات خاصة في نمط الاستيطان، الذي يتم بين واحات النخيل (الخريطة 37)، ويتعلق الأمر بمباني السكان التي تكون قرب واحاتهم، أما بالنسبة للتجهيزات التي برمجتها الدولة فتكون خارج الواحات. صنف فاتيس منذ 1963 كتجمع ثانوي بسبب عدد سكانه الهام، هذا الذي جعله يستفيد ببعض التجهيزات غير تلك التي توجد في القصور الأخرى كمؤسسة للتعليم المتوسط، مركز بريد، قاعة للنشاطات...

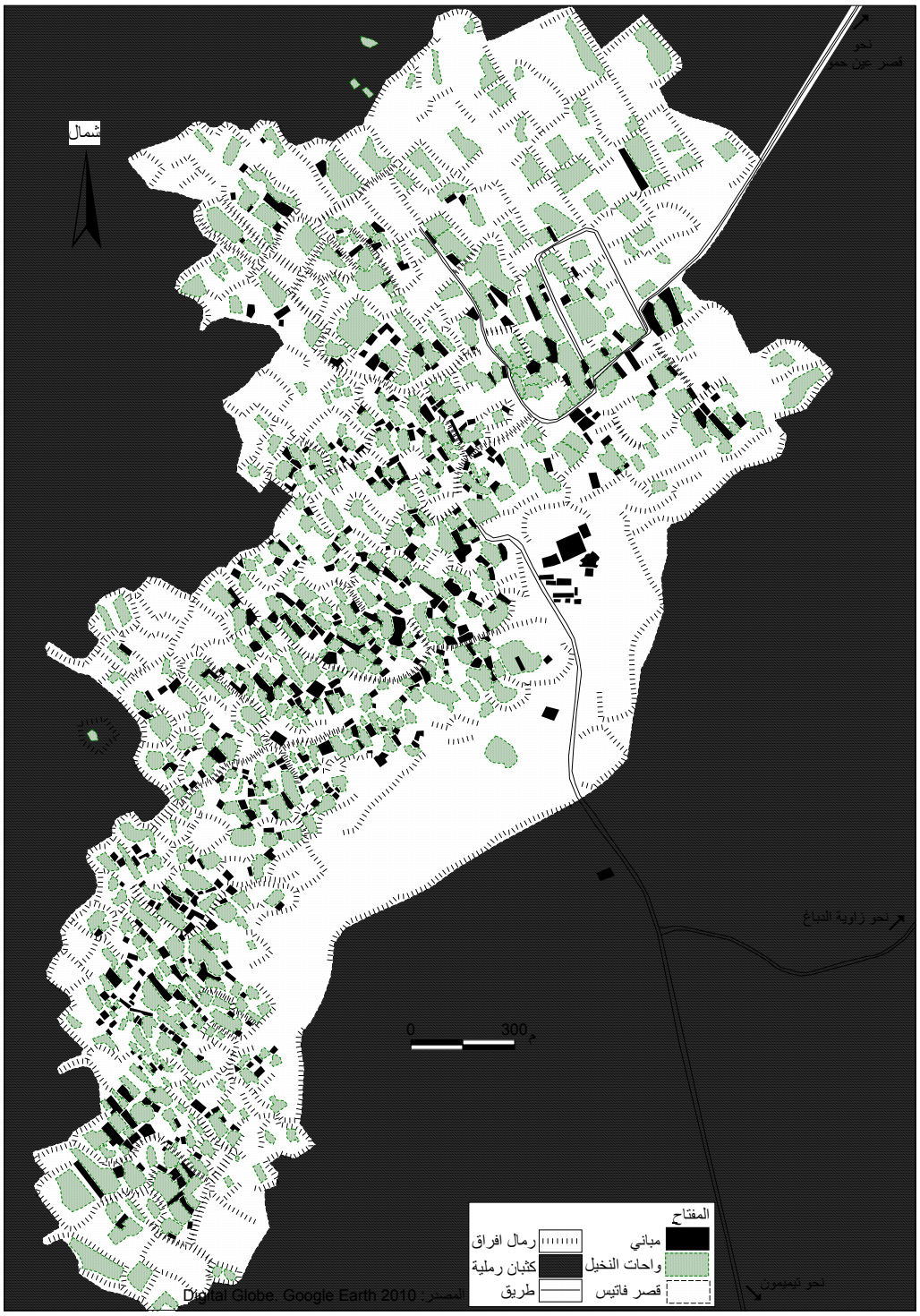

خريطة (37): قصر فاتيس

2. السكان والسكن في المجمعات المدروسة: تحولات جذرية تهدف إلى تحسين مستوى المعيشة

تتجسد لنا التحولات التي عرفتها القصور بمنطقة قورارة، من خلال التطرق بصفة دقيقة إلى بعض المجالات التي شملتها هذه التغيرات على المستوى المحلي (في كل قصر).

يعتبر السكن من أهم العناصر المتأثرة بهذه الوضعية، فظهور أنماط سكنية جديدة، نمو الرقعة المجالية لهذه القصور، وكذا التخلي عن السكن التقليدي كلها مظاهر تعكس ذلك. ارتبطت هذه المظاهر الجديدة التي عرفها هذا القطاع، بتحول البنية الاجتماعية للسكان، سواء من حيث العدد، فقد عرفت القصور نمو سكانيا كبيرا لم تعد مساحته الصغيرة كافية له، أو من خلال توافد فئات اجتماعية جديدة بسلوكيات مغايرة جاءت بها إلى القصور، خاصة بعد تقلده لوظائف جديدة لم يكن يعرفها في السابق. وتيرة ومراحل هذه التغيرات لم تكن متكافئة في المجمعات، الأمر الذي أدى إلى اختلاف كيفيات هذه التحولات من قصر لآخر وذلك تبعا للظروف والعوامل التي ساهمت في ذلك.

1.2. أصول جغرافية متنوعة للسكان في المراكز العمرانية

إن النمو السكاني الذي عرفته القصور؛ يعكس بدون شك وتيرة التحولات التي تعرفها في مختلف المجالات، هذا النمو الديموغرافي لم يكن فقط نتيجة للزيادة الطبيعية للسكان المحلين للقصر، لكن كذلك من خلال جذب أو توافد مجموعات سكانية جديدة ومن أصول جغرافية متباينة، هذه الخاصية تميزت بها خصوصا المراكز العمرانية للمنطقة كتلك التي نحن بصدد دراستها. فمنذ الترقية الادارية لهذه المجمعات والتي سمحت لها بأن توفر فرص الشغل للسكان، بما أنها تمثل مركزا للتجهيزات والهياكل، مما ساهم في استقطاب مجموعات بشرية مختلفة الأصول، سواء كانت ذات أصول محلية؛ أي من القصور والبلديات المجاورة، أو من خارج الولاية (الجدول 25).

جدول (25): الأصل الجغرافي للأسر المحقق معها في المجمعات السكانية (%)

المجمعة / الاصل الجغرافي	تيميمون	تيبرغمين	اولاد سعيد	شروين	بوكزين
من المجمعة نفسها	64	85,7	93,5	81,6	15
قصور بلدية المجمعة	12,5	-	1,1	8,4	65
قصور منطقة قورارة	11,8	5,7	2,1	5,1	10
داخل الولاية	2,9	1,4	-	1,6	2,5
خارج الولاية	8,8	7,2	3,3	3,3	7,5
المجموع	100	100	100	100	100

المصدر: تحقيق ميداني 2013

يختلف تنوع الأصول الجغرافية للأسر المحقق معها من مجمعة لأخرى، إذ يعتمد ذلك على الدور الوظيفي وأهمية كل مجمعة مقارنة بغيرها، فمدينة تيميمون التي تستحوذ على أهم التجهيزات

والوظائف الخدماتية؛ جعلها تستقطب مجموعات سكانية متنوعة؛ ويغطي إشعاعها مناطق مختلفة، فحوالي 36% من مجموع الأسر المحقق معها في المدينة، هي من نقاط خارج المجمعة. يعود الأصل الجغرافي للبعض منها (12,5%) إلى القصور المجاورة لها (قصور بلدية تيميمون)، كقصر الواجدة، بادريان، وغيرها، تتميز هذه القصور بموضعها على الطرق المعبدة (الطريق الوطني رقم51، والولائي رقم 151) التي تربطها بهذه المدينة بمسافات متباينة (تتراوح ما بين 1 و27كلم)؛ فقد سمح لها ذلك بسهولة التنقل نحوها. احتواءها على التجهيزات التعليمية والصحية وكذا الخدماتية خصوصا؛ وتوفير فرص الشغل للسكان، أدى إلى جذب العديد من سكان هذه القصور، حتى أنه يتعدى إشعاع هذه المدينة القصور المجاورة، إلى قصور البلديات الأخرى سواء التابعة لمنطقة قورارة أو بلديات ولاية ادرار؛ بالإضافة إلى خارج الولاية خاصة المجاورة لها (بشار، غرداية، البيض) (الخريطة 38)..

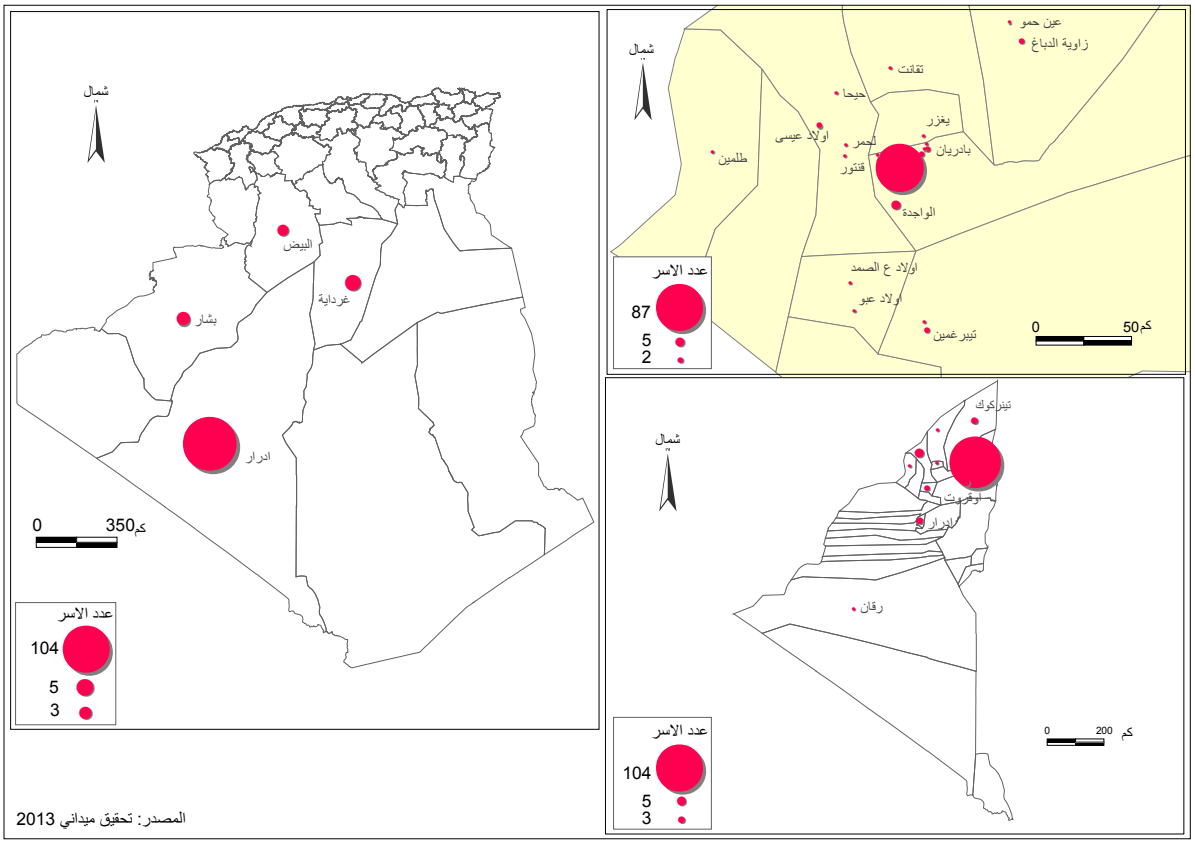

خريطة (38): توزيع للأسر المحقق معها بمدينة بتيميمون حسب مكان الميلاد

لم تتصف الأصول الجغرافية للأسر المحقق معها بالمراكز العمرانية الأخرى؛ بنفس التنوع الذي عرفتها في مدينة تيميمون؛ ذلك لأن هذا المراكز تقلها أهمية من حيث الوظائف والخدمات التي يمكن أن تقدمها، فأغلبيتها أي الأسر المحقق معها؛ تعود أصولها إلى نفس المجمعة، ما عدا أسرتين أو ثلاث التي تباينت أصولهم بين بعض قصور المنطقة؛ وكذا من بعض ولايات الشمال، كمجمعة تيبرغمين التي لم نجد فيها أسر جاءت من القصور التابعة لها، فهي تكاد تشكل نسيج عمراني واحد كما أن سبق

وأن ذكرنا، وتبعد عنها بأقل من 1 كلم ولا تحتاج إلى التحول منها بصفة نهائية، ومن المؤكد أنه هناك حركة يومية كثيفة من هذه القصور نحوها (الخريطة (50) في الملاحق).

تميزت كل من مجمعات شروين وأولاد سعيد بنفس الخاصة التي سبق وأن ذكرناها؛ فهي لم تجذب إليها عدد كبير من السكان ذوي أصول جغرافية خارجية، ففي مجمعة شروين اقتصرت النقاط التي جاءت منها الأسر على بعض القصور التابعة لنفس البلدية، أما خارج البلدية فتوصلنا إلى تواجد العديد من الأسر التي تعود أصولها إلى منطقة طلمين، ذلك لأن هذه البلدية كانت في السابق تابعة لها. في حين حوالي 94% من مجموع الأسر المحقق معها في أولاد سعيد تعود أصولها إلى نفس المجمعة (الخرائط (51، 52) في الملاحق).

ما يمكن تجسيده من خلال التحقيق الميداني مع الأسر في مجمعة بوكزين؛ هو فكرة كون هذه المجمعة حديثة النشأة، فقد تشكلت من تجمع سكان أغلبيتهم من قصر طلمين (42%)، الذي يعتبر من أقدم قصور المنطقة، هذه المجمعة لم تعرف فقط مجيء الأسر من هذا القصر، ولكن كذلك من القرى المجاورة الأقل تنمية، وكذا من خارج ولاية ادرار (وهران، تلمسان، غرداية) (الخريطة 39)، فقد كان ذلك بعد الترقية الإدارية التي عرفتها؛ وسمحت لها بأن تستفيد من العديد من التجهيزات التي وفرت فرص الشغل لهؤلاء.

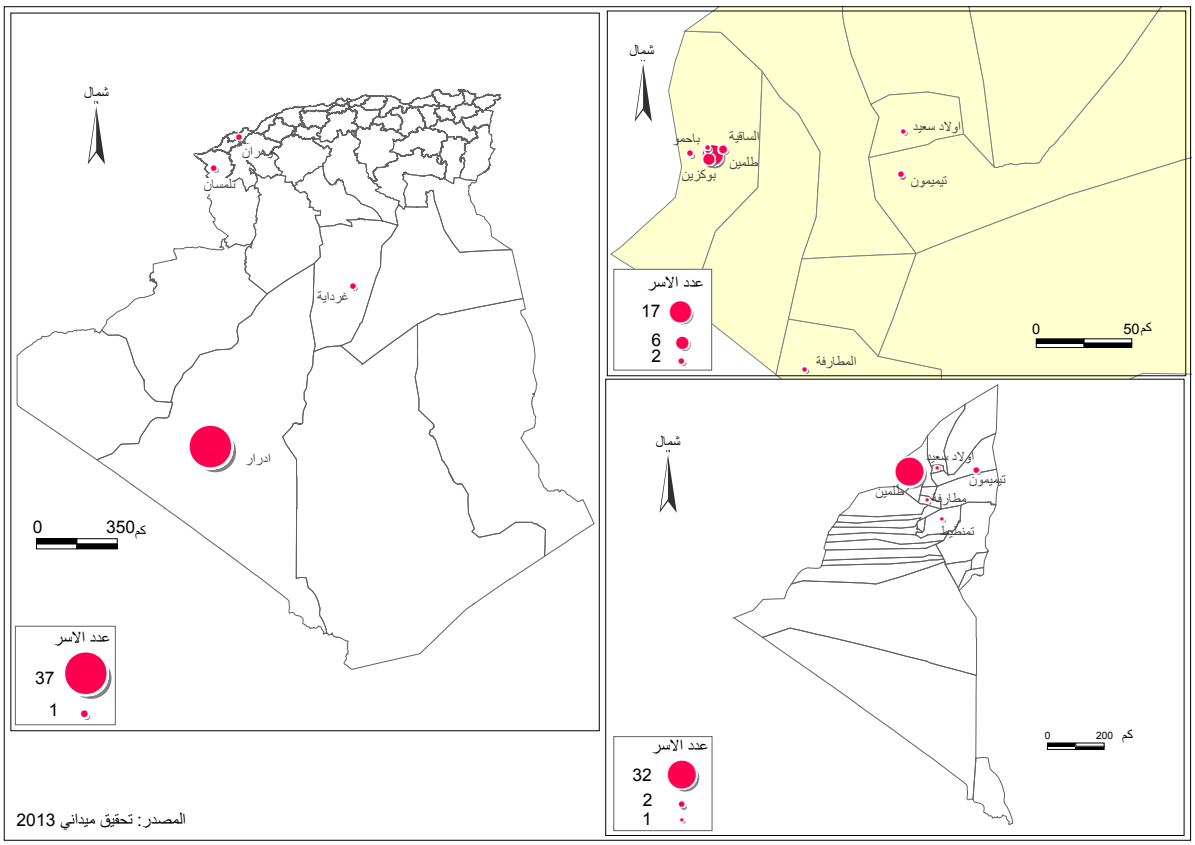

خريطة (39): توزيع الأسر المحقق معها في مجمعة بوكزين حسب مكان الميلاد

1.1.2. التعليم والصحة: إحدى القطاعات التي ساهمت في جذب أفراد جدد إلى هذه المراكز

تلعب التجهيزات التعليمية (الثانوي والمتوسط) وكذا الصحية، دور في حركة السكان نحو المراكز العمرانية سواء من خلال توفير التعليم، أو من خلال ما توفره من فرص للشغل لمختلف الفئات من المجتمع (الجداول 26، 27):

جدول (26): الأصل الجغرافي للمتمدرسين المحقق معهم في المؤسسات التعليمية (%)

الطور التعليمي	المجمعة / الأصل الجغرافي	تيميمون	تيبرغمين	بوكزين	اولاد سعيد	شروين
التعليم المتوسط	من المجمعة نفسها	54,5	70,8	13,3	**	20
	قصور بلدية المجمعة	24,7	4,2	83,3		73,3
	قصور منطقة قورارة	3,9	8,3	-		3.3
	داخل الولاية	1,3	4,2	-		-
	خارج الولاية	20,8	12,5	3,3		3,3
	المجموع*	**77**	**24**	**30**		**30**
التعليم الثانوي	من المجمعة نفسها	39,13	9,4	3,6	34,6	**
	قصور بلدية المجمعة	39,13	21,9	93,3	61,5	
	قصور منطقة قورارة	17,4	65,6	-	3,8	
	داخل الولاية	2,90	3,1	-	-	
	خارج الولاية	1,44	0	3,3	-	
	المجموع*	**69**	**32**	**30**	**26**	

* مجموع التلاميذ المحقق معهم ** لم يتم التحقيق فيها

المصدر: تحقيق ميداني 2013

تحتوي مدينة تيميمون على 4 مؤسسات للتعليم الثانوي، 5 للتعليم المتوسط، أما التحقيق الميداني فيها فقد تم في مؤسستين للتعليم الثانوي، و3 منها للتعليم المتوسط، أما المراكز العمرانية الأخرى فيتراوح عددها فيها ما بين 1 و2 لكل طور تعليمي. ساهمت هذه المؤسسات في خلق حركية للمتمدرسين نحو هذه المدينة (تيميمون)، تتصف بجذب حوالي 45% بالنسبة للمتوسط، جزء قليل منهم فقط (24) تعود أصوله إلى القصور التابعة للبلدية، أغلبهم يسكنون المدينة، ذلك لأن هذه القصور سواء الجنوبية أو الشمالية، جهزت في الآونة الأخيرة بمدارس لهذا الطور(متوسطة تاورسيت، والقصبة)، مما ساهم في تقريبها من التلاميذ وتخفيف الضغط عن المدينة، أما الثانوي فقد استقطب أكثر من 60 % من المحقق معهم، يتعدى استقطاب التلاميذ قصور بلدية تيميمون، إلى قصور بلديات منطقة قورارة الأخرى (17%)، (قصر قدور، طلمين، شروين، أولاد عيسى)، ويعود السبب في ذلك إلى توفر مؤسساتها التعليمية (الثانوي)، على بعض التخصصات (التخصصات التقنية) التي لا تتوفر في غيرها من هذه البلديات، خاصة وأن أغلب مؤسساتها حديثة النشأة، أما القادمون من خارج الولاية فيمثل هؤلاء الذين جذبت مناصب العمل أوليائهم. فيما لم تختلف خصائص المجمعات الأخرى بشكل كبير عن مدينة تيميمون، بما أنها تميزت هي الأخرى باستقطاب هام للتلاميذ من القصور التابعة لبلدية

كل مجمعة، إلا أن ما ميز مجمعة تيبرغمين هو عودة الأصل الجغرافي لحوالي 65% من مجموع التلاميذ المحقق معهم إلى قصور منطقة قورارة، ويتعلق الأمر خصوصا بقصور دلدول والمطارفة، فذلك بحكم كونها؛ أي تيبرغمين مقر دائرة تضم هذه البلديتين (الخريطة 40).

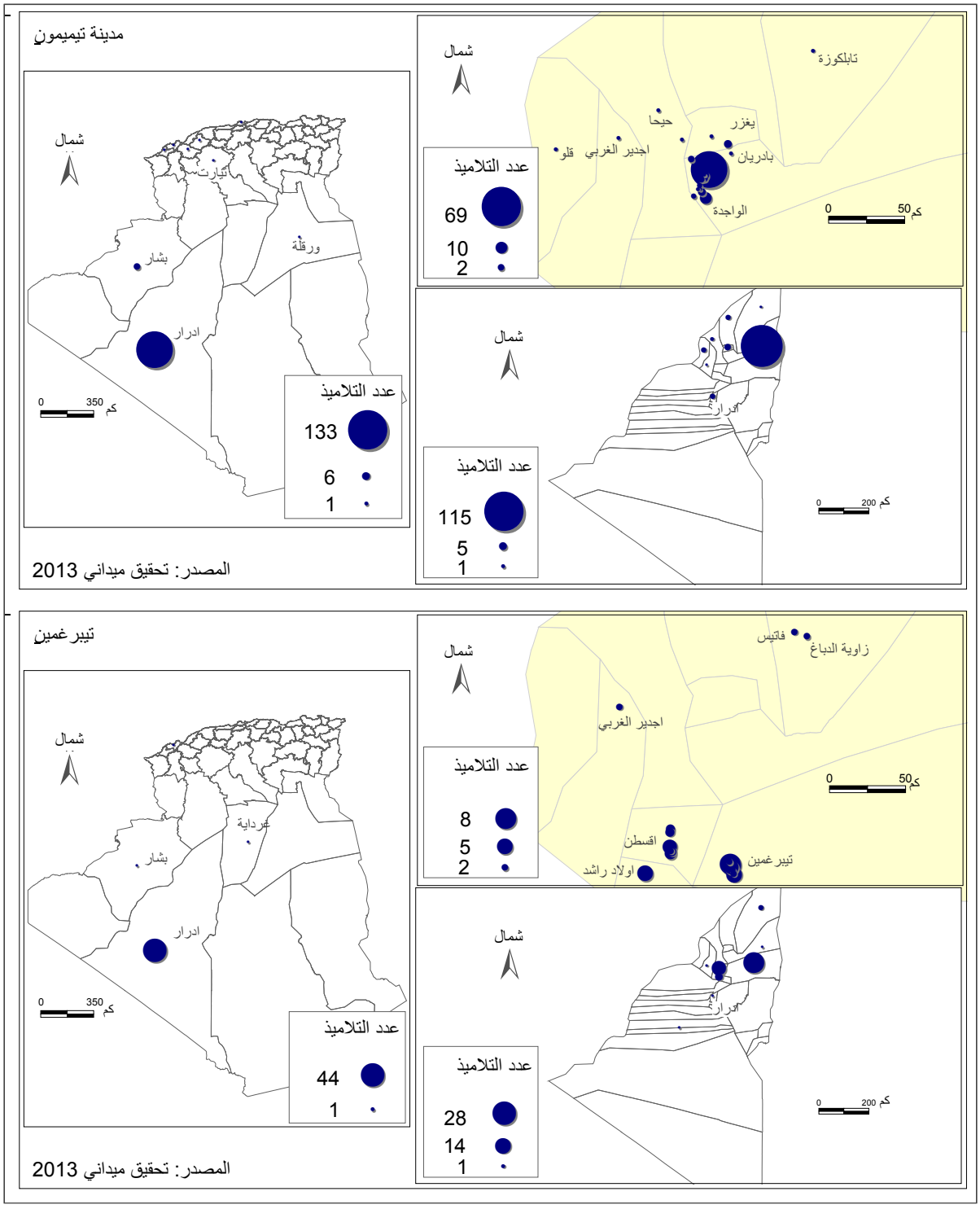

خريطة (40): توزيع التلاميذ المتمدرسين في المؤسسات التعليمية للمجمعات المدروسة حسب مكان الميلاد

توفر المؤسسات التعليمية والصحية مناصب عمل عديدة، إذ يتوافد عليها موظفين بمختلف وظائفهم من أصول جغرافية مختلفة، خصوصا بالنسبة للأساتذة والأطباء، الذي غالبا ما يعود أصلهم الجغرافي إلى ولايات الشمال، بالإضافة إلى ذلك يمكن اعتبار القصور والمجمعات الثانوية ممول لليد العاملة في هذه المؤسسات؛ خصوصا في السنوات الأخيرة، بدليل أن نسب الموظفين القادمين من هذه القصور مرتفعة، عند المجموعات التي تم التحقيق معها في هذه المؤسسات.

جدول (27): الأصل الجغرافي لموظفي المؤسسات التعلمية والصحية في المجمعات المدروسة (%)

	المجمعة / الأصل الجغرافي	تيميمون	تيبرغمين	اولاد سعيد	شروين	بوكزين
المؤسسات التعليمية	من المجمعة نفسها	46	20	25,9	38,5	6,4
	قصور بلدية المجمعة	14,5	32,5	37,0	19,2	29,8
	قصور منطقة قورارة	16,9	12,5	18,5	11,5	25,5
	داخل الولاية	1,6	12,5	11,1	11,5	19,1
	خارج الولاية	21	22,5	7,4	19,2	19,1
	المجموع*	**124**	**40**	**27**	**26**	**47**
المؤسسات الصحية	من المجمعة نفسها	53,3	31,6	47,4	27,8	21,4
	قصور بلدية المجمعة	21,1	57,9	36,8	33,4	42,9
	قصور منطقة قورارة	12,2	-	-	16,8	24
	داخل الولاية	-	-	-	-	-
	خارج الولاية	13,3	10,5	10,5	22,2	14,3
	المجموع*	**90**	**19**	**19**	**18**	**14**

* مجموع الموظفين المحقق معهم

المصدر: تحقيق ميداني 2013

يعود الأصل الجغرافي لحوالي 54% من الموظفين؛ الذي تم التحقيق معهم في المؤسسات التعليمية لمدينة تيميمون؛ إلى خارج المجمعة، هذه النسبة 30% منها تمثل الناشطين الذين جاءوا من قصور منطقة قورارة، وما يميز أغلب فئات هذه المجموعة هو أنها تلتحق بهذه المؤسسات، عن طريق التنقل اليومي نحو مكان الإقامة، في حين 21% من هذه الفئة؛ جاءت من ولايات متعددة، لم تختلف الفئات المحقق معها في مستشفى تيميمون عن هذه الخاصية، فهي تعرف يوميا توافد 33% منهم من نقاط مختلفة من قصور قورارة وخاصة وأنه يمثل أكبر مستشفى والوحيد في المنطقة، أما القادمين من خارج الولاية، فتمثل نسبتهم 13% و خصوصا من ولايات الغرب.

أما في المجمعات الأخرى (تيبرغمين، شروين، أولاد سعيد، وبوكزين)، فتميزت في كونها تعتمد بشكل كبير في تمويل مؤسساتها باليد العاملة من خارج المجمعة (تزيد هذه النسب فيها عن 50%)، بعكس تيميمون التي غالبا يستحوذ سكان المدينة على أكبر نسبة من الموظفين فيها؛ فيرتبط ذلك ربما بالفرق في عدد السكان. أما مجيء مجموعات بشرية متعددة من نقاط مختلفة سواء من داخل أو خارج الولاية إلى هذه المراكز، فيعود إلى كونها استفادت من مؤسسات جديدة (التعليم الثانوي) في السنوات

الأخيرة (الصورة 22 ص 184)، وهذا الطور التعليمي تم تعميم توفره في كل مراكز بلديات منطقة قورارة، الأمر الذي سمح بجذب أفراد من أصول جغرافية مختلفة ساهم في تنوع البنية البشرية لسكان هذه المجمعات (الخريطة 41).

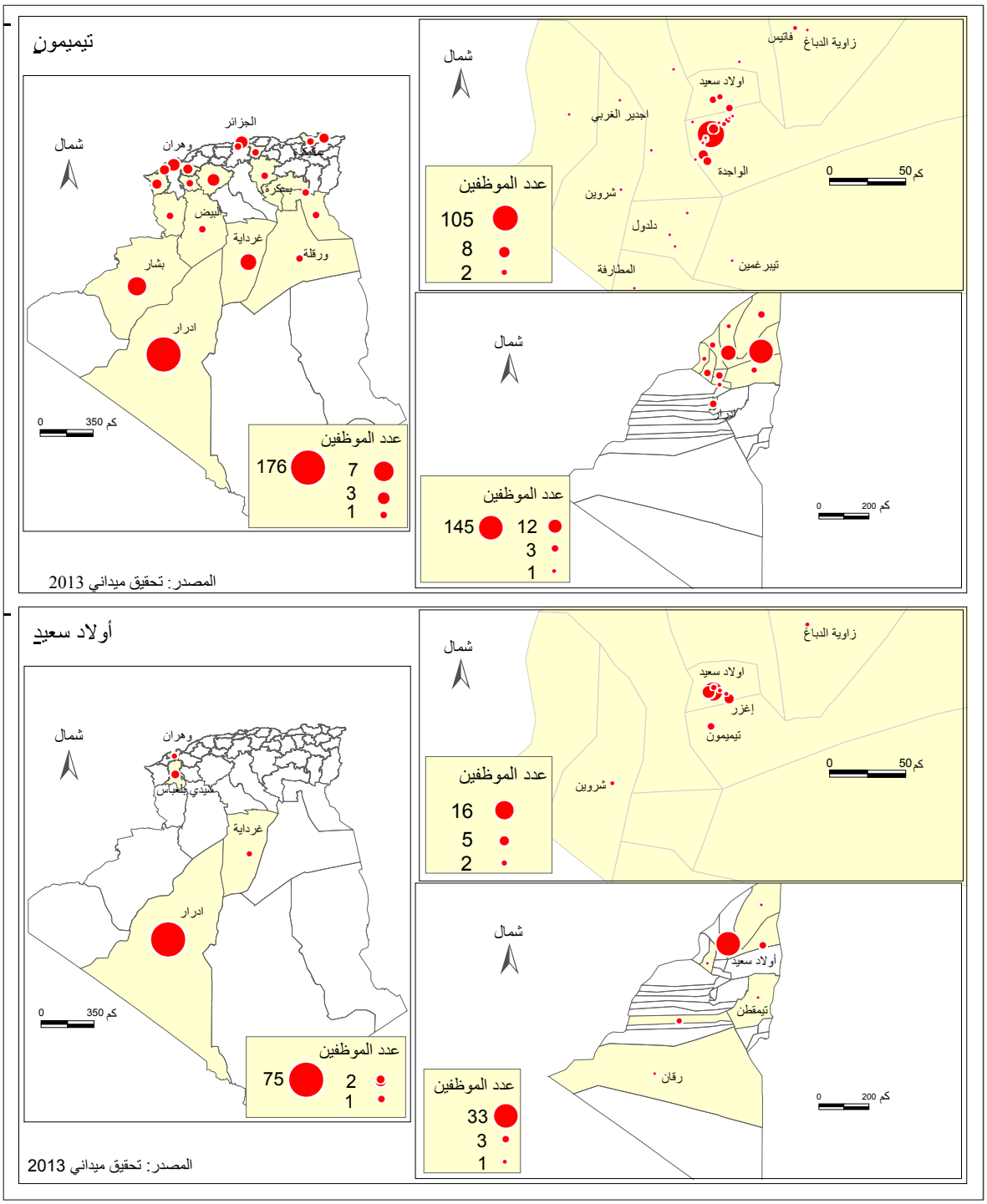

خريطة (41): توزيع موظفي المؤسسات التعليمية والصحية للمجمعات المدروسة حسب مكان الميلاد

2.1.2. فاتيس: لم تجذب إليها فئات سكانية جديدة، فهي لا تقدم وظائف تسمح بذلك

تعتبر فاتيس من المجمعات الثانوية؛ التي لم تستفد من أي ترقية إدارية تسمح لها بأن توفر بعض الوظائف التي ستسمح بتوافد أسر جديدة للسكن فيها، لولا توفرها على فرع إداري لبلدية تينركوك، كونها بحجم سكاني هام (أكثر من 3000نسمة)، سمح لها ذلك بأن تستفيد من بعض التجهيزات ولو بسيطة (مركز بريد، مؤسسة للتعليم المتوسط)، الأمر الذي قادنا إلى مقارنة المراكز العمرانية التي أصبحت تؤدي وظائف إدارية بها، لمعرفة مدى تأثير هذه التنظيمات على جذب فئات اجتماعية من مناطق مختلفة نحوها وهل تتميز بنفس هذه الخصائص؟

توصلنا من خلال التحقيق الميداني مع الأسر إلى أنه تعود أصولها إلى نفس القصر، ولم نحصل على أية حالة من خارج المجمعة، هذا ما يؤكد لنا أنه إن توفرت بعض الأسر من مناطق أخرى فنسبها ضئيلة جدا، نفس الشيء بالنسبة للتلاميذ الذي تم التحقيق فيها مع حوالي 30 تلميذ، 94% منهم ينتمون إلى القصر، هذا رغم أن بعد التحقيق مع الأساتذة والموظفين المشتغلين في هذه المؤسسة التعليمية (25شخص)، توصلنا إلى أنه هناك فئات تعود أصولها الجغرافية إلى نقاط مختلفة؛ تتعدى الولاية، لكن بنسب ضئيلة (10,7%) وقدموا من ثلاث ولايات فقط (ميلة، تلمسان، سيدي بلعباس)، أما البلديات الداخلية فيتمثل البعض منها في بلديات منطقة قورارة (تيميمون، زاوية الدباغ)، في حين الأخرى تتمثل في تسابيت، انجزمير...، إلا أن أغلب هؤلاء يسكن القصر بصفة مؤقتة وذلك في المساكن الوظيفية. من خلال ما تقدم نستطيع القول أن الترقية الإدارية وما توفره من هياكل في القصور هي التي تجذب إليها السكان وتساهم في تنوع بنيتها البشرية.

صورة (22): التجهيزات التعليمية بالمجمعات المدروسة 2014

2.2. فرص شغل جديدة أحدثت تغييرات في نشاطات سكان القصور

إن التحولات الوظيفية التي عرفتها القصور منذ سنوات الثمانينات، سواء تلك التي تم ترقيتها إداريا، أين سمح لها ذلك بالاستفادة بتجهيزات وهياكل؛ وفرت فرص عمل جديدة لسكانها، أو تلك التي تأثرت بهذه التنظيمات الإدارية وبرامج الدولة التي تهدف إلى تنميتها، أدت إلى جذب السكان المحليين للمنطقة للعمل فيها، لكن كذلك جذب فئات اجتماعية جديدة من خارج المنطقة، كما أن تحسن مستوى التمدرس لدى السكان دفعهم للبحث عن العمل في وظائف إدارية وخدماتية. من بين العوامل الأخرى التي ساهمت كذلك في تحول البنية المهنية لمجتمع الواحات؛ هو تطور شبكة الطرق التي تربط بينها وبين المناطق والولايات المجاورة، فقد سمحت بتطوير علاقاتها وشبكتها التبادلية والتنقلات مع غيرها من المجالات، مما أدى إلى ظهور نشاطات جديدة كالتجارة، النقل...وغيرها من الوظائف.

1.2.2. البنية المهنية الاجتماعية لأرباب الأسر: الفلاحة لا تمثل نشاطهم الرئيسي

لم تعد الفلاحة تمثل النشاط الرئيسي للسكان كما كانت في السابق، بدليل أن نسبة كبيرة من المنطقة يشتغلون مهن جديدة؛ سواء بالنسبة لمهنهم السابقة أو الحالية، أما الذين يشتغل الزراعة فنسبهم ضئيلة جدا، وغالبا ما يكون نشاطهم في الاستصلاحات الزراعية الحديثة، وليس في واحات النخيل التقليدية التي لم يعد إنتاجها كاف لتلبية حاجيتهم، وحسب نتائج التحقيق الميداني مع الأسر تختلف هذه النسب في المجمعات المدروسة، وذلك ربما وفقا لدرجة تأثرها بالتحولات التي عرفتها المنطقة. (الجدول 28)

جدول (28): المهن السابقة لأرباب الأسر في المجمعات المدروسة (%)

المجمعة / القطاع المهني	تيميمون	تيبرغمين	أولاد سعيد	شروين	بوكزين	فاتيس	**المجموع**
إدارة وخدمات	22,8	25,7	10,7	21,7	10	16	52,83
أشغال عمومية وبناء	14	11,4	17,2	20	5	24	43,4
فلاحة	**0**	**2,9**	**1,1**	**0**	**5**	0	4,8
حرف	0	0	0	0	0	2	0,62
نسبة المشتغلين	**36,8**	**40**	**29**	**41,7**	**20**	**42**	**35,4**
بدون عمل	63,2	60	71	58,3	80	58	64,6
المجموع	100	100	100	100	100	100	100

المصدر: تحقيق ميداني 2013

كان يشتغل أغلب الأسر المحقق معها في قطاعي الإدارة والخدمات والأعمال الحرة كالبناء وغيرها، إذ لم تفوق نسبة الناشطين في الفلاحة والحرف الـ5%، فأما المجمعات التي تم ترقيتها حديثا إلى مقرات بلدية؛ فهي تحتوي تجهيزات محدودة (أولاد سعيد، شروين)، فأكبر عدد من أرباب الأسر يشتغل في البناء والأشغال العمومية، في حين كان يعتمد البعض منهم في نشاطهم على القطاعات الإدارية والخدماتية، أما بوكزين فغلبت عليها صفة المشتغلين في القطاع الفلاحي (الشكل 18).

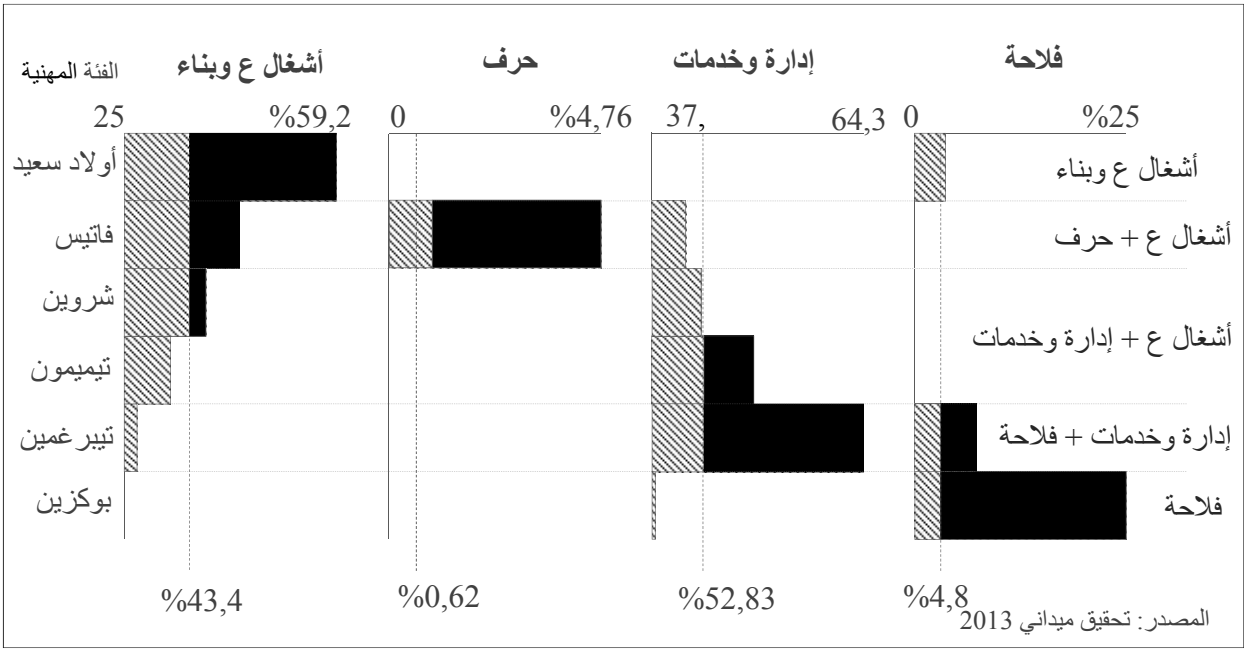

شكل (18): المهن السابقة لأرباب الأسر الناشطين المحقق معهم

2.2.2. تغيير المهنة: التحول نحو العمل في القطاعات الإدارية والأشغال العمومية

لم يكن حوالي 64% من مجموع أرباب الأسر المحقق معهم؛ في المجمعات المدروسة يمارس أي نشاط ، إلا أن تحسن مستوى التجهيز في هذه القصور، وظهور فرص عمل جديدة ساهمت في توفير مناصب العمل للعديد منهم وأثر نسبة البطالة؛ إذ انخفضت عندهم إلى إقل من 10% (الجدول 27).

جدول (29): تنوع مهن أرباب الأسر في المجمعات المدروسة (%)

المجمعة / القطاع المهني	تيميمون	تيبرغمين	أولاد سعيد	شروين	بوكزين	فاتيس	**المجموع**
إدارة وخدمات	38,2	42,8	34,4	40	37,5	34	56,3
أشغال عمومية وبناء	18,4	27,1	29	31,7	35	22	35,3
فلاحة	**1,5**	**4,3**	**3,2**	**1,7**	**15**	0	4,8
حرف	2,2	0	1,1	0	2,5	12	3,5
نسبة المشتغلين	**60,3**	**74,3**	**67,7**	**73,3**	**90**	**68**	**69,3**
بدون عمل	14,7	5,7	12,9	3,3	0	4	9,7
متقاعد	25	20	19,4	23,3	10	28	21
المجموع	100	100	100	100	100	100	100

المصدر: تحقيق ميداني 2013

منذ انفتاح سوق العمل في المنطقة؛ تطورت العمالة بالأجر لدى السكان، فلم يقتصر ذلك فقط على المراكز العمرانية التي عرفت تجهيز مكثف بالهياكل ساهمت فيها، ولكن كذلك في المجمعات الثانوية، التي تم ربطها في نفس الأثناء بالطرق نحو هذه المراكز؛ مما سمح لها بتسهيل حركة التنقل نحوها، للعمل في هذه الوظائف، خاصة في قطاعي الإدارة والخدمات، والأشغال العمومية (الشكل19). يظهر

ذلك جليا من خلال تحليلنا لنتائج التحقيق الميداني في المجمعات المدروسة، ففي أغلب هذه الأخيرة تتجاوز فيها نسبة المشتغلين في هذه القطاعات الـ56% من مجموع أرباب الأسر معهم.

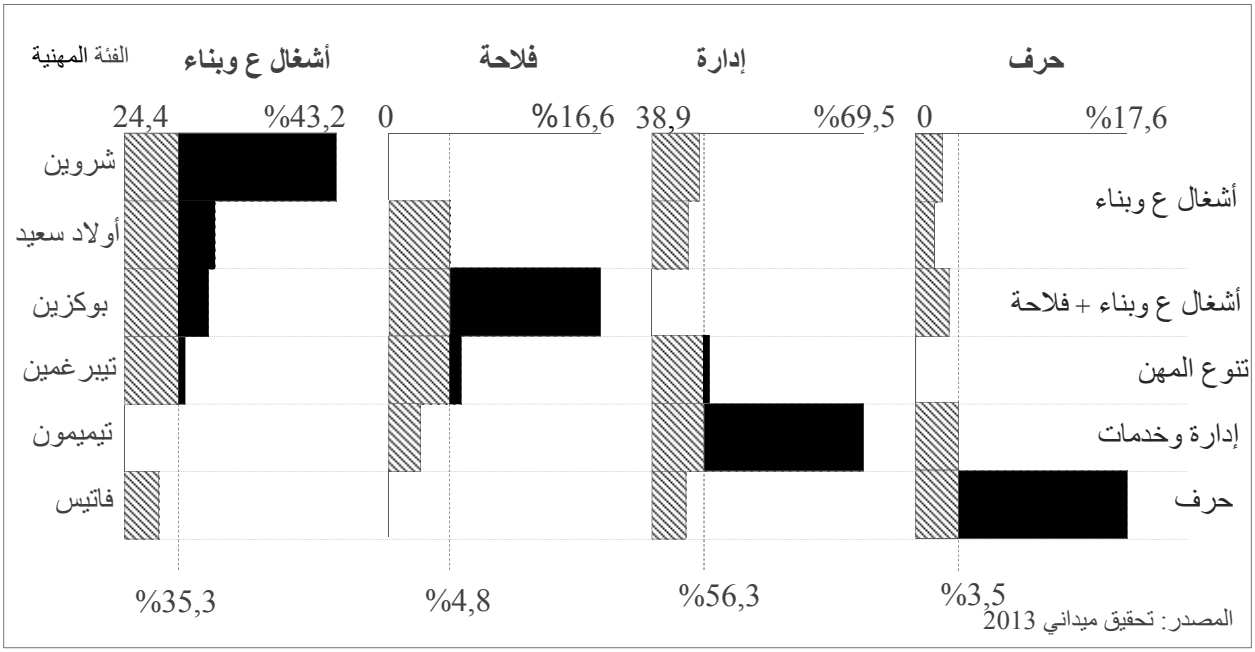

شكل (19): البنية المهنية لأرباب الأسر الناشطين المحقق معهم

يشتغل أغلب أرباب الأسر المحقق معهم في المجمعات السكانية المدروسة؛ في قطاع الأشغال العمومية والبناء، خاصة في كل من شروين وأولاد سعيد، إذ تمثل فيهما نسبة المشتغلين في هذا القطاع 31%بالنسبة للأولى، و29% بالنسبة للثانية، تتمثل مهنهم في البناء وبعض الأعمال الحرة كالمقاولات. بينما تتميز مجمعة بوكزين بطابعها الريفي الذي يغلب عليه النشاط الفلاحي؛ إذ ما يمثل 15% من مجموع أرباب الأسر المحقق معهم يشتغل في القطاع الفلاحي، فهو يعتبر النشاط الرئيسي للعديد من السكان في هذه المنطقة، فهي تتميز أي قصور منطقة تاغوزي؛ بإنتاجيتها الهامة لأجود أنواع التمور؛ التي يتم تسويقها في من طرف السكان المحلين خارج أسواق الولاية كبشار، وهران، الجزائر وغيرها، مع أن هناك نسبة هامة منهم ممن يشتغل في قطاع الأشغال العمومية، ويرتبط ذلك خصوصا بمستواهم الدراسي الذي يفرض هذا النوع من الأشغال.

تتميز كل من تيميمون وتيبرغمين بطابعهما الإداري والخدماتي، خاصة في الأولى التي تمثل فيها نسبة المشتغلين من الأسر المحقق معها في هذا القطاع؛ حوالي 38,9%، أما في تيبرغمين فبالإضافة إلى هذا القطاع، يشتغل كذلك العديد من هؤلاء في الأشغال العمومية، والفلاحة خاصة في أنظمة الاستصلاحات، فهي تحتوي بجوارها على مساحات هامة مستغلة في هذا الإطار.

يختلف قصر فاتيس في طبيعة نشاط سكانه عن غيره المجمعات، فبالإضافة لممارسة سكانه للنشاطات الإدارية والبناء، ينشط سكانه في الحرف والصناعات التقليدية (خاصة صناعة الزرابي[1]) (الصورة23)، فهي تمثل نشاط رئيسي لدى أغلب السكان، هذه الحرفة موجودة في كل مسكن، وتمارس من طرف الإناث والذكور، ولو أن الرقم الذي تحصلنا عليه (12%) لا يعكس ذلك، نظرا لامتناع هذه الأسر عن الإجابة بشكل دقيق. يتم تسويق هذه المنتوج سواء من طرف الخواص أنفسهم[2]، أو عن طريق جمعيات، حيث يوجد بالقصر 3جمعيات للحفاظ عن التراث والصناعة التقليدية، واستفاد القصر بصفة استثنائية من قاعتين لممارسة هذا النشاط، إلا أنه يحتاج إلى إعادة تنظيم ممارسته خاصة في عمليات الإنتاج والتسويق التي تتم في أغلبها بطرق عشوائية.

صورة (23): معروضات الصناعات التقليدية الأكثر ممارسة من طرف سكان قصر فاتيس

إن التكثيف من توفير التجهيزات والهياكل الذي عرفته القصور منذ تبيني الدولة سياسة دمج هذه المجمعات ضمن المجال الوطني، من خلال إدراج مجموعة البرامج التنموية، كتوفير المؤسسات التعليمية فيها، ربطها بالطرق المعبدة من أجل فك العزلة عنها، وغيرها من التجهيزات، ساهم في جذب السكان نحو هذه القطاعات للعمل فيها، وأثر على المستويات الدراسية لهم التي أصبحت تعرف تحسن فقد أصبحت تظهر لديهم العديد من الإطارات والموظفين ذوي تكوين جامعي يتطلب امتهانهم لهذه الوظائف، فإذا قارنا البنية المهنية السابقة لأرباب الأسر بالبنية الحالية سيظهر لنا ذلك جليا (الجدول 30).

[1] يشتهر هذه القصر بممارسة سكانه لهذا النشاط داخل وخارج الولاية، الأمر الذي جعله وجهة العديد من السواح الزائرين للمنطقة.

[2] قد يكون ذلك عن طرق استقبال العروض من طرف أشخاص تختلف أصولهم الجغرافية التي تصل إلى خارج ولاية ادرار، كما قد يكون عن طريق التسجيل كحرفي والحصول على بطاقة حرفي (يمثل عدد الذين يملكون هذه البطاقة 7اشخاص فقط في القصر)، ليتم المشاركة في مختلف المعارض داخل وخارج الولاية،

جدول (30): علاقة المهن الحالية لأرباب الأسر بمهنهم السابقة (%)

المهنة السابقة / المهنة الحالية	إدارة وخدمات	أشغال عمومية وبناء	فلاحة	حرف	بدون عمل	المجموع
ادارة وخدمات	3,3	3,2	-	-	**33,4**	39,8
اشغال عمومية وبناء	3,8	1,2	0,4	-	**18,7**	24,1
فلاحة	0,6	-	0,7	-	2,0	3,4
حرف	-	0,2	-	-	2,2	2,4
بدون عمل	0,2	1,5	-	-	8	9,7
متقاعد	10,8	9,4	-	0,2	0,2	20,6
المجموع	**18,7**	**15,5**	**1,1**	**0,2**	**64,6**	**100**

المصدر: تحقيق ميداني 2013

أصبح حوالي 52% من أرباب الأسر الذي لم يكونوا يمارسون أي نشاط، يشتغلون في القطاعات الإدارية والبناء، وهو ما يجسد لنا فكرة توجه السكان نحو العمالة بالأجر، فيما لم تعرف قطاعات الفلاحة والحرف إقبال كبير عليها من طرف السكان، فقد أصبحت تمثل نشاطات ثانوية تمارس في أوقات الفراغ فقط، خاصة النشاط الفلاحي الذي فقد أهميته لدى السكان؛ بعد أن كان يمثل نشاط رئيسيا سمح باستمرارية هذه الواحات، فأغلب أرباب الأسر خاصة أولئك الذين ينشطون في القطاعات الإدارية والخدماتية، يعتبرون الزراعة نشاطا ثانويا لديهم، فنسبهم تتعدى الـ 90% من مجموع الذين يمارسون نشاط آخرا، يمثل هؤلاء خصوصا الذين يملكون واحات نخيل تقليدية، فهم ينشطون في بعض الزراعات المعاشية وذلك في نهاية الأسبوع فقط أو في بعض المواسم الزراعية (موسم زراعة القمح والتمور). تكون هذه النسبة منخفضة بمدينة تيميمون وذلك لصالح النشاط التجاري الذي يشتغله 27% كيف لا وهي تمثل نقطة جذب يعتمد عليها في هذا النشاط بالمنطقة (الجدول 31).

جدول (31): المهن الثانوية لأرباب الأسر في المجمعات المدروسة (%)

المجمعة / القطاع المهني	تيميمون	تيبرغمين	أولاد سعيد	شروين	بوكزين	فاتيس
تجارة	27,3	4,9	-	18,7	3,6	-
حرف	4,5	2,4	4,7	0	-	17,7
فلاحة	**60**	**90,2**	**89,2**	**75**	**96,4**	**82,3**
مقاولات	4,5	0	-	-	-	-
خدمات	4,5	2,4	6,2	-	-	-
مقدم زاوية	-	-	-	6,2	-	-
المجموع	100	100	100	100	100	100
النسبة من مجموع الأسر	**16,2**	**58,6**	**68,8**	**32**	**70**	**34**

المصدر: تحقيق ميداني 2013

3.2. السكن: ممارسات مختلفة من طرف فاعلين متعددين؛ أكسبته خصائص مغايرة

تعكس الخصائص الجديدة التي أصبح يعرفها قطاع السكن في القصور، تلك التحولات الوظيفية والاجتماعية التي عرفتها هذه المجمعات، فسواء كان ذلك في بظهور برامج سكنية جديدة وبأنماط مختلفة وأشكال مغايرة جاءت بها الدولة، أو بالتغييرات التي أحدثها السكان المحليين على السكن التقليدي من خلال استعمال مواد بناء حدثة، فهذه الممارسات وغيرها؛ توحي برغبة المجتمع في تحسين ظروف حياته عن طريق إدراج مظاهر الحياة الحضرية؛ فذلك ليس فقط في السكن؛ بل كذلك في غيره من المجالات الأخرى. ولعل الوضعية التي تتميز بها حاليا المجمعات السكانية التي نحن بصدد دراستها لأحد الأدلة على ذلك، هذا رغم أن هذه التحولات متباينة في ما بينها، فيرتبط هذا الاختلاف ربما بوتيرة التطورات التي عرفتها كل مجمعة.

1.3.2. برامج سكنية متنوعة في المجمعات السكانية المدروسة

إن تركيز الدولة على إنتاج السكن بمختلف برامجه منذ سنوات الثمانينات، أعطى نتائج هامة في مجال توفيره في مختلف مناطق الوطن، وهذا على غرار المجمعات السكانية بمنطقة قورارة التي استفادت هي الأخرى بحصص لابأس بها وفي مختلف البرامج، إذ يظهر ذلك جليا من خلال تعدد أنماط السكن في هذه المراكز خاصة الرئيسية منها.

تتميز المجمعات السكانية المدروسة، بتنوع أنماط المساكن بها، فعلى غرار نمط القصر الذي يتميز بمواد بناءه التقليدية، والبناء الذاتي الذي يتصف بأشكاله الجديدة والمشابهة لتلك التي في المناطق الشمالية؛ ظهرت أنماط سكنية أخرى؛ تتمثل في تلك التي بنتها الدولة خارج نسيجها التقليدي، البعض منها ظهر في كل هذه المجمعات ويتعلق الأمر بالسكن الوظيفي والبناء الريفي، بالنسبة للأول تم برمجته من طرف الدولة في كل المجمعات التي تحتوي على مؤسسات إدارية (خاصة التعليمية والصحية)، فمن شأنه أن يوفر مسكن للموظفين الذين جاءوا من مناطق خارج هذه المجمعات، أما بالنسبة للثاني فيتم اعتماده خصوصا في المجمعات الريفية، إلا أنه قد يظهر في بعض في المراكز الحضرية كما هو الحال بمدينة تيميمون، التي تحتوي على مساكن من هذا النمط (الجدول 32).

البرامج السكنية الأخرى (السكن العمومي الإيجاري، التجزئات، البناء التساهمي والتطوري)، تبرمج عادة في مقرات البلدية، وبما أن كل المجمعات المدروسة تمثل تجمعات رئيسية ما عدا فاتيس، فإنها استفادت من هذه الأنماط، فأما السكن العمومي الإيجاري فيوجد في كل هذه المجمعات (الخريطة 42)، في حين يقتصر تواجد البرامج الأخرى على تيميمون، تيبرغمين، ويتعلق الأمر بكل من السكن التطوري والتساهمي (الخريطة 43)، أما مساكن التعاونيات العقارية فتوجد فقط في مدينة تيميمون.

جدول (32): أنماط المساكن في المجمعات المدروسة

المجمعة / السنوات	تيميمون	تيبرغمين	شروين	أولاد سعيد	بوكزين	فاتيس
قصر	x	x	x	x	x	x
بناء ذاتي	x	x	x	x	x	x
السكن الوظيفي	x	x	x	x	x	x
البناء الريفي	x	x	x	x	x	x
السكن العمومي	x	x	x	x	x	
تجزئات	x	x	x			
السكن التطوري	x	x	x			
البناء التساهمي	x	x				
التعاونيات العقارية	x					

المصدر: تحقيق ميداني 2013

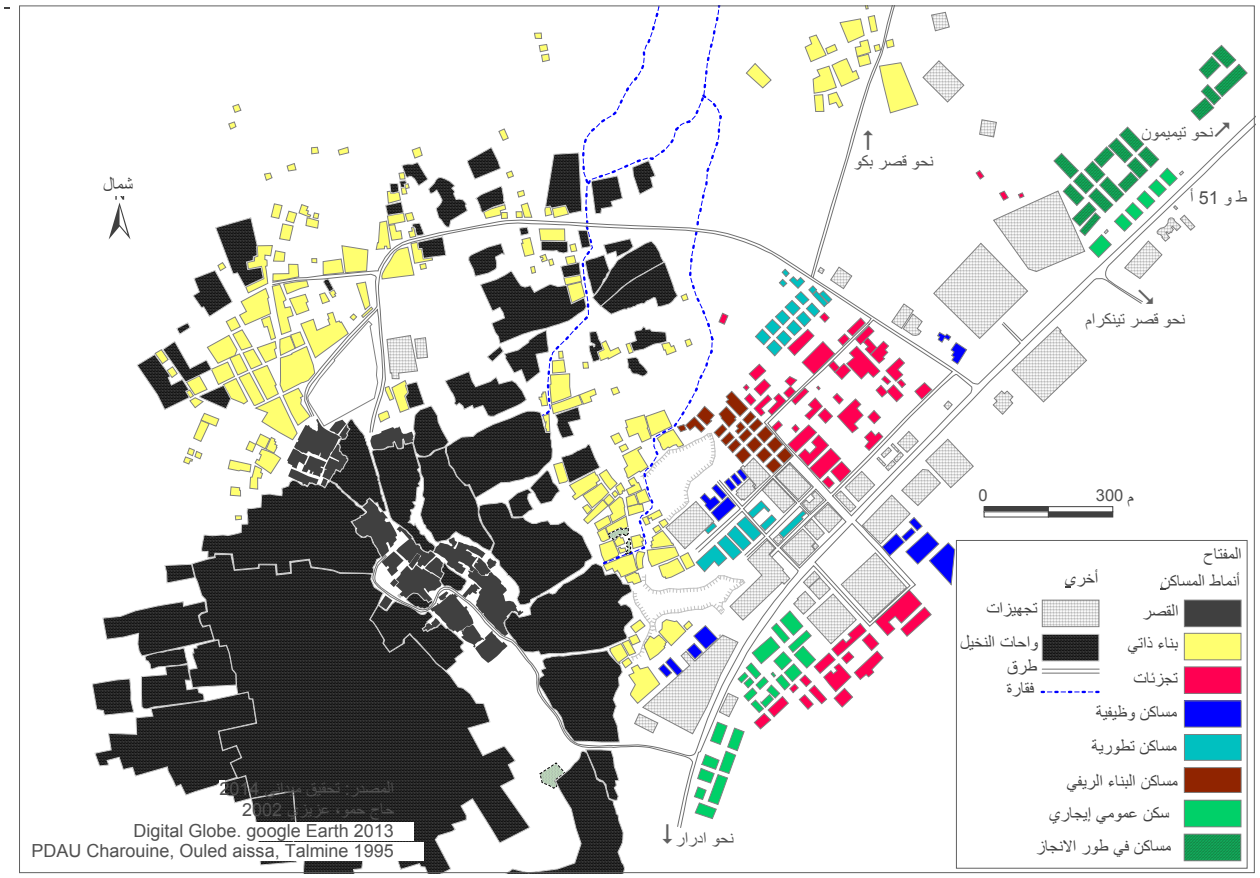

خريطة (42): أنماط البرامج السكنية المنجزة بمجمعة شروين إلى غاية 2013.

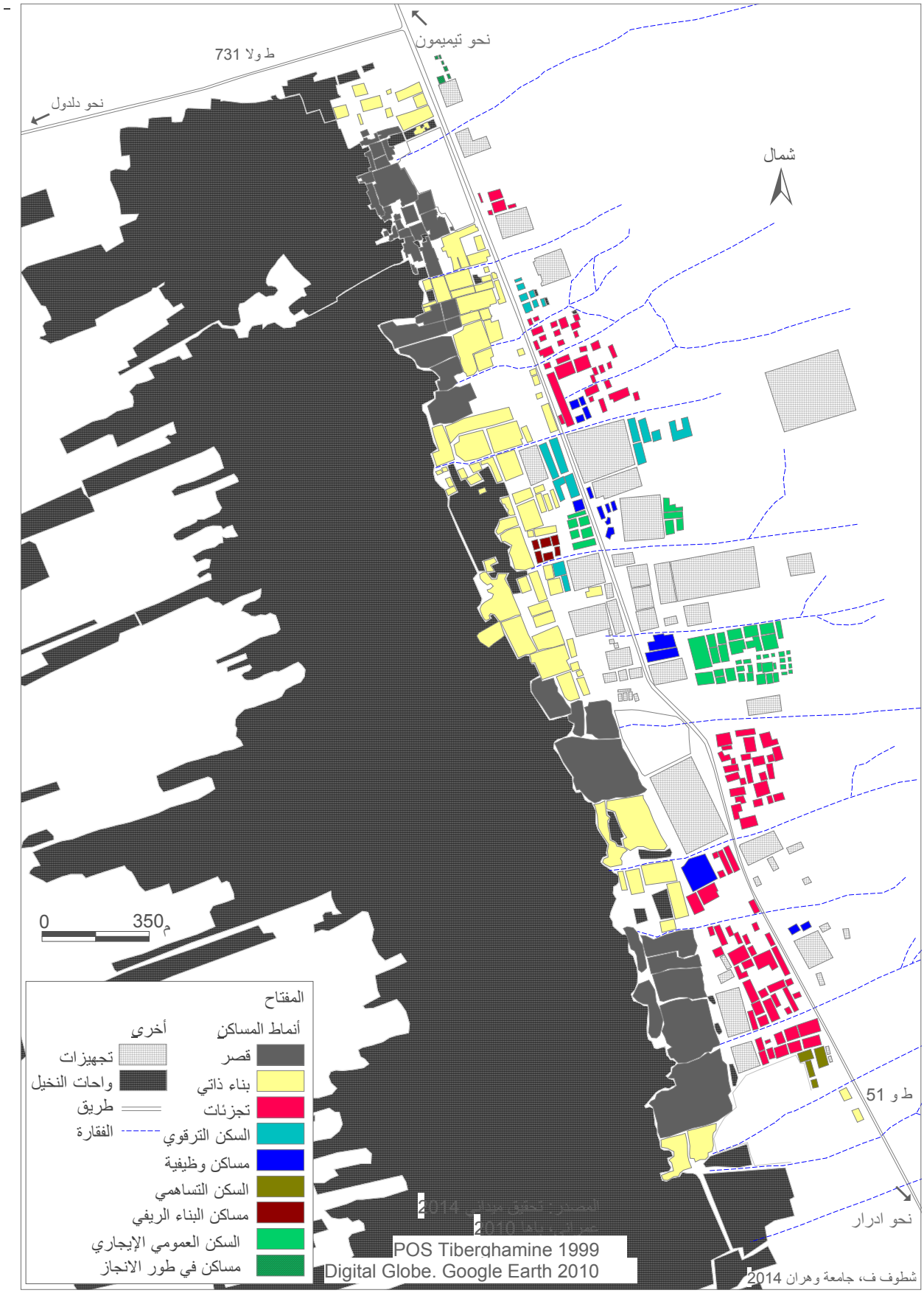

خريطة (43): أنماط البرامج السكنية المنجزة بمجمعة تيبرغمين إلى غاية 2010.

2.3.2. السكن السابق: أغلب الأسر كانت تسكن القصر

مرت المجمعات السكانية المدروسة بعدة مراحل لتصل إلى وضعيتها الحالية، يمكن تتبع هذه المراحل، من ملاحظة التطورات التي عرفها نسيجها العمراني، فالنواة الأولى لهذه المجمعات كانت تتمثل أساسا في القصر، الذي يتميز بمساكنه المبنية بشكل متراص وكثيف بمواد بناء تقليدية، فهذه المرحلة امتدت منذ نشأة هذا القصور وإلى غاية الفترة الاستعمارية وما بعد الاستقلال، أغلب السكان كانوا يسكنون هذا النطاق، فالسكن في هذه الفترة كان يحافظ على طبيعته التقليدية سواء في مواد ونمط بناءه، أو في وضعيته العقارية، كما أنه كانت لديه قيمة اجتماعية كبيرة لدى السكان.

1.2.3.2. السكن العائلي: هي الطبيعة العقارية التي تسيطر على المساكن السابقة

كان يغلب على المساكن السابقة للأسر المحقق معها؛ في المجمعات السكانية التي نحن بصدد دراستها، طبيعة السكن العائلي العرفي، فالأسر في السابق كانت تتشكل من 3 أو 4 عائلات تربطها صلة قرابة؛ وتسكن في مسكن واحد، يتعلق الأمر خصوصا بتلك الموجودة داخل النسيج التقليدي، هذه الوضعية تميزت بها كل المجمعات السكانية المدروسة رغم أن ذلك كان بنسب متباينة، فأكبر نسبة مساكن من هذه الطبيعة العقارية كانت في مجمعة شروين بـ45% من مجموع الأسر المحقق معها، وأكثر من 30% منها يوجد في نطاق القصر، نفس الوضعية تميزت بها كل من تيميمون، تيبرغمين وأولاد سعيد؛ لكن بنسب أقل، بالإضافة إلى طبيعة السكن العائلي الذي تميزت به المساكن السابقة، نجد كذلك الإرث الذي يتميز بانتشاره كذلك في نطاق القصر، في حين التوسعات الحديثة؛ تكاد تنعدم فيها هذه الطبيعة العقارية (الجدول33).

جدول (33): الطبيعة العقارية للمساكن السابقة للأسر المحقق معها (%)

	نطاق القصر				التوسعات خارج القصر			
القصر السنوات	تيميمون	تيبرغمين	أولاد سعيد	شروين	تيميمون	تيبرغمين	أولاد سعيد	شروين
إرث	20,7	24,5	37,1	17,6	5,4	-	37,5	-
سكن عائلي	30,2	45,3	42,8	50	43,2	28,6	12,5	71,4
ملك	49	30,2	20	32,3	29,7	42,4	50	14,3
مستأجر	-	-	1,4	-	21,6	28,6	-	14,3
المجموع*	53	53	70	34	37	7	8	14

* عدد المساكن المحقق معها في كل نطاق

المصدر: تحقيق ميداني 2013

لم تختلف مجمعتي فاتيس وبوكزين، عن تلك التي سبق التطرق إليها، هذا رغم أن هذا النسيج التقليدي لا يظهر بشكل واضح في هذه المجمعات، إلا أن هذا الطبيعة العقارية كانت تميز أغلب مساكنها، وهذه المجمعتين ما تزال تحافظ على سكن عدة عوائل في مسكن واحد.

2.2.3.2. القصر: هو النمط الغالب على المساكن السابقة

بما أن أغلب المساكن السابقة كانت توجد ضمن نطاق النسيج التقليدي، فمن الطبيعي أن تكون من نمط القصر، سواء في أشكالها التقليدية أو في مواد بناءها المحلية والطينية (الجدول 34)، كل المجمعات السكانية المدروسة يغلب فيها هذا النمط على مساكنها السابقة، وذلك بالنسبة للأسر التي تم التحقيق معها، إذ تفوق نسبتهم الـ90% في كل من أولاد سعيد وفاتيس، وتتراوح ما بين 65 و90% في المجمعات السكانية الأخرى، فيما لم تظهر أنماط أخرى من المساكن بشكل واضح، ما عدا البناء الذاتي الذي يمثل نسب هامة، وغالبا ما يتمثل هذا النمط؛ إما في تلك المساكن التي تم بناءها بالقرب من القصر بمواد بناء حديثة، أو في إعادة بناء المسكن التقليدي في حد ذاته بهذه المواد، أما التجزئات والنمط الإيجاري، فهي تمثل مساكن تلك الفئات التي قدمت من خارج المنطقة في السنوات الأخيرة.

جدول (34): أنماط المساكن السابقة للأسر المحقق معها (%)

القصر / السنوات	تيميمون	تيبرغمين	أولاد سعيد	شروين	بوكزين	فاتيس
قصر	65,9	86,7	93,7	87,5	80	93,7
بناء ذاتي	23,1	10	6,3	6,25	17,5	6,3
تجزئة	2,2	1,7	-	3	-	-
إيجاري	8,8	1,7	-	4,1	2,5	-
المجموع	91	60	79	48	40	32

المصدر: تحقيق ميداني 2013

3.3.2. السكن الحالي: تغيرات في خصائصه ارتبطت بالتحولات التي عرفتها المجمعات

لم يعد السكن يتصف بنفس الخصائص التقليدية التي كانت تميزه في السابق، ارتبط تحوله هذا بالظروف التي مرت بها القصور بصفة عامة، والمجمعات المدروسة على وجه الخصوص، فنموها المجالي وتوسعها خارج القصر، هو الذي أنتج أنماطا ومظاهر جديدة على السكن، ففي كل فترة من فترات نمو هذه المجمعات تبرز خصائص مغايرة، وذلك تحت تأثير الفاعلين والمتدخلين في هذه التحولات، كالاستعمار في البداية في بعض المجمعات كتيميمون وتيبرغمين، ثم الدولة والسكان المحليين بعد الاستقلال. أما استقرار السكان بمساكنهم الحالية فقد كان مقرونا بالمراحل التوسعية التي مرت بها هذه المجمعات (الجدول 35).

منذ نشأة القصور وإلى غاية السنوات الأولى من الاستقلال، كان يستقر أغلب الأسر المحقق معها داخل نطاق القصر، سواء تعلق الأمر بالأسر التي تحركت داخل المجمعة نفسها، أو بتلك القادمة من خارج هذه المجمعات، إذ أغلب الأسر التي تم التحقيق معها داخل نطاق القصر، استقرت بمساكنها في هذه الفترة، تمثل نسبة هؤلاء 68% في شروين، وتتراوح ما بين 30 و40% في المجمعات الأخرى.

جدول (35): فترات استقرار الأسر في مساكنها الحالية في المجمعات المدروسة (%)

	نطاق القصر				التوسعات خارج القصر			
القصر / السنوات	تيميمون	تيبرغمين	اولاد سعيد	شروين	تيميمون	تيبرغمين	اولاد سعيد	شروين
قبل 1962	34,4	32,3	23,1	63,2	4,3	-	-	-
70 - 62	6,6	3,2	7,7	5,3	1,1	2,6	-	-
80 - 70	9,8	9,7	11,5	21,1	9,8	7,7	2,4	12,2
90 - 80	11,5	19,4	11,5	-	16,3	10,3	-	22,0
2000 - 90	9,8	12,9	15,4	10,5	27,2	33,3	43,9	9,8
بعد 2000	**27,9**	**22,6**	**30,8**	-	41,3	46,2	53,7	56,1
المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100

المصدر: تحقيق ميداني 2013

منذ ظهور البرامج السكنية الحديثة بالمجمعات، بدأ أغلب السكان يتجهون نحوها وكان ذلك في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، أين كثفت الدولة من إنتاج السكن بأنماط مغايرة للقصر وأكثر تجهيزا، كالتجزئات، وبرامج السكن العمومي الإيجاري، هذه الظاهرة بدأت تظهر مرحليا في هذه المجمعات، لكن سرعان ما ازدادت نسبتها في السنوات الأخيرة، إذ أكثر من 50% من الأسر التي حققنا معها في التوسعات الحديثة لهذه المجمعات، استقرت بمساكنها بعد سنة 2000 خصوصا في شروين، لكن المجمعات الأخرى (تيميمون، تيبرغمين، أولاد سعيد)، رغم أنها تميزت بنفس الظاهرة، إلا أن هناك نسب هامة تصل إلى 30%، سكنت القصر في السنوات الأخيرة فقط، وهذا ما يؤكد لنا فكرة أن هذه المجمعات تتوسع داخل وخارج القصر كما تم تصنيفها.

تميز قصر فاتيس بنفس الخصائص التي اتصفت بها المجمعات التي سبق ذكرها، هذا رغم أن نطاق القصر لم يعد يظهر بهذه المجمعة بشكل واضح، أما بوكزين فبما أنها تتمثل في تلك القرى الحديثة النشأة التي ظهرت عن حركة السكان من القصور القديمة، فبداية تعميرها كان منذ سنوات السبعينات، وسرعان ما تزايدت نسب الوافدين على هذه المجمعة، منذ ترقيتها الإدارية سنة 1984 وهذه التحركات مستمرة إلى يومنا هذا (الجدول 36).

جدول (36): فترات استقرار الأسر في مساكنها الحالية (فاتيس، بوكزين) (%)

القصر / السنوات	فاتيس	بوكزين
قبل 1962	30	-
70 - 62	6	-
80 - 70	12	35
90 - 80	12	22,5
2000 - 90	30	15
2013 - 2000	10	27,5
المجموع	100	100

المصدر: تحقيق ميداني 2013

1.3.3.2. تغيير مكان الإقامة: التوجه للسكن في التوسعات الحديثة

اتجه أغلب سكان القصر كما سبق وأن ذكرنا للسكن في التوسعات الحديثة بعد ظهورها بجوار القصر، تتميز في كونها أكثر تجهيزا بالمرافق وقريبة من الهياكل؛ التي غالبا ما يتم بناءها في هذه التوسعات، يعلق الأمر خصوصا بالذين كانوا يسكنون القصر ضمن نفس هذه المجمعات، هذه الحركة كانت كثيفة خصوصا بعد فيضانات 2004 التي عرفتها المنطقة، فهشاشة المساكن بسببها؛ دفع بالسكان إلى تحول للسكن خارج النسيج التقليدي، أما الأسر القادمة من خارج المجمعة، فتوجهها يكون مباشرة نحو هذه التوسعات، خصوصا تلك القادمة من ولايات الشمال (الجدول 37).

جدول (37): العلاقة بين مكان السكن السابق والحالي للأسر المحقق معها (%)

المكان الحالي	نطاق القصر				التوسعات خارج القصر			
المجمعة / المكان السابق	تيميمون	تيبرغمين	أولاد سعيد	شروين	تيميمون	تيبرغمين	أولاد سعيد	شروين
نطاق القصر	39,2	72,4	75,5	29,4	30,6	70,7	77,5	62,8
نفس المكان	45,1	27,6	22,6	70,6	20	2,4	-	-
التوسعات خارج القصر	5,8	-	-	-	29,4	2,4	15	18,6
قصور بلدية المجمعة	2	-	-	-	7	2,4	-	11,6
قصور بلديات قورارة	3,9	-	-	-	7	9,7	-	2,3
ادرار	2	-	-	-	2,3	4,9	-	2,3
خارج الولاية	2	-	1,8	-	3,5	7,3	7,5	2,3
المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100

المصدر: تحقيق ميداني 2013

في مجمعتي بوكزين وفاتيس ليست هناك حركة سكانية بين هذه النطاقات، فبناء مساكن حديثة فيها يكون بجانب المسكن القديم وواحة النخيل، في حين الأفراد الجديدة الوافدة عليها خصوصا في مجمعة بوكزين، فهي تسكن البرامج السكنية التي بنتها الدولة حديثا.

2.3.3.2. تحول الوضعية العقارية للمساكن إلى صيغة الملكية

إن الهدف من التوجه للسكن في التوسعات الحديثة، لم يكن فقط من أجل التقرب من التجهيزات، ولكن كذلك من أجل الحصول على ملكية فردية للمسكن، بعد أن كانت المساكن في القصر أغلبها بصيغة الإرث أو السكن العائلي، الذي يفرض ضرورة السكن مع أسرة أو أسرتين، لكن في الآونة الأخيرة، أصبح أغلب العائلات تبحث عن الانفصال على الأسرة الكبيرة، ومساكن القصر لم تعد كافية لتلبية احتياجاتهم المتزايدة، فتكثيف الدولة من إنتاج السكن في سنوات الثمانينات بصيغة التجزئات، وتشجيع السكان على البناء الذاتي، ساهم في حصول العديد منهم على ملكية خاصة لمساكنهم، هذه الوضعية تتعلق خصوصا بكل من تيميمون، تيبرغمين، وشروين التي ظهر فيها هذا النمط من السكن،

أما أولاد سعيد، بوكزين وفاتيس، فيرتبط تحول الوضعية العقارية لمساكن الأسر التي تم التحقيق معها، باندفاع السكان نحو البناء والانفصال على الأسرة الكبيرة، سواء بجانب هذه المساكن القديمة عن طريق إعادة بناءها بمواد حديثة، أو تشييد مساكن جديدة بجوار هذه المساكن (الجدول 38).

جدول (38): الوضعية العقارية للمساكن الحالية بالمجمعات المدروسة (%)

المجمعة / الوضعية العقارية	تيميمون	تيبرغمين	شروين	أولاد سعيد	بوكزين	فاتيس	المجموع
ارث	19,8	20	23,3	15	-	16	8
سكن عائلي	3,7	1,4	-	9,7	12,5	2	4,7
ملك	**58,1**	**55,7**	**63,3**	**63,4**	**25**	**82**	**59,2**
مستأجر	18,4	22,8	13.4	11,8	62,5	-	18,9
المجموع	30,3	15,6	13,3	20,7	8,9	11,2	100

المصدر: تحقيق ميداني 2013

3.3.3.2. أنماط سكنية جديدة تتميز بها المساكن الحالية

أصبحت تتميز القصور خصوصا المراكز العمرانية منها؛ بتنوع في أنماط المساكن بها، هذا التنوع ساهم فيه التكثيف من إنتاج السكن ببرامج متعددة من طرف الدولة، ولكن كذلك ممارسات السكان المحليين الذين جاؤوا بنماذج سكنية جديدة من خارج المنطقة، فتحول أغلب الأسر إلى مالكين لمساكنهم الحالية، يوحي بأن هذه المساكن من نمط البناء الذاتي أو التجزئات؛ اللذان يمنحان الملكية الخاصة لساكنيه (48%)، هذا رغم أن هناك نسبة 32% من الأسر ما تزال تسكن مساكن من نمط القصر، مع العلم أن هذا النمط لم تعد خصائصه كما كانت عليه في السابق، إذ أدخلت عليه تعديلات عديدة، تلك التي تجعلنا نطلق عليه اسم قصر مستحدث، في حين البرامج السكنية الأخرى نسب مستعمليها قليلة، إلا أنه يمكن القول عنها أنها ستكون من البرامج التي ستعم هذه المجمعات السكانية في المستقبل؛ إذ يتعلق الأمر خصوصا ببرامج السكن العمومي الإيجاري (الجدول 39).

جدول (39): أنماط المساكن الحالية بالمجمعات المدروسة (%)

المجمعة / الوضعية العقارية	تيميمون	تيبرغمين	شروين	أولاد سعيد	بوكزين	فاتيس	المجموع
قصر	13,2	47,1	38,3	53,7	22,5	22	32,1
البناء الذاتي	48,5	17,1	20	23,6	52,5	88	38,3
تجزئة	16,2	14,3	16,6	-	-	-	9,3
إيجاري	17,6	14,3	6,6	11,8	5	-	11,3
سكن وظيفي	4,4	4,3	8,3	-	20	-	4,4
تطوري	-	-	5	-	-	-	1,1
ريفي	-	2,8	5	10,7	-	-	3,3
المجموع	30,3	15,6	13,3	20,7	8,9	11,2	100

المصدر: تحقيق ميداني 2013

4.3.2. السكن التقليدي يعرف تحولات مرتبطة بعدة أسباب

أثرت التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها هذه المجالات؛ بصفة مباشرة على السكن خصوصا التقليدي الذي يتميز بهشاشته، فتحسن مستوى معيشة السكان وتغيير ممارساتهم الاجتماعية، انعكست على السكن، الذي أصبحوا يغيرونه لتلبية حاجياتهم الجديدة، فانفتاح أفراد هذه الأسر على العالم الخارجي، سواء من خلال عمل أو دراسة البعض منهم خارج المنطقة، أو من خلال زواج بعضهم الآخر من نقاط مختلفة من الوطن، سمح بجلب بعض التقنيات وأنواع من الهندسة المعمارية، غير تلك التي كان تتميز بها المنطقة، كنمط الفيلا مثلا، الذي أصبح يظهر في العديد من هذه المجمعات (الصورة 24)، فبعد أن كان رب الأسرة هو الوحيد الذي يتدخل في هندسة المباني التي تكون تقليدية، اختلف الأمر اليوم؛ إذ أصبح جميع أفراد الأسرة يتدخلون في تصميم مساكنهم، ولو بنسب متباينة من مجمعة لأخرى، بالإضافة إلى ذلك ساهمت البرامج السكنية الحديثة التي أنشأتها الدولة؛ في جلب بعض التصاميم الجديدة إلى المنطقة (الجدول 40).

جدول (40): مقترح هندسة بناء المسكن الحالي للأسر المحقق معها (%)

المجمعة / المقترح	تيميمون	تيبرغمين	شروين	أولاد سعيد	بوكزين	فاتيس	المجموع
الأب	36,7	41,4	55	54,8	32,5	56	45,4
الأبناء	16,2	8,6	3,3	14	5	6	10.7
الأب والأبناء	12,5	15,7	13	16,1	35	38	19,8
الأب والزوجة	9,5	5,7	21,7	2,1	-	-	4,7
الأبناء والزوجة	5,1	-	-	-	-	-	1,5
OPGI	10,3	20	10	11,8	27,5	-	12,5
بناء عمومي	4,4	8,6	6,6	-	-	-	3,5
مسكن مؤقت	5,1	-	-	2	-	-	1,8
المجموع	30,3	15,6	13,3	20,7	8,9	11,2	100

المصدر: تحقيق ميداني 2013

صورة (24): تصميمات جديدة أدخلت على السكن في المجمعات السكانية المدروسة

1.4.3.2. برامج البناء الريفي والهش: إدخال مواد بناء وأنماط سكنية جديدة

شجعت الدولة السكان المحليين في الفترة الأخيرة على البناء؛ من خلال الدعم المالي الذي تعينهم به، وكان ذلك في إطار برنامج المساعدة على البناء الريفي وإعادة الاعتبار للقصور من خلال القضاء على السكن الهش، هذه البرامج شملت المراكز العمرانية الحضرية (تيميمون) والريفية، فقد استفاد العديد من السكان من هذه البرامج، وذلك من شخص إلى شخصين في الأسرة الواحدة (52% من مجموع الأسر المحقق معها استفادت من هذه المنحة) (الجدول 41). فرضت السلطات المحلية بعض الشروط على المستفيدين من هذه الإعانات؛ تتعلق خصوصا بالبناء بمواد حديثة، ولون طلاء الواجهة باللون الأحمر، إلا أنها لم تعطي أية تدخلات في شكل وهندسة البناء، ساهمت هذه البرامج في تحولات جذرية على مستوى المساكن التي أصبحت تأخذ أشكالا متباينة؛ خاصة تلك الموجودة داخل النسيج التقليدي للقصر.

جدول (41): المستفيدين من الإعانات المالية في المجمعات المدروسة

المجمعة / الاستفادة	تيميمون	تيبرغمين	شروين	أولاد سعيد	بوكزين	فاتيس	المجموع
الهش	18	5	2	2	-	7	34
الريفي	36	32	30	52	26	27	203
غير مستفيد	56	33	28	39	14	16	186
بدون إجابة	26	-	-	-	-	-	26
المجموع	136	70	60	93	40	50	449

المصدر: تحقيق ميداني 2013

استفادت الأسر المحقق معها من هذه المنح خلال الفترة 1994 و2013، أما مبالغ الاستفادة فتراوحت ما بين 10000 دج، و100000دج، بالإضافة إلى أرض وهذا حسب نوع البرنامج، كانت أغلب الأسر في السابق تعمل على التغيير في المسكن القديم؛ في حالة استفادتها بهذه المنحة؛ وذلك بسبب صغر المبالغ المالية، أما حاليا وبتحسن هذه الأخيرة، أصبحت تبني مساكن جديدة، إما عن طريق هدم المسكن القديم، وهذا في حالة عدم توفرها على أرض أخرى خارج نطاق القصر، أما في حالة توفر هذه الأرض تقوم ببناء مسكن جديد فيها، النتيجة نفسها في كلتا الحالتين، وهي إدراج مواد بناء حديثة، وأنماط سكنية جديدة لم تكون موجودة في هذه المجمعات في السابق، خاصة وأنه لم تحدد السلطات المحلية، نمط سكني معين من أجل بناء هذه المساكن، وهو ما أكسب هذه المجمعات خصائص سكنية غير موحدة، خاصة في نطاق النسيج التقليدي للمجمعة، الذي أصبح يتميز بشكله غير المتجانس؛ من خلال تشكله من مساكن ذات أشكال هندسية متباينة، تتخللها بعض المساكن التقليدية الهشة والمتدهورة.

2.4.3.2. تهميش السكان للسكن التقليدي وتحويل وظائفه

أدى تحول السكان إلى مساكن جديدة خارج نطاق القصر؛ إلى التأثير بشكل سلبي على السكن التقليدي، فبالإضافة إلى التغيير في مواد بناء هذه المساكن في حالة البقاء داخل النسيج التقليدي، عرف السكن القصوري مظاهر أخرى من التحول، وذلك من خلال إعطائه وظائف أخرى غير الوظيفة السكنية، قد تساهم هذه الوظائف الجديدة في تغيير ملامحه القديمة عن طريق تحديثه، كما قد تؤدي إلى تدهوره وتراجع قيمته (الجدول 42).

جدول (42): مصير السكن السابق بالمجمعات المدروسة (%)

المجمعة / نوع المصير	تيميمون	تيبرغمين	شروين	أولاد سعيد	بوكزين	فاتيس	المجموع
بيع	9,9	1,6	-	2	2,5	-	3,7
إهمال	25,3	20	45,8	44,3	52,5	53,1	37,1
استعمال للسكن	48,3	45	45,8	38	45	40,6	44
هدم وإعادة البناء	6,6	10	2,1	8,8	-	6,2	6,3
بناء مسجد	-	-	-	1,2	-	-	0,3
استعمال تجاري	2,2	-	-	-	-	-	0,6
تربية المواشي	7,7	20	6,2	5	-	-	7,4
تخزين المنتجات الزراعية	-	3,3	-	-	-	-	0,6
المجموع	26	17,1	13,7	22,6	11,4	9,1	100

المصدر: تحقيق ميداني 2013

تمثل المساكن التقليدية التي تخلى عنها مالكيها وأصبحت متدهورة، أكثر من 37%، هذه النسبة موزعة على كل المجمعات المدروسة بقيم متفاوتة، أكبر هذه النسب توجد في كل من فاتيس وبوكزين التي تفوق فيها الـ50% أي أكثر من نصف الأسر التي تم التحقيق معها تخلت عن مساكنها التقليدية، إذ يعود السبب في ذلك في هذه المجمعتين بالضبط، إلى زحف الرمال على السكنات التقليدية التي لا تتحمل هذا النوع من الظواهر، بغض النظر عن ذلك ما تزال هناك نسبة من هذه المساكن مستعملة للسكن بنفس الطبيعة التقليدية، هذه الوضعية تتميز بها خصوصا مراكز البلديات التي نحن بصدد دراستها، أما ظهور نسب مرتفعة من المساكن التقليدية المستعملة، في كل من فاتيس وبوكزين، يرتبط أساسا في أن أغلب هذه الأسر بنت مساكن بمواد بناء حديثة؛ بجانب السكن التقليدي الذي تبقيه محافظة عليه. كما أنه قد يتم هدم هذه المساكن وبناءها بمواد حديثة، لاستعمالات تجارية، وهذه الظاهرة منتشرة كثيرا في قصور مدينة تيميمون، كما قد يوجه توسيع وبناء المساجد.

من بين المظاهر الأخرى التي أصبح يتميز بها السكن التقليدي، هي توجيهه لتربية المواشي (الصورة 25) وتخزين المنتوجات الزراعية (التمر)، فهذه الظاهرة تعرف انتشار واسع في جميع قصور منطقة قورارة، فقد أدت إلى تدهور العديد من المساكن التقليدية وتراجع قيمتها الاجتماعية.

الصورة (25): مظاهر تهميش السكن التقليدي بالمجمعات السكانية المدروسة 2014

3. تباين مستوى التجهيز في المجمعات السكانية المدروسة

يختلف توفر التجهيزات في المنطقة من قصر لآخر، إذ يعتمد توفرها من عدمه على عدد سكان القصر، بالإضافة إلى موقع القصر، فغالبا ما تكون القصور ذات الأعداد السكانية الكبيرة ومواقع قريبة من الطرق العامة أكثر حظا في توفر هذه التجهيزات، فالمجمعات السكانية المدروسة تميز بهذا التباين في عدد ونوعية الهياكل التي تتوفر عليها رغم أن أغلبها يمثل مراكز عمرانية (الجدول 43).

أكبر عدد من التجهيزات يتمركز أساسا بمدينة تيميمون (أكثر من 80 تجهيز)، بالإضافة إلى التجهيزات الإدارية، التي تتوفر عليها غيرها من مراكز البلديات الأخرى بالمنطقة؛ كتيبرغمين وشروين، جهزت المدينة بنوع آخر من هذه الهياكل؛ تلك التي سمحت لها بأن تلعب دورا إقليميا لمنطقة قورارة، تتمثل خصوصا في المستشفى، البنك، مقر المحكمة، المفتشية الجهوية للعمل والتجارة، ديوان الترقية التسيير العقاري، الفنادق، مقر اتصالات الجزائر، وغيرها من التجهيزات، وهذا على عكس المجمعات السكانية الأخرى التي يكون مستوى التجهيز بها محدودا، خاصة قصر فاتيس الذي يمثل مجمعة ثانوية فقط، فأما احتواءه على مركز بريد على عكس المجمعات الثانوية الأخرى؛ فبسبب عدد سكانه الكبير الذي يفوق 3000 نسمة. إن تركز أغلب التجهيزات في مدينة تيميمون يحتم تبعية هذه المجمعات وقصورها المجاورة لها.

جدول (43): ترتيب المجمعات المدروسة حسب نوع التجهيزات التي تتوفر عليها

المجمعة / نوع التجهيز	تيميمون	تيبرغمين	شروين	بوكزين	أولاد سعيد	فاتيس
مركز بريد	x	x	x	x	x	x
قاعة علاج	x	x	x	x	x	x
تجهيزات ترفيهية وثقافية	x	x	x	x	x	x
ثانوية	x	x	x	x	x	
مقر للأمن	x	x	x	x		
مركز للتكوين المهني	x	x	x			
مستشفى	x					
فندق	x					
بنك	x					
معرض تجاري	x					
مؤسسات إدارية ذات دور إقليمي	x					

المصدر: تحقيق ميداني 2013

1.3. التجهيزات الحديثة تتركز خارج النسيج التقليدي للقصر

إن التجهيزات الحديثة التي تم بناءها من طرف الدولة في هذه المجمعات؛ كانت في أغلبها خارج نطاق القصر؛ وذلك بجوار الطرق العامة، قد يتم برمجة البعض منها داخل هذه القصور، إلا أنها غالبا ما تقتصر على بعض المساجد حديثة النشأة والمدارس الابتدائية التي يكون بناءها دائما على حساب المساكن وواحات النخيل التقليدية، هذا التباين في توزيع الهياكل في هذه المجمعات أدى بسكان القصر إلى هجرته والتقرب من هذه المرافق، إذ يمثل أهم سبب في هجرة السكان المحليين لهذا النطاق وتهميشه، ففي مجمعة شروين مثلا تم هجرة القصر من طرف السكان لهذا السبب، فالهياكل التي وفرتها الدولة؛ يتمركز أغلبها على الطريق الوطني رقم 51أ الذي يبعد عن القصر القديم بحوالي 1كلم، الأمر الذي دفع بالسكان إلى هجرته؛ والسكن بالقرب من هذه التجهيزات؛ من أجل التخفيف من عناء التنقل اليومي نحوها، إذ لم يعد يسكن هذا النسيج أكثر من 6 أو 7 أسر، نفس الوضعية تميزت بها كل من: تيميمون، تيبرغمين وشروين، أما بالنسبة لفاتيس وبوكزين التي تتميز بنمط خاص من الاستيطان، الذي يكون عن طريق بناء المساكن بالقرب من واحات النخيل، وانعدام النسيج السكني التقليدي فيها، فالتجهيزات فيها تتركز على الطرق العامة التي أنشأتها الدولة، إلا أنه لم ينجذب السكان نحوها بسبب تمسك أغلبهم بالنشاط الفلاحي (الصورة 26).

صورة (26): موقع التجهيزات الحديثة بقصر فاتيس

2.3. الربط بالشبكات في المجمعات السكانية

تتميز المجمعات المدروسة بتباين في ربط أحياءها بالشبكات، ويتعلق الأمر خصوصا بشبكات الماء، الكهرباء، والصرف الصحي، أما شبكة الطرق، فأغلب القصور استفادت في السنوات الأخيرة بتعبيد الطرق نحوها، رغم أن ذلك كان على حساب واحات النخيل وبعض المساكن التقليدية التي تم التخلي عنها من طرف سكانها، هذا الاختلاف في الربط بهذه الشبكات داخل المجمعات يظهر بشكل واضح في اختلافها، في مستوى الربط على مستوى المساكن (الجدول 44).

جدول (44): ربط المساكن المحقق معها بالشبكات في المجمعات المدروسة (%)

المكان الحالي	نطاق القصر				التوسعات خارج القصر			
نوع الشبكة المجمعة	الماء		الصرف الصحي		الماء		الصرف الصحي	
	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا
تيميمون	100	-	92,6	7,4	100	-	85,3	14,7
تيبرغمين	100	-	-	100	100	-	100	-
أولاد سعيد	86,6	13,4	15,4	84,6	97,6	2,4	51,2	48,8
شروين	100	-	-	100	100	-	75,6	24,4

المصدر: تحقيق ميداني 2013

أ- شبكة المياه والكهرباء: أغلب المساكن مربوطة بهذه الشبكتين:

لم نتطرق إلى ربط شبكة الكهرباء في المساكن؛ فكلها مربوطة بهذه الشبكة فربطها لا يطرح أي إشكال، أما شبكة المياه ففي كل من: تيبرغمين، شروين وتيميمون كل المساكن التي تم التحقيق معها تحتوي على هذه الشبكة؛ في حين مجمعة أولاد سعيد تحصلنا فيها على أكثر من 68% من المساكن المحقق معها غير مربوطة بشبكة المياه، توجد أغلب هذه المساكن في نطاق القصر (الصورة 27)، يتميز هذا النطاق خصوصا في هذه المجمعة؛ بأزقته الضيقة والملتوية التي تحول دون إيصال هذا

النوع من الشبكات إلى بعض المساكن. لم تتصف كل من بوكزين وفاتيس بنفس الخصائص بما أنها لا تحتوي على نسيج تقليدي، فأما الأولى فأغلب مساكن السكان المحليين للمجمعة غير مربوطة بشبكة الماء، لكن لا يعود السبب في ذلك إلى عدم توفر هذه الشبكة، ولكن إلى عدم رغبتهم في ذلك؛ بما أن مساكنهم تتوفر على مياه الآبار التي تم حفرها بجوار واحات النخيل، في حين يقتصر استخدام هذه الشبكة على البرامج السكنية التي أنجزتها الدولة، أما مساكن قصر فاتيس فأغلبها مربوط بهذه الشبكة.

الصورة (27): شبكة المياه داخل النسيج التقليدي للقصر بالمجمعات المدروسة

ب ـ طبيعة النسيج التقليدي تعيق ربط القصر بشبكة الصرف الصحي:

يتميز النسيج التقليدي للقصر بطبيعة أزقته الضيقة والملتوية، بالإضافة إلى هشاشة مواد بناء المساكن التقليدية، هذه الخصائص صعبت من ربط هذه المجمعات بشبكة الصرف الصحي التي غالبا، يتوقف ربطها عن مدخل القصر، فأما في مدينة تيميمون فقد تم ربط بعض المساكن بهذه الشبكة رغم صعوبة ذلك، مع أنها تطرح مشاكل عديدة في هذه الأحياء خصوصا في عملية الصرف، في حين الأحياء غير المربوطة بشبكة الصرف الصحي في هذه المدينة تتمثل في حي قوبا؛ الذي رغم كون ظهوره كان فقط خلال الفترة الاستعمارية، إلا أن طبيعته الطبوغرافية هي التي لم تسمح بربطه بهذه الشبكة لحد الآن، أما النسيج القديم غير الموصول بها، فيتمثل في قصر ماسين الذي أصبح جزء من المدينة مؤخرا؛ إلا أنه لم يستفد من هذه الشبكة لحد الآن. في حين المجمعات السكانية الأخرى تنعدم هذه الشبكة في نسيجها التقليدي، أما النقص الذي تعرفه هذه المجمعات في توسعاتها الحديثة، فهو يتمثل في بعض التجزئات التي أنشأت حديثا، ولم تسفد من الربط الصرف الصحي.

تنعدم هذه الشبكة في فاتيس وبوكزين، فأما الأولى فهي تمثل مجمعة ثانوية، وهذه المجمعات لم تستفد كما سبق وأن ذكرنا في الفصل السابق من التجهيز بهذه الشبكة لحد الآن، في حين تعتمد الثانية

على شبكة صرف مؤقتة جهزت بها فقط البرامج السكنية الحديثة، مع العلم أنها استفادت مؤخرا من مشروع لتجهيزها بهذه الشبكة وهو في طور الإنجاز.

4. دوافع متعددة تفرض تبعية القصور الصغرى للمراكز العمرانية

إن تركز أغلب الوظائف خاصة التعليمية، الإدارية والصحية، وكذا الخدمات التجارية في المراكز العمرانية ومقرات البلدية، وانعدامها في القصور والمجمعات الثانوية، يجعل هذه الأخيرة تبقى دائما تابعة لهذه المراكز في هذا المجال، فهي تقتصر تجهيزاتها أي هذه القصور، في أغلب الأحيان على مؤسسة للتعليم الابتدائي، وبعض التجهيزات الترفيهية، بالإضافة إلى قاعات علاج ويتعلق الأمر خصوصا بتلك التي يقل عدد سكانها عن 900 نسمة. فتحسن مستوى التمدرس لدى السكان، وانفتاحه على العالم الخارجي خصوصا بعد ربط هذه القصور بالطرق المعبدة؛ فتحسن مستواهم المعيشي، وتحول ممارستهم، ساهم في تغير وتزايد احتياجات السكان التي لم يعد باستطاعة القصر تلبيتها، نتج عن ذلك حركة بين هذه القصور ومقرات بلدياتها؛ التي تعتبر مكانا لتلبية هذه الحاجيات، كما قد تزداد هذه الحركية لتتجاوز البلدية الواحدة لتتعداها نحو البلديات الأخرى، خاصة نحو بلدية تيميمون التي تضم أكبر مركز عمراني يحتوي على أكبر وأهم عدد من هذه التجهيزات.

1.4. حركة يومية كثيفة بين القصور ومقرات البلدية

يمثل المجال التعليمي (المتوسط والثانوي)، والإداري (خدمات ووظائف)؛ من بين القطاعات التي تستقطب من خلالها سكان هذه المجمعات سواء بالحركة اليومية، التي تتميز بكثافتها خصوصا في الآونة الأخيرة، أو بالهجرة المؤقتة (أسبوعيا وشهريا). بغض النظر عن هذين القطاعين؛ انعدام شبه تام للنشاطات التجارية الضرورية (المواد الغذائية) في هذه القصور؛ يساهم هو كذلك في ضرورة تنقل الأشخاص نحو هذه المقرات لتوفير هذه المستلزمات.

<u>- التعليم الثانوي والمتوسط: تردد يومي للمتمدرسين على مراكز البلديات:</u>

يلتحق تلاميذ القصور والمجمعات الثانوية، يوميا بمراكز بلدياتهم من أجل الدراسة، فهذه التجهيزات تتمركز أساسا في هذه المقرات كما سبق وأن ذكرنا، ويتم توجيه تلاميذ هذه المجمعات نحوها، تختلف كيفيات التنقل لدى هؤلاء حسب مكان السكن، فأما التلاميذ الذين ينتمون إلى بلدية المجمعة التي يدرسون فيها فهم يستفيدون من التنقل اليومي بواسطة النقل المدرسي؛ الذي تحسنت وضعيته مؤخرا واستفادت منه أغلب هذه البلديات، وهذه التنقلات تكون بمعدل مرتين في اليوم (الصورة 28)، في حين الذين يسكنون القصور الأخرى خارج البلدية التي يدرسون فيها، فتنقلاتهم تكون أسبوعية، وهم يستعملون النظام الداخلي في المؤسسة التي توفر لهم مراكز لذلك، أما وسيلة

التنقل فغالبا ما تتمثل في النقل العام، ويعود سبب توفير هذا النظام (الداخلي) لبعض المتمدرسين إلى عدم توفر بعض التخصصات؛ خصوصا التقنية واللغات الأجنبية في مؤسسات البلديات الصغرى، فهذه الأخيرة يقتصر توفرها على المجمعات الكبرى فقط (تيميمون، تيبرغمين)، أدت هذه التنقلات إلى خلق حركة يومية كثيفة من المجمعات الصغرى نحو هذه المراكز (الجدول 45).

جدول (45): كيفية تنقل التلاميذ حسب مكان السكن في المؤسسات التعليمية للمجمعات

التنقل	المجمعة / مكان السكن	تيميمون	تيبرغمين	أولاد سعيد	شروين	بوكزين	فاتيس
يومي	قصور بلدية المجمعة	37	34	26	26	43	30
أسبوعي	قصور منطقة قورارة	17	22	-	4	17	-
	المجموع	54	56	26	30	60	30

المصدر: تحقيق ميداني 2013

صورة (28): النقل المدرسي الموفر لنقل التلاميذ من المجمعات الصغرى (ثانوية بوكزين 2014).

ـ المستلزمات الإدارية، الخدماتية والصحية: تفرض على سكان القصور ضرورة التنقل يوميا إلى مراكز البلديات:

إن تركز التجهيزات (الإدارية، الخدماتية، الصحية) في مراكز البلديات، أدى إلى خلق تنقلات بمختلف مستوياتها لسكان القصور والقرى نحو هذه المقرات، فأما التجهيزات الإدارية فضرورة التنقل إليها، قد تكون من أجل الشغل فالكثير من سكان هذه القصور يشتغلون في هذه المؤسسات الإدارية، أو

من أجل الحصول على مختلف الوثائق من هذه المؤسسات، أما تركز النشطات التجارية في هذه المراكز وانعدامها الشبه تام فيها يستلزم التردد عليها، في حين القطاع الصحي؛ رغم توفر قاعات له في هذه القرى؛ إلا أنها لا تلبي كل حاجيات السكان، لذا يضطرون للتنقل إلى مؤسسات الصحة الجوارية على مستوى مقرات بلدياتهم للعلاج، هذه التنقلات وفرت لها وسائل نقل بسيطة عن طريق مبادرات من طرف بعض الخواص.

أما المجمعات السكانية المدروسة فبما أنها تتمثل كلها في مقرات للبلديات والدوائر، فتوصلنا إلى أن أغلب تنقلات سكان نطاق القصر تكون يومية ، فتركز النشاطات التجارية ومختلف الخدمات والهياكل بجوار مساكنهم سهل من تنقلاتهم نحوها؛ دون توفر وسائل للنقل الحضري، وهذا على عكس المجمعات الثانوية كفاتيس التي يضطر سكانها للتنقل بشكل دوري نحو مقر البلدية زاوية الدباغ، رغم عدم توفر وسائل نقل منظمة.

يمثل قصر الواجدة أحد المجمعات الثانوية التابعة لبلدية تيميمون، إذ يبعد عن مقر البلدية بحوالي 16كلم جنوبا. يسكن هذا القصر أكثر من 700 نسمة حسب الإحصاء الأخير (2008)، تكاد تنعدم التجهيزات بهذا القصر، لولا وجود مدرسة ابتدائية، قاعة علاج حديثة الافتتاح (2012)، ومسجد. إن تحسن مستوى التمدرس لدى العديد من سكان القصر، وتزايد احتياجاتهم، دفعهم إلى التخلي عن الزراعة؛ والبحث عن العمل في نشاطات مغايرة، وذلك في مركز البلدية (تيميمون)، خاصة وأنه موصول بهذا المقر بواسطة الطريق الوطني رقم 51، الذي سهل من ترددهم اليومي نحوه (الجدول46).

جدول (46): مهن المترددين يوميا على مقر بلديتهم من قصر الواجدة (%)

	ذكور		اناث		المجموع	
القطاعات	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %
قطاع التربية	16	21,6	3	25	19	22,1
القطاع الاداري	15	20,3	6	50	21	24,4
القطاع الصحي	6	8,1	2	16,7	8	9,3
اشغال عمومية وبناء	11	14,9	-	-	11	12,8
مهن حرة	16	21,6	-	-	16	18,6
تجارة	6	8,1	-	-	6	7
فلاحة	1	1,3	-	-	1	1,2
حرف	3	4,1	1	8,3	4	4,6
المجموع	**74**	**88,1**	**12**	**13,9**	**86**	**100**

المصدر: تحقيق ميداني 2013

يمثل قطاع التربية، الوظائف الإدارية والصحية، من بين أهم القطاعات التي جذبت سكان هذا القصر للعمل في مركز البلدية سواء من طرف الذكور أو الإناث، إذ تمثل نسبتهم 46% من مجموع الموظفين في القصر، تتباين وظائفهم في هذه المؤسسات باختلاف مستوياتهم الدراسية، في حين لا تختلف نسب المشتغلين في المهن الحرة، التجارة والأشغال العمومية عن هذه النسبة كثيرا، فهذه المهن من الصعب ممارستها في المجمعة، الأمر الذي يتطلب ضرورة التنقل يوميا إلى مقر البلدية، من أجل العمل في هذه النشاطات. أما وسائل النقل المستعملة فتتمثل في أغلبها في السيارات الخاصة، فالنقل العام رغم توفره إلا أنه لا يلبي احتياجات سكان القصر.

2.4. حتمية تبعية قصور قورارة لمدينة تيميمون

إن القصر عبارة عن مجال خاضع لجاذبية المدينة والمراكز العمرانية، فهو يتأثر بها بشكل مباشر، ويغذيها بالهجرات السكانية اليومية؛ من خلال نشاطات السكان في وظائف حضرية في هذه المراكز، فمدينة تيميمون بحكم موقعها الذي يربطها بكل قصور ودوائر المنطقة على مسافة 80 كلم، كما أن تاريخها الذي مرت به؛ جعلها تمثل قطب هام يتحكم في منطقة قورارة في مختلف المجالات، وذلك عن طريق اختيارها لتكون مركز للمؤسسات الإدارية الهامة (المحكمة، البنك، بعض الفروع الإدارية الإقليمية...)، مختلف النشاطات التجارية، المستشفى الوحيد في قورارة، هذه المرافق وغيرها سمحت لها بأن تبقيَّ القصور والمجمعات الأخرى تابعة لها (الجدول 47).

جدول (47): كيفيات تردد الأسر المحقق معها في المجمعات المدروسة على مدينة تيميمون (%)

المجمعة / كيفية التنقل	تيبرغمين	شروين	أولاد سعيد	بوكزين	فاتيس	المجموع
يوميا	-	1,7	18,3	-	2	6,4
مرة أسبوعيا	8,6	21,7	30,1	15	6	17,9
أكثر من مرة في الأسبوع	-	1,7	5,4	-	2	2,5
مرة شهريا	14,3	43,3	-	32,5	14	17,6
أكثر من مرة شهريا	5,7	5	-	7,5	6	3,8
في المناسبات	4,3	6,6	-	-	-	2,2
حسب الحاجة	64,3	20	46,2	45	66	48,2
لا	2,8	-	-	-	4	1,3
المجموع	**100**	**100**	**100**	**100**	**100**	**100**

المصدر: تحقيق ميداني 2013

تختلف كيفيات تردد السكان على مدينة تيميمون من مجمعة إلى أخرى، وهذا حسب احتياجاتهم؛ والمتطلبات التي يمكن لكل مجمعة أن تلبيها، كما أن المسافة التي تبعد بها كل مجمعة عن تيميمون تتحكم في هذه الترددات، فأما المترددين يوميا على المدينة، فهم نسب قليلة تمثل 6% فقط، من مجموع

السكان المحقق معهم، وأكبر نسبة منهم تأتي من مجمعة أولاد سعيد، وذلك بسبب قرب هذه الأخيرة من المدينة (حوالي 30 كلم)، كما أن كونها كانت تابعة قبل التقسيمات الإدارية لـ 1984 لبلدية تيميمون؛ يجعلها تبقى تعتمد عليها في بعض الخدمات خصوصا الوثائق الإدارية، في حين تتباين كيفيات تردد أفراد أسر المجمعات الأخرى على المدينة، فتنقلاتهم نحوها غير منتظمة؛ قد تتطلب أكثر من مرة في الأسبوع، أو تقل عن ذلك لتكون مرة في الشهر؛ وهذا حسب الحاجة والخصائص التي تميز أفراد هذه الأسر، يمثل المترددين عليها في المناسبات 2,2% فقط، أما المناسبة المعنية فهي تتمثل في الأعياد، وتظاهرة السبوع التي ينظم خلالها سوق تجاري؛ يجذب إليها أغلب سكان المنطقة.

تتعدد المجالات واحتياجات السكان التي يترددون من أجلها على مدينة تيميمون، فبالإضافة إلى أنها وفرت فرص شغل للعديد منهم، يعتمد عليها كذلك في تقديمها لبعض الوظائف الضرورية في الحياة اليومية للسكان، خاصة الصحة والنشاط التجاري، ولتوضيح ذلك تم إنجاز الجدول (48).

جدول (48): دوافع تنقل الأسر المحقق معها في المجمعات المدروسة إلى مدينة تيميمون (%)

المجمعة / طبيعة المتطلبات	تيبرغمين	شروين	أولاد سعيد	بوكزين	فاتيس	المجموع
الصحية	30,8	19,3	38,9	37,5	34,8	23,9
الادارية	27,7	31,4	20,5	17,3	26,6	24,2
الخدماتية والتجارية	27,7	45,1	29,3	37,5	37,6	35,4
المناسبات	13,8	0,9	0,5	1	1	2,2
العمل	-	3,3	10,3	6,7	-	5,1
التعليم	-	-	0,5	-	-	0,2
المجموع*	**65**	**124**	**185**	**104**	**109**	**587**

* يمثل مجموع الاجابات

المصدر: تحقيق ميداني 2013

تحتوي مدينة تيميمون على المستشفى الوحيد في منطقة قورارة، فهو يضم عددا من المصالح والأطباء المتخصصين (الطب الداخلي، الجراحة، طب الاطفال،....)، غير تلك المجودة في المؤسسات الصحية الجوارية للبلديات الأخرى التي تقتصر خدماتها في أغلب الأحيان على الطب العام، وهو ما يتطلب ضرورة تنقل المرضى يوميا نحو هذا المستشفى، الذي يلعب أحيانا دورا إقليميا يتعدى منطقة قورارة، إذ يمثل هؤلاء ما يقارب 24% من مجموع الإجابات، تكون هذه النسبة أكثر ارتفاعا في كل من أولاد سعيد وشروين. في حين تتمثل الاحتياجات الأخرى الذي يعتمد في تلبيتها على مدينة تيميمون خصوصا في الوثائق الإدارية، فاحتواءها على مؤسسات ذات دور إقليمي كالبنك، المحكمة، مصلحة الضرائب، المفتشية الإقليمية للعمل، ديوان الترقية والتسيير العقاري،...، يتطلب التنقل نحوها بشكل دوري (الصورة 29).

الصورة (29): تجهيز ذو دور إقليمي مقره بمدينة تيميمون

تستحوذ مدينة تيميمون كذلك؛ على أغلب أنواع النشاطات والخدمات التجارية التي تلبي احتياجات السكان اليومية، فهناك بعض النشاطات التي تنعدم تماما في هذه المجمعات وتعتمد فيها على تيميمون أو على تلك السلع التي تأتي إليها بشكل مؤقت فقط (الصورة 30)، قد يكون ذلك في المناسبات (الزيارات)، كما هو الحال بقصور طلمين الذي يعتمد أغلب سكانه في تلبية احتياجاتهم التجارية خصوصا الإناث، على هذه الزيارات التي تنظم فيها بشكل سنوي نظرا لبعد المسافة بينها وبين مدينة تيميمون.

الصورة (30): وضعية بعض النشاطات التجارية بالمجمعات المدروسة

.4. وسائل النقل شبه منعدمة بين القصور والمراكز العمرانية

رغم ربط القصور والمجمعات بالطرق المعبدة من أجل فك العزلة عنها، إلا أن الانعدام الشبه التام لوسائل النقل يصعب من عملية هذه التنقلات، فأغلب القصور خصوصا الثانوية، تجد صعوبة في التردد على مقرات البلديات التابعة لها، فإن توفرت بعض وسائل النقل فغالبا ما تكون ما بين البلديات وغير منظمة في أوقاتها، وليس لديها محطة معينة (رسمية) للنقل، أما بين القصور ومراكزها

العمرانية؛ فغالبا ما يعتمد سكان هذه القصور على سياراتهم الخاصة، أو بالاستعانة بأصحاب السيارات رباعية الدفع التي يستعملونها لنقل الأشخاص (الصورة 31)، قد تتوفر في بعض الأحيان حافلات للنقل إلا أن قدرتها الاستيعابية غير كافية (الصورة 32)؛ وبأسعار عشوائية تكون من اختيار صاحب الحافلة، كما هو الحال بالقصور الجنوبية لبلدية تيميمون؛ التي يعتمد حوالي 5000 نسمة على حافلة بقدرة استيعاب لا تتعدى 25 فرد، نفس الوضعية تعرفها القصور الشمالية للمدينة، التي تتوفر على حافلتين لنقل حوالي 5300 نسمة نحو مدينة تيميمون، كما أنه تنظم بعض الحافلات من جميع مراكز بلديات وقصور المنطقة نحو هذه المدينة فقط، إلا أنه ليست هناك سيولة في عمليات التنقل؛ فغالبا متنظم رحلتين فقط في اليوم ذهابا وإيابا، كما هو الحال بالنسبة لبلديتي طلمين وشروين، أما وقوع قصور أوقروت على الطريق الوطني رقم 51 الذي يربط المنطقة بمقر الولاية؛ سهل من عمليات التنقل من وإلى مدينة تيميمون.

الصورة (31): السيارات المستعملة لنقل الأشخاص من القصور نحو المراكز العمرانية 2014

الصورة (32): وضعية وسائل النقل المنظمة نحو المراكز العمرانية

خلاصة الفصل الرابع

تختلف المجمعات التي تم اخيارها كنماذج لدراسة التحولات التي عرفتها منطقة قورارة في خصائصها، سواء كان ذلك في مواضع التي تم اختيارها من نقاط متباينة من المنطقة، أو كان هذا الاختلاف في أحجامها وكيفيات تحولها، فهذه المجمعات السكانية يتراوح حجمها السكاني ما بين الـ 1000 و22000 نسمة، ويمثل أغلبها مقرات لدوائر (تيميمون، تيبرغمين، شروين) وبلديات (اولاد سعيد، بوكزين)، أما فاتيس فهي لا تقدم أية وظيفة سواء كانت إدارية أو غيرها، الأمر الذي جعلها تتميز بخصائص تحول مغايرة لهذه المجمعات.

تميزت هذه المجمعات بوتيرة نمو سكانية مرتفعة، فباعتبارها مراكز للبلديات والدوائر تتركز فيها أهم التجهيزات والهياكل، جذبت إليها العديد من سكان القصور والبلديات المجاورة وحتى من خارج الولاية، أدى هذا التوافد الذي عرفته مرحليا منذ ترقيتها الإدارية، إلى التنوع في البنيات البشرية التي تسكن هذه المراكز، إذ يختلف هذا التنوع من مجمعة لأخرى، وذلك تبعا للأصول الجغرافية لهذه الأسر، أما تواجدها في مجمعة معينة دون أخرى، فيرتبط بالدور الوظيفي وأهمية هذه المجمعات مقارنة بغيرها، فأما مدينة تيميمون التي تستحوذ على أهم التجهيزات والوظائف الإدارية والخدماتية ذات الدور الإقليمي، جعلها تستقطب مجموعات بشرية من نقاط مختلفة من مناطق الوطن، في حين لم تتميز الأصول الجغرافية للسكان بنفس التنوع في المجمعات السكانية الأخرى؛ ذلك لأن هذا المراكز تقلها أهمية من حيث الوظائف والخدمات التي يمكن أن تؤديها، كما هو الحال بقصر فاتيس الذي تكاد تنعدم فيه الأسر ذات أصول جغرافية من خارج القصر.

لم تسمح الوظائف والهياكل (مؤسسات صحية، تعليمية، الربط بشبكة الطرق الوطنية...) التي تجهزت بها هذه المجمعات، بجذب مجموعات بشرية نحوها فقط؛ لكن كذلك أثرت على طبيعة النشاطات التي يمارسها السكان، فمنذ انفتاح سوق العمل تطور العمالة بالأجر لدى السكان، لم تعد الزراعة تمثل نشاطهم الرئيسي، وتوجه أغلبهم للعمل في قطاع الأشغال العمومية والبناء، والقطاعات الإدارية والخدماتية خاصة بعد تحسن المستويات الدراسية لديهم. تهدف هذه التحولات في الوظائف إلى تحسين مستواهم المعيشي وتلبية حاجيتهم المتزايدة، تجسد ذلك جليا من خلال التغيرات التي أصبح يعرفها السكن، فقد أدخلت عليه بعض التصاميم ومتطلبات الحياة الحضرية التي تعكس هذا التحسن.

تميز تركز التجهيزات في المجمعات السكانية المدروسة بالتباين في توزيعها، سواء من مجمعة لأخرى، أو داخل المجمعة نفسها، فأما النوع الأول من التباين، فقد نتج عنه تبعية وحركة يومية للقصور الأقل تجهيزا؛ نحو تلك التي تقدم وظائف وخدمات أحسن منها في هذا المجال، أما النوع

الثاني الذي يتعلق باختلاف درجة تجهيز الأحياء ضمن المجمعة، خصوصا نطاق القصر الذي يبقى دائما على هامش هذه المرافق، فقد نتج عنها هجرة هذا النطاق نحو الأحياء والبرامج السكنية الحديثة الأكثر تجهيزا، الأمر الذي أدى إلى ظهور أشكال مختلفة من التدهور في هذا النطاق، سواء بالنسبة للسكن الذي تم التخلي عنه وإستعماله في وظائف غير لائقة به؛ كصرح تاريخي يجب الحفظ عليه، أو بالنسبة لواحات النخيل التي تم التخلي عن النشاط فيها لصالح الوظائف الجديدة، أو الفقارة التي حلت محلها شبكة المياه الصالحة الشرب، وأفقدتها أهميتها الاجتماعية.

الفصل الخامس:

تدهور نظام الواحة في القورارة تحت تأثير التحولات التي عرفتها القصور.

الفصل الخامس: تدهور نظام الواحة في القورارة تحت تأثير التحولات التي عرفتها القصور.

إن القصر والواحة بصفة عامة اليوم بصدد فقدان ملامحه وتوازنه البيئي مع محيطه العام، وهذا راجع لأسباب عديدة أدت إلى تهميشه وعدم إعطاءه صورته ومكانته الحقيقية. فإذا كانت القصور في القديم تعكس مظاهر الازدهار؛ وتبرز مهارة الذين شيدوها وفق عمران دقيق وبناء مدروس، فإنها اليوم أصبحت تؤول إلى التدهور والاندثار، وإذا كان إنسان القرون الغابرة قد شيد هذه المعالم البارزة، فإن إنسان اليوم؛ قد ساهم مع عوامل أخرى طبيعية واقتصادية في تدهور نظام الواحة وفقدان توازنه مع محيطه.

تعرف واحات قورارة حاليا كغيرها من واحات المناطق الصحراوية للجزائر؛ أزمة اختلال التوازن متأثرة بالتحولات التي مرت بها، هذه الاختلالات تعكسها عدة مؤشرات منها صغر حجم واحات النخيل التقليدية، التراجع الكبير للمحاصيل المغروسة بين وعند أقدام النخيل، وتحول مساحات كبيرة منها إلى أراضي بور، خاصة بعد تراجع منسوب المياه واختفاء العديد من الفقارات، وظهور أنظمة الاستصلاحات الزراعية التي حلت محل هذه الواحات. بالإضافة إلى ذلك الهجرة الشبه التامة لسكان القصر القديم، وذلك نحو البرامج السكنية التي أنشأت بجوارها؛ وهو ما ساهم في تدهور المجال العمراني التقليدي لهذه القصور وفقدانه لوظائفه التي كان يؤديها سواء كانت السكن، أو غيرها من الوظائف؛ كتوفير تلك الرحبات التي تناقش فيها أمور السكان، أو توفير مخازن للمنتوجات الزراعية. إن هذه المؤشرات وغيرها شاهدة على الوضعية التي آلت إليها القصور اليوم، فمن أجل إبراز مدى تأثر قصور منطقة قورارة بهذه التحولات، تم إنجاز هذا الفصل؛ الذي سنتطرق فيه إلى بعض مظاهر هذه التغيرات بالقصور التي أصبحت اليوم في وضعية تستوجب دراستها من أجل إعادة الاعتبار لها.

1. التحولات الوظيفية، الاجتماعية والمجالية للقصور رغم إيجابيتها إلا أنها أدت إلى تدهور نظام الواحة

بعد أن كان نظام الواحة بعناصره الثلاثة (واحة النخيل، القصر، الفقارة)؛ يمثل النظام الأكثر تلائما مع الطبيعة الصحراوية، وسمح باستمرارية التواجد البشري في هذه المناطق لقرون عديدة؛ من خلال الوظيفة التي كان يقدمها كل عنصر، أصبح اليوم بعد أن تأثرت هذه العناصر المكونة له بالتحولات السوسيو اقتصادية والمجالية يفقد ملامحه ووظائفه التي كانت تؤديها قديما، كيف لا وقد تم استبدالها بأنظمة غيرها حلت مكانها وأدت إلى اختلال توازن هذا النظام. فبرمجة الدولة لسياسة التنمية المحلية التي شملت مختلف المجالات منذ السنوات الأولى للاستقلال غيرت من وظائف القصور، وكيفيات

سير نظام الواحة بشكل عام. تأثر بهذه التنمية المجتمع المحلي رغم أنه يمكن اعتباره أحد الفاعلين في هذه التحولات، فارتفاع وتيرة نموه الديموغرافي؛ صاحبها طلب متزايد على الاحتياجات التي من شأنها أن تحسن شروط حياته الاجتماعية والاقتصادية، أدى ذلك الضغط على الموارد الطبيعية والبيئية المحلية وبروز لاتوازنات متعددة الأشكال تأثر بها هذا النظام بشكل واضح. ولعل الوضعية الراهنة التي تعرفها قصور قورارة لنتيجة لاستمرار تحول نظام الواحة؛ منذ تدخل فاعلين جدد وبمستويات مختلفة كان لهم دور في كل شكل من أشكال هذه التحولات.

عرفت الأراضي الزراعية التقليدية تراجع كبير في مساحاتها، وذلك لصالح نظام الاستصلاح الزراعي الحديث منذ ظهوره في المنطقة في سنوات السبعينات، فهجرة النشاط الزراعي التقليدي؛ وتدخل عوامل طبيعية واجتماعية أخرى (زحف الرمال، انخفاض منسوب مياه السقي، الملوحة، تقسيم الإرث...) ،أدى إلى تدهور وضعية وتحول أغلب هذه المساحات التقليدية إلى أراضي بور، أما الترقية الإدارية لبعض القصور وما صاحبها من برامج تنموية وهياكل سمحت بخلق أنماط جديدة من العمل، انجذب إليها مختلف أفراد المجتمع القوراري وتخلوا عن ممارسة النشاط الزراعي. في حين ظهور أنظمة سقي حديثة عن طريق استغلال المياه بالآبار قلل من شأن الفقارة، وأدى التخلي عن صيانتها وحمايتها من زحف الرمال والتلوث؛ إلى تراجع منسوب مياهها واختفاء العديد منها.

إن وصول الإدارة وتكفلها بممارسة السلطة، من خلال برمجتها لسياسات وبرامج تنموية، أدى إلى التخلي عن نظام الجماعة الذي كان يهتم بمناقشة مختلف انشغالات السكان بالقصر، وزالت بذلك وظيفة الرحبات التي كانت تتم فيها هذه الاجتماعات، فاختفى بعضها وأصبح البعض الآخر يقتصر دوره على المناسبات العامة، أما تلك الأزقة والمساكن التي كانت مكانا لممارسة مختلف الحرف والصناعات التقليدية، أصبحت هشة وتشكل خطرا على السكان بعد تعرضها للعوامل الطبيعية التي لم تتحملها (الأمطار، زحف الرمال) بعد أن حل مكانها هياكل حديثة، كما أن ظهور تجهيزات جديدة بهذه القصور كالتعليمية مثلا أدت إلى تراجع دور الزوايا، أما تزايد أحجام وعدد المجمعات السكانية؛ ساهم في التغيير في مرفولوجية القصور؛ من خلال إدراج أنماط سكنية بمواد بناء حديثة؛ حلت محل السكن القصوري الذي تمت هجرته، وأصبح في وضعية متدهورة وعلى هامش التوسعات الحديثة (الشكل 20).

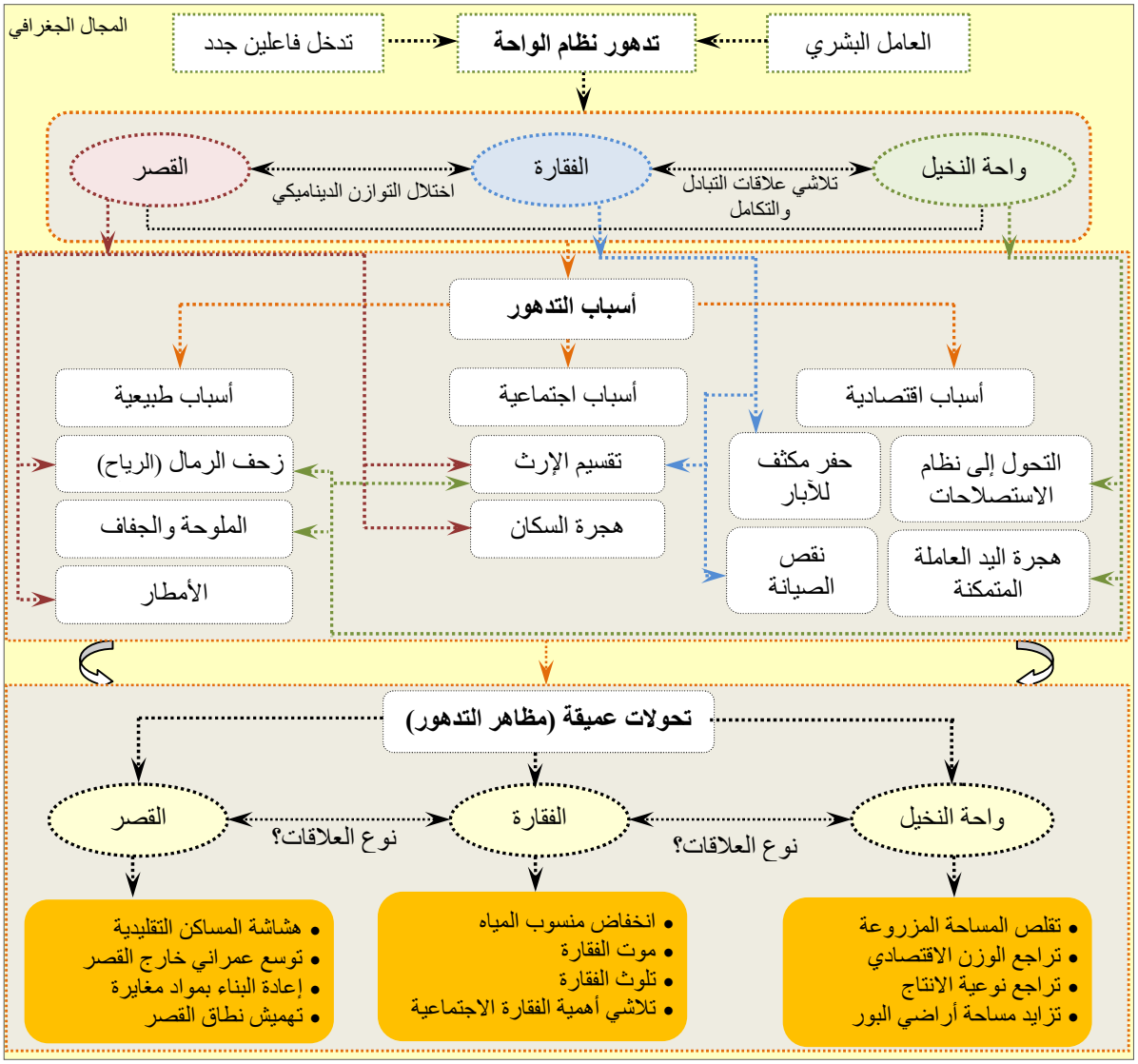

شكل (20): مخطط تدهور نظام الواحة

1.1. تراجع مكانة واحات النخيل التقليدية إشكالية تعرفها جل قصور قورارة

أصبحت واحات النخيل التقليدية في قصور قورارة في وضعية يرثى لها، بعد التحولات الشاملة التي عرفتها هذه القصور في الآونة الأخيرة، اختلفت أسباب تدهور هذا النمط من الزراعة من قصر إلى آخر، فمنها تلك التي تأثرت بنظام الاستصلاح الذي أنشئ بجوارها وتوجه إليه أغلب سكانها (بادريان، سموطة، بكو...)، ومنها تلك التي أصبحت تعاني من زحف للرمال بعد زوال أسوار جذوع النخيل التي كانت تحميها من هذه الظاهرة وهذه الإشكالية يعاني منها العديد من القصور في المنطقة، كما أن هناك بعض واحات النخيل التي أصبحت مهجورة بسبب تناقص منسوب مياه واختفاء الفقارة (شروين، تيميمون،...)، أما هجرة اليد العاملة للنشاط الزراعي نحو العمل في القطاعات الأخرى فهو سبب تأثرت به كل قصور منطقة قورارة.

1.1.1. التحول من النظام الزراعي التقليدي نحو أنظمة الاستصلاحات

لم تعد مساحة وإنتاجية نظام الزراعة التقليدي هامة يكون لها دور في الاقتصاد المحلي، فمساحتها لم تعد تتزايد إلا بشكل طفيف، قدرت مساحتها في منطقة قورارة بـ 3871,2 هكتار سنة 1987 لترتفع إلى 4181,2 هكتار في 2008 (Otmane T, 2010)، ويكمن هذا التزايد في مساحتها على الأرجح في تلك القطع الأرضية التي أصبحت تظهر بالقرب من المساكن التي يتم بناءها خارج نطاق القصر، مع العلم أن أغلب هذه المساحات الزراعية لا تعرف نشاط زراعي دائم وتستخدم فقط في بعض المواسم الزراعية كما أن أغلبها تغطيه النخيل بشكل كثيف ويستغل في الزراعات المعاشية فقط ويعتمد في سقيه على مياه الآبار، رغم أن هذا القطاع استفاد من دعم مالي من طرف الدولة فهو يبقى على هامش ديناميكية استصلاح الأراضي الزراعية الجديدة التي تشجعها سياسة الدولة بقوة، فمن خلال هذه السياسة تم إنشاء واحات زراعية جديدة بمنطق إنتاج وتوزيع مجالي يختلف عن التوزيع القديم. هذه الأنسجة الزراعية الحديثة حلت محل الواحات التقليدية الأولى على عدة مستويات: مجالية، اجتماعية، واقتصادية (Otmane T, 2010)، فأما المجالية فتتمثل كما سبق وأن ذكرنا في كيفيات توزيع واستخدام القطع الأرضية الذي يتميز خصوصا بشساعة مساحتها المزروعة مقارنة بالواحات التقليدية، من الناحية الاجتماعية مكن هذا النظام من حصول بعض الفئات ملكية فردية للأراضي الزراعية بعد أن كانت حكرا مجموعات معينة، في حين اقتصاديا فقد سمحت بتكثيف وزيادة المنتوج الزراعي.

أصبحت مساحة هذه الأراضي تتزايد من سنة لأخرى إذ مثلت المساحة المستصلحة فعليا سنة 2011 حوالي 38% من مجموع المساحة المسقية للمنطقة، موزعة بنسب مختلفة على بلديات منطقة قورارة (الجدول 49).

جدول (49): توزيع المساحة الزراعية في بلديات قورارة 2011

البلدية	المساحة الزراعية الاجمالية/ هـ	المساحة المستغلة/ هـ	المساحة المسقية/ هـ	المساحة المستصلحة	
				المساحة/ هـ	النسبة %
تيميمون	14352	2 190	1 586	609	38,4
أولاد سعيد	1019	551	495	133	26,8
اوقروت	11494	2 047	1 817	1 293	71,1
المطارفة	5 333,3	1 014	986	280	28,4
دلدول	1738	851	816	371	45,4
تينركوك	1440	950	950	106	11,1
قصر قدور	840	301	301	173	57,4
شروين	1393	813	792	243	30,7
طلمين	1510	1 081	1 081	291	26,9
أولاد عيسى	1725	765	742	210	28,3
مجموع قورارة	**39296,3**	**10563**	**9566**	**3709**	**38,7**

المصدر: مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية DPAT 2011

ظهرت هذه الاستصلاحات في مختلف مناطق قورارة واستفادت منها كل البلديات، تختلف مساحتها من بلدية لأخرى، أكبر مساحة مستصلحة (1293 هكتار) كانت في بلدية أوقروت حيث تمثل حوالي 71% وتعرف نشاط هام في هذا المجال مقارنة بالبلديات الأخرى، فهي وفرت فرص الشغل للعديد من سكان المنطقة، فيما قاربت نسبة المساحة الزراعية المستصلحة ببلدية قصر قدور الـ 60 %، ولم تتعدى 45% في البلديات الأخرى (الشكل21)، ارتبط هذا التوزيع بنسبة طلب السكان لهذا النمط من الزراعة.

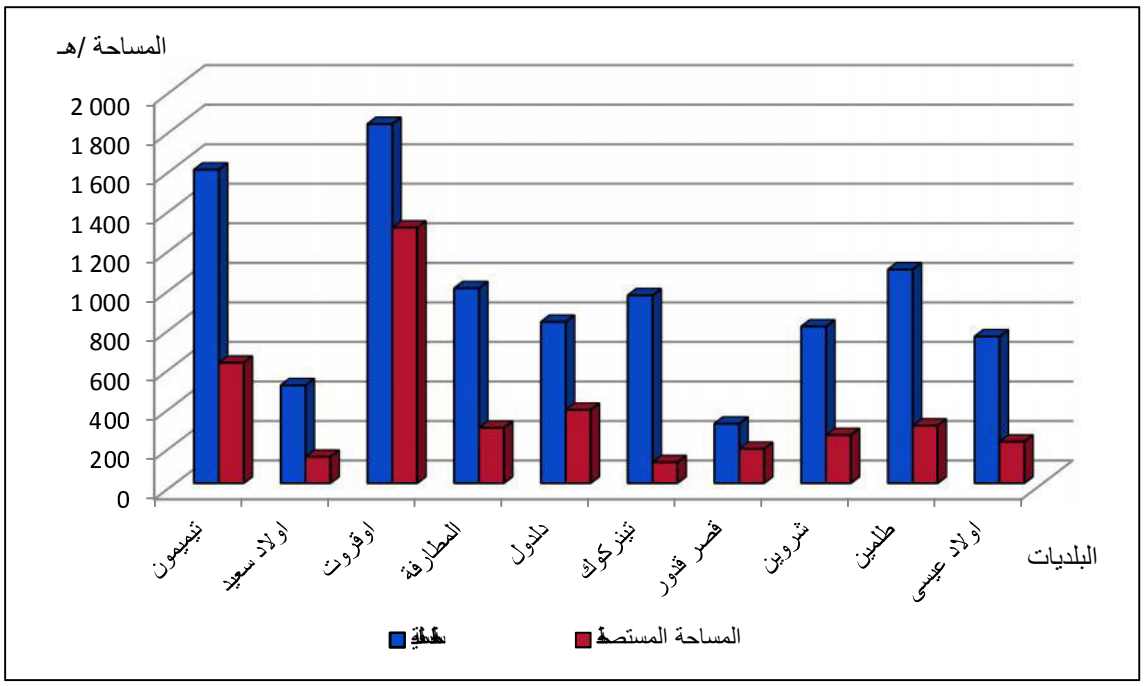

الشكل (21): توزيع الأراضي المستصلحة والمسقية في بلديات منطقة قورارة

يتوزع هذا النمط من الزراعة في أماكن مختلفة في هذه البلديات (الخريطة42)، ويكون في أغلب الأحيان بجوار المصادر الرئيسية لمياه الفقارة التي تغذي القصور، وبما أنه يتميز باستهلاك كبير للماء؛ فإنه أدى ذلك إلى الضغط على هذه المنابع وجفاف العديد من الفقارات، منها فقارة قصور شروين التي جفت نهائيا منذ بداية استخدام أراضي قصر "بكو" في هذا الإطار، فيما لا يعود سبب تراجع منسوب الفقارة في قصور أوقروت لهذه الظاهرة بل لأسباب أخرى، رغم أنه ظهر بجوارها هذا النمط من الزراعة بشكل مكثف ذلك لأن أغلب هذه الاستصلاحات تم إنشاؤها بعيدا عن منابع الفقارة في الجهة الغربية للبلدية (بوقمة وزاوية س ع الله) وذلك بجانب الواحات القديمة التي تظهر فيها هذه الاستصلاحات وكأنها امتداد لهذه الواحات، أما الفقارة التي تسقي هذه الأخيرة فهي تتجه من الشرق نحو الغرب والتي تبدأ منابعها من حواف هضبة تادمايت.

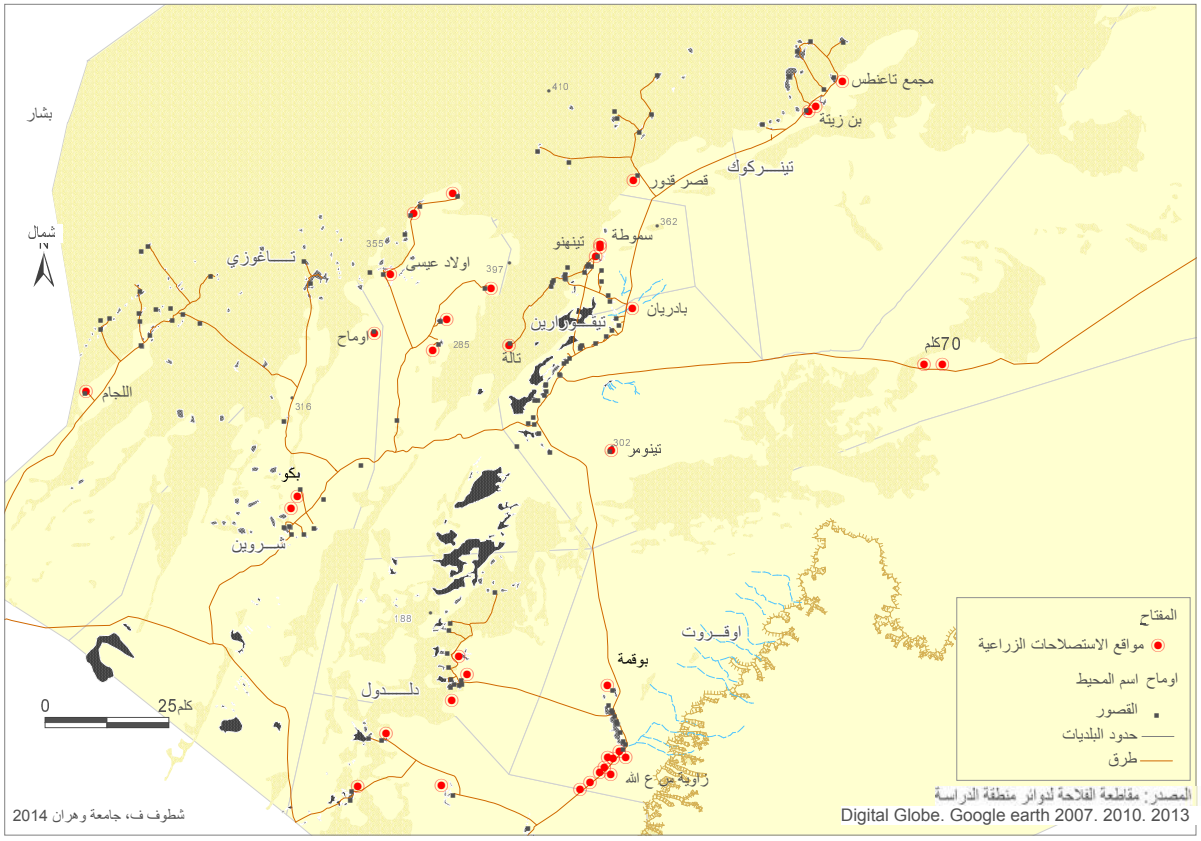

الخريطة (44): أماكن ظهور نظام استصلاح الأراضي الزراعية بمنطقة قورارة

إن التكثيف من إنتاج القطع الأرضية في إطار نظام الاستصلاح الزراعي جذب إليه العديد من سكان المنطقة، إما عن طريق الحصول على قطعة أرض أو من خلال توفر فرص العمل في هذه المحيطات، خاصة وأنه مشجع من طرف الدولة عن طريق الدعم المالي الفلاحي، وهو ما لاحظناه مع الأسر المحقق معها فهناك نسبة هامة منهم تتعدى 12% استفادوا من أراضي للاستصلاح الزراعي، خاصة في كل من تيميمون وتيبرغمين التي بلغت فيهما هذه النسبة 30% و26% على التوالي (الجدول50)، فقصور هذين التجمعين ظهرت بقربهما أكبر المحيطات الزراعية المستصلحة في المنطقة، محيطات بوقمة وزاوية س ع الله بالنسبة لتيبرغمين، ومحيط بادرين و70كلم بالنسبة لتيميمون، أما في القصور الأخرى فأغلب الأسر المحقق معها لازالت تملك واحات النخيل التقليدية هذه الوضعية تميزت بها خصوصا مجمعة فاتيس، فلم نجد أي أسرة تملك قطعة أرض في إطار الاستصلاح.

جدول (50): توزيع المالكين للقطع الزراعية حسب نمط السقي في القصور المدروسة

	واحة نخيل		استصلاح		واحة نخيل واستصلاح		المجموع		عدد الاسر المحقق معها
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة%	العدد	النسبة %	
تيميمون	47	70,1	20	29,9	0	0,0	67	49,3	136
تيبرغمين	37	64,9	15	26,3	5	8,8	57	81,4	70
أولاد سعيد	80	98,7	1	1,2	0	0,0	81	87,1	93
فاتيس	46	100	0	0,0	0	0,0	46	92,0	50
شروين	33	67,3	7	14,3	9	18,4	49	81,7	60
بوكزين	32	96,9	1	3,0	0	0,0	33	82,5	40
المجموع	**276**	**82,9**	**43**	**12,9**	**14**	**4,2**	**333**	74,2	**449**

المصدر: تحقيق ميداني 2013

تتوزع أماكن تواجد هذه الاستصلاحات كما سبق وأن ذكرنا في نقاط مختلفة من منطقة قورارة أما بالنسبة للأسر المحقق معها فيوضح (الجدول51) المحيطات التي تتواجد بها قطع الأراضي التي استفادوا منها في إطار الاستصلاح.

جدول (51): مواقع استفادة الأسر المحقق معها من الاستصلاحات الزراعية

	تيميمون	تيبرغمين	أولاد سعيد	شروين	بوكزين	المجموع
70كلم	**7**	-	-	-	-	7
بادريان	**8**	-	**1**	-	-	9
أولاد عيسى	**1**	-	-	-	-	1
قصر قدور	**2**	-	-	-	-	2
زاوية الدباغ	**1**	-	-	-	-	1
اوماح	**1**	-	-	**2**	-	3
بوقمة	-	**13**	-	-	-	13
زاوية س ع الله	-	**3**	-	-	-	3
تالة	-	**4**	-	-	-	4
بكو وشروين	-	-	-	**14**	-	14
بوكزين	-	-	-	-	**1**	1
المجموع	**20**	**20**	**1**	**16**	**1**	**58**

المصدر: تحقيق ميداني 2013

أغلب الأسر التي استفادت من قطع أراضي للاستصلاح الزراعي في مدينة تيميمون توجد ضمن محيطات "70 كلم" التي أنشأت في سهل مقيدن بسبب توفر هذه الهضبة على طبقة غنية بالمياه الجوفية، هذا المحيط يربطه بتيميمون الطريق الوطني 47 على مسافة 70 كلم في الناحية الشرقية للبلدية، كما أن أغلب مصادر الفقارة لقصور بلدية تيميمون تنبع من هذا الاتجاه، أما المحيط الثاني الهام في المنطقة فيتمثل في استصلاحات بادريان التي ظهرت على الطريق الولائي 151 الذي سهل

من الوصول إلى هذه المستثمرات، وهو جعل أغلب هذه الأسر تتوجه نحوه. أما تيبرغمين فبوقوعها في موضع يتوسط القصور المجاورة لها؛ سهل على سكانها التنقل إلى هذه الاستصلاحات (بوقمة، زاوية س ع الله) التي لا يزيد بعدها عنها بأكثر من 10كلم لذلك نجد الأسر المستفيدة من هذه الأراضي توجد في هذه المحيطات.

تتركز الأراضي المستصلحة لمجمعة شروين في المنطقة المسماة باستصلاحات شروين. تمتد هذه الأراضي بجوار المجمعة إلى غاية قصر "بكو" الذي تزيد فيه المساحة الموزعة عن الـ 270 هكتار استفاد منها حوالي 153 فلاح، حفر في هذا المحيط حوالي 79بئر، 64 منها تعمل. أنشأت مستثمرات بكو وشروين (الخريطة45) عند مصادر الفقارة التي تسقي واحات النخيل بالمنطقة؛ فهي لا تبعد عنها إلا بكلومترات قليلة، أدى ذلك بمرور الوقت إلى الضغط على منسوب المياه الجوفية التي تغذي منابع هذه الفقارات، وهو ما أجبر السكان على هجرة أغلب هذه الواحات بسبب قلة المياه، أدت هذه الظروف إلى تدهور وضعية هذه البساتين؛ بشكل ملفت للانتباه فقد تحولت إلى أراضي بور جافة (الصورة33).

الصورة (33): تدهور وضعية واحات النخيل التقليدية بقصور مجمعة شروين 2014

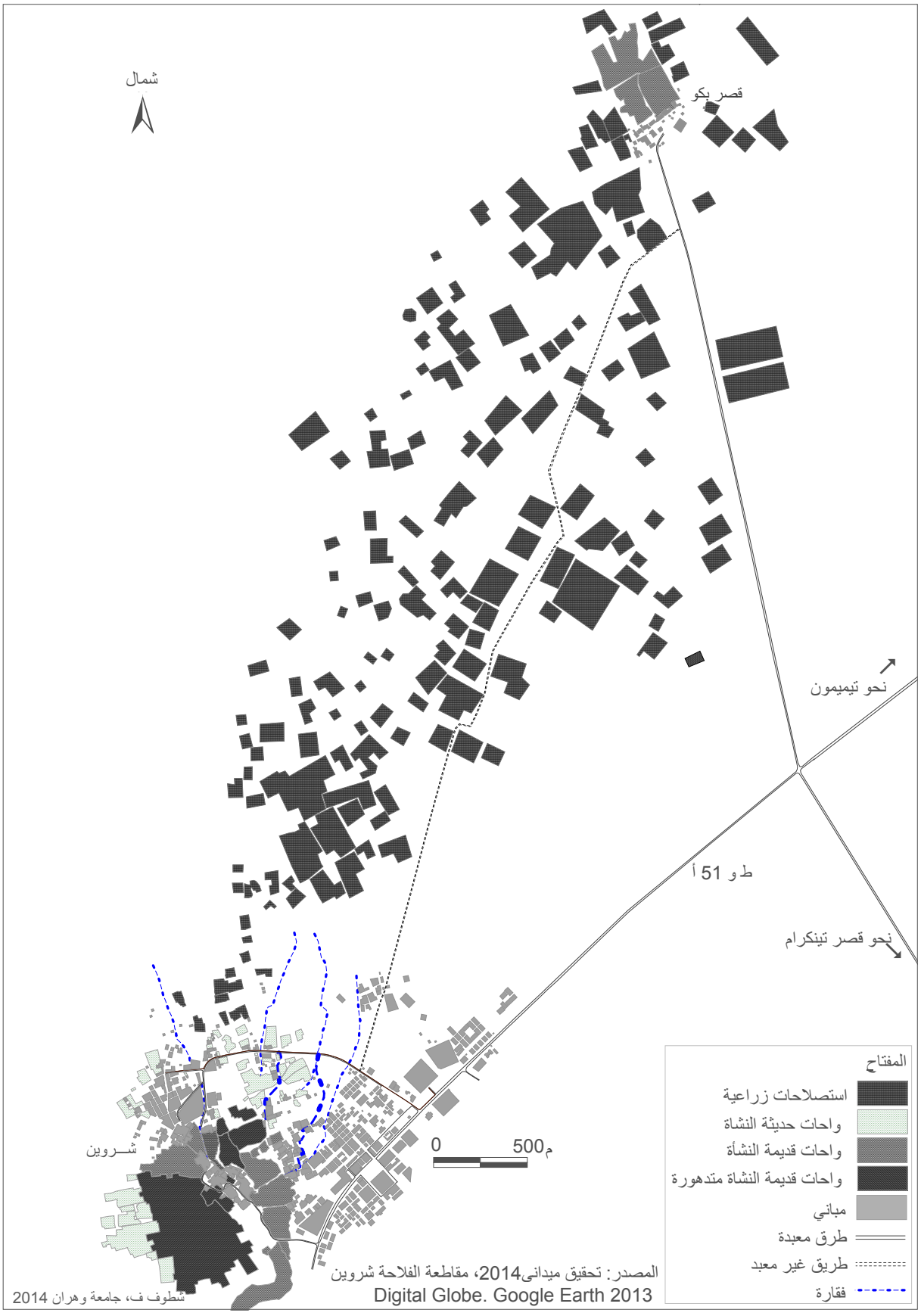

خريطة (45): توسع مساحة الأراضي الزراعية المستصلحة بشروين

رغم التوسع الكبير الذي عرفه استصلاح الأراضي بمنطقة شروين إلا أنه أصبح مهدد هو الآخر بتدهور وضعيته أو إنتاجيته بسبب كونه يوجد بالقرب منه مؤسسات تفتيت الحجر[1] التي تسبب تلوث كبير أدى إلى التأثير على جودة المنتوجات الزراعية.

إن تراجع مساحة واحات النخيل التقليدية لصالح نظام الاستصلاح إشكالية عرفتها العديد من واحات قورارة وإن كانت بدرجات متفاوتة، ورغم أن هذا النمط يرمي إلى تطوير الإنتاج الزراعي بالمنطقة كما ونوعا إلا أنه أحدث تحولا جذريا في الممارسات التقليدية، وساهم في فقدان المهارات المحلية وتهميش كتلة هامة من الزراعة التقليدية المحلية.

2.1.1. هجرة المجتمع الواحي للقطاع الزراعي نحو القطاعات الأخرى

ارتبط تدهور وضعية واختفاء العديد من واحات النخيل في قصور قورارة كذلك بهجرة اليد العاملة لهذا القطاع نحو الشغل في قطاعات الخدمات والأشغال العمومية، فقد أصبح هذا النشاط يمثل وظيفة ثانوية تمارس في أوقات الفراغ ونهاية الأسبوع للعديد من سكان المنطقة بعد توجههم للعمل في قطاعات غير القطاع الزراعي وهو ما يظهر بشكل واضح من خلال نتائج التحقيق الميداني مع الأسر في المجمعات السكانية التي تم اختيارها كعينة للدراسة (الجدول52).

جدول (52): كيفيات العمل في الزراعة عند الأسر المحقق معها

	يوميا		نهاية الأسبوع		عند خماس		مهمل		لا يملك أرض		عدد
	العدد	*	العدد	*	العدد	*	العدد	*	العدد	*	الأسر
تيميمون	31	22,8	30	22,1	1	0,7	5	3,7	69	50,7	136
تيبرغمين	37	52,9	19	27,1	-	-	1	1,4	13	18,6	70
أولاد سعيد	66	71,0	12	12,9	3	3,2	-	-	12	12,9	93
فاتيس	46	92,0	-	-	-	-	-	-	4	8,0	50
شروين	40	66,7	1	1,7	-	-	9	15,0	10	16,3	60
بوكزين	31	77,5	2	5,0	-	-	-	-	7	17,5	40
المجموع	**251**	**55,9**	**64**	**14,3**	**4**	**0,9**	**15**	**3,3**	**115**	**25,6**	**449**

* النسبة % المصدر: تحقيق ميداني 2013

إن ما نسبته 25% من مجموع الأسر التي تم التحقيق معها لا تملك قطعة أرض زراعية سواء كان ذلك في القطاع التقليدي أو الحديث، هذا الرقم يبرز بأنه هناك هجرة لهذا النشاط نحو قطاعات أخرى غير الزراعة، كانت هذه النسبة أكثر ارتفاعا في مدينة تميمون (50% من مجموع الأسر المحقق معها)، هذا طبيعي بما أن هذه الأخيرة تستحوذ على أكبر عدد من التجهيزات وخدمات القطاع الثالث

[1] توجد بمنطقة شروين أربع مؤسسات مقاولاتية لأشغال تفتيت الحجر، تمون المنطقة بهذه المادة من البناء، إلا أن التلوث الجوي الكثيف الذي سببته هذه الأشغال أدى إلى تراجع الإنتاج الزراعي في الواحات المجاورة لها، كما أنها أدت إلى هجرة سكان هذه التجمعات من هذا الموقع. والقصور الأكثر تأثرا بهذا التلوث هي (بني اسلم، اسفاو، بكو).

التي وفرت فرص الشغل لسكان المنطقة وحتى من خارج الولاية. الأسر التي لا تملك أراضي زراعية خاصة في القطاع التقليدي تتمثل في الفئات الاجتماعية الجديدة التي جذبتها فرص الشغل ولا ينتمون للمنطقة (القادمين من ولايات الشمال خصوصا)، أما في القصور الأخرى فنسبة قليلة من الأسر التي لا تملك قطع زراعية.

تتخلف كيفيات العمل في هذه الأراضي الزراعية بين السكان ويتوقف ذلك على طبيعة الشغل لديهم التي تختلف بينهم هي الأخرى، فمن خلال نتائج (الجدول52) يظهر أن نسبة الأسر التي تشغل يوميا في النشاط الزراعي مرتفعة (55% من مجموع الأسر المحقق معها)، إلا أن هذه النسبة لا تعكس عمل زراعي ذو منتوج هام ما عدا عند ذوي بعض الاستصلاحات الذي يمثل نشاطهم الرئيسي، فالتردد اليومي على هذه الواحات يتمثل في عمل المرأة(الصورة34)، هذه النسبة مرتفعة في كل القصور التي تم استجوابها، أغلب هذه الأسر تتمثل في تلك التي تسكن داخل النسيج التقليدي (القصر)؛ وغالبا ما تكون واحات النخيل التي تملكها بجانب المسكن وهو ما يسهل على المرأة التنقل يوميا إليها. رغم أن هذه الظاهرة بدأت تختفي في المراكز العمرانية خصوصا الكبرى (تيميمون وتيبرغمين)، إلا أنه نجدها أكثر انتشارا في القصور والقرى (خصوصا في منطقة طلمين) التي لازال أغلب سكانها يمتلكون البساتين، إلا أن إنتاجية هذه الواحات يبقى ضعيف جدا بسبب نقص النشاط فيها؛ مقارنة بوضعيتها سابقا عندما كانت تمثل مصدر الرزق الرئيسي للسكان، أصبحت اليوم تقتصر على بعض الزراعات المعاشية الموسمية.

صورة (34): عمل المرأة في واحة النخيل التقليدية في موسم زراعة القمح في إحدى قصور المنطقة 2014

العديد من سكان قصور قورارة أصبح نشاطهم الزراعي سواء كان في الواحات التقليدية أو في الاستصلاحات يمثل نشاط أو مهنة ثانوية تتم ممارستها في أوقات الفراغ ونهاية الأسبوع، خاصة بعد

وصول الإدارة إلى هذه القصور وتطور شبكة الطرق نحوها ساهمت في تطوير الشبكة الخدماتية والتجارية وحركة التنقل لدى السكان المحليين ووفرت لهم أنماط وفرص شغل جديدة امتهنها أغلب السكان (الجدول53)، لهذا نجد نسبة الأسر المحقق معها التي تشتغل في أوقات الفراغ في البساتين أكثر ارتفاعا في تميميون وتيبرغمين التي تتمركز فيها أغلب النشاطات الخدماتية الإدارية، بينما تظهر هذه النسبة أقل انخفاضا في كل من فاتيس بوكزين التي لا تتعدى فيها نسبتهم الـ 5%، وهو ما يبرر لنا انخفاض ظاهرة هجرة واحات النخيل في هذه القصور إذ أغلب هذه الأخيرة ما يزال يشتغل.

جدول (53): توزيع كيفية النشاط في الزراعة حسب وظائف أرباب الأسر المحقق معها

القطاع المهني	ادارة وخدمات		اطارات عليا		أعمال حرة واشغال ع		فلاح		متقاعدين وبطالين		المجموع
النشاط	العدد	*	العدد	*	العدد	*	العدد	*	العدد	*	العدد
يوميا	101	40,2	20	8,0	46	18,3	12	4,8	72	28,7	251
نهاية الاسبوع	27	42,2	5	7,8	11	17,2	0	0,0	21	32,8	64
عند خماس	3	75	0	0	0	0,0	0	0,0	1	25,0	4
مهمل	7	46,7	2	13,3	0	0,0	0	0,0	6	40,0	15
لا يملك أرض	47	40,9	18	15,7	13	11,3	0	0,0	37	32,2	115
المجموع	**185**	**41,2**	**44**	**9,8**	**70**	15,6	**12**	2,7	**138**	30,7	**449**

* النسبة %

المصدر: تحقيق ميداني 2013

يمثل أرباب الأسر الذين يشتغلون في الزراعة في نهاية الأسبوع 14,3% من مجموع الأسر المحقق معها وهم يتمثلون في أولئك الذين هجروا الواحات إما نهائيا أو مؤقتا (الصورة35) من القصور الأقل توفرا على التجهيزات نحو المراكز العمرانية من أجل التقرب من المرافق ومكان العمل خاصة أن أغلب هذه القصور لا تتوفر على وسائل نقل ثابتة للحركة اليومية، هذه الظاهرة تميزت بها مدينة تيميمون التي يسكنها العديد من سكان القصور المجاورة.

الصورة (35): وضعية إحدى واحات النخيل التقليدية بقصر الواجدة التي تخلى عنها مالكها للعمل في مركز مدينة تيميمون

إن توجه مختلف فئات المجتمع الواحي خصوصا الحراثين؛ للبحث عن العمل في قطاعات أخرى غير النشاط الزراعي، وظهور نظام الاستصلاحات الذي يمنح الملكية الخاصة لقطع الأرضي الزراعية لهذه الفئات، أدى إلى التأثير على النظام التقليدي للعمل الزراعي الذي يتمثل في "الخماسة"، هذا النظام الذي كان له دور كبير في استمرارية وكذا إنتاجية هذه الواحات، فهو يكاد يختفي حاليا في العديد من الواحات، وهو ما لاحظناه من خلال الأرقام المتحصل عليها خلال التحقيق الميداني مع الأسر، إذ تم العثور على أربع حالات فقط (في تيميمون وأولاد سعيد) لازالت تشتغل بهذا النظام.

3.1.1. العوائق الطبيعية إحدى العوامل التي ساهمت في تدهور وضعية واحات النخيل

إن الهجرة المرحلية لليد العاملة في واحات النخيل التقليدية التي شجعها ظهور وظائف جديدة سواء في القصر نفسه أو بجواره في المراكز العمرانية، يمكن اعتبارها سبب وراء تزايد تأثير العوائق الطبيعية التي أدت إلى تدهور ديناميكية عمل واحات النخيل وتحول مساحات كبيرة منها إلى أراضي بور[1] التي ظهرت في جل قصور المنطقة.

من بين أهم هذه العوائق زحف الرمال وتراكمها حول البساتين نتيجة الزوابع الرملية المتكررة، التي أدت إلى إزاحة أسوار أفراق التي كانت تحميها وسببت في تعطيل سير المياه بواسطة نظام السقي المستعمل فيها (الغمر)، بالإضافة إلى إتلاف التربة بسبب تراكم الرمال. تؤثر هذه الظاهرة بشكل واضح في أغلب قصور منطقة دلدول التي تقع في أقصى جنوب منطقة قورارة، فقد اكتسحت الكثبان الرملية في هذه القصور العديد من واحاتها، أما في منطقة تيقورارين من بين الواحات الأكثر تأثرا بهذه الظاهرة هي تلك المجودة بقصور "بادريان، أغلاد، كالي، حاج قلمان" وغيرها في الناحية الشمالية، أما القصور الجنوبية فيظهر تأثير زحف الرمال على الواحات خصوصا في كل من "تمانة، الواجدة، تاورسيت، أولاد طاهر ومساهل". إن وقوع هذه القصور في الجهة الجنوبية للعرق الغربي أدى إلى تعرضها بشكل دائم للرياح خاصة تلك التي تهب من الناحية الشرقية نحو الشمال الشرقي.

بعيدا عن قصور تيقورارين وبالضبط في منطقة شروين، لم تسلم واحات هذه الاخيرة هي الأخرى من هذه الظاهرة خاصة في قصر "تبو" (الخريطة46)، فقد أصبحت الكثبان الرملية فيه تفصل بين بساتينه والنسيج التقليدي للقصر بعد أن كانت وحدة لا تتجزأ منه. رغم أنه لم تتم هجرة السكان المحليين لواحات هذا القصر بصفة نهائية إلا أن هذه الكثبان قلصت من إنتاجيتها، وهو ما أدى إلى ظهور توسعات جديدة للنشاط الزراعي بجانب هذه الواحات يعيدون فيها نفس نمط الإنتاج التقليدي. تتمثل هذه التوسعات في محيطات الاستصلاحات الصغيرة التي تدعمها الدولة، والتي تتوفر على

[1] تحتوي أراضي البور على النخيل فقط، حيث يظهر البور عندما تنعدم وتضمحل مصادر المياه بشكل نهائي وتزحف الرمال حول هذه النخيل، وبالتالي ينجم عن ذلك صعوبة استغلال هذه الأراضي وصيانة النخيل مما يتسبب من تصحر الواحة، أين يتم في هذه الحالة الهجرة النهائية لهذه الواحات من طرف مالكيها.

كميات كبيرة من المياه وتعطي إمكانية توسع المساحة الزراعية، وهو ما سيؤثر بمرور الوقت بالإضافة إلى زحف الرمال على وضعية الواحات التقليدية بهذا القصر، هذا رغم أن الاستصلاحات الحديثة هي الأخرى أصبحت تعرف تراكم للرمال بجانبها.

خريطة (46): قصر تبو: زحف الكثبان الرملية على واحات النخيل التقليدية

إن وقوع واحات النخيل لقصور أولاد عيسى على حواف العرق الغربي جعلها هي الأخرى تعرف تراجع مساحاتها بسبب هذه الظاهرة، خاصة قصور مقر البلدية (أولاد عيسى)، أين تم إستبدال هذه الواحات بمحيطات الاستصلاحات التي غطت مساحات هامة بجانبها، أما بالنسبة للقصور التي تتوضع وسط العرق (قصور تاغوزي وتينركوك) فتأقلم السكان المحليين لهذه القصور مع موضعها سمح بإنشاء نمط خاص بهم يتمثل في الأحواض الزراعية أو الغوط المحمي بواسطة أسوار أفراق رغم أنه أصبح يتراجع دورها في الآونة الاخيرة فقد تم استبداله بأسوار بمواد بناء إما طينية او إسمنتية.

من بين الأسباب الاخرى التي أدت إلى تقلص مساحة واحات النخيل التقليدية ارتفاع نسبة ملوحة التربة في هذه البساتين، تتميز بهذه الظاهرة خصوصا الواحات التي نشأت في مواقع منخفضة وعلى حواف السبخات، وبسبب سوء تصريف المياه والحفر المكثف للآبار بجوار منابع المياه الجوفية. من

بين هذا البساتين، نذكر واحات تيميمون، وكذا واحات التجمع العمراني الرئيسي لبلدية المطارفة "أولاد محمود"، كما أن بعض واحات اوقروت تعاني من ارتفاع كبير لهذه المادة (الصورة 36).

الصور (36): ارتفاع نسبة الملوحة في واحات النخيل التقليدية قلص من مساحتها وانتاجيتها

إن تراجع منسوب مياه وموت العديد الفقارات التي تسقي هذه الواحات، بسبب استغلال المياه الجوفية عن طريق الحفر المفرط للآبار، يمكن اعتباره السبب الرئيسي لاختفاء، تدهور وتحول العديد من واحات النخيل إلى أراضي بور بمنطقة قورارة، إذ أن اغلب هذه البساتين التي تم التخلي عنها من طرف مالكيها، وجهت التوسع العمراني (أولاد سعيد، أولاد عبو، المطارفة، الساهلة) (الصور 37، 38)، أو أصبحت أماكن مخصصة لرعي وإنتاج أعلاف للحيوانات (الجمال).

الصورة (37): إزاحة الاتربة والنخيل من أجل التوسع العمراني في أراضي البور بأولاد سعيد 2013

الصورة (38): قصر أولاد عبو: توسع عمراني على حساب أراضي البور

2.1. التحول إلى نظام السقي بالآبار أثر سلبا على ديناميكية عمل الفقارة

تعتبر الفقارة أحد أهم العناصر التي تحكمت في ديناميكية عمل نظام الواحة بإقليم توات، بما أنها كانت نظام السقي الرئيسي والوحيد المستخدم في مختلف المجالات لدى سكان القصر (الزراعة، الاستعمالات اليومية)، ومن خلال الطريقة المحكمة التي تنظمت بها عملية استغلال الماء عن طريق

الفقارة سمح له ذلك بأن يتحكم في التنظيم الاجتماعي لسكان الواحات، إلا أنه بدخول تغييرات على هذه التركيبة الاجتماعية تحت تأثير التحولات الاقتصادية والوظيفية للعديد من القصور وبتظافر عوامل طبيعية أخرى، أثر ذلك على ديناميكية عمل نظام الفقارة. ارتبطت كمية الماء في الفقارة بعوامل عديدة تتمثل في المخزون الأرضي للماء، طول الفقارة، عمق الآبار وتاريخ نشأتها، بالإضافة إلى عملية الصيانة والاهتمام بها بشكل دوري، وللعوامل الطبيعية دور كبير في تراجع منسوب واختفاء العديد من الفقارات، خاصة بعد هجرة اليد العاملة المتمكنة وامتناعها عن الصيانة الدورية للفقارة.

إن الزحف المرحلي للرمل على البئر الرئيسية للفقارة، خصوصا تلك التي ظهرت منابعها بجوار الكثبان الرملية، يؤدي إلى تراكم الأتربة بصفة مستمرة حول فتحات الآبار تدريجيا خاصة وأن الكثير منها مفتوحة، بسقوط أجزاء من هذه الرمال في أحواض الفقارة، يقلل من نسبة تدفق المياه نحو الآبار الثانوية والقنوات الأرضية، مما يثقل من سرعة جريان المياه. كما أن انتقال جزء من الأتربة عبر الأنفاق والمجاري يؤدي من جهة إلى سد هذه القنوات، ومن جهة أخرى وصول جزء من هذه الرمال إلى القسرية، إما الرئيسية أو الثانوية يسبب ضياع كميات من الماء المتجمعة نظرا لتقلص الحجم المخصص لجمع هذه المياه فيها، وبالتالي يتناقص تدريجيا حجمه المخصص لسقي واحات النخيل. فإن تم إزاحة هذه الأتربة من طرف سكان القصر بالتعاون بينهم "التويزة"، يسترجع منسوب مياه الفقارة الضائع، لكن إن لم يتم ذلك يبدأ تراجع منسوب المياه الذي يجري في السواقي والقنوات تدريجيا وهو ما سيعمل على اختفاء هذه الفقارة إما كليا أو بشكل جزئي.

إن ارتفاع درجة الحرارة التي تزيد من نسبة تبخر المياه وارتفاع نسبة الرطوبة داخل الانفاق تتسبب في هشاشة وتآكل جدران آبار وأنفاق الفقارة التي غالبا ما تكون مصنوعة من مادة الطين وبالتالي فهي معرضة للانهيار في أي لحظة، وكذا ندرة تساقط الأمطار التي أدت إلى حدوث هبوط للطبقة المائية غير المتجددة وتراجع منسوب المياه الجوفية، عوامل تساهم في انخفاض محسوس لمياه الفقارة.

بظهور أنظمة الاستصلاحات الزراعية التي تعتمد على نظام السقي بالآبار كمنافس لواحات النخيل التقليدية في هذه المناطق، أدى ذلك إلى الضغط على الطبقة المائية في الواحات، خاصة وأن أغلبها ظهر بجوار المنابع الرئيسية للفقاقير، وأثر على نظام الفقارة إما بتراجع منسوبها باستمرار أو باختفائها نهائيا، مع العلم أن هذه الآبار لم تظهر للاستعمالات الزراعية فقط، ولكن كذلك من أجل الاستخدامات في القطاعات الأخرى، كربط المجمعات السكانية بشبكة المياه الصالحة للشرب. هذه الوضعية تعرفها العديد من فقارات منطقة قورارة وهذا على غرار غيرها في إقليم توات (الشكل 22).

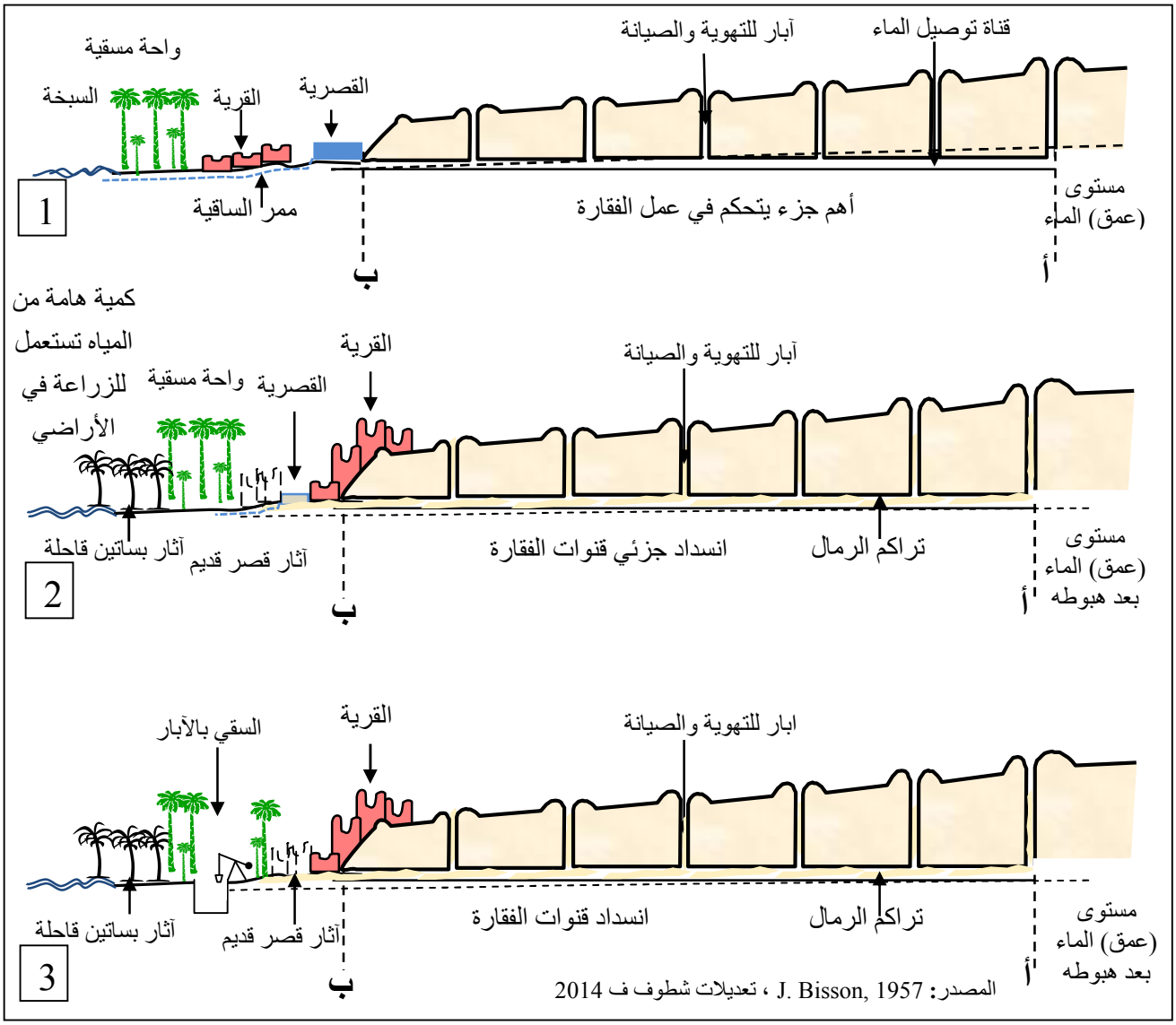

الشكل(22): تطور نظام السقي بالفقارة في منطقة قورارة

1.2.1. تراجع منسوب الماء واختفاء العديد من الفقارات في قورارة

إن المتتبع لوضعية الفقارة عبر تاريخها الطويل ووصولا إلى وقتنا الحالي؛ يلاحظ تراجعا كبيرا في الاهتمام بها، ولعل أكبر شاهد على ذلك هو نسبة موت الفقاقير سنويا، فقد وصلت إحصاءاتها الأخيرة (2011) في منطقة قورارة إلى حوالي 278 فقارة ميتة، موزعة عبر كل قصور المنطقة حسب الـANRH[1] لولاية ادرار، هذا إذا علمنا أن العدد الكلي الذي أحصته الوكالة في قصور قورارة يصل إلى 615 فقارة، أي حوالي 45% من مجموع الفقارات ميتة، تتزايد وتتناقص هذه النسبة من بلدية لأخرى حسب العوامل المؤثرة في تراجع منسوب مياه الفقارة وعدد الفقارات التي تحتويها قصورها (الجدول 54).

[1] Agence Nationale des Ressources en Eau (الوكالة الوطنية للموارد المائية)

جدول (54): وضعية الفقاقير ببلديات قورارة 2011

البلديات	عدد الفقارات					الفقارات الحية	
	الحية		الميتة		المجموع	منسوب الماء ل/ثا	النسبة %
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد		
تيميمون	126	60,3	83	39,7	209	**167,4**	**31,7**
أولاد سعيد	64	58,7	45	41,3	109	**94,9**	**18,0**
اوقروت	19	45,2	23	54,8	42	**50,8**	9,6
دلدول	22	64,7	12	35,3	34	**109,1**	**20,7**
المطارفة	33	58,9	23	41,1	56	**59,9**	**11,4**
تينركوك	0	0,0	12	100	12	0,0	0,0
قصر قدور	4	14,8	23	85,2	27	0,8	0,2
شروين	40	66,7	20	33,3	60	**18,7**	3,5
طلمين	3	37,5	5	62,5	8	0,2	0,0
أولاد عيسى	26	44,8	32	55,2	58	**25,9**	4,9
المجموع	**337**	**54,8**	**278**	**45,2**	**615**	**527,9**	**100**

المصدر: ANRH لولاية ادرار 2013

بالقرب من سبخة تيميمون، وعلى حواف مقيدن نجد قصر تيميمون وأغلب قصور منطقة قورارة، من تاورسيت إلى غاية تلالت، حيث يوجد العديد من أطلال القصور وآثار بساتين وسواقي (Bisson. J, 1957)، بالإضافة إلى قصور تيميمون ظهرت بالقرب منها قصور أولاد سعيد التي يزيد عددها عن 25 قصر، فبسبب ارتفاع منسوب المياه الجوفية في هذا الموقع؛ نجد فيه أكبر عدد من المجمعات السكانية وكذا الفقارات الحية (60% لتيميمون، 58% لأولاد سعيد من الفقارات الحية بقورارة)، رغم أن عدد الفقارات التي جفت في هذه المنطقة ليس بالقليل (112) فقارة، خاصة بالنسبة لمدينة تيميمون التي تفوق فيها نسبة الفقارات الميتة 60% (أي 38 فقارة ميتة) وأولاد سعيد بـ 46% (15 فقارة ميتة) (الخريطة 47)، أما سبب ذلك فهو هبوط طبقة المياه الجوفية نتيجة الاستهلاك المفرط لها عن طريق حفر الآبار سواء للاستغلال في القطاع الزراعي، أو في مجال التعمير وتوفير احتياجات السكان اليومية من الماء باعتبار هذه المنطقة من المناطق الأكثر تركزا سكانيا في قورارة.

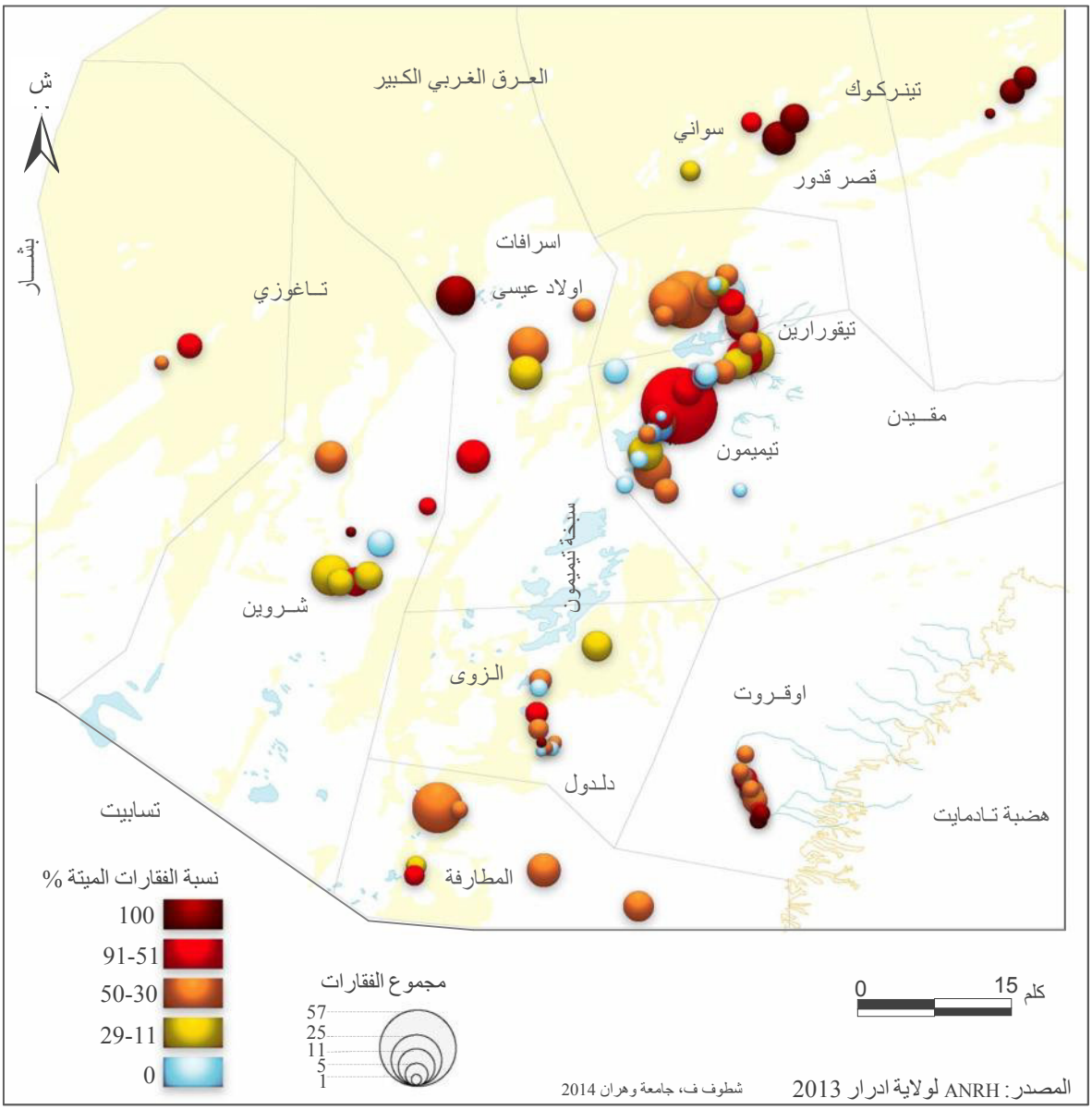

الخريطة (47): توزيع الفقارات حسب وضعيتها الحالية (2011) في قصور قورارة

إن توضع واحات أوقروت هي الأخرى على حواف مقيدن في منطقة واد جعلها تستفيد من المياه الجوفية عن طريق الفقارة، التي تجري فيها من الشرق إلى الغرب، تضم قصور أوقروت حوالي 42 فقارة فقط من 3 إلى 6 فقارات لكل قصر. أصبح منسوب الفقارات الحية في هذه واحات منطقة أوقروت ضئيل جدا فهو لا يتعدى 12 ل/ثا للفقارة الواحدة، أكبر منسوب فيها هو بإحدى فقارات قصر تيبرغمين الذي قدر بـ 11,6ل/ ثا، وبـ 10,6ل/ثا في إحدى فقارات قصر الحاج، أما أصغر منسوب فهو في قصر بوقمة الذي يضم فقط 3فقارت بـ 0,1 ل/ثا، أما في منطقة دلدول فبوقوعها على أطراف السبخة عرف نظام الفقارة نفس الوضعية التي تميزت بها واحات تيميمون، وهي حدوث هبوط لطبقة المياه الجوفية وهذا بالإضافة إلى إشكالية تراكم الرمل على حواف وفي قنوات الفقارة الذي أدى إلى

تراجع منسوبها المائي الذي يقل عن الـ1ل/ثا في البعض منها، فيما يتجاوز 29 ل/ثا في إحدى فقارت قصر أقبور، ويصل إلى 17 ل/ثا في إحدى الفقارات في قصر البركة، و12ل/ثا لفقارة "الشيخ" في قصر إقسطن، أكبر عدد من الفقارات في هذه المنطقة هو في "أولاد علي" الذي يصل إلى أكثر من 24 فقارة إلا أن اغلبها منسوبها المائي ضئيل جدا وهو لا يتجاوز فيها 0,5 ل/ثا و 10 فقارت منها ميتة، ويعود السبب في ذلك إلى ظهور مساحات زراعية مستصلحة تستعمل نظام السقي بالآبار الذي أدى إلى الضغط على المياه الجوفية هذا وبالإضافة إلى أن هذه المنطقة تعاني من زحف الرمال على واحاتها.

بقصور بلدية شروين التي يتوزع على قصورها حوالي 60 فقارة[1] يظهر تأثر منسوب مياه الفقارة الذي تراجع بشكل واضح بسبب ظهور نظام الاستصلاحات قرب منابعها، فإذا قارنا منسوبها المائي السابق الذي قدر بـ 1806 ل/ثا حسب احصائيات البلدية لسنة 1995، أصبح اليوم (2011) لا يتجاوز 18,7 ل/ثا، بسبب اختفاء العديد من الفقارات (الصورة39)، أما الحية منها فلا يتعدى منسوب مياهها 4 ل/ثا في الفقارة الواحدة.

الصورة (39): وضعية إحدى الفقارات بقصر شروين 2014

كغيرها من واحات المنطقة عرفت قصور وواحات النخيل التقليدية لأولاد عيسى تراجع مساحتها ومنتوجها بسبب تناقص منسوب مياه الفقارة تدريجيا، هذه القصور تضم حوالي 58 فقارة، 55% منها ميتة، أما المشتغلة منها فلا يتجاوز منسوب مياهها 25 ل/ثا، هذه الوضعية تعرفها خصوصا فقارات

[1] حسب إحصائيات الوكالة الوطنية للموارد المائية قدرت عدد فقارات بلدية شروين بـ 60 فقارة، لكن حسب معطيات مقاطعة الفلاحة لدائرة شروين تحتوي البلدية فقط على 50 فقارة.

قصري أولاد عيسى (مقر البلدية) الذي يضم 12 فقارة ميتة (80% من مجموع الفقارات)، أي بقي فيه فقط 3 فقارات تشتغل لحد الآن، لكن بمنسوب منخفض جدا (4,1 ل/ثا)، وذلك بسبب الضغط على المياه الجوفية عن طريق الحفر بالآبار الذي يستخدم فيها حاليا (2012) حوالي 120 بئر بمنسوب جريان يفوق الـ 240 ل/ثا لسقي الاستصلاحات، ناهيك عن الآبار التي تم حفرها لتوفير المياه الصالحة للشرب، أما في قصر تاسفاوت فقد أحصي فيه 11 فقارة، 90% منها لا يشتغل، في حين فقارات كل من قصر قنتور ولحمر أغلبها يشتغل لكن بمنسوب مائي ضئيل جدا.

إذا بالإضافة إلى الاستخدام المكثف للمياه الجوفية عن طريق الابار، ارتبط تراجع منسوب مياه الفقارة بتراكم الرمل في مجاري الفقارة بسبب وقوع هذه القصور على حواف العرق.

إن وضعية الفقارة في قصور العرق (تاغوزي وتينركوك) تختلف عن غيرها من قصور قورارة، فهي أي هذه الفقارات؛ أكثر عرضة لزحف الرمل بسبب ظهورها وسط العرق، وهو ما يظهر جليا من خلال الأرقام، ففي بلدية تينركوك التي تضم 12 فقارة كلها لا تشتغل، نفس الظاهرة تعرفها كل من قصر قدور وطلمين الذي يقتصر تواجد الفقارات في بعض قصورها فقط (تيلغمين، تيمزلان، انجلو، بني عيسى، الساقية وطلمين)، وإن وجدت فيها بعض الفقارات التي تشتغل إلا أن منسوبها لا يتجاوز الـ1ل/ثا.

2.2.1. استعمال شبكة مياه الشرب والسقي بالآبار قلل من شأن الفقارة في القصور

إن التحول إلى نظام السقي بالآبار الذي أصبح معتمد عليه حتى في الاستخدامات اليومية والقطاعات الأخرى، قلل من شأن الفقارة حتى تلك التي فيها منسوب ماء لابأس به، فبعد أن كانت الفقارة مكسب للسكان ومياهها صحية كما يعتبره السكان المحليين خاصة بالنسبة للفقارة "الكبيرة" التي يطلق عليها هذا الاسم في أغلب القصور فهي تعتبر الرئيسية التي يستعملها السكان عامة للشرب، تدهورت وضعيتها اليوم وهي غير صالحة للشرب بسبب التلوث، فقد تحولت في العديد من القصور إلى مغسل (الصورة 40)، وقنوات للصرف الصحي (تيميمون)، بعد أن تم تعويضها بشبكة المياه الصالحة للشرب التي جهّز بها أغلب قصور المنطقة، أما في واحات النخيل فقد اختفت معالمها (الفقارة) واستبدلت في أغلبها بالآبار بحكم أن منسوبها المائي لا يكفي للسقي رغم وجودها في العديد من هذه الواحات.

الصورة (40): وضعية الفقارات الموجهة لسقي واحات النخيل التقليدية في قصور قورارة 2013

من خلال التحقيق الميداني (الجدول55)، توصلنا إلى أن اغلب الاسر التي ما تزال تحافظ على واحتها التقليدية؛ تستعمل السقي بالآبار، خاصة في فاتيس وبوكزين (الصورة41) التي لم يظهر فيها نظام الفقارة وتعتمد على نظام السقي بالآبار منذ نشأتها. في قصور تيبرغمين يعتمد أغلب مستخدمي واحات النخيل المحقق معهم (79%) في سقيهم على مياه الفقارة، ذلك لأن هذه الواحات تنشط على بعض الزراعات الموسمية المعاشية فقط، فمنسوب المياه المتوفر كافي لهذا النمط من الزراعة، وهو ما لاحظناه في هذه الواحات من خلال بعض الزيارات الميدانية خاصة وأن هذه المعاينات كانت في فترة نشاط هذه الزراعات (زراعات القمح).

جدول (55): مصدر الماء المستخدم لسقي واحات النخيل التقليدية في القصور المحقق معها

	فقارة		بئر		بئر وفقارة		لا يعمل الفقارة متوقفة		المجموع	
	العدد	*	العدد	*	العدد	*	العدد	*	العدد	**
تيميمون	17	36,2	24	51,1	1	2,1	5	10,6	47	34,5
تيبرغمين	34	79,1	9	20,9	0	0,0	0	0,0	43	61,4
أولاد سعيد	37	45,1	29	35,4	14	17,1	0	0,0	82	88,2
شروين	3	6,5	26	56,5	9	19,6	6	13,0	46	76,6
فاتيس	0	0,0	46	100	0	0,0	0	0,0	46	92
بوكزين	0	0,0	32	100	0	0,0	0	0,0	32	80
المجموع	**91**	**32,2**	**166**	**58,7**	**15**	**5,3**	**11**	**3,9**	**283**	**58,6**

* النسبة %، ** النسبة المئوية من الأسر المحقق معها

المصدر: تحقيق ميداني 2013

الوضعية نفسها في أولاد سعيد، فهناك العديد من مستعملي مياه الفقارة في عمليات السقي، خاصة في قصور "الصفاح، القصر الشرقي، فمياه الفقارة يعتمد عليه لسقي النخيل عموما طيلة السنة بهدف الحفاظ على إنتاجية التمور (وهو الهدف الذي يُشترك فيه في الحفاظ على واحات النخيل التقليدية في قصور المنطقة)، أما تلك التي تستعمل السقي بالآبار فهي تتمثل الواحات التي نشأت حديثا في كل من حي "العروسي، باضاها". في حين في كل من تيميمون وشروين يوجد توجه نحو نمط السقي الحديث، خاصة في شروين التي يمثل فيها الذين يستعملون مياه الفقارة 6% فقط وذلك في بعض واحات "كرفال وأولاد وعلان".

الصورة (41): السقي بالآبار بواحات بوكزين 2013

3.1. القصر: ظهور أنماط سكنية وتجهيزات حديثة أفقدته أهميته لدى السكان

انعكست التحولات الاجتماعية والوظيفية التي عرفتها واحات قورارة على أهم وحدة تتحكم في ديناميكية توازن هذا النظام بما أنها تمده بالعنصر البشري المسؤول عن هذه الديناميكية ألا وهي القصر، الذي كان في الماضي يمثل مجال للنشاط الزراعي الذي كان يعتبر الأساس الاقتصادي له، كما أن الممارسات اليومية للسكان المحليين للقصور كانت تتمثل في استعمال الأماكن داخل النسيج التقليدي، هي التي تحدد وظيفة المجال واستخداماته، إضافة إلى إمكانيات الإنتاج المتاحة والدور المحلي والاقليمي الذي يمكن أن يلعبه كل قصر، لكن القصر اليوم كمجال للنشاط أصبح يعرف خمول فهو لا يضم التجهيزات التي ظهرت حديثا ويمكن لها أن تخلق ديناميكية للتشغيل خاصة بعد تدهور الفقارة وواحات النخيل، أما القصر كمكان للسكن فقد أصبح هو الآخر يعرف تغيرا إما بتدهور الوحدات السكنية به بعد تعرضها لظروف طبيعية لم تتحملها وهجرتها نحو أنماط سكنية أكثر حداثة أو

بالتغيير في مواد بناء المساكن التقليدية في حد ذاتها، هو ما أدى الى تهميش السكن القصوري لصالح السكن الحديث تحت مبرر الاستعجالية وضعف التحولات الاجتماعية في القصور.

1.3.1. تراجع مكانة المكونات المجالية للقصر بعد بروز عناصر جديدة حلت مكانها

لم يكن القصر بمنطقة قورارة في الماضي القريب بحاجة إلى تجهيزات ضخمة لسبب بسيط؛ وهو أنه لم يكن يضم عدد كبير من السكان يحتاج إليها، فهو كان يكتفي بالتجهيزات التقليدية التي ساهمت في استمراريته وديناميكيته لقرون عديدة، لكن منذ سيطرة الاستعمار على المنطقة، الذي سبب في كسر العلاقات التقليدية التي كانت مبنية على تسيير وتنظيم جماعة القصر وشيوخ الزوايا، وبعد مجيء الدولة التي عمقت من هذه التحولات وبتكفلها بممارسة السلطة، أدى ذلك إلى التخلي على نظام الجماعة الذي كان يهتم بمناقشة مختلف انشغالات السكان بعد أن تفككت العناصر التي كانت تشكلها.

تم طرح تساؤل حول دور "الجماعة" خلال تحقيقنا الميداني مع الأسر في بعض القصور بقورارة، إلا أنه لم يلقى تجاوبا كبيرا من طرف السكان، خاصة في المراكز العمرانية الكبرى كتيميمون وتيبرغمين، التي لم تعد فيها هذه "الجماعة" معروفة وتحولت إلى "رئيس الحي" الذي هو على علاقة مباشرة بالإدارة (البلدية)، أما بالنسبة للذين أجابوا عن هذا التساؤل في القصور الأخرى كشروين وأولاد سعيد فهم يمثلون نسبة قليلة، اتفق هؤلاء على أن "نظام الجماعة" لم يعد له دور فعال، في أغلب الأحيان تكون هذه "الجماعة" غير ظاهرة، كما أن أغلب أعضائها من فئة المسنين وهو ما يجعلهم لا يشاركون في اجتماعاتهم.

بزوال وتفكك "الجماعة" زالت وظيفة الرحبات التي كانت تناقش فيها أمور السكان وتم هجرة البعض منها، فيما أصبح يقتصر دور البعض الآخر على إقامة المناسبات العامة (الزيارات)، اختفى دور الدروب والأزقة ومقرات الزوايا التي كانت تستعمل لممارسة العديد من النشاطات، بل وأصبحت غير آمنة ومهددة بالانهيار في أي لحظة (الصور42، 43)، بعد أن تراجع دور "الزاوية" في حد ذاتها في العديد من القصور، أين أصبحت وظيفتها تقتصر في أغلب القصور على تأطير (الزيارات) التي تقام لمؤسسي (الولي) هذه القصور، ناهيك عن هجرة واختفاء العديد من القصبات التي كانت تستعمل لتخزين المنتوجات الزراعية وإن بقي البعض منها ما يزال مستعمل لتخزين بعض الوسائل الخاصة (قصبة قصر الواجدة) ولكن بنسبة قليلة جدا، فقد تم استبدال هذه العناصر بمرافق داخل المساكن الحديثة وبنايات إدارية جديدة خارج النسيج التقليدي للقصر لم تستطيع أن تنظم العلاقة بينها وبين القصر الذي أصبح على هامش هذه الهياكل الحديثة.

الصورة (42): مدخل قصبة مهدد بالانهيار

الصورة (43): وضعية دار الزاوية القديمة

2.3.1. تهميش النسيج السكني التقليدي للقصر بعد ظهور أحياء سكنية أكثر تلاءما مع ظروف المعيشة للسكان

أدى التحول الاجتماعي المصحوب بالتحول الوظيفي للسكان؛ إلى ظهور أنماط سكنية جديدة خارج نطاق القصر أكثر تجهيزا بمرافق حديثة، لم تكن موجودة في القصر ولم يتم تجهيزه بسبب طبيعة النسيج التي يعيق ربط المساكن ببعض هذه المرافق (خصوصا الصرف الصحي)، كما هو الحال بمدينة تيميمون التي لم تتعدى فيها نسبة الربط بشبكة الصرف الصحي الـ 65% بسبب صعوبة تجهيز بعض أحيائها القديمة بهذه الشبكة كحي "قوبا" في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة، فعملية تجهيزه بهذه الشبكة هي حاليا في طور الدراسة، أما قصور المراكز العمرانية لأولاد سعيد، شروين، وتيبرغمين فهي غير مجهزة بهذه الشبكة، هذا إذا علمنا أن التجهيز بشبكة الصرف الصحي يقتصر على المراكز العمرانية، أما قصور التجمعات الثانوية والمبعثرة فهي غير مجهزة بتاتا بهذه الشبكة سواء في نسيجها التقليدي أو في التوسعات الحديثة، ناهيك عن المرافق الأخرى التي تم توفيرها فقط في التوسعات الحديثة والبرامج السكنية التي بنتها الدولة، وهو ما ساهم في جذب العديد من السكان نحوها.

جدول (56): تعدد أسباب هجرة الأسر للنسيج التقليدي للقصر

	الامطار (هشاشة المساكن)		ضيق المساكن		التطور وتحسين ظروف السكن		الصرف الصحي		البعد عن المرافق وهجرة اغلب السكان		المجموع**
	العدد	*	العدد	*	العدد	*	العدد	*	العدد	*	العدد
تيميمون	82	**69,5**	8	6,8	24	20,3	2	1,7	2	1,7	118
تيبرغمين	20	29,9	6	9,0	14	20,9	25	**37,3**	2	3,0	67
اولاد سعيد	33	37,5	8	9,1	14	15,9	24	**27,3**	9	**10,2**	88
فاتيس	40	**81,6**	1	2,0	7	14,3	-	-	1	2,0	49
شروين	34	56,7	7	**11,7**	13	21,7	2	3,3	4	6,7	60
بوكزين	26	**68,4**	1	2,6	11	**28,9**	-	-	-	-	38
المجموع	**235**	**56,0**	**31**	**7,4**	**83**	**19,8**	**53**	**12,6**	**18**	**4,3**	**420**

* النسبة % ** يمثل مجموع الإجابات، قد تكون إجابتين أو ثلاث للأسرة الواحدة لأن السؤال مفتوح المصدر: تحقيق ميداني 2013

إن هجرة النسيج التقليدي للقصر بسبب عدم الربط بشبكة الصرف الصحي إشكالية تعاني منها القصور التي توجد حدودها ضمن المراكز العمرانية، التي ظهرت بها هذه الشبكة بأحيائها الجديدة التي أنشأت بجانبها، وهو ما يظهر جليا من خلال أرقام (الجدول35)، أين ترتفع نسبة الأسر التي غادرت أو تأمل بأن تغادر القصر لهذا السبب، في كل من تيبرغمين بـ37%، أولاد سعيد بـ27% من مجموع إجابات الأسر، ففي الأولى تصل حدود هذه الشبكة إلى مدخل القصر فقط، أما في الثانية فلم يتم إيصال هذه الشبكة سوى إلى بعض المساكن القريبة من الأحياء السكنية التي بنتها الدولة، أما في مدينة تيميمون فقد تم تجهيز بعض القصور بهذه الشبكة لذلك لم تتجاوز فيها نسبة المغادرين للقصر (1,7%) لهذا السبب، في حين قصور "شروين" يقتصر توفر هذه الشبكة في التوسعات الحديثة، أما هجرة السكان للنسيج التقليدي فكان لأسباب أخرى ربما، لكن عدم توفرها في أي حي من أحياء كل من "فاتيس" باعتباره تجمع سكاني ثانوي، بما أن كل قصور التجمعات الثانوية والمبعثرة لم تجهز لحد الآن بهذه الشبكة، و"بوكزين" رغم أنه تجمع عمراني رئيسي، لم تكن من بين الأسباب التي تخلى فيها السكان على السكن التقليدي.

من بين أهم الأسباب الأخرى التي دفعت بالسكان إلى هجرة السكن القصوري، هو هشاشة المساكن التقليدية بسبب الأمطار التي أصبحت تعرفها المنطقة بين الحين والآخر، خاصة أمطار أفريل 2004 التي سببت في تضرر أكثر من 10114 مسكن طيني موزع على كل قصور قورارة، فقد أجبرت أكثر من نصف سكان المنطقة وحتى الذين لم تتضرر مساكنهم على التخلي عن هذ النمط من السكن، كون أغلب المساكن المجاورة لهم تخلى عنها أصحابها، لأنها هشة وغير آمنة، وهو ما يجسده لنا كذلك

إجابات أغلب الأسر عن سبب هجرتهم للنسيج التقليدي الذي اعتبره حوالي 56% من مجموع المحقق معهم السبب وراء ذلك.

إن تدهور ظروف السكن والتهيئة في النسيج التقليدي للقصر بمرور الوقت، وبتحسن ظروف المعيشة لدى السكان التي يمكن اعتبارها نتيجة للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والتجهيزات التي استفادت منها القصور والتي وفرت العديد من فرص الشغل للسكان في المراكز العمرانية، سمح لهم ذلك بالاحتكاك مع أفراد جدد من المجتمع أثرت على سلوكياتهم، إذ أصبح العديد منهم (19% من مجموع إجابات الأسر المحقق معها) يسعى للخروج من القصر من أجل تحسين ظروف السكن ومواكبة التطور.

بغض النظر عن هذه الأسباب التي تم التطرق إليها والتي يمكن تعميمها على جل القصور بالمنطقة، هناك العديد من القصور الذي أجبر زحف الكثبان الرملية على السكن القصوري، هذه الظاهرة عرفتها خصوصا القصور التي تتوضع وسط العرق (تاغوزي وتينركوك)، تمتد الكثبان الرملية للعرق الغربي الكبير إلى غاية حدود بلدية أولاد سعيد ويحتل أجزاء هامة من بلدية أولاد عيسى، لذلك تأثرت بها بعض القصور حيث تدهورت وضعية النسيج التقليدي فيها بسبب زحف الرمال على المساكن الطينية (أغلاد، كالي، أولاد عيسى، حيحا، تاونزى، تاسفاوت،...)، كما وصل تأثير هذه الكثبان إلى غاية قصور تلالت وبادريان الذي تدهور بها عدد هام من المساكن بسبب هذه الظاهرة (الصورة44). إن موجات الرياح التي تجتاح المنطقة في كل مرة ساهمت في تشكل سلاسل من الكثبان الرملية التي امتدت إلى غاية حواف هضبة تادمايت جنوبا بجوار قصور منطقة دلدول، فأغلب قصور دلدول (توكي، بلغازي، اقسطن، أولاد عبد الصمد...) تكاد تختفي بسبب الزحف المرحلي لهذه الكثبان الرملية عليها، وعبور هذه الرمال للأجزاء الجنوبية لبلدية تيميمون أثر بشكل واضح على كل من قصر "أولاد طاهر والواجدة[1]" (الصورة44) خاصة بسبب وقوع هذين القصرين في منطقة منخفضة (الخريطة48).

[1] لمنع زحف الرمال بقصر الواجدة، تم انشاء منذ سنة 2006 سد من الاشجار على الطريق الوطني رقم 51 في الجهة الشرقية للقصر، ساهم هذا السد في تراجع زحف الرمال على القصر بشكل واضح رغم أنه جاء متأخرا، إلا أن انشاءه في منطقة بالقرب من المنابع الرئيسية للفقارات التي تسقي واحاته ستأثر سلبا على منسوب المياه، هذا إذا علمنا أن هذه الأشجار من النوع الذي تمتد جذورها إلى أعماق كبيرة للتربة وتمتص كميات هامة من المياه.

الصور (44): زحف الكثبان الرملية على النسيج السكني التقليدي للقصر

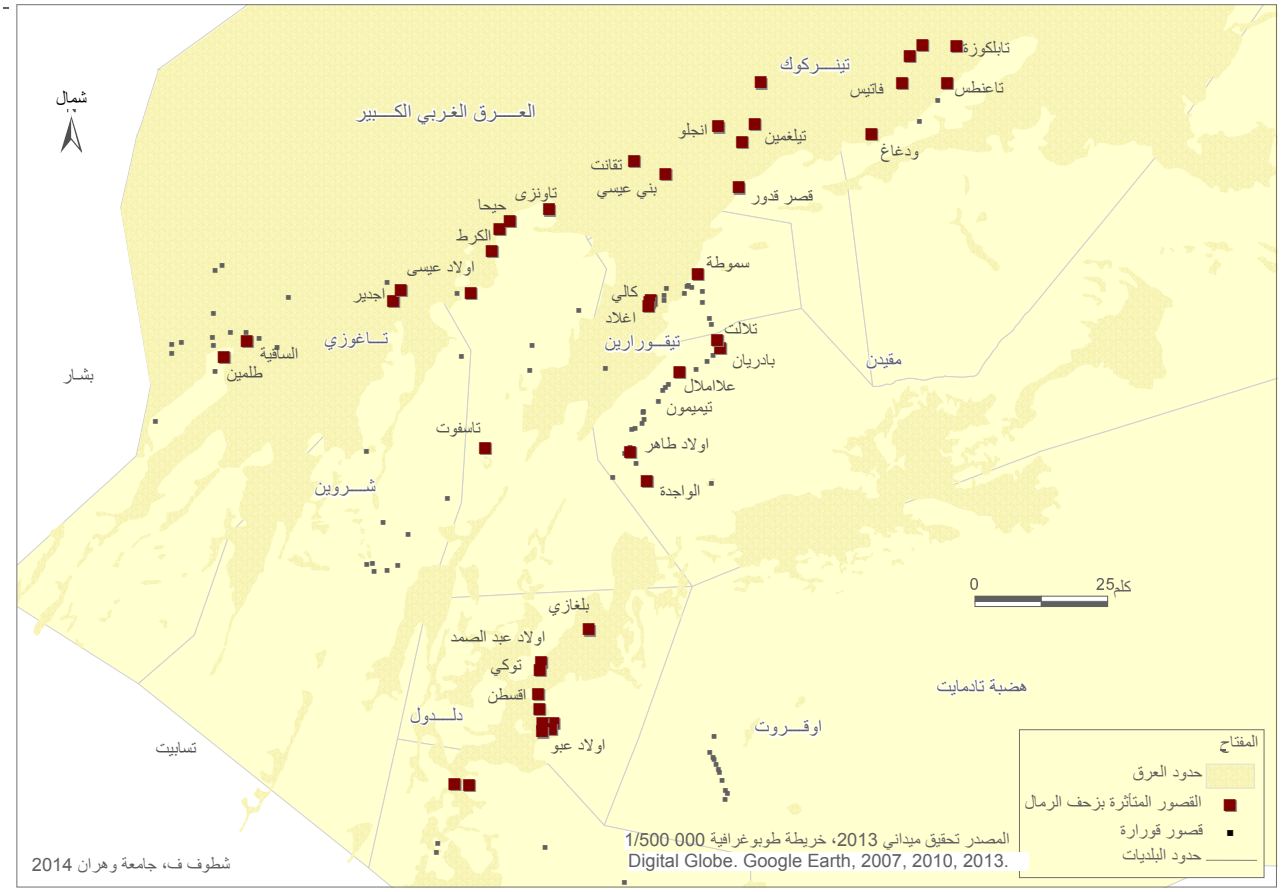

خريطة (48): توزيع القصور الأكثر تأثرا بزحف الرمال في منطقة قورارة

3.3.1. إدخال انماط ومواد بناء حديثة على السكن القصوري أفقدته ملامحه القديمة

يعتبر السكن القصوري أكبر خاسر في ديناميكية التحولات السوسيو اقتصادية والمجالية التي عرفتها القصور فبعد أن كان السكن الواحي (القصور) يرتبط بخصائص الوسط وإنتاجية الأرض وعنصر التجانس، أصبح اليوم يعرف تغيرات بفعل عوامل متعددة جعلته يتخذ مظاهر أخرى تختلف من حيث التوطين ومواصفات البناء. تم تشجيع هذه التحولات من طرف الدولة منذ برمجتها لسياسة تنمية السكن الريفي والقضاء على السكن الهش، فقد كشف تقرير لمديرية التعمير والبناء لولاية ادرار، أنها أحصت أكثر من 25450 بناية طوبية هشة مهددة بالانهيار، وهي عبارة عن مجمعات سكنية موزعة على 294 قصر، تتشكل منها مناطق ادرار الثلاث "توات، قورارة وتيديكلت". يصف هذا التقرير هذه البنايات بالهشة والتي لم تعد صالحة للسكن، بل وتشكل خطرا على قاطنيها، وهي تستدعي إعادة الاعتبار لها، من خلال تخصيص مبالغ مالية لترميمها، فقد خصص لها 17400 إعانة لترميم وبناء السكن الريفي وذلك منذ سنة 2007 إلى يومنا هذا. إلا أن ما هو ملاحظ اليوم أنه لا يتم إعادة الاعتبار أو ترميم المساكن بل إعادة بناءها من جديد وهو ما سيؤدي بمرور الوقت إلى اختفاء هذا السكن الذي سمح بإرساء ظاهرة التعمير بالمنطقة واستمرارها طيلة هذه القرون.

تتم هذه التحولات في السكن القصوري باستعمال مواد البناء الحديثة (الإسمنت) بغرض ترميم بعض أجزائها، أو عن طريق إعادة بناء المسكن القديم كليا، هذه الظاهرة تعرفها خصوصا الأطراف الخارجية للقصور والأقرب من الطرق الرئيسية التي تسمح بمرور مواد البناء حديثة لا يمكنها التوغل داخل النسيج التقليدي، رغم أن هناك بعض المساكن التي عرفت هذا التحول داخل القصر، ويتوقف ذلك على شكل القصر وكيفية توزيع الأزقة به منذ نشأته، أو ظهور ممرات حديثة ببعض القصور التي انهارت أجزاء من مساكنها(الصورة 45).

بالإضافة إلى تغيير مواد بناء المساكن، ظهرت أشكال هندسية حديثة في القصر كتلك التي في التوسعات الحديثة لهذه المجمعات، وذلك بالتغيير في كيفيات التنظيم الداخلي للمساكن بإضافة غرف وفضاءات جديدة، التغيير في علو البنايات، والتجهيز بمرافق حديثة كما سبق وأن تطرقنا إليها في الفصل السابق، خاصة بعد احتكاك السكان المحليين بفئات اجتماعية جديدة تتمثل في تلك التي جاءت إلى المنطقة من أماكن مختلفة، أو نقل هذه الأنماط بعد خروجهم للعمل خارج القصر في ولايات الشمال خصوصا، فإعادة بناء المساكن القديمة وذلك بالخلط بين مواد البناء الحديثة والتقليدية أو باستعمال الحديثة فقط بالمقابل بقاء المساكن المهجورة الأخرى بطابعها القديم، أثرت على القصر الذي أصبح يفقد ذلك الانسجام والملامح التقليدية التي كانت تميزه (الصورة46)، فبمجرد دخولك للقصر

أول ما يلفت نظرك هذه التحولات العمرانية، التي سببت في اختفاء ذلك النسيج المعماري الذي يميزه مواد بناء محلية، تضفي على القصر نسقا عمرانيا يبدو ككتلة واحدة متجانسة، وظهور فسيفساء شكلته مباني بمواد بناء حديثة تقابلها أخرى تقليدية (شطوف ف 2011).

الصورة (45): قصر تاورسيت 2014

Google Earth 2010

صورة (46): قصر المطارفة: التغيير في مواد بناء المساكن داخل القصر أفقدته طابعه العمراني القديم

2. تنظيم تسيير المجال: دمج المجال القصوري لقورارة في الاقتصاد المحلي

جاء تطور وتنمية القصور في إطار دمج المجالات الصحراوية في المجال الوطني وتحسين نمط المعيشة لدى السكان، لكن عملية التحديث والتنمية التي تمت بوتيرة سريعة أدت إلى تدهور مجال الواحة بسبب الهامشية التي عرفتها عناصره الثلاث من خلال هذه الهيكلة المجالية والتنموية التي عرفتها هذه المجمعات السكانية، فلم تمنح لها قيمتها الحقيقية ولم تخصص لها برامج ومخططات تأخذ بعين الاعتبار قيمتها وتراقب تحولاتها، وإن توفرت فلم تكن مجدية مقارنة بالوضعية التي آلت إليها هذه المجالات اليوم، لكن باعتبار القصر، الواحة والفقارة رمز ونتيجة فيزيائية لتنظيم اجتماعي خاص بالمجتمع الصحراوي، وجب الحفاظ على هذه العناصر من خلال خلق منهاج جاذب للتنمية الاقتصادية وتحسين شروط المعيشية المعاصرة دون إضاعة هوية هذه المكونات.

1.2. مجهودات يجب تثمينها والتكثيف منها من أجل الحفاظ على نظام الواحة

رغم الوضعية الصعبة التي تعرفها القصور اليوم بمنطقة قورارة، إلا أن هناك العديد من المجهودات يمكن أن يُكتب لها بالنجاح إذا تم تشجيعها وتثمينها، خصوصا من طرف السلطات المحلية للمنطقة، خاصة في قصور التجمعات الثانوية والمبعثرة التي ما يزال العديد من سكانها يحافظ على ملكيتهم لهذه المعالم، وإن كان الوضع صعبٌ تداركُه نوعا ما، خاصة في المراكز العمرانية التي تعمقت فيها التحولات خصوصا على المستوى الاجتماعي. فإذا أخذنا على سبيل المثال واحات النخيل التقليدية لوجدنا الكثير منها ما يزال يشتغل (الصورة 47)، خاصة بالنسبة لتلك التي لم تظهر بجانبها الاستصلاحات الزراعية ومنسوب مياه الفقارة التي تسقيها متوسطا، خصوصا في قصور التجمعات الثانوية، فتنشط في العديد منها بعض الزراعات الموسمية المعاشية يمكن تطويرها وأغلب سكانها ما يزالون يحافظون على ملكية واحاتهم كما أن إنتاجيها في التمور ليست بالقليلة.

قصر الواجدة

قصر تاورسيت

الصور (47): واحات نخيل بقصور قورارة تشتغل لحد الآن بنظام الفقارة 2014

أما بالنسبة لنظام السقي بالفقارة، فهو يعرف في بعض القصور نوع من الاهتمام سواءً من طرف الأفراد، فهناك العديد من المحاولات من طرف المالكين لهذه الفقارات يتم القيام بها من أجل صيانتها (الصورة 48)، أو من طرف السلطات العمومية التي تدرج في كل مرة برامج من أجل استرجاع وحماية الفقارات، فقد خصص لها مبالغ مالية من أجل إعادة الاعتبار لها وذلك في برنامجين أساسيين هما برنامج الدعم الفلاحي والبرنامج القطاعي وقد شملت هذه البرامج كل تراب الولاية فيما يفوق 476 فقارة، وفي إطار برامج النشاطات الاجتماعية استفادت العديد من الفقارات بمنطقة قورارة من دعم مالي من أجل إعادة إحياءها، إلا أن هذه الدعم ما يزال يقتصر حاليا على بعض قصور بلدية تيميمون وأولاد سعيد وتتمثل لحد الآن في 12 فقارة فقط، 3 فقارت منها بمدينة تيميمون.

الصور (48): أشغال صيانة إحدى الفقارات بقصر تاورسيت 2014

كما أنه وضعت بعض النصوص القانونية خاصة بها قصد صيانتها وحفظها نذكر من ذلك تمثيلا للقرار الولائي رقم 426 الصادر بتاريخ 1996/06/23 الذي ينص في كل مواده (13 مادة) على ضرورة حفظ وحماية الفقارة الحية منها والميتة، من بينها منع التنقيب على الماء بالقرب من الفقارة، و منع تلويث سواقي وفوهات هذه الفقارات، إلا هذا القرار منذ صدوره إلى يومنا هذا، لم نلاحظ أي تطبيق له على أرض الواقع بدليل أن العديد من الفقارات جفت خلال هذه الفترة والعديد منها تراجع منسوب الماء بها، رغم أن هذا القرار جاء بقوانين يمكن لها أن تعطي نتائج أفضل للفقارة إن تم إعادة النظر فيها وتثمينها.

أما القصور فقد صنفت بموجب القانون 98- 04[1] ضمن القطاعات التي يجب صيانتها، مجموعة العقارات الحضرية والريفية كالقصبات، القصور، القرى، والمجمعات السكانية التقليدية التي تتميز باستعلائها على المنطقة السكنية وبتجانسها وبوحدتها المعمارية، وهو ما يعطيها أهمية تاريخية، معمارية، فنية، وتقليدية ذات طبيعة تتطلب الحماية، الترميم وإعادة الاعتبار والإصلاح، رغم أنه لم تكن هناك أية ترجمة لذلك على أرض الواقع.

2.2. إمكانيات سياحية هامة يمكن أن تخلق مجال أكثر ديناميكية

تتميز المنطقة بقصورها القديمة والقصبات وواحات النخيل التقليدية التي يتم سقيها بنظام الفقارة، خاصة تلك الموجودة بين الكثبان الرملية للعرق، أضف إلى ذلك طرق التجارة القديمة التي أصبحت من أهم دفاتر السياحة الصحراوية؛ إن تم إحياء بعض هذه المسالك والطرق التقليدية المبنية على التجارة الصحراوية، كما أن المنطقة غنية بموروث ثقافي وشعبي وصناعات تقليدية ثرية تجذب إليها العديد من السواح، ناهيك عن المواقع الدينية والزوايا وخزائن المخطوطات الموجودة في بعض قصورها التي يمكن اعتبارها مكونا هاما للسياحة الدينية والتراثية بالمنطقة.

رغم ما تزخر به قصور قورارة من إمكانات سياحية هامة، يمكن أن تساهم في تنمية الاقتصاد المحلي إلا أنها غير مستغلة، ويظهر ذلك جليا من خلال النقص الذي تعرفه المنطقة في هياكل الاستقبال والوكالات السياحية القادرة على تسويق المنتوج السياحي التي يقتصر تواجد البعض منها على مدينة تيميمون، بالإضافة إلى نقص التكوين والتأطير في هذا المجال. مع العلم أن المنطقة استفادت من منطقتين للتوسع السياحي من بين 5 مناطق التي استفادت منها ولاية ادرار، أحدها تتمثل في منطقة "تادلست" بمدينة تيميمون بمساحة 94,4 هكتار، أما الثانية فهي بزاوية الدباغ بـ 1,5 هكتار. يتطلب هذا المجال اهتمام متزايد من طرف السلطات في مجال التجهيز بالبنى التحتية، تهيئة الهياكل، وإعادة الاعتبار للمواقع التاريخية والقصور، أضف إلى ذلك يجب تأهيل العنصر البشري في هذا الإطار، وغرس ثقافة السياحة لدى السكان المحليين خصوصا من أجل النهوض بهذا القطاع وجعله يساهم في إعادة احياء هذه القصور والواحات.

3.2. مشروع المدينة- قصر- واحة: من أجل مجال تتحقق فيه التنمية المستدامة

إن مدينة اليوم في المجالات الصحراوية بشكل عام على غرار منطقة قورارة بصفة خاصة نتاج لقصر الأمس، فهي نتيجة لاستمرارية وتوازن عناصر نظام الواحة منذ نشأتها إلى يومنا هذا. التوازن

[1] المادة 41 من القانون رقم 98- 04 لـ 15 جوان 1998 يتعلق بحماية التراث الثقافي، لاسيما المواد 2، 8، 16، 42 و43 التي صنفت القصور في مجموعة القطاعات التي يجب صيانتها

المحلي الذي يتعلق بالتكيف مع البيئة من جهة، ومع نسيج من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تشكلت في هذا المجال من جهة أخرى، وبذلك يمكن اعتبار نظام الواحة هوية هذه المدن والمجمعات الحديثة النشأة، لكن ما هو ملاحظ اليوم أن هذه المدينة تنفصل بشكل تدريجي عن هذه الهوية، بعد أن حل محل هذه العناصر مختلف التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية التي جاءت حديثا. فديناميكية التعمير السريعة التي عرفتها قصور قورارة منذ الاستقلال إلى وقتنا الحالي أدت إلى اضطراب العلاقات الموجودة سابقا بين الانسان ومجاله، وساهمت في إحداث لاتوازنات متعددة الأشكال، منها: نمو وتجمع السكان في الأوساط الهشة والحساسة، سوء تسيير الموارد المحلية (تدهور الفقارة) وتأثيرات سلبية على النشاطات الزراعية (تراجع مكانة واحات النخيل التقليدية)، نمو وتوسع مورفولوجي للأوساط العمرانية بدون ترابط منطقي (تهميش النسيج السكني التقليدي للقصر)، بسبب الاستراتيجيات غير الملائمة لبعض الفاعلين (الدولة والسكان المحليين).

هذه الوضعية التي آلت إليها القصور بالمنطقة وتدهور هذه الأنظمة ذات قيم وعادات مجالية تقليدية، أدت إلى خلق خلخلة محلية، لا تتوافق ومناقضة للرؤية السياسية لتلبية الطلب الاجتماعي والتنمية المجالية المستدامة، خاصة في مدنها التي يمكن اعتبارها أقطاب حقيقية تبني الحياة في الصحراء، إلا أنها أصبحت تعاني من سوء تنظيم سلوكيات مختلف الفاعلين الذين لهم الدور في شحن التسيير والرؤى المتعددة القطاعات في إطار التهيئة المجالية، هذه التي لم تراعي تكامل بين هذه الأقطاب العمرانية والعناصر (القصر، الواحة، الفقارة) التي يمكن اعتبارها قاعدة لها، فهل يمكن وبالوضعية الراهنة التي تعرفها القصور تحقيق مراكز عمرانية متوازنة تجمع بين المدينة الحديثة وهذه العناصر؟.

إن تحقيق مشروع المدينة- قصر- واحة، يرتكز على تطوير أسلوب المعيشة ونمط الحياة، دون تهميش أو إتلاف عناصر نظام الواحة. فالقصر كجزء من المدينة يجب صيانته وإعادة تهيئته من خلال ترميميه وإعطائه صورة جديدة دون إخفاء معالمه القديمة، من أجل دمجه في اقتصاد المدينة عن طريق إدخال وظائف يمكن أن تخلق حيوية فيه، كورشات الصناعات التقليدية التي لا تزال المنطقة ثرية بها (خاصة بالنسبة للمرأة الريفية)، بدلا من ممارستها في النسيج العمراني الحديث، فأغلب ممتهني هذه الصناعة غير بارزين وإن وجدوا فقد وفرت لهم بعض الورشات في المراكز العمرانية من أجل ممارسة هذا النشاط، خاصة في قصور المجمعات الثانوية للمنطقة فالعديد من الحرفيين يقومون بحركة يومية من القصر إلى المدينة (تيميمون) لهذا الغرض، وإن لم تكن هناك حركة يومية فقد تم بناء ورشات عصرية خارج النسيج التقليدي من أجل ممارسة هذه الصناعات التقليدية واستفادت منها أغلب قصور المنطقة فلماذا لا تكون هذا الورشات داخل القصر؟، التي من شأنها أن تساهم في إعادة تنشيط هذا المجال.

فيما يتعلق بالجانب العمراني للقصر فهو يحتاج إلى إعادة النظر وتسوية وضعه أو طبيعته العقارية دون التأثير على نظامه العرفي التقليدي، كما أنه يحتاج إلى تخصيص مخططات خاصة به بدلا من مخططات شغل الأراضي (POS) تهتم بحماية نسيجه السكني والحفاظ عليه كتراث للمنطقة بنفس مواد بناءه التقليدية دون أن تتأثر بالظروف الطبيعية، مع العلم أن المنطقة استفادت مؤخرا من مركز للتراث الثقافي المبني بالطين[1] مركزه بمدينة تيميمون إلا أنه كان هو الآخر أحد الهياكل بالتوسعات الحديثة، فلماذا لا تكون البداية من إنشاء هذا المركز نفسه داخل النسيج التقليدي للقصر؟

أما بالنسبة لواحات النخيل، فهي تتطلب إعادة تفعيل نظام السقي بالفقارة من أجل إعادة إحيائها، فهناك الكثير من الفقارات الموزعة عبر مختلف قصور قورارة، من خلال منسوبها المائي الهام تظهر بأنها تحتاج إلى صيانة فقط من طرف اليد العاملة المتمكنة في هذا الإطار وهي موجودة ولم تختفي نهائيا. كما أنه يجب متابعة القروض التي تمنح لمالكي هذه الفقارات من أجل صيانتها، أما واحات النخيل تحتاج إلى إعادة بناء أسوارها التقليدية التي تحميها من زحف الرمال، وبرمجة دراسات تأثير (Etudes d'impact) شاملة لنظام استصلاح الأراضي الزراعية على واحات النخيل قبل إنشائها في أي مكان من أجل تحقيق توافق بين هذين النظامين في طبيعة المنتوج مثلا، ومن أجل دمجهما في الاقتصاد المحلي؟.

خلاصة الفصل الخامس:

أفرزت عملية التعمير الحديثة التي عرفتها واحات قورارة، تحولات عميقة مست بنيتها الاجتماعية، الاقتصادية والمجالية، أدى ذلك إلى التأثير على النظام المحلي التقليدي الذي كان ينظمها، والإخلال بالتوازن الذي كان يربط الإنسان بالمجال، هذه التأثيرات يمكن ملاحظتها بشكل واضح من خلال تراجع أهمية العناصر المكونة لنظام الواحة.

أما بالنسبة لواحات النخيل التقليدية التي تقلصت مساحاتها وتراجعت مكانتها لصالح أنظمة الاستصلاحات الزراعية الحديثة التي فاقت مساحتها 3700 هكتار سنة 2011، ظهرت بجوار أغلب قصور المنطقة، كشروين، أوقروت، بادريان، وأولاد عيسى التي تمتد فيها على مساحات واسعة، أو بالنسبة للمياه الجوفية التي انخفض منسوبها وأدى ذلك إلى اختفاء العديد من أنظمة الفقارات بسبب نقص الصيانة وكذا الاستغلال المفرط للمياه عن طريق الآبار، فقد سجلت المنطقة اختفاء ما يقارب 278 حسب إحصائيات الوكالة الوطنية للموارد المائية لولاية ادرار سنة 2011 (أي حوالي 45% من مجموع الفقارات لقورارة)، ناهيك عن تدهور وضعية السكن التقليدي للقصر، بعد أن أصبح على

[1] المركز الوطني للتراث الثقافي المبني بالطين، مركز فتح مؤخرا (نهاية 2013) بمدينة تيميمون بفندق الواحة الحمراء، شغل الكثير من المهندسين المعماريين، إلا أنه لم تظهر لحد الآن أشغاله بشكل واضح.

هامش التوسعات الحديثة، وثورة البرامج السكنية بمواد بناء حديثة التي أخذت منحى واسع في هذه القصور. بغض النظر عن هذه العوامل التي لها علاقة باستراتيجيات وتدخل الدولة من أجل دمج القصور في المجال الوطني، للظروف الطبيعية دورها في تدهور هذه العناصر (زحف الرمال، الملوحة، الامطار...).

يمكن إذا تلخيص عوامل التحول التي لعبت دورا في تغير معالم وتراجع مكانة أنظمة الواحات في المنطقة إلى ثلاث: أولاها تتمثل في العوامل الطبيعية وما سببته من خسائر من بينها الأمطار التي تكررت بالمنطقة مرات عديدة وأدت إلى تدهور كلي وجزئي للمساكن، إضافة إلى زحف الرمال على العديد من المساكن وواحات النخيل والفقارات التي أجبرت مالكيها على التخلي عنها.

العامل الثاني يتعلق بالتحولات التنظيمية التي عرفتها المنطقة وما صاحبها من برامج شملت مختلف المجالات، سواء القطاع الزراعي الذي أثر بشكل مباشر على ميكانيزمات عمل نظام السقي بالفقارة وواحات النخيل، أو إدراج نشاطات أخرى في القطاع الثالث فقد أدت إلى التحول الوظيفي لبعض القصور كما أنها ساهمت في جذب العديد من سكانها من خلال توفير وظائف شغل جديدة.

أما العامل الثالث فهو يتمثل في التأثير السوسيوثقافي على مجتمع الواحة، وهو نتيجة مباشرة عن قوة التفاعل مع العالم الخارجي، بفعل التبادل الاقتصادي الناتج عن ظهور بعض نشاطات القطاع الثالث، أو من خلال تيارات الهجرة التي تعرفها المنطقة التي ساهمت في إعادة تركيب هذا المجال اجتماعيا، وهوما ترتب عنه التغيير في سلوكيات الأفراد، تغيير مكان السكن من القصر نحو التوسعات الحديثة الأكثر تجهيزا، إدخال أنماط بناء جديدة لم تكن تتميز بها في السابق...

إن الوضعية الصعبة التي آلت إليها الواحات اليوم، تستدعي ضرورة إعادة الاعتبار لنظامها الذي أصبح يعرف أزمة اختلال توازنه مما قد يؤدي إلى زوال عناصر هذه النظام خلال فترة معينة، فأما إعادة تفعيل هذه العناصر يكون من خلال صيانتها وإدراجها في النشاط الاقتصادي المحلي للمنطقة في إطار معيشي يتلاءم وظروف المنطقة الصحراوية، وذلك من أجل الوصول إلى مجال تحقق فيه النظرة الشاملة للتنمية المستدامة.

خـلاصـة عــامــة

خـلاصة عــامة:

تمثل قورارة إحدى المناطق المحلية لإقليم توات، وهذا على غرار تيديكلت وتوات، كانت هذه المنطقة تحتل بحكم موقعها مكانة هامة في حركة النشاط التجاري الذي عرفته الصحراء قديما؛ فكونها نقطة ربط وملتقى القوافل القادمة من بلاد السودان نحو الشمال الإفريقي؛ جعلها تتميز بمرور الوقت كغيرها من المجالات الصحراوية بنمط من التجمع السكاني يعرف "بالقصور"، سمح لها هذا النمط بتطوير تقنيات استغلال الوسط (نظام الواحة) من أجل التكيف مع الظروف والمعطيات الطبيعية الصعبة، وكان كفيل باستمرار الحياة البشرية؛ بتسيير تقليدي محكم خضعت له لمدة زمنية طويلة، وأعطى ذلك ميلاد لتنظيم اجتماعي ومجالي خاص انفردت به مثلها مثل المناطق الصحراوية الأخرى.

تضم قورارة ما يفوق الـ100 قصر، تختلف هذه القصور في توزيعها داخل المنطقة باختلاف المعطيات الطبوغرافية لهذه الأخيرة، وقد خضع هذا التوزيع إلى حركة القوافل التجارية القديمة العابرة الصحراء، التي اتخذت من قورارة ملتقى لها. فبعد أن استمر تسيير هذه القصور لقرون عديدة بالتنظيم التقليدي المحلي الذي كانت تتحكم فيه أساسا القبائل التي سكنت المنطقة، بدأت تعرف في السنوات الأخيرة أنماط تنظيم جديدة، وذلك بتدخل فاعلين جدد في هذا التسيير، فمنذ سيطرة الاستعمار على المنطقة، أخضع كل مكونات هذا المجال لخدمة مصالحة الخاصة، وذلك عن طريق كسر النظام المحلي الذي كان ينظمها. تعمقت هذه التحولات التي أصبحت تعرفها القصور؛ منذ وصول الدولة في السنوات الأولى من الاستقلال، التي أعطت دفعة قوية لمشاريع التنمية بالمنطقة وذلك على غرار مختلف مناطق البلاد.

إن مجيء الدولة إلى المنطقة لأهداف تتعلق بتنمية القصور ودمجها ضمن المجال الوطني، كان عن طريق برمجة عدة مشاريع؛ كانت بدايتها منذ التقسيمات الإدارية لـ1963 أين سمحت بأنشاء أربع وحدات إدارية للتسيير على المستوى المحلي، تضمنت هذه المشاريع مخططات تنموية شملت مختلف المجالات، تأثرت قصور قورارة بهذه البرامج، إذ بدأت ملامح التحول تظهر فيها، عندما عملت الدولة بالتوازي مع هذه الاستراتيجيات إلى تجهيز القصور بمختلف الهياكل غير تلك التي كانت موجودة، خاصة تلك التي تدخل ضمن مخططات تنمية البلديات والمشاريع القطاعية، منها القاعدية كتعبيد الطرقات (انشاء الطريق الوطني رقم 51 سنة 1975)، والتعليمية التي كان تقتصر على المدارس القرآنية والزوايا داخل القصر، ووجهتها نحو المؤسسات التي تم إنشاؤها من طرف الدولة خارج النسيج التقليدي للقصر، بالإضافة إلى برمجة أنماط جديدة من السكن، التي تنوعت صيغها سواء في قصور المراكز العمرانية، أو الريفية الذي تم دعمه فيها عن طريق الاستفادة من إعانات للبناء الريفي

وإعادة الاعتبار للسكن الهش، وهو ما تطلب تجهيز القصر ببعض الشبكات الحديثة؛ كالكهرباء والماء الذي حل محل الفقارة.

أدت التحولات التي عرفتها القصور، إلى انفتاح السكان على سوق العمل وتحفيز العمالة بالأجر عندهم، خاصة بعد توالي الترقيات الإدارية لـ 1974، 1984، 1991، تلك التي سمحت بتكثيف الشبكة الإدارية للمنطقة، وفتح المجال أمام عالم الشغل من خلال ما توفره من هياكل وتجهيزات، بدأ يظهر تأثير هذه التغيرات على القصور بمستويات مختلفة منذ سنوات السبعينات، إذ يمكن ملاحظة ذلك مجاليا من خلال الزيادة الديموغرافية السريعة لسكانها، تحول البنية السوسيو- اقتصادية للسكان بعد توجههم للشغل في قطاعات أخرى غير الزراعة، بهدف تحسين مستوى معيشتهم، بالإضافة إلى تحولات مرفولوجية في القصور، فقد أصبحت تأخذ أشكالا وكيفيات جديدة في استهلاك المجال، هذه التحولات وغيرها التي عرفتها القصور، أدت إلى نقلها من منطق نظام الواحة التقليدي الذي كانت تتنظم به، إلى مجمعات صحراوية مندمجة ضمن المجال الوطني ويتحكم في تسييرها الدولة.

لم تكن التحولات التي عرفتها القصور، بنفس الوتيرة، وليست متشابهة فهي تختلف من قصر لأخر، فلعل بروز مجمعات سكانية مختلفة الأحجام (من 100 غلى 22000 نسمة)، الأشكال (توسعات مجالية واسعة)، والوظائف (إدارية، تجارية، خدماتية...) لدليل على ذلك، فقد ساهمت بذلك في إعادة تنظيم الشبكة العمرانية للمنطقة بشكل تراتبي للقصور حسب الأهمية، هذا بعد أن كانت متكافئة تقريبا؛ في هذه الخصائص سابقا.

تعدد القصور في المنطقة دفعنا إلى محاولة تصنيفها على أساس هذه الاختلافات في التطور الذي عرفته، وذلك من أجل استخراج أهم الخصائص التي تميزها، مستعملين في ذلك التحليل بالمكونات الرئيسية، التي تعتمد على تصنيف متعدد المتغيرات، حيث اعتمدنا في ذلك على متغيرات تختلف بين الديموغرافية، والوظيفية أو الإدارية، بالإضافة إلى تلك المتعلقة بوضعية عناصر نظام الواحة، خلص هذا التحليل الى تصنيف 7 مجموعات تميزت خصوصا، بظهور مدينة تيميمون؛ هي الوحيدة التي تستحوذ على شبكة قصور قورارة، سواء من حيث الحجم أو من حيث الوظائف والنفوذ. هذا وبالإضافة إلى بروز مجموعة من القصور يميزها تأثير الترقية الإدارية، في تحولها الاجتماعي وديناميكيتها الديموغرافية، فهذه المجمعات عبارة عن مراكز إدارية فتية يمكن لها أن تساهم في المستقبل في إعادة تنظيم الشبكة العمرانية للمنطقة بشكل آخر، وذلك من خلال تطوير خدماتها وهياكلها. من بين المجموعات التي تميزت بصفات خاصة هي قصور طلمين، التي ميزها نمط توسع مختلف عن ذلك الذي تعرفه القصور بصفة عامة، أما الاختلاف في مستوى التجهيز عمد إلى استخراج مجموعة أخرى تتمثل في تلك القصور ذات أحجام سكانية صغيرة والأقل تجهيزا،

وباستخدامنا عوامل تتعلق بوضعية القصور، توصلنا إلى تحديد مجموعة قصور؛ تتميز بتأثرها بشكل واضح بزحف الرمال خاصة تلك المتعلقة بقصور دلدول والمطارفة في الجهة الجنوبية للمنطقة.

من أجل إبراز التأثير الفعلي لهذه التحولات وفهم كيفية تأثيرها على مستوى القصور، تم اختيار من المجموعات التي توصلنا إليها نماذج لدراستها، فوقع إذا الاختيار على 6 مجمعات، تمثلت في كل من تيميمون، تيبرغمين، شروين، بوكزين، أولاد سعيد، وفاتيس، ومن خلال الدراسة الميدانية في هذه المجمعات، استنتجنا أن الترقية الإدارية والوظائف التي توفرها في هذه المراكز، هي التي تتحكم في هذه التحولات، فلها دور في جذب السكان مختلف المناطق حسب نوع الوظائف التي يمكن أن تقدمها، كما أنها هي التي أثرت على أنماط الشغل لدى السكان الذي تغير من النشاط الزراعي، إلى العمل في الوظائف والنشاطات الخدماتية والتجارية، وغيرها، منتجة بذلك نمط آخر من العلاقات والتحركات التي تربط هذه القصور والمجمعات ببعضها البعض، يتميز بتبعية وارتباط القصور الصغرى بالمراكز العمرانية التي تكون أكثر تجهيزا.

أدت عملية التعمير الحديثة التي عرفتها واحات قورارة والتي مست مختلف جوانبها، إلى التأثير على النظام المحلي التقليدي الذي كان ينظمها، والإخلال بالتوازن الذي كان يربط الإنسان بالمجال، هذه التأثيرات يمكن ملاحظتها بشكل واضح من خلال تراجع أهمية العناصر المكونة لنظام الواحة. فالتحولات التنظيمية للمنطقة وما صاحبها من برامج تنموية أثرت في ميكانيزمات عمل نظام السقي بالفقارة وواحات النخيل، وكذا وظائف السكن التقليدي، فقد تدهور وأختفى أغلبها، خاصة بعد تعرضها للعوامل الطبيعية (زحف الرمال، الأمطار....) التي زادت من حدة الظاهرة، مجبرة بذلك مالكيها على التخلي عنها، فقد أصبح نظام الواحة اليوم في وضعية صعبة، تستدعي ضرورة التفكير في إعادة الاعتبار له، فعناصره على وشك أن تختفي معالمها نهائيا؛ في بعض النقاط من المنطقة، إعادة النظر في ذلك؛ يكون عن طريق تفعيل هذه العناصر من خلال صيانتها وتهيئتها، ليكون لها دور في الاقتصاد المحلي من خلال استرجاع وظائفها وبعض نشاطاتها السابقة.

مــراجع البحث

1. باللغة العربية:

1.1. رسائل ومذكرات:

برباوي عائشة.، 2000، «*من القصر إلى المدينة أو ديناميكية مدينة صحراوية في إقليم الساورة حالة "القنادسة ولاية بشار"* »، مذكرة مهندس دولة في الجغرافية، جامعة وهران، 129 ص.

بودريعة سامية.، 2009، «*شبكة المراكز الريفية كانطلاقة لبروز ظاهرة التعمير المصغر بضواحي قالمة* »، مذكرة ماجيستر في الجغرافية ، جامعة قسنطينة، 525 ص.

بوعلالة جلول، دحمان نور الدين.، 2005، «*قصر تمنطيط دراسة أثرية ومعمارية*»، مذكرة مهندس دولة في الهندسة المعمارية، جامعة الجزائر، 70 ص.

ثياقة الصديق.، 2006، «*النمط المعماري للمدينة الصحراوية (القصر) ووظيفته الاجتماعية، مقاربة أنثروبولوجية لقصر "تمنطيط" أدرار*»، مذكرة ماجيستر في العلوم الاجتماعية، جامعة وهران؟

بوحفص صادق، غنيم محمد.، 2004، «*الديناميكية العقارية وإشكالية التهيئة حالة مدينة تيميمون* »، مذكرة مهندس دولة في الجغرافية، جامعة وهران. 230 ص

حاج أحمد نور الدين.، 2011، «*المنهج الدعوي للإمام المغيلي، من خلال الرسائل التي بعثها الملوك والأمراء والعلماء* »، مذكرة ماجيستر في الشريعة الاسلامية، جامعة باتنة، 223 ص.

حاج حمو عبد الكريم، عزيزي أمحمد.، 2002، « *دراسة عمرانية لمجمعة صحراوية وعلاقتها بالقصور الأخرى ببلدية شروين، إقليم قورارة ولاية ادرار* »، مذكرة مهندس دولة في الجغرافية، جامعة وهران، 144ص.

حمو الزين عبد الرحمان.، قداوي نصر الدين.، 2002، «*الفضاء القصوري، وظيفته داخل الأنسجة الحضرية وإشكالية اندماجه "حالة مدينة ادرار"* »، مذكرة مهندس دولة في الجغرافية، جامعة وهران، 144 ص.

خلاصي وفاء.، 2006، «*شبكة المراكز الريفية كانطلاقة لبروز ظاهرة التعمير المصغر بضواحي قسنطينة* »، مذكرة ماجيستر في الجغرافية ، جامعة قسنطينة، 270 ص.

خليفة عبد القادر.، 2003، «*الهياكل الاجتماعية والتحولات المجالية في حي النزلة تقرت* »، مذكرة ماجيستر في العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 168 ص.

دحمون منى.، 2005، «*قصر بوسمغون بولاية البيض، دراسة أثرية تحليلية* »، مذكرة ماجيستر في الآثار الاسلامية، جامعة الجزائر، 210 ص.

شباشي مبروك، موساوي محمد.، 2005، « *نظام السقي التقليدي بمدينة تميمون (الفقارة)* »، مذكرة مهندس دولة في تسيير المدن و التقنيات الحضرية، المركز الجامع أم البواقي، 140 ص.

شرقي بشير.، 1999، « *دراسة عمرانية للقصر القديم بتيميمون* »، مذكرة مهندس دولة في الجغرافية، جامعة وهران، 108 ص.

شطوف فتيحة.،2011، « *تسيير الأخطار بمدينة صحراوية (حالة الفيضانات بمدينة تيميمون ولاية أدرار)* »، مذكرة مهندس دولة في الجغرافية، جامعة وهران، 207 ص.

شنوفي حبيب، العبادي عبد الحي.، 2003، «*عوائق ومؤهلات التنمية الزراعية في منطقة أوقروت، ولاية أدرار* »، مذكرة مهندس دولة في الجغرافية، جامعة وهران، 123ص.

شويشي زهية.، 2006، « *مجتمع القصور، دراسة في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافية لقصور مدينة تقرت* »، مذكرة ماجيستر في الجغرافية ، جامعة قسنطينة، 274 ص.

عمراني هواري، باها عبد السلام.، 2010، «*التحولات العمرانية في المناطق الصحراوية (حالة مقر بلدية أوقروت) ولاية ادرار* »، مذكرة مهندس دولة في الجغرافية، جامعة وهران، 131 ص.

لونيس أمحمد، بن شهرة عسلي.، 2005، « *دراسة لبعض جوانب التنمية لمركز عمراني يقع بالجنوب الغربي الجزائري حالة زاوية الدباغ* »، مذكرة مهندس دولة في الجغرافية، جامعة وهران، 145 ص.

متوكل فاطمة، بريك نصيرة.، 2003، «*ديناميكية قصور بلدية تسابيت ودور مقر البلدية بن طلحة في تنظيم مجالها (ولاية ادرار)* »، مذكرة مهندس دولة في الجغرافية، جامعة وهران، 141 ص.

ملوكي قدور، حفوض رمضان.، 2004، « *التجهيزات الجماعية بقصور قورارة* »، مذكرة مهندس دولة في الجغرافية، جامعة وهران، 135 ص.

2.1. مقالات علمية:

الدباغ جاسم.، 2002، « المجال والسكان في المدينة الصحراوية من الحصن إلى المدينة »، *مداخلات الملتقى الوطني "المجال والسكان"، لـ 14و15 افريل*، جامعة وهران، ص 69- 78.

المولودي محمد.، 2006، « تحول السكن الواحي ورهان التنمية المحلية، واحات تافيلالت بزيز الأوسط والأسفل »، *ندوة وطنية في موضوع السكن الريفي: التحولات وأفاق التنمية، 25- 26 ماي، كلية الأدب والعلوم الإنسانية*، شعبة الجغرافية، الجديدية المغرب، 15 ص.

ثياقة الصديق ؟، « الفقارة ودورها في الاستيطان البشري وهيكلة البناء الاجتماعي في القصر من خلال نظام "الخراسة" قراءة سوسيولوجية لمجتمعات "توات" في بلاد "القصور"، أدرار »، طالب دكتورة في علم الاجتماع الحضري، جامعة وهران.؟

حمداوي محمد.، 1999، « المجال السكني العائلي في الوسط الريفي التقليدي: الدار والقرية لدى "بني سنوس" »، *مجلة انسانيات*، العدد 7، CRASC وهران، ص 25-35.

خلف الله بوجمعة.، 2008، « ملامح الاستدامة في العمارة والعمران التقليدي الجزائري حالة قصر بوسعادة بالجزائر »، *مجلة العمران والتقنيات الحضرية*، العدد 3، 7 ص.

خليفة عبد القادر.، 2010، « من القصر الصحراوي إلى " المدينة الحديثة" »، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، العدد الأول، ص 126- 140.

خليفة عبد القادر.، 2008، « مدن الصحراء الجزائرية في تحولات " قصور الأمس، اليوم مدن" »، *مجلة التفكير في المدينة*، مقاربة مقارنة، الجزائر، 10 ص.

خيار عبد الله.، 2011، « أزمة الواحات التقليدية في الصحراء الجزائرية: واحة طولقة نموذجا »، *مجلة إنسانيات*، العدد 50- 51 CRASC، وهران، ص 19- 26.

لصقع موسى.، 2002، « المجال والسكان في المدينة الصحراوية من الحصن إلى المدينة »، *مداخلات الملتقى الوطني "المجال والسكان"، لـ 14و15 افريل*، جامعة وهران، ص 304- 320.

مرضي مصطفى، 1999.، « المجتمع الريفي من الاستقلالية إلى التبعية: معالم و دلالات »، *مجلة انسانيات*، العدد 7، CRASC، وهران، ص11-24.

يوسفي بدر الدين.،2011، « مدينة أدرار وفق السياق الحضري الجديد: نحو إعادة تنظيم المجال الجهوي للأقاليم الصحراوية الجنوبية الغربية للجزائر »، *مجلة إنسانيات*، العدد 50-51، CRASC، وهران، ص27- 50.

* رسالة ادرار، مجلة تصدر عن ولاية ادرار، العدد1

3.1. نصوص قانونية:

- **القرار** رقم 63 - 421 مؤرخ في 28 أكتوبر 1963، المعدل والمتمم، يتضمن إعادة التنظيم الاقليمي للبلديات، الجريدة الرسمية، الملحق رقم 2 العدد 82، لـ 5 نوفمبر 1963.

- **المرسوم التنفيذي رقم** 74- 124 مؤرخ في 12 جويلية 1974، يتضمن تحديد الحدود الإقليمية لولاية أدرار، الجريدة الرسمية، العدد 57، لـ 16جويلية 1974.

- **المرسوم التنفيذي** رقم 84- 365 مؤرخ في 1 ديسمبر 1984 يحدد تكوين البلديات ومشتملاتها وحدودها الإقليمية، الجريدة الرسمية، العدد 69 لـ 19 ديسمبر 1984.

- **القانون** رقم 90- 08 مؤرخ في 7 افريل 1990 يتعلق بالبلدية، الجريدة الرسمية، العدد 15 لـ 11 افريل 1990.

- **القانون** رقم 90- 29 مؤرخ في 1 ديسمبر 1990 يتعلق بالتهيئة والتعمير، الجريدة الرسمية، العدد 52 لـ 2 ديسمبر 1990.

- **القانون** رقم 98- 04 مؤرخ في 15 جوان 1998 المتعلق بحماية التراث الثقافي، الجريدة الرسمية، العدد 44.

- **التعليمة الوزارية المشتركة** رقم 06 المؤرخة في 31 جويلية 2002 والمتضمنة كيفيات إنجاز عمليات السكن الريفي في إطار جهاز التنمية الريفية.

2. باللغة الفرنسية:

1.2. كتب

BELLIL R., 1999, « *Les Oasis du Gourara (Sahara algérien) I* », Le temps des saints, Editions Peteers, Paris-Louvain, 307p.

BELLIL R., 2000, « *Les oasis du Gourara (Sahara algérien) II* ». Fondation des Ksour, Editions Peteers, Paris-Louvain, 276p.

BELLIL R., 2000, « *Les oasis du Gourara (Sahara algérien) III* ». Récits, contes et poésie, en dialecte tazenatit, édition Peteers, Paris-Louvain, 243p.

BELLIL R., 2003, « *ksour et saints du Gourara dans la tradition orale, l'hagiographie et les chroniques locales* », édition. Peeters Louvain, Paris 523p.

BENCHERIFA A, HERBERT POPP., 1992, « *L'oasis de Figuig persistance et changement* », Passau, Rabat, série essais et études n°3, Maroc, 109 p.

BENDJELID A., 1986, « *Planification et organisation de l'espace en Algérie* », OPU, Alger, 135p.

BENDJELID A., BRULE J.-C., FONTAINE J., 2004, « *Aménageurs et aménagés en Algérie* », L'Harmattan, Paris, 419p.

BISSON, J., 2003, « *Mythes et réalités d'un désert convoité: le Sahara* », L'Harmattan, Paris, 480 p.

BISSON J, et al., 1963, « *Nomade et nomadisme au Sahara, recherche sur la zone aride* », UNISCO, Paris, 192p.

BISSON J. (dir.), 1989a, « *Le Nomade, l'oasis et la ville* », Cahiers d'URBAMA n° 20, Tours, 288p.

BLIN L., 1990, « *L'Algérie, du Sahara au Sahel* », L'Harmattan, Paris, 501p.

COTE M., 2005, « *La ville et le désert, le bas- Sahara algérien* », Aix-en-Provence, Karthala – IREMAM, Paris, 305p.

COTE M., 2012, « *Signatures sahariennes terroirs et territoires vus du ciel* », méditerranés, Aix-en-Provence, 303p.

ÉCHALIER J.-C., 1968, « *Essai sur l'habitat sédentaire traditionnel au Sahara algérien* », IUUP, Th- Paris, 403, 216 p.

ÉCHALLIER J.-C., 1972, « *Villages désertés et structures agraires anciennes du Touat-Gourara (Sahara algérien)* », Arts et Métiers graphiques, Paris, 142 p.

ETIENNE B., 1967, « *développement rural au Sahara, la revivification de foggaras sur fonds publics dans l'arrondissement de Timimoun* », association algérienne pour la recherche démographique, économique, et sociale, Alger, 92p.

FRISCH R- J., 1902, « *Oasis sahariennes, occupation, organisation* », Paris, 34p.

GODARD C., 1954, « L'oasis moderne, *essai de d'urbanisme saharien* », la Mison de livre, Alger, 226p.

LACOSTE Y., 2003, « *de la géographie aux paysages* », dictionnaire de la géographie, Armand Colin /VUEF, Paris, 413p.

LARGEAU V., 1881, « *Sahara algérien, les déserts de l'Erg* », Préface, Librairie Hachette et C^{Le}, Paris, 352p.

MAROUF N., 1980, « *Lecture de l'espace oasien* », Sindbad, Paris, 281p.

MAROUF N., 2010, « *L'eau, la terre, les hommes. Passé et présent des oasis occidentales (Algérie)* », L'Harmattan, deuxième édition augmentée avec DVD inclus, Paris, 280p.

MOUSSAOUI A., 2002, « *Espace et sacré au Sahara, « ksour et oasis du sud-ouest algérien* », CNRS édition, Paris, 291p

POLESE M, JEANNE M, WOLFE E, 1995, « *l'urbanisation des pays en développement* », Ed Economica, France, 531p.

SOUAMI T., 2004, « *Aménageurs de villes et territoires d'habitants, un siècle dans le sud algérien* », L'Harmattan, Paris, 420p.

2.2. رسائل ومـذكرات

ALIEA A, AIT KADI S., **2012,** « *Performances thermiques du matériau terre pour un habitat durable des régions arides et semi arides: cas de Timimoun* », Thèse de Magistère en architecture, Université de Tizi ouzou, 109p.

BISSON J., 1957, « *Le Gourara. Etude de géographie humaine* », Mémoire n°3 université d'Alger, Institut de recherches sahariennes, 221 p.

BISSON V., 2005, « *dynamiques comparées de l'urbanisation en milieu tribal (Tunisie et Mauritanie)* », Thèse de Doctorat en géographie, Université de Tours, 357p.

CHAOUCHE B M., 2005, « *La Micro-urbanisation et la ville-oasis; une alternative à l'équilibre des zones arides pour une ville saharienne durable cas du Bas-Sahara* », Thèse de Doctorat en architecture, Université de Constantine, 439p.

DARI O., 2011, « *intégration de données de recensement et de la télédétection pour mesurer l'évolution socio-économique et environnementale en milieu urbain, cas de la ville Sherbrooke (1981-2006)*», Thèse de Philosophie Doctor, université de Sherbrooke, 206p.

HADEID M., 1996, « *Croissance et développement de petites villes et leur rôle dans l'organisation de l'espace de la steppe sud-oranaise (Algérie occidentale)* », Thèse de Magister en Géographie, Université d'Oran, 209p.

HADEID M., 2006, « *Les mutations spatiales et sociales d'un espace à caractère steppique, le cas des Hautes Plaines sud-oranaises (Algérie)* », Thèse de Doctorat en géographie, Université d'Oran, 467p.

KOUZMINE Y., 2003, « *l'espace saharien algérien, dynamiques démographiques et migratoires* », Maîtrise de Géographie, Université de Franche-Comté, 202p.

KOUZMINE Y., 2007, « *Dynamiques et mutations territoriales du Sahara algérien, vers de nouvelles approches fondées sur l'observation* », Thèse de Doctorat en géographie, Université de Franche-Comté, 424p.

MEGHOUFI A, BENTBELKACEM, K., 2002, « *Eau et espace agricole dans l'oasis d'Ouled-Saïd (Gourara, Algérie)* », Mémoire d'Ingénieur, aménagement rural, Université d'Oran, 81p.

MELIANI B H., 2007, « *Mutation des espaces ksouriens dans le Sud-Ouest Algérien cas de : Taghit* », Thèse de Magister en architecture, université d'Oran, 210p.

OTMANE T., **2010,** « *Mise en valeur agricole et dynamiques rurales dans le Touat, Gourara et Tidikelt (Sahara algérien)* », Thèse de Doctorat en géographie, Université d'Oran, 399 p.

YOUSFI B D., 2012, « *Dynamiques urbaines, mobilités et transports dans la Sud-Ouest Algérien (Wilayas d'Adrar et de Bechar)* », Thèse de Doctorat en géographie, Université d'Oran, 445p.

3.2. مقالات علمية

ADAD M C, MAZOUZ M T., 2013, « Les anciens et nouveaux ksour: étude comparative. Cas du M'zab », *Courrier du Savoir* N°16, pp.77-87.

ADAD M C, REDJEM A., 2012, « Production de l'habitat dans les nouveaux ksour, symbiose entre intervention de l'Etat et action Communautaire: cas du ksar Tafilelt dans la vallée du M'zab », *Revue perspectives et sociétés, Spécialisée en Sciences de l'homme et de la société*, Volume 3, numéro 2, pp 124-148.

ALKAMA D., 2005, « Une forte micro-urbanisation », in COTE M. (dir.) : *La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien*, Paris _ Aix-en-Provence, Karthala _ IREMAM, pp 41-56.

ALKAMA D, TACHERIFT A., 2001, « Essai d'analyse typo-morphologique des noyaux urbains traditionnels dans la région des Ziban », *Courrier du Savoir* N°01, pp. 81-88.

BADUEL P-R., 1984, « Une oasis continentale du Sud-Tunisien », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, N°38, pp153-170.

BALLAIS J.-L., 2005 b, « Les villes sahariennes et les ressources en eau », in COTE M. (dir.): *La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien*, Paris _ Aix-en-Provence, Karthala _ IREMAM, pp. 73-93.

BALOUL N A, DAHLI M., 2011, « Une nouvelle ville saharienne sur les traces de l'architecture traditionnelle », *in acte du Colloque international: Le patrimoine bâti et naturel au regard de la question du développement durable et du lien social : ressources, pratiques*, université de Rouen, (le 17-18 mars), 12p.

BALOUL N A, DAHLI M., 2011, « Le patrimoine ksourien du Touat-Gourara (Sud-Ouest algérien) un potentiel de développement local durable », *in acte du Colloque international: Le patrimoine bâti et naturel au regard de la question du développement durable et du lien social: ressources, pratiques*, université de Rouen, (le 17-18 mars), 15p.

BARATHON J – J, et al., 2005, « Les oasis de la région de Tata (Maroc): abandon de la vie oasienne traditionnelle et adaptation à la vie urbaine », *Annales de géographie*, Paris, Armand Colin, pp 449 - 461.

BEKHTI B, BOUAMMAR B,. 2008, « Le développement de l'économie agricole oasienne: entre la réhabilitation des anciennes oasis et l'aménagement des nouvelles palmeraies », *Revus de chercheur* n°06, pp 19-24.

BELGUIDOUM S., 2002, « Urbanisation et urbanité au Sahara », *Revue Méditerranée,* tome 99, n°3.4, pp 53-64.

BELGUIDOUM S., 2005a, « Les fondements socio-économiques de l'urbanisation contemporaine », in COTE M. (dir.) : *La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien*, Paris _

Aix-en- Provence, Karthala _ IREMAM, pp 204-214.

BELGUIDOUM S., 2005b, « Les groupes sociaux dans la ville: avoirs, savoirs et pouvoirs », in COTE M. (dir.) : *La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien*, Paris _ Aix-en-Provence, Karthala _ IREMAM, pp 215-233.

BELGUIDOUM S., 2005c, « La restructuration de l'espace urbain: de la cité à la ville », in COTE M. (dir.): *La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien*, Paris_Aix-en-Provence, Karthala _ IREMAM, pp 235-251.

BELKHATIR A., 1999, « Villes et territoires en Algérie », *Revue Méditerranée*, Tome 91, n°1-2, Littoralisation et disparités spatiales Machrek Maghreb, pp 73-84

BELLAL S A., 2005, « Exploitation des eaux souterraines dans la région du Touat-Gourara (Wilaya d'Adrar) », in MORO A, KALAORA B, (dir): *Le désert, de l'écologie du divin au développement durable*, France, l'Harmattan, pp 197-201.

BELLIL, R., 2002, « Les Zénètes du Gourara d'hier à aujourd'hui », *revue Passerelles*, n°24, Paris, 8p.

BEN HOUNET Y, GUINAND S., 2007, « La restauration des ksour: institution du patrimoine et enjeux de mémoire », *Espaces et sociétés*, n° 128-129, pp151-169.

BENDJELID A., et al. 1999, « Mutations sociales et adaptation d'une paysannerie ksourienne du Touat: Ouled Hadj Mamoun (wilaya d'Adrar, Algérie) », *Insaniyat*, n°7 (vol III, 1), CRASC d'Oran, pp 39-53.

BENDJELID A., 2001, « Armature urbaine et population en Algérie », *Insaniyat* n°13, pp131-138.

BENDJELID A., 2005, « Politique de mise en valeur et exploitations agricoles au Sahara (wilaya d'Adrar, Algérie) », in MORO A, KALAORA B, (dir): *Le désert, de l'écologie du divin au développement durable,* France, l'Harmattan, pp 169-175.

BENDJELID A., 2011, « Ouled Saïd, palmeraie du Gourara: développement local et reproduction d'une société traditionnelle », *Insaniyat*, n° 51-52, CRASC, Oran, pp 43-64.

BENSAAD A., 2005a, « Eau, urbanisation et mutations sociales dans le Bas-Sahara », in COTE M. (dir.): *La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien*, Paris _ Aix-en-Provence, Karthala IREMAM, pp 95-119.

BESSAOUD O., 2006, « La stratégie de développement rural en Algérie » *Options Méditerranéennes*, Sér. A / n°71, pp79-89.

BISSON J., 1984, « Tinerkouk et Tarhouzi: Déménagement ou désenclavement de 1'Erg occidental? », *Enjeux Sahariens*, Paris, CRESM - CNRS, pp 275-292.

BISSON J., 1990, « permanence d'une paysannerie au Sahara algérien: exemple des confins du grand erg occidental », *Options Méditerranéennes*, Sér. A l n 11, - Les systèmes agricoles oasiens, pp 289-298.

BISSON J., 1993, « L'oasis entre modèles et chorèmes : variations sur le Gourara (Sahara algérien) », *les Cahiers d'URBAMA* n°8, Université de Tours, pp 131- 140.

BISSON J., 1996, « Paysanneries du Sahara maghrébin: dynamiques locales et politiques de développement », in FONTAINE J. (dir.): *Sociétés sahariennes, entre mythes et développement*, *Cahiers d'URBAMA* n°12, l'Université de Tours, pp 63-80.

BISSON J., 1999, « Gourara », *Encyclopédie berbère*, n° *21 | Gland – Hadjarien*, Aix-en-Provence, Edisud, pp 3188-3198.

BISSON J., 1983a, « De la mobilité des terroirs à la stabilisation de l'espace utile l'exemple du Gourara (Sahara algérien) », *CNRS (URBAMA)*, Université de Tours pp 389- 399.

BISSON J., BISSON V., 2002 : « Rôle et évolution des capitales de région dans le fonctionnement de l'espace au Sahara », *Revue Méditerranée*, tome 99, n°3.4, pp. 65-70.

BISSON J., **CALLOT, Y., 1986**, « Des monts des Ksour au Grand Erg occidental. Adaptation ou disparition de la vie nomade? », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, N°41-42, pp 357-377.

BISSON J, JARIR M., 1986, « Ksour du Gourara et du Tafilelt, de l'ouverture de la société oasienne à la fermeture de la maison », *Annuaire de l'Afrique du Nord*, Tome XXV, CNRS, pp 329-345.

BISSON J, ROGNON P, GRIVOT F, 1978, « Robert Capot-Rey (1897-1977): Trente ans de géographie Saharienne », *Annales de Géographie*, t 87, n°479. pp 59-77.

BISSON, V,. 2009, « Dynamiques comparées de l'urbanisation en milieu tribal (Tunisie et Mauritanie) », *Insaniyat* n°44-45, pp 235-238.

CHAKER S., 1972, « La langue berbère au Sahara », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, N°11, pp 163-167.

CHAOUCHE-B M, 2007 « Adrar ville-oasis : pour une ville saharienne durable », *Sciences & Technologie*, D – N°25, pp 14-24

CHAOUCHE- B M., 2008, « Touggourt ou la dynamique d'une ville aux sept ksour », *Sciences & Technologie* – N°28, pp 9-18.

CHAROY J, TORREN H., 1990, « Origine, gestion de l'eau, évaluation des aquifères dans les oasis », *Options Méditerranéennes* Séré A /n°l1, pp 229- 235.

CHEYLAN J-P., 1990, « Les oasis saharien à Foggara mutation social sous forte contraintes écologiques », *Mappemonde* n° 04, pp 44- 48.

CLOUET Y., 1995, « Les oasis », *Mappemonde*, n°4, pp 44- 48.

COLONNA F., 1978, « La ville au village, Transferts de savoirs et de modèles entre villes et campagnes en Algérie », *française de sociologie*, 19-3, pp 407-426.

COTE M., 1993, « Espoirs et menaces sur le Sahara algérien : les formes récentes de mise en valeur agricole », *les Cahiers d'URBAMA*, n°8, Université de Tours, pp 11- 28.

COTE M., 1998, « Dynamique urbaine au Sahara », *Insaniyat* n°05, CRASC, Oran, pp85- 92.

COTE M., 2002, « De quelques villes nouvelles au Sahara », *Revue Méditerranée*, tome 99, n° 3.4, pp71-75.

COTE M., 2002, « Des oasis aux zones de mise en valeur: l'étonnant renouveau de l'agriculture saharienne », *Revue Méditerranée*, Tome 99, 3-4, pp 5-14

COTE M., 2002, « Une ville remplit sa vallée: Ghardaïa (Note) » *Revue Méditerranée*, Tome 99, 3-4, pp 107-110.

COTE M., 2005, « L'urbanisation aujourd'hui au Bas-Sahara », in COTE M. (dir.): *La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien*, Iremam/Karthala, Paris, pp 14-26.

COURADE G, BRUNEAU M., 1983, « Développement rural et processus d'urbanisation dans le tiers-monde », *Cuh. O.R.S.T.O.M.,* sér. Sci. Hum., vol. XIX, n°1, pp 59-92.

DARI O., 2005, « Dégradation de l'environnement dans le Touat et le Gourara », in MORO A, KALAORA B, (dir): Le désert, *de l'écologie du divin au développement durable*, France, l'Harmattan, pp 203-222.

DESPOIS J., 1958, « Le Souf et le Gourara (Sahara) », *Annales de Géographie*, Tome 67, n°361 pp 263-264.

DJELAL N., 2007, « Politiques urbaines et rôle des acteurs publics dans les dynamiques territoriales en Algérie », *In actes de colloque du dynamiques territoriales : débats et enjeux entre les différentes approches disciplinaires, association de ASRDLF*, université de Grenoble, France, 12p.

DJENNANE A., 1990, « Constat de situation dans des zones Sud des oasis algériennes », in Dollé V, Toutain G, (dir.) : *Les systèmes agricoles oasiens. Montpellier, CIHEAM (Options Méditerranéennes : Série A. Séminaires Méditerranéens; n°11)*, pp 29-40.

DROZDZ M, TABARLY S., 2005, « Places marchandes, places migrantes dans l'espace saharo-sahélien », *Revue Brève*, n° 5, 11p.

DROZDZ M., **2011,** « Une géographie urbaine à la marge ? Formes et processus de l'urbanisation saharienne égyptienne (hors marges du Delta et de la Vallée) 1917-2006 », *Insaniyat*, n° 51-52, CRASC, Oran, pp 135-148

DOMINIQUE C., 2011, « Sahara en mouvement », *L'année du Maghreb*, VII, pp 5-23.

DUBOST D., 1989, « La ville, les paysans et le développement agricole au Sahara algérien », *in* BISSON J. (dir.) : *Le Nomade, l'oasis et la ville, Cahiers d'URBAMA* n° 20, Tours, pp 133-150.

FARHI A., 2002, « Biskra: de l'oasis à la ville saharienne », *Revue Méditerranée*, Aix-en-Provence, n° 3-4, pp 77-82.

FREY J-P., 2013, « Adrar et l'urbanisme ou la sédentarisation erratique des oasis du Touat », *les cahiers d'EMAM*, n°22, pp 7-45

FLAMAND G.B M., 1899, « La traversée de l'erg occidental », *Annales de Géographie*, Tome 8, n°39. pp 231-241

FONTAINE J., 1996, « Les populations sahariennes », *Les Cahiers d'URBAMA*, n°12, Université de Tours, pp 33-44.

FONTAINE J., 2005, « Infrastructure er oasis-relais migratoires au Sahara algérien », *Annales de géographie* n° 644, Armand Colin, pp 437- 448.

FONTAINE J, KOUZMINE Y., 2004, « Infrastructures et migrations au Sahara algérien », In: REMAOUN N-B, HADDAB M, (dir*), l'Algérie 50 ans après, Etats de savoirs en sciences sociales et humaines* 1954-2004, Oran, CRASC, pp 403- 426.

GAUTIER E-F., 1903, « Sahara Oranais », *Annales de Géographie*. Tome 12, n°63, pp235-259.

GAUTIER E-F., 1907, « Études Sahariennes (premier article) », *Annales de Géographie*. Tome 16, n°85. pp 46-69.

GAUTIER E-F., 1907, « Études Sahariennes, (Second article) », *Annales de Géographie*, Tome 16, n°86. pp 117-138.

GRANIER J-C., 1980, « Rente foncière et régulation économique dans le Gourara, Algérien », *Revue Tiers-Monde*, Tome 21 n°83. pp 649-663.

GREGOIRE E., 2011, « Réseaux, urbanisation et conflits au Sahara », *Insaniyat*, n° 51-52, CRASC, Oran, pp 29-42.

GUILLERMOU Y., 1993, « Survie et ordre social au Sahara Les oasis du Touat-Gourara-Tidikelt en Algérie », *Cahiers des Sciences Humaines*, n°29, pp121-138.

GUILLERMOU Y., 1999, « Villes et campagnes en Algérie », *Autrepart (11),* pp 47-60.

HADEID M., 2005, « Niveau d'équipement des ksour du Touat (Algérie) », in MORO A, KALAORA B, (dir): *Le désert*, d*e l'écologie du divin au développement durable,* France, l'Harmattan, pp 223-239.

KASSAH A., 1993, « Tozeur et son oasis: problème d'aménagement d'une ville oasienne », *les Cahiers d'URBAMA*, n°8, Université de Tours, pp 51- 77.

KATEB K., 2003, « population et organisation de l'espace en Algérie », *L'Espace géographique*, pp 311 - 331.

KOUZMINE Y., 2005, « Les villes sahariennes algériennes et le développement urbain durable, ville réelle, ville normative », *Bulletin de la SNG*, n°49, Perspectives urbaines, pp85-103.

KOUZMINE Y., 2008, « L'action publique et les réseaux de transports au Sahara algérien, étapes d'une intégration territoriale pour un développement régional », *XIVe Colloque de l'ASRDLF, Territoires et action publique régionale: vers de nouvelles ressources pour le développement régional, Rimouski (Québec),* Actes en ligne à l'URL: http://asrdlf.u-bordeaux4.fr/ 14p.

KOUZMINE Y., 2010, « Villes sahariennes et migrations en Algérie, polarisation et structures spatiales régionales », in BENDJELID A. (dir.*), Ville d'Algérie. Formation, vie urbaine et aménagement*, CRASC, Oran, pp 127-137.

KOUZMINE Y, AVOCAT H., 2008, « L'eau et les territoires sahariens en Algérie, mutations et enjeux », in *Eau, ville et environnement*, Alger, Edit du CRASC et ANDRU (Agence nationale pour le développement de la recherche universitaire), pp 165-175.

KOUZMINE Y, FONTAINE J, YOUSFI B, OTMANE T., 2009, « Etapes de la structuration d'un désert: l'espace saharien algérien entre convoitises économiques, projets politiques et aménagement du territoire », *Annales de géographie* n°670, pp659 - 685.

KOUZMINE Y, OTMANE T, YOUSFI B., 2008, « Les dynamiques territoriales du Sud-ouest saharien en Algérie, un projet de cartographie dynamique et interactive », *in Actes du Colloque international, Rencontres du Réseau Européen de l'Intelligence Territoriale (caENTI),* Université de Franche-Comté, Besançon, France, 10p.

KOUZMINE Y., OTMANE T, 2011, « Timimoun, évolution et enjeux actuels d'une oasis saharienne algérienne », *Insaniyat*, n° 51-52, CRASC, Oran, pp 165-183.

LABASSE J., 1957, « L'économie des oasis, ses difficultés et ses chances », *Revue de géographie de Lyon*. Vol. 32 n°4, pp 307-320.

LACHIBI T, ALKAMA D., 2010, « L'organisation territoriale et la structure spatiale en Algérie », *Courrier du Savoir*, n°10, pp 103-110.

MAHROUR I., 2011, « Contribution à l'élaboration d'une typologie "umranique" des ksour dans Gourara », *Insaniyat*, n° 51-52, CRASC, Oran, pp 197-219.

MAROUF N., 2005, « La terre, l'eau, l'échange, ou la trilogie oasienne: l'art du partage », in MORO A, KALAORA B, (dir): *Le désert, de l'écologie du divin au développement durable,* France, l'Harmattan, pp 125-159.

MAZOUZ S., **2005a, «** Mémoire et traces: le patrimoine ksourien », in COTE M. (dir.): *La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien*, Paris, Aix-en-Provence, Karthala, IREMAM, pp122-152.

MAZOUZ S., **2005b,** « L'habitat des 19e et 20e siècles, ruptures et éclatements », in COTE M. (dir.): *La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien*, Paris, Aix-en-Provence, Karthala, IREMAM, pp 153-186.

MESTOUL D, et al., 2011, « Pour une caractérisation des phénomènes extrêmes de changements climatiques en zones arides. Cas d'ensablement à Touat-Gourara, en Algérie », In *Actes du Colloque international, de la 6eme journée scientifique du 2iE Ouagadougou*, 5p.

MEYNIER O., 2007, « La pacification du Sahara et la pénétration saharienne (1852-1930) » *LACOUR*, France, 62p.

MIGNERON J-G., 1972, « L'utilisation de l'analyse factorielle en planification urbaine et régionale, une analyse socio-économique de la population de centre de L'ile de Montréal », *Revue géographie Montréal*, Vol, XXVI, n°3, pp 251- 270.

MOREL A., 1973, « Villages et oasis des Monts Bagzans (Massif de l'Aïr-Niger) », *Revue de géographie alpine*. Tome 61 n°2, pp 247-266.

PLIEZ, O., 2000, « Le Sahara libyen dans les nouvelles configurations migratoires », *Revue européenne de migrations internationales*, Vol. 16 N°3, pp165-181.

PLIEZ, O., 2002, « Vieux réseaux et nouvelles circulations entre les deux rives du Sahara », *Revue Méditerranée*, Tome 99, 3-4, pp 31-40.

PLIEZ, O., 2002, « Sebha, une grande ville du Sahara libyen (note) », *Revue* Méditerranée, Tome 99, N° 3.4, pp 91-94.

PLIEZ, O., 2006, « Nomades d'hier, nomades d'aujourd'hui, Les migrants africains réactivent-ils les territoires nomades au Sahara? », *Annales de géographie*, n° 652, Armand Colin, pp 688-707.

PERRET R., 1935, « Le climat du Sahara », *Annales de Géographie*, 44, n°248, pp162-186.

REMINI B, ACHOUR B., 2008, « Les foggaras du grand Erg occidental Algérien », *Journal de LARHYSS, (Laboratoire de Recherche en Hydraulique Souterraine et de Surface)* n° 07, pp 21-37.

RUFFIE J, DUCOS J, VERGNE H., 1963, « Étude hémotypologique des populations du Tidikelt (Sahara central) *», Revue Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris*, XI° Série, Tome 4 fascicule3, pp 531-544.

SADKI A., 2007, « Urbanisme et dégradation de l'habitat traditionnel des oasis du Sud-Est Marocain: L'exemple des Ksour du Tafilalet (Province d'Er-Rachidia), Urbaniste-environnementaliste, Conservateur des Monuments historiques et des sites, Inspection Régionale des Monuments Historiques et des Sites, Meknès (Maroc) » ?, 19p.

SANMARTIN O., 2011, « Frontière, territoire et mémoires à Figuig, oasis confins marocains », *Annales de géographie*, n°682 Armand Colin, Paris, pp 683-696.

SCHEELE J., 2012, « L'énigme de la foggara: commerce, crédit et agriculture dans Touat algérien », *Revue l'E.H.E.S.S (Annales. Histoire, Sciences Sociales)*, pp 471- 493.

SCHEELE J., 2011, « Circulation marchandés au Sahara: entre licite et illicite »**,** *La Découverte/ Hérodote,* pp 143-162.

SPIGA S., 2005, « Aménageurs et migrants dans les villes du Grand Sud algérien », *Autreparl (36)*, pp 81- 103.

SPIGA S., 2002, « Tamanrasset, capitale du Hoggar: mythes et réalités », *Revue Méditerranée,* Tome 99, 3-4, pp 83-90.

SUTER K., 1953, « Étude sur la population et l'habitat d'une région du Sahara algérien: Le Touat », *Revue de géographie alpine*. Tome 41 N°3. pp 443-474.

TRACHE S.M., 2010, « les caractéristiques de l'immigration à Adrar », in BENDJELID A, (dir.), *Ville d'Algérie. Formation, vie urbaine et aménagement*, CRASC, Oran, pp139- 155.

TRACHE S M, **2011,** « Adrar, des Ksour à la grande ville », *Insaniyat*, n° 51-52, CRASC, Oran, pp 149-163.

TROIN J.F., 2005, « Iles et oasis: de l'isolat au monde», *Annales de Géographie*, n°644, pp 3-4.

TROUSSET P., 1986, « Les oasis présahariennes dans l'Antiquité: partage de l'eau et division du temps », *Revue Antiquités africaines*, n° 22, pp 163-193.

VOLLE M ., 1978, « L'analyse des données », *Economie et statistique*, N°96, pp 3-23.

YOUSFI B., 2013, « Mutation de l'habitat: normalisation technique et implications sociales Dans les villes du Sud-ouest algérien », *Le sociographe*, n° 44, pp 45-52.

ZIMMERMANN M., 1907, « Situation actuelle des Territoires du Sud-algérien, puits artésiens et communications », *Annales de Géographie*, Tome, 16, n°90 pp 468-471.

4.2. وثائق إحصائية

- **DPAT de la wilaya d'Adrar,** Annuaire statistique, 2007, 2011, de la wilaya d'Adrar.
- **ONS 1992,** Collections statistiques n°38, évolution des agglomérations 1966, 1977, 1987.
- **ONS 2002,** Collections statistiques n°104, évolution des agglomérations 1987, 1998.
- **ONS,** Armature urbaine de 2008.
- **ONS 2012,** Premier recensement économique 2011, résultats définitifs de la première phase. Collections statistiques n°172, série E.
- **RGPH** de 2008, wilaya d'Adrar.
-**TRC** (Tableaux récapitulatifs par communes), 1966, 1977, 1987, 1998, 2008. Communes du Gourara, ONS d'Oran.

5.2. تقارير ودراسات

- Ministère des ressources en eau., 2007, « La foggara dans les Oasis du Touat, Gourara et de Tidikelt, définition, propositions de réhabilitation et de sauvegarde », Agence de bassin, hydrographique Sahara. 9p.

-**Ministère de la culture., 2007,** le schéma directeur des zones archéologiques et historiques. 115p.

- DPAT de la wilaya d'Adrar, Plan de développement et d'aménagement de la wilaya d'Adrar, Centre National des études et d'analyses pour la planification, Alger, Rapport diagnostic, 1990.

- **PDAU** du groupement des communes de Timimoun- Ouled Saïd 1996.
- **PDAU** du groupement des communes d'Aougrout- Metarfa- Deldoul 1995.
- **PDAU** du groupement des communes de Chaouine- Ouled aissa- Talmine 1995.
- **PDAU** du groupement des communes de Tinerkouk- ksar kadour 1997.
- **Révision du PDAU** de Timimoun 2008.
- **Révision du PDAU** de Tinerkouk 2008.
- **POS** de Ouled Mahmoud, 2010.
- **POS 1** de Tiberghamine, 1999.

- **POS 2** de Tiberghamine, 2001.

6.2. دراسات اخرى

- VICTOR B., 1891, "éditeur militaire", Sahara algérien, Gourara, Touat, Tidikelt, caravanes et transsaharien LÉON Roches, tome I, 130p.

- CHARLES-L R., 1916, "éditeur militaire", Organisation de l'armée. II^{e} partie. Cadres et effectifs .Volume mis à jour à la date du 18 avril 1916, Paris, 727p.

- **Comandant GODARD., 1954, "**éditeur militaire", « L'oasis modern, essai d'urbanisme saharien », la maison des livres, Alger, 227p.

الملاحـق:

ملحق رقم 1: فهرس المصطلحات

ملحق رقم 2: قائمة المختصرات المستعملة

ملحق رقم 3: استمارات التحقيق

ملحق رقم 4: خرائط لقصور ومجمعات منطقة قورارة

الملحق رقم1: فهرس المصطلحات Glossaire

مصطلحات Glossaire

أغام (Arram)**:** وهو القصبة

أفراق (Afrag)**:** أسوار مصنوعة من زعف النحيل لحماية الواحات من زحف الرمال.

البور (bour)**:** هي تلك الواحات الجافة التي هجرها مالكيها واكتستها الكثبان الرملية.

التويزة (Touiza)**:** العمل للجماعي بين سكان الواحات، سواء في أعمال الزراعة أو في الفقارات.

الجنان (Igran) أو إقران**:** كلمة محلية تطلق على واحات النخيل والبساتين التقليدية. تكون هذه البساتين مقسمة إلى قطع أرضية مزروعة تتوزع بين اشجار النخيل.

الزمام (Zemame)**:** دفتر تسجل فيه، تسجل فيه أسماء المالكين وكمية الماء في الفقارة

الزيارة (Ziara): المناسبات التي تقام سنويا للأولياء ومؤسسي القصور.

الزوى (Zouwa) **:** اسم يطلق على القبائل التي سكنت منطقة دلدول، لذلك أصبحت تسمى ببلاد الزوى.

الرحبة (Rahba): مجال عمومي اجتماعي يتوسط القصر.

السواني: (Swani)**:** كلمة تعني الجمال المستعملة من أجل استخراج المياه من الآبار من أجل السقي وهي الطريقة التي كانت المستعملة في استغلال المياه الجوفية في قصور بلدية قصر قدور لذلك اخذت هذا الاسم.

الشقفة (Chagfa) **:** عبارة عن آلة تقليدية مصنوعة عادة من مادة النحاس تستعمل لقياس مياه الفقارة

القمون (Gmoun) أو أقمون**:** وهو القطع الأرضية التي يتم تحديدها للزراعة عند أقدام النخيل في الواحات.

الماجن:(Tijent) أو تيجنت، حوض لتجميع المياه، يكون مصنوع من مادة الطين، يستعمل لسقي واحات النخيل.

المحارزة: اسم يطلق على القبائل العربية التي استقرت بقصور تينركوك

سقاق (Skake)**:** ويقصد بها الأزقة الموجودة داخل القصر

تمصريت (Timesraie) جمعها تيمصاري**:** ويقصد بها دار الزاوية أو دار جماعة القصر.

تيقورارين (Tigourarine) **:** مجموعة من القصور تجمع فيها السكان

غوط (Gout): واحات النخيل التي ظهرت وسط الكثبان الرملية

الملحق رقم 2: قائمة المختصرات المستعملة Liste des sigles utilisés

A.C.L : Agglomération chef-lieu

A.C.P : Analyse en Composantes Principales

A.F : Analyse Factorielle

A.F.C : Analyse Factorielle des Correspondances

A.N.R.H : Agence Nationale des Ressources en Eau

A.S: Agglomération Secondaire

C.N.L: Casé Nationale du logement

C.O.S: Coefficient d'Occupation du Sol

D.P.A.T : Direction de la Planification et de l'Aménagement du Territoire

H.R : Habitat Rural

L.E : Logement Evolutif

L.P.L : Logement public locatif

L.S.P : Logement Social Participatif

O.N.S : Office Nationale des Statistiques

O.P.G.I : Office de Promotion et de Gestion Immobilière

P.D.A.U : Plan Directeur d'Aménagement et d'Urbanisme.

P.C.D : Plan de Développement Communal

P.M.U : Plan de modernisation urbaine

P.O.S : Plan d'Occupation des Sols

P.S.S : Programme Spécial de Sud

P.S.W : Programme Spécial de Wilaya

P.U.D : Plan d'Urbanisme Directeur

P.U.P : Plan d'Urbanisme Directeur

R.H.P: Résorption de l'Habitat Précaire.

S.L.E.P : Subdivision du Logement et des Equipements Publics

Z.E : Zone Eparse

ملحق رقم 3: استمارات التحقيق

النموذج 1: استمارة استبيان خاصة بالسكان والسكن

اسم القصر:..... رقم المقاطعة:..... رقم الجزيرة:.....
رب الأسرة: الأب☐ الأم ☐ الابن☐ البنت ☐ أخر من هو.....
السن:..... مكان الازدياد: (القصر/البلدية/ الولاية).....
الحالة المدنية:أعزب(ة)☐ متزوج(ة)☐ أرمل(ة) ☐ مطلق (ة) ☐
المستوى الدراسي: مدرسة قرآنية☐ ابتدائي ☐ متوسط☐ ثانوي☐ جامعي☐
مهنة رب الأسرة:..... القطاع المهني:.....
مكان العمل: القصر:.....وسط المدينة:.....البلدية.....خارج الولاية:.....
مهنة ثانوية: نعم☐ ما هي؟..... لا☐
المهنة السابقة:.....مكان العمل:.....
عدد الأسر في المسكن:..... عدد الغرف في المسكن:.....
عدد الأفراد في المسكن:.....ذكور:أقل من15:.....15-65 سنة:....أكثر من65.....
إناث:اقل من 15....15-65 سنة.....اكثرمن65 سنة.....
عدد الأفراد المتمدرسين:..... ذكور..... إناث.....
عدد الأفراد المشتغلين:.....ذكور:.....إناث:...../عدد الأفراد غير المشتغلين:.....

الأفراد / الجنس	(1)	(2)	(3)	(4)	(5)	(6)	(7)	(8)
المستوى التعليمي								
المهنة								
مكان العمل/الدراسة								
وسيلة التنقل								

الإقامة:

السكن السابق:

مكان السكن السابق: (القصر/البلدية/ الولاية).....
الوضعية العقارية للمسكن: ملك☐ ارث☐ مستأجر ☐ سكن عائلي ☐
نمط بناء المسكن: القصر ☐ بناء ذاتي☐ تجزئة ☐ وظيفي☐ تساهمي☐ إيجاري☐ ريفي ☐
وظيفة المسكن: سكن☐ سكن+ وظيفة ☐ نوع الوظيفة:.....
موقع المسكن ضمن المجمعة: داخل النسج التقليدي للقصر☐ خارج النسيج التقليدي☐
مواد بناء المسكن: طين☐ اسمنت☐ مختلطة☐
التجهيزات الموجودة في السكن: كهرباء☐ ماء☐ صرف صحي ☐ هاتف ☐ انترنت☐
حالة المسكن السابق: جيدة☐ متوسطة☐ رديئة☐
ما مصير المسكن السابق: هدم☐ بيع☐ اهمال☐ تركها لوظيفة اخرى☐ أخرى ما هي.....

السكن الحالي:

سنة بناء أو استعمال المسكن:.....
الوضعية العقارية للمسكن: ملك☐ ارث☐ مستأجر ☐ سكن عائلي☐
نمط بناء المسكن: القصر ☐ بناء ذاتي☐ تجزئة☐ وظيفي☐ تساهمي☐ إيجاري☐ ريفي☐

وظيفة المسكن: سكن☐ سكن+ وظيفة ☐ نوع الوظيفة:.....

موقع المسكن ضمن المجمعة: داخل النسج التقليدي للقصر☐ خارج النسيج التقليدي☐

مواد بناء المسكن: طين☐ اسمنت☐ مختلطة☐

حالة المسكن الحالي: جيدة☐ متوسطة ☐ رديئة☐

من هو مقترح هندسة بناء المسكن:الأب☐ الزوجة☐ الأبناء ☐

التجهيزات الموجودة في السكن: كهرباء☐ ماء☐ صرف صحي ☐ هاتف☐ انترنت☐

هل استفدت من منحة البناء الريفي او الهش : نعم☐ متى..... لا ☐ لماذا؟.....

كم هو مبلغ الاستفادة:.....

كيف تم استعمال منحة البناء الريفي: البناء في نفس المسكن☐ بناء مسكن جديد ☐ لماذا؟.....

هل لديك مسكن أخر او ارض هنا: نعم☐ لا☐

إذا كان نعم ما هي طبيعته؟: القصر☐ بناء ذاتي☐ تجزئة ☐ وظيفي☐ تساهمي ☐ إيجاري ☐ ريفي ☐

واين يوجد؟.....

هل تريد تغيير مكان السكن(القصر)؟: نعم☐لماذا؟.....لا ☐

أين تريد السكن: خارج القصر☐ خارج النسيج التقليدي للقصر☐ لماذا؟.....

التنقلات:

من أين تشترون حاجياتكم اليومية:

	من نفس القصر	القصر المجاور	مركز البلدية	مدينة تيميمون
خضر وفواكه				
مواد غذائية				
المواد الأخرى				

وسيلة النقل المستعملة: تاكسي☐ حافلة☐ سيارة خاصة ☐ دراجة ☐

كم مرة تتنقل إلى مركز البلدية: يوميا ☐ مرة في الأسبوع ☐ أخرى كم:.....

لأي الأغراض تتنقلون مركز البلدية: الصحية ☐ الإدارية☐ العمل☐ التعليمية ☐ شراء المستلزمات ☐

هل تتنقلون الى مدينة تيميمون: يوميا ☐ اقل☐ كم:.....

لأي الأغراض تتنقلون الى مدينة تيميمون: الصحية☐ الإدارية☐ العمل ☐ التعليمية☐ شراء المستلزمات☐

وضعية القصر:

هل يتوفر القصر على التجهيزات: التعليمية☐ الصحية☐ الدينية ☐ الثقافية☐ الإدارية ☐ الرياضية☐

هل يتوفر القصر على شبكات: الكهرباء ☐ الصرف الصحي ☐ الماء☐ الهاتف ☐

هل توجد لجنة أو جمعية للقصر؟: نعم☐ لا ☐لماذا؟.....

هل تشارك فيها؟:نعم ☐ لا☐ لماذا؟.....

ما هو رأيك حول التخلي على السكن التقليدي؟.....

ما هي المشاكل التي تعانون منها في القصر؟:.....

ما هي الحلول التي تقترحونها؟:.....

وضعية الواحات:

هل تملك؟:بستان ☐ أم استصلاح☐ لا شيء☐ لماذا؟.....

في حالة نعم أين يقع البستان؟ : قرب المسكن☐ بعيد عن المسكن☐

ما هو اسم المحيط المسقي؟:.....

هل لديك في البستان؟: فقارة ☐ أو بئر ☐
هل تشتغل في البستان يوميا ☐ نهاية الاسبوع ☐ لماذا؟.....

النموذج 2: استمارة استبيان خاصة بالتجهيزات الصحية

الموقع:.....

اسم المؤسسة:.....سنة الافتتاح:.....
عدد الأطباء: طب عام:.....طب خاص:.....
عدد الممرضين:..... ذكور:..... إناث:.....
عدد العمال:..... ذكور:..... إناث:.....
أنواع التخصصات داخل
المؤسسة:.....
معدل المرضى المتوافدين على المؤسسة:.....
وضعية البناء: جيدة ☐ متوسطة ☐ رديئة ☐
المشاكل التي تعاني منها
المؤسسة:.....
.....
.....
.....

بالنسبة للموظفين:

الموظف: ☐ ☐

السن:..... مكان الازدياد: القصر/الحي:..... البلدية..... خارج الولاية:.....

مكان السكن: القصر/الحي:..... البلدية.....

المهنة:.....

سنة بداية العمل بالمؤسسة:.....أين كنت تعمل من قبل:.....
البلدية:.....

ما هو سبب اختيارك للعمل في هذه
المؤسسة:.....

إذا كنت تسكن القصر ما هي وسيلة التنقل المستعملة: النقل المدرسي ☐ سيارة خاصة ☐ النقل العام ☐

هل التنقل: يومي ☐ نهاية الأسبوع ☐

النموذج 3: استمارة استبيان خاصة بالتجهيزات التعليمية

اسم المؤسسة:.....سنة الافتتاح:.....

الطور التعليمي للمؤسسة:.....

عدد المدرسين:.....عدد العمال:.....

عدد التلاميذ:..... ذكور:..... إناث:.....

عدد الأقسام البيداغوجية:.....

نظام المؤسسة: داخلي ☐ نصف داخلي ☐ خارجي ☐

إذا كان النظام داخلي: كم عدد التلاميذ الداخليين:..... ذكور:..... إناث:.....

أصلهم الجغرافي:.....

إذا كان النظام داخلي نصف داخلي: كم عدد التلاميذ:..... ذكور:..... إناث:.....

أصلهم الجغرافي:.....

وضعية البناء: جيدة ☐ متوسطة ☐ رديئة ☐

المشاكل التي تعاني منها المؤسسة:.....

بالنسبة للتلاميذ، المدرسين والموظفين

التلاميذ:

التلميذ: ذكر ☐ أنثى ☐

السن:..... مكان الازدياد: القصر/الحي:..... البلدية..... خارج الولاية:.....

مكان السكن: القصر/الحي:..... البلدية.....

المستوى الدراسي للتلميذ:.....

هل تدرس في المؤسسة منذ السنة الأولى: نعم ☐ لا ☐ أين كنت تدرس:.....

في أي مؤسسة درست الطور السابق:.....البلدية:.....

ما هو سبب اختيارك للدراسة في هذه المؤسسة:.....

إذا كنت تسكن القصر ما هي وسيلة التنقل المستعملة: النقل المدرسي ☐ سيارة خاصة ☐ النقل العام ☐

هل التنقل: يومي ☐ نهاية الأسبوع ☐

المدرسين والموظفين:

الموظف: ذكر ☐ أنثى ☐

السن:..... مكان الازدياد: القصر/الحي:..... البلدية:..... خارج الولاية:.....

المهنة:.....

مكان السكن: القصر/الحي:..... البلدية.....

سنة بداية العمل بالمؤسسة:.....أين كنت تعمل من قبل:..... البلدية:.....

ما هو سبب اختيارك للعمل في هذه المؤسسة:.....

إذا كنت تسكن القصر ما هي وسيلة التنقل المستعملة: سيارة خاصة ☐ النقل العام ☐ سيارة أجرة ☐

هل التنقل: يومي ☐ نهاية الأسبوع ☐

ملحق رقم 4: خرائط لقصور ومجمعات منطقة قورارة

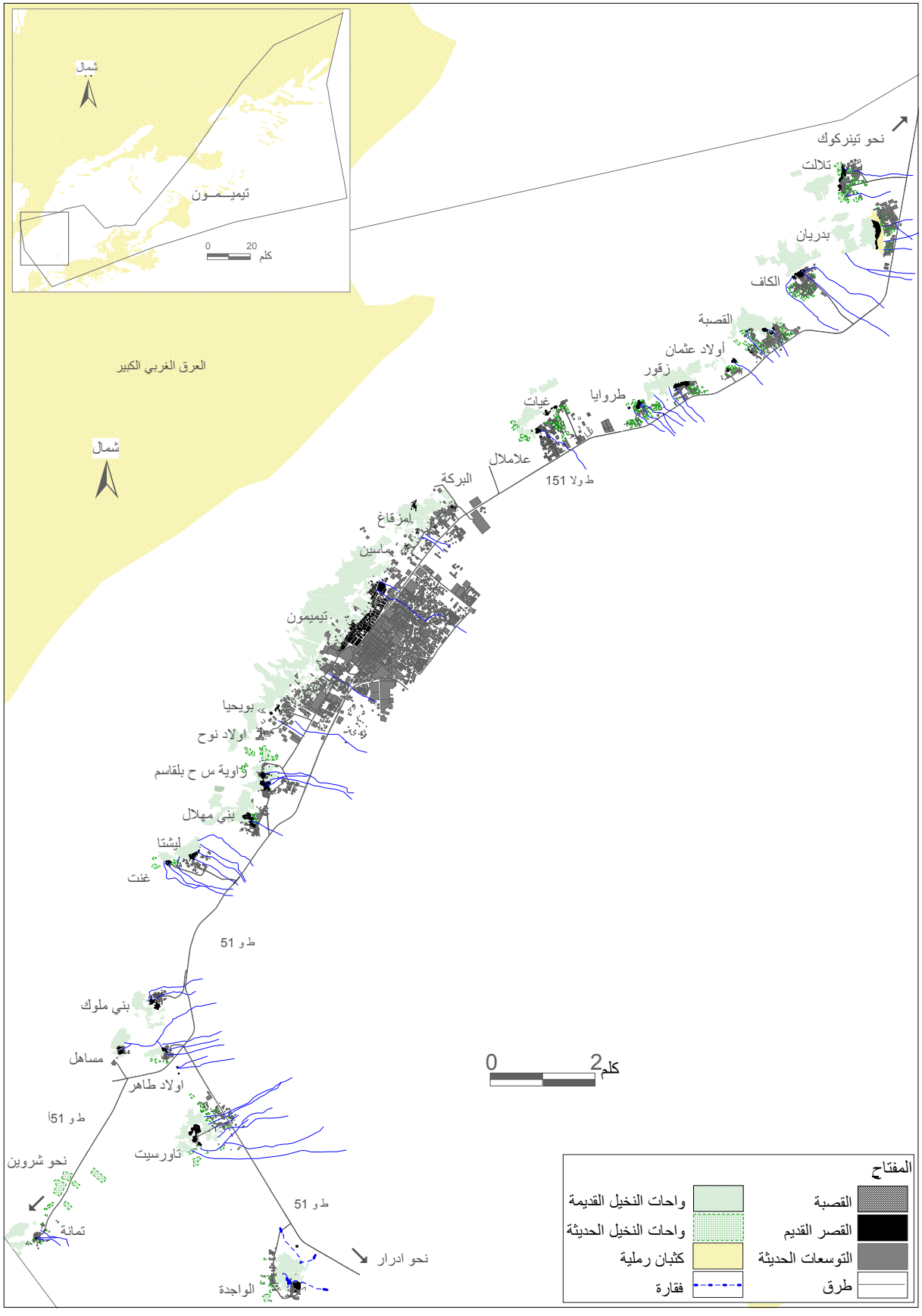

الخريطة (49): قصور بلدية تيميمون

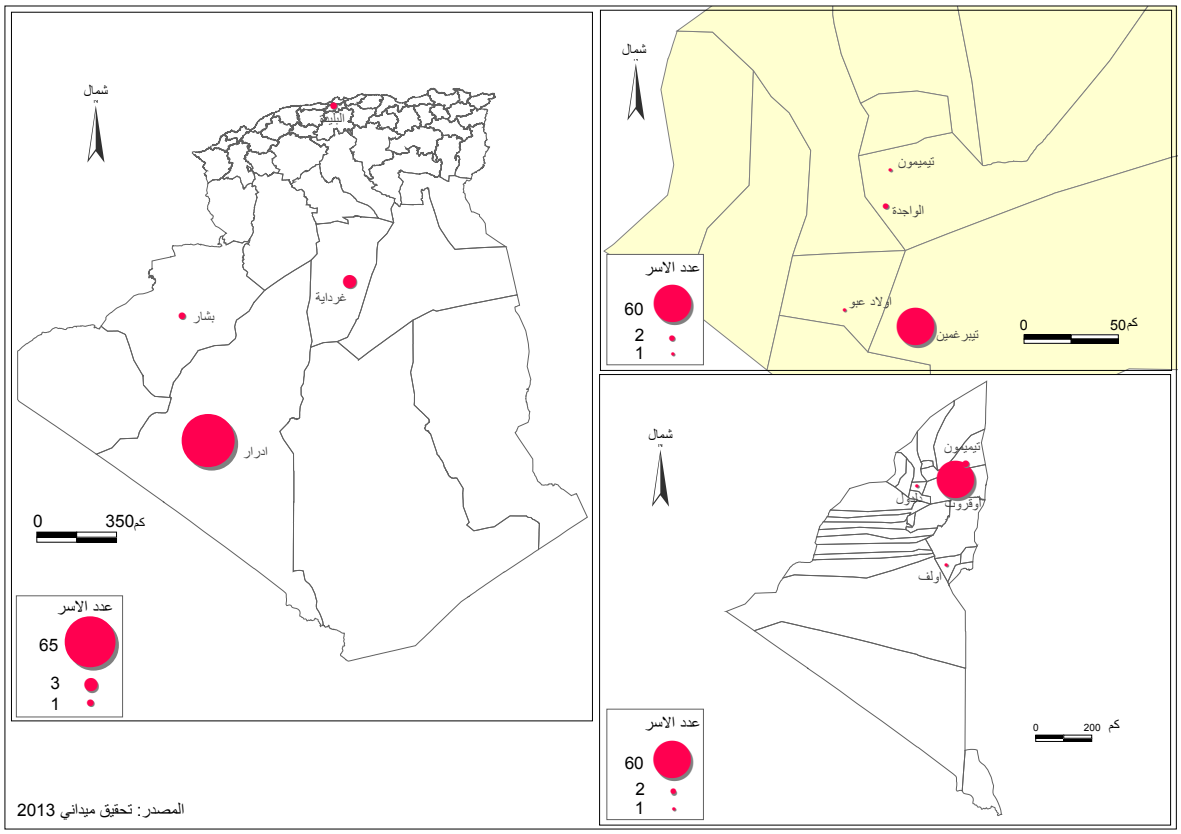

خريطة (50): توزيع للأسر المحقق معها بمجمعة تيبرغمين حسب مكان الميلاد

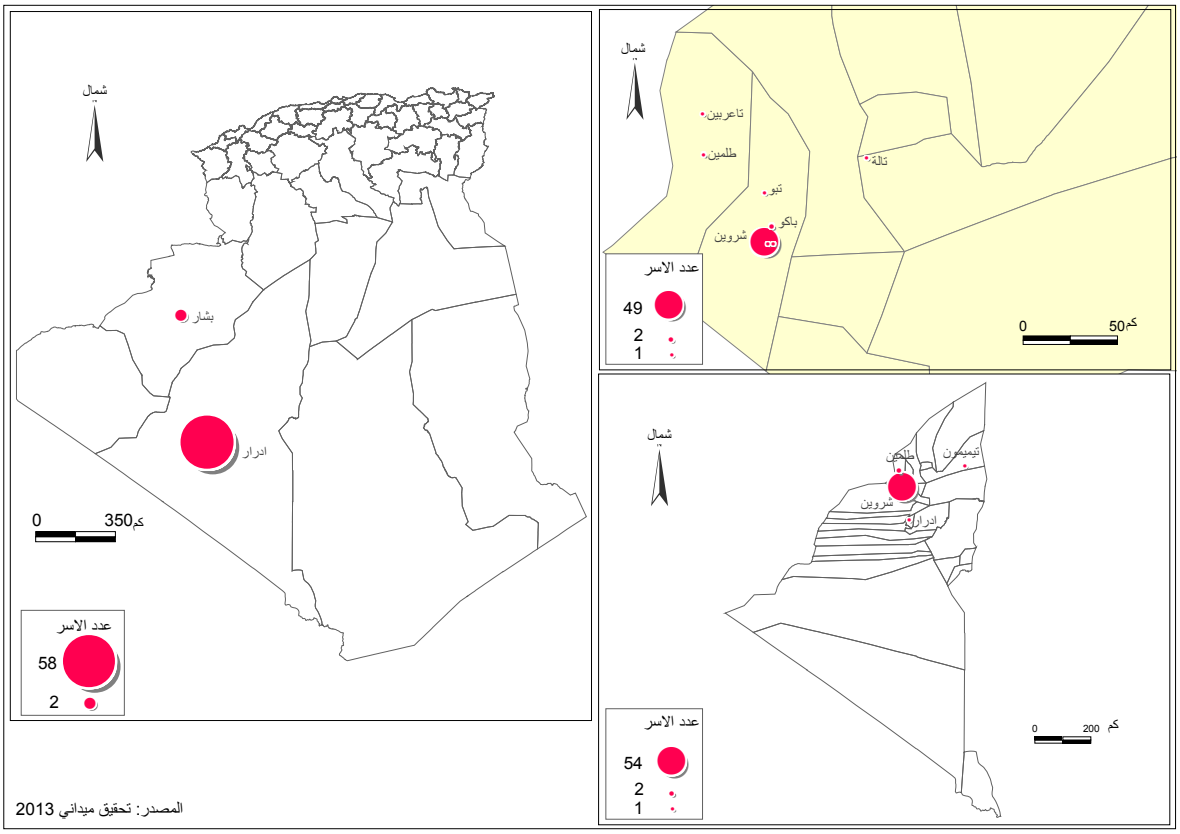

خريطة (51): توزيع للأسر المحقق معها بأولاد سعيد حسب مكان الميلاد

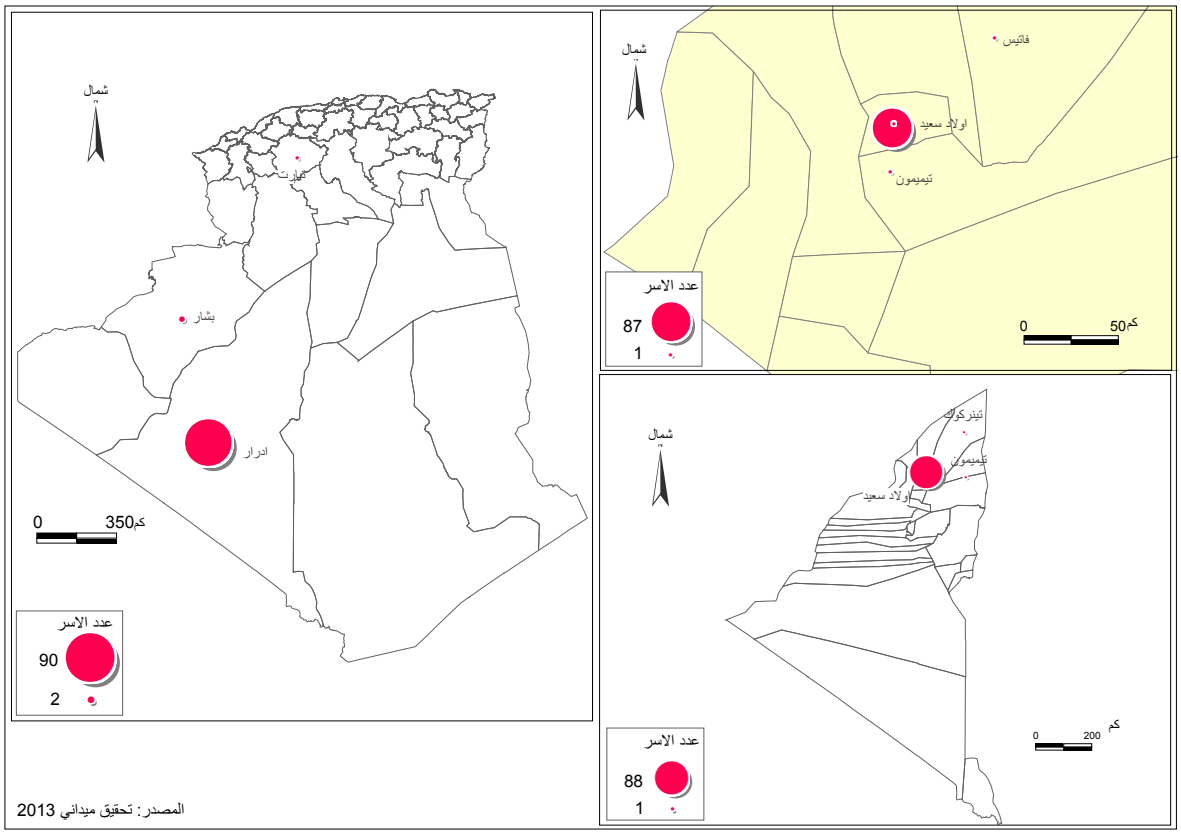

خريطة (52): توزيع للأسر المحقق معها بشروين حسب مكان الميلاد

قائمة الجداول

جدول 1 تطور التنظيم الإداري لمنطقة قورارة ما بين 1905- 1959..... 46
جدول 2 تطور التنظيم الإداري منطقة قورارة بعد الاستقلال..... 49
جدول 3 تطور توزيع القصور على البلديات..... 50
جدول 4 توزيع مشاريع التنمية لبعض مراكز بلديات منطقة قورارة سنة 2012..... 54
جدول 5 توزيع مشاريع التنمية على القصور الثانوية لبعض بلديات قورارة سنة 2012.. 55
جدول 6 تطور سكان منطقة قورارة (1966- 2008)..... 63
جدول 7 تطور الكثافة السكانية حسب البلديات 66- 77..... 65
جدول 8 توزيع السكان المبعثرين بمنطقة قورارة (66- 77)..... 69
جدول 9 تطور نسبة السكان المتجمعين حسب بلديات منطقة قورارة (66- 77)..... 72
جدول 10 تطور توزيع القصور المتجمع سكانها حسب بلديات منطقة قورارة (87- 08)... 73
جدول 11 تطور سكان قورارة حسب البلديات (66 – 77)..... 75
جدول 12 تطور نسبة التركز السكاني في التجمعات الرئيسية في قورارة..... 83
جدول 13 تطور توزيع الناشطين في منطقة قورارة حسب القطاعات الاقتصادية..... 85
جدول 14 تطور نسبة البطالة لدى السكان في قورارة..... 86
جدول 15 المساكن التي أشرف على إنجازها "OPGI" ما بين 1973- 2013..... 95
جدول 16 المساعدات المالية التي استفادت منها البلديات خلال 1993- 2011..... 100
جدول 17 توزيع المساكن الهشة المستفيدة من الإعانات حسب بلديات قورارة سنة 2011.. 102
جدول 18 توزيع الإعانات المبرمجة للمساكن المتضررة حسب البلديات..... 105
جدول 19 تطور تصنيف قصور قورارة حسب الحجم اعتمادا على الاحصاءات السكانية... 121
جدول 20 أنماط التوسع في قصور قورارة حسب البلديات..... 130
جدول 21 تطور تصنيف قصور قورارة حسب نمط الاستيطان..... 151
جدول 22 تصنيف قصور قورارة حسب الهيكلة الحضرية لـ2008..... 155
جدول 23 تراتب القصور في منطقة قورارة..... 159
جدول 24 درجة ربط المساكن بالشبكات حسب البلديات (%)..... 161
جدول 25 الأصل الجغرافي للأسر المحقق معها في المجمعات السكانية(%)..... 177
جدول 26 الأصل الجغرافي للمتمدرسين المحقق معهم في المؤسسات التعليمية (%)..... 180
جدول 27 الأصل الجغرافي لموظفي المؤسسات التعلمية والصحية في المجمعات المدروسة (%)..... 182
جدول 28 المهن السابقة لأرباب الأسر في المجمعات المدروسة (%)..... 185
جدول 29 تنوع مهن أرباب الأسر في المجمعات المدروسة (%) 186
جدول 30 علاقة المهن الحالية لأرباب الأسر بمهنهم السابقة (%)..... 189
جدول 31 المهن الثانوية لأرباب الأسر في المجمعات المدروسة (%)..... 189
جدول 32 أنماط المساكن في المجمعات المدروسة..... 191
جدول 33 الطبيعة العقارية للمساكن السابقة للأسر المحقق معها (%)..... 193
جدول 34 أنماط المساكن السابقة للأسر المحقق معها (%)..... 194
جدول 35 فترات استقرار الأسر في مساكنها الحالية في المجمعات المدروسة (%)..... 195

جدول 36 فترات استقرار الأسر في مساكنها الحالية (فاتيس، بوكزين) (%)..... 195
جدول 37 العلاقة بين مكان السكن السابق والحالي للأسر المحقق معها (%)..... 196
جدول 38 الوضعية العقارية للمساكن الحالية بالمجمعات المدروسة (%)..... 197
جدول 39 أنماط المساكن الحالية بالمجمعات المدروسة (%)..... 197
جدول 40 مقترح هندسة بناء المسكن الحالي للأسر المحقق معها (%)..... 198
جدول 41 المستفيدين من الإعانات المالية في المجمعات المدروسة..... 199
جدول 42 مصير السكن السابق بالمجمعات المدروسة (%)..... 200
جدول 43 ترتيب المجمعات المدروسة حسب نوع التجهيزات التي تتوفر عليها..... 202
جدول 44 ربط المساكن المحقق معها بالشبكات في المجمعات المدروسة (%)..... 203
جدول 45 كيفية تنقل التلاميذ حسب مكان السكن في المؤسسات التعليمية للمجمعات..... 206
جدول 46 مهن المترددين يوميا على مقر بلديتهم من قصر الواجدة (%)..... 207
جدول 47 كيفيات تردد الأسر المحقق معها في المجمعات المدروسة على مدينة تيميمون (%)..... 208
جدول 48 دوافع تنقل الأسر المحقق معها في المجمعات المدروسة إلى مدينة تيميمون (%) 209
جدول 49 توزيع المساحة الزراعية في بلديات قورارة 2011..... 218
جدول 50 توزيع المالكين للقطع الزراعية حسب نمط السقي في القصور المدروسة..... 221
جدول 51 مواقع استفادة الأسر المحقق معها من الاستصلاحات الزراعية..... 221
جدول 52 كيفيات العمل في الزراعة عند الأسر المحقق معها..... 224
جدول 53 توزيع كيفية النشاط في الزراعة حسب وظائف أرباب الأسر المحقق معها..... 226
جدول 54 وضعية الفقاقير ببلديات قورارة 2011..... 233
جدول 55 مصدر الماء المستخدم لسقي واحات النخيل التقليدية في القصور المحقق معها... 237
جدول 56 تعدد أسباب هجرة الأسر للنسيج التقليدي للقصر..... 241

قائمة الأشكال

شكل1 مخطط استخدام المعطيات لتصنيف القصور..... 15
شكل 2 مخطط تنظيم عناصر واحات النخيل..... 26
شكل 3 العناصر المكونة للقصر..... 29
شكل 4 مخطط تنظيم عناصر الفقارة..... 30
شكل 5 مخطط تنظيم وهيكلة مجال الواحة..... 34
شكل 6 تطور نسبة التركز السكاني في التجمعات الرئيسية لبلديات قورارة..... 84
شكل 7 تطور معدل البطالة في بلديات قورارة..... 87
شكل8 المساكن المنجزة بمتابعة من OPGI في إطار برنامج PSS (2005- 2009)..... 96
شكل9 المساكن المنجزة بمتابعة من OPGI في إطار المخطط الخماسي (2010-2014)..... 97
شكل10 أنماط القصور بقورارة..... 112
شكل11 تمثيل قصور قورارة بالتصنيف متعدد المتغيرات باستخدام ACP..... 119

شكل12 ترتيب القصور حسب الحجم سنة 1987..... 123
شكل13 ترتيب القصور حسب الحجم سنة 1998..... 125
شكل14 ترتيب القصور حسب الحجم سنة 2008 127
شكل15 تطور ترتيب القصور حسب الحجم خلال 1987- 2008..... 129
شكل16 تصنيف القصور حسب عدد التجهيزات والمحلات التجارية..... 157
شكل17 تراتب القصور بمنطقة قورارة..... 159
شكل18 المهن السابقة لأرباب الأسر الناشطين المحقق معهم..... 186
شكل19 البنية المهنية لأرباب الأسر الناشطين المحقق معهم..... 187
شكل20 مخطط تدهور نظام الواحة..... 217
شكل21 توزيع الأراضي المستصلحة والمسقية في بلديات منطقة قورارة..... 219
شكل22 تطور نظام السقي بالفقارة في منطقة قورارة..... 232

قائمة الخرائط

خريطة 1 حدود منطقة قورارة ضمن الوحدات الجغرافية للصحراء الجزائرية..... 18
خريطة 2 تشكيلة مرفولوجية متباينة تتوضع عليها قصور قورارة..... 20
خريطة 3 الحدود الادارية لمنطقة الدراسة..... 22
خريطة 4 تيارات حركة القوافل التجارية في الصحراء..... 40
خريطة 5 تطور التنظيم الإداري في منطقة قورارة..... 52
خريطة 6 الوضعية الحالية لشبكة الطرق بمنطقة قورارة..... 57
خريطة 7 تطور الكثافة السكانية في بلديات قورارة..... 66
خريطة 8 توزيع السكان حسب المناطق المحلية لقورارة..... 68
خريطة 9 تطور نسبة السكان المبعثرين حسب بلديات قورارة..... 71
خريطة 10 تطور نسبة السكان المتجمعين حسب بلديات قورارة..... 74
خريطة 11 وتيرة النمو السكاني ببلديات قورارة..... 78
خريطة 12 النمو السكاني لقصور قورارة ما بين 1987- 1998..... 80
خريطة 13 النمو السكاني لقصور قورارة ما بين 1998- 2008..... 82
خريطة 14 التوسع المجالي لمقر بلدية دلدول..... 90
خريطة 15 التوسع المجالي لقصر اقسطن..... 92
خريطة 16 التوسع المجالي لقصر الواجدة..... 93
خريطة 17 توزيع المساعدات المالية التي استفادت منها القصور في إطار البناء الريفي خلال 1993-2011 101
خريطة 18 توزيع المساعدات المالية التي استفادت منها القصور في إطار إعادة الاعتبار للسكن الهش سنة 2011..... 103
خريطة 19 توزيع إعانات الدولة للمساكن المتضررة من امطار 2004 في قصور قورارة 106
خريطة 20 تصنيف القصور بقورارة حسب خصائصها..... 120
خريطة 21 توسع مجالي نحو الطرق العامة والتخلي عن النسيج التقليدي للقصر..... 133
خريطة 22 قصر زاوية الدباغ..... 134

خريطة 23 التوسع المجالي لقصر اولاد عيسى..... 136
خريطة 24 التوسع المجالي لقصر البركة..... 139
خريطة 25 التوسع المجالي قصر بادريان..... 140
خريطة 26 توزيع المجمعات السكانية لبلدية طلمين..... 146
خريطة 27 قصر باحمو، بلدية طلمين..... 147
خريطة 28 توزيع القصور بقورارة حسب أنماط الاستيطان سنة 1987..... 152
خريطة 29 توزيع القصور بقورارة حسب أنماط الاستيطان سنة 2008..... 154
خريطة 30 التراتب الوظيفي للقصور بقورارة..... 160
خريطة 31 مواقع المجمعات السكانية المدروسة..... 166
خريطة 32 توزيع قصور مدينة تيميمون..... 169
خريطة 33 توزيع قصور مجمعة تيبرغمين..... 171
خريطة 34 مجمعة شروين..... 172
خريطة 35 توزيع قصور التجمع العمراني الرئيسي بلدية اولاد سعيد..... 174
خريطة 36 بوكزين مقر بلدية طلمين..... 175
خريطة 37 قصر فاتيس..... 176
خريطة 38 توزيع الأسر المحقق معها بمدينة تيميمون حسب مكان الميلاد..... 178
خريطة 39 توزيع الأسر المحقق معها في مجمعة بوكزين حسب مكان الميلاد..... 179
خريطة 40 توزيع التلاميذ المتمدرسين في المؤسسات التعليمية للمجمعات المدروسة حسب مكان الميلاد..... 181
خريطة 41 توزيع موظفي المؤسسات التعليمية والصحية للمجمعات المدروسة حسب مكان الميلاد..... 183
خريطة 42 أنماط البرامج السكنية المنجزة بمجمعة شروين إلى غاية 2013..... 191
خريطة 43 أنماط البرامج السكنية المنجزة بمجمعة تيبرغمين الى غاية 2010..... 192
خريطة 44 أماكن ظهور نظام استصلاح الأراضي الزراعية بمنطقة قورارة..... 220
خريطة 45 توسع مساحة الأراضي الزراعية المستصلحة بشروين..... 223
خريطة 46 قصر تبو: زحف الكثبان الرملية على واحات النخيل التقليدية..... 228
خريطة 47 توزيع الفقارات حسب وضعيتها الحالية (2011) في قصور قورارة..... 234
خريطة 48 توزيع القصور الأكثر تأثرا بزحف الرمال في منطقة قورارة..... 243

قائمة الصور

صورة 1 الشققة الدائرية..... 31
صورة 2 قرية مقيدن الاشتراكية..... 59
صورة 3 ظهور نطاق آخر بمدينة تيميمون خلال المرحلة الاستعمارية (1900- 1962).. 89
صورة 4 برامج السكن العمومي الإيجاري بإحدى مراكز بلديات قورارة (2013)..... 97
صورة 5 ظهور أحياء جديدة بصيغ سكنية مختلفة خارج نطاق القصر بمدينة تيميمون..... 98
صورة 6 بناء المسكن خارج القصر..... 104

صورة 7 إعادة بناء المسكن داخل القصر..... 104
صورة 8 ترميم المسكن ببناء غرفة بمواد بناء حديثة..... 104
صورة 9 إنهاء تعديل الواجهة قبل بناء المسكن بهدف التعجيل بالاستفادة من المنحة..... 104
صورة 10 ظهور حي جديد بقصر تبو بعد إعادة إسكان المتضررين من امطار 2004..... 105
صورة 11 قصور لقصبة من الشكل الدائري بمنطقة قورارة..... 113
صورة 12 قصور لقصبة من الشكل المستطيل والمربع بمنطقة قورارة..... 114
صورة 13 قصر يجمع نوعين المقصبات الشكل المستطيل والمربع..... 115
صورة 14 قصر قنتور 2013..... 136
صورة 15 توسع مجالي خارج النسيج التقليدي في قصور شروين..... 137
صورة 16 توسع مجالي خارج نطاق النسيج التقليدي لقصر إغزر..... 138
صورة 17 زحف الرمال على النسيج التقليدي بقصور دلدول..... 139
صورة 18 قصر بادريان: توسع مجالي خارجي بسبب زحف الرمال على النسج التقليدي... 140
صورة 19 تحولات مجالية داخل وخارج النسيج التقليدي لقصور المطارفة والساهلة..... 142
صورة 20 القصر القديم لطلمين 2013..... 145
صورة 21 قصبة قصر الساقية..... 145
صورة 22 التجهيزات التعليمية بالمجمعات المدروسة 2014..... 184
صورة 23 معروضات الصناعات التقليدية الأكثر ممارسة من طرف سكان قصر فاتيس.... 188
صورة 24 تصميمات جديدة أدخلت على السكن في المجمعات السكانية المدروسة..... 198
صورة 25 مظاهر تهميش السكن التقليدي بالمجمعات السكانية المدروسة 2014..... 201
صورة 26 موقع التجهيزات الحديثة بقصر فاتيس..... 203
صورة 27 شبكة المياه داخل النسيج التقليدي للقصر بالمجمعات المدروسة..... 204
صورة 28 النقل المدرسي الموفر للتلاميذ من المجمعات الصغرى (ثانوية بوكزين 2014). 206
صورة 29 تجهيز ذو دور إقليمي مقره بمدينة تيميمون..... 210
صورة 30 وضعية بعض النشاطات التجارية بالمجمعات المدروسة..... 210
صورة 31 السيارات المستعملة لنقل الأشخاص من القصور نحو المراكز العمرانية 2014. 211
صورة 32 وضعية وسائل النقل المنظمة نحو المراكز العمرانية..... 211
صورة 33 تدهور وضعية واحات النخيل التقليدية بقصور مجمعة شروين 2014..... 222
صورة 34 عمل المرأة في واحة النخيل التقليدية في موسم زراعة القمح في إحدى قصور المنطقة 2014..... 225
صورة 35 وضعية إحدى واحات النخيل التقليدية بقصر الواجدة التي تخلى عنها مالكها للعمل في مركز مدينة تيميمون..... 226
صورة 36 ارتفاع نسبة الملوحة في واحات النخيل التقليدية قلص من مساحتها وانتاجيتها.... 229
صورة 37 إزاحة الاتربة والنخيل من أجل التوسع العمراني في أراضي البور بأولاد سعيد 2013..... 230
صورة 38 قصر أولاد عبو: توسع عمراني على حساب أراضي البور..... 230
صورة 39 وضعية إحدى الفقارات بقصر شروين 2014..... 235

صورة 40 وضعية الفقارات الموجهة لسقي واحات النخيل التقليدية في قصور قورارة 2013..... 237
صورة 41 السقي بالآبار بواحات بوكزين 2013..... 238
صورة 42 مدخل قصبة مهدد بالانهيار..... 240
صورة 43 وضعية دار الزاوية القديمة..... 240
صورة 44 زحف الكثبان الرملية على النسيج السكني التقليدي للقصر..... 243
صورة 45 قصر تاورسيت 2014..... 245
صورة 46 قصر المطارفة: التغيير في مواد بناء المساكن داخل القصر أفقدته طابعه العمراني القديم..... 245
صورة 47 واحات نخيل بقصور قورارة تشتغل لحد الآن بنظام الفقارة 2014..... 246
صورة 48 أشغال صيانة إحدى الفقارات بقصر تاورسيت 2014..... 247

خرائط الملاحق

خريطة 49 قصور بلدية تيميمون..... 279
خريطة 50 توزيع للأسر المحقق معها بمجمعة تيبرغمين حسب مكان الميلاد..... 280
خريطة 51 توزيع للأسر المحقق معها بأولاد سعيد حسب مكان الميلاد..... 280
خريطة 52 توزيع للأسر المحقق معها بشروين حسب مكان الميلاد..... 281

فهرس المواضيع

ا فتتاحية..... 2

مدخـــــل عـــــام..... 4

مقدمة..... 5

إشكالية..... 7

اهداف الدراسة ومبرراتها..... 10

المنهجية المتبعة في اعداد البحث..... 11

تحديد منطقة قورارة وخصائصها..... 17

الفصل الأول: قصور قورارة بين تاريخ نشأتها في الماضي وبداية تحولها في الحاضر..... 23

1. نظام الواحة Le système oasien: نظام ساهم في تعمير المنطقة رغم صعوبة الظروف الطبيعية..... 24

1.1. واحات النخيل: مصدر الرزق الرئيسي لسكان الواحة..... 25

2.1. القصر: النسق التقليدي للعمران بالوسط الصحراوي..... 26

3.1. الفقارة: نظام السقي المهيكل من طرف سكان القصر..... 29

1.3.1. اكتساب وتقسيم مياه الفقارة..... 30

2.3.1. البناء الاجتماعي للفقارة..... 32

4.1. الواحة، القصر، الفقارة: وحدات مجال الواحة التي لا تنفصل..... 33

2. مجتمع قورارة: تركيب وتنوع عرقي أملته الظروف التي مر بها إقليم توات..... 35

1.2. جذور التجمع السكاني في الصحراء..... 35

1.1.2.الاستيطان البشري بإقليم توات..... 35

1.1.1.2. مرحلة استيطان قبائل زناتة (600م- 1050م)..... 36

2.1.1.2. هجرات القبائل العربية نحو توات (1146م- 1438م)..... 37

2.1.2. ظهور القصور بتوات: اختيار الموضع..... 37

2.2. التنظيم الاجتماعي والعرقي لسكان القصور..... 41

3.2. الزوايا: المحرك الرئيسي للمجتمع في القصور..... 42

1.3.2. نشأة الزوايا بتوات..... 43

2.3.2. تنظيم وتسيير الزوايا للقصر..... 43

3. قصور قورارة: بداية التحول وبروز فاعلين بمنطق تنظيمي جديد..... 45

1.3. تنظيم تقليدي قبلي كان يسير القصور..... 45

2.3. المرحلة الاستعمارية: كسر النظام التقليدي للقصر..... 45

1.2.3. دمج قصور قورارة في التنظيم الإداري للمجال الوطني..... 46

2.2.3. التدخل في الكيان الداخلي للقصر..... 47
3.3. مرحلة ما بعد الاستقلال: تدخل الدولة برؤية مختلفة عمقت التحولات بقورارة..... 48
1.3.3. التقسيم الإداري: إعادة هيكلة المجال من خلال إرساء إدارة ثابتة تسير القصور..... 49
1.1.3.3. تنظيم 1963: تعديل اداري على المستوى المحلي..... 49
2.1.3.3. تقسيمات 1974: إعادة التنظيم الإداري للبلاد لكن لم تغيير في قورارة..... 50
3.1.3.3. تنظيمات 1984، 1991: تحول البنية المجالية لقورارة..... 51
2.3.3. برامج تنموية متعددة: تهدف إلى إعادة هيكلة المجال وتنمية القصور..... 53
1.2.3.3. المشاريع القطاعية ومخططات تنمية البلدية(P.C.D) : من أجل تنظيم توزيع الهياكل والتجهيزات في القصور..... 53
2.2.3.3. الربط بشبكة الطرق: من أجل فك العزلة عن القصور..... 55
3.3.3. أمقيدن: قرية فلاحية بين شبكة قصور قورارة..... 58
خلاصة الفصل الأول..... 59

الفصل الثاني: ديناميكية التطور الاقتصادي والتحولات السوسيو- مجالية في قورارة: سكان يتجهون نحو التجمع والقصور تعرف تحولات بأشكال متعددة..... 61

1. خصائص ديموغرافية متغيرة من مكان ووقت لأخر في قورارة..... 62
1.1. ديناميكية ديموغرافية بقورارة: تزايد مستمر لسكان القصور..... 63
2.1. توزيع مجالي متباين لسكان قورارة..... 64
1.2.1. كثافة سكانية منخفضة بسبب شساعة المساحة..... 64
2.2.1. المعطيات الطبيعية تتحكم في التوزيع المجالي للسكان..... 67
1.2.2.1. توزيع مجالي للسكان ورثته قورارة منذ نشأة القصور..... 67
2.2.2.1. توزيع مبعثر وتركز سكاني ضعيف في قصور العرق..... 69
3.2.2.1. تجمع السكان حول السبخة على حواف هضبة تادمايت وأمقيدن..... 72
3.1. زيادة سكانية تختلف بين البلديات والقصور وتتغير من سنة لأخرى..... 75
1.3.1. الفترة 1966- 1977: نمو سكاني بطيء..... 75
2.3.1. الفترة 1977- 1998: وتيرة نمو مرتفعة في البلديات..... 76
3.3.1. تراجع وتيرة النمو في البلديات خلال الفترة 1998- 2008..... 77
4.3.1. الانتقال الديموغرافي لسكان قورارة: كل قصر بإيقاع خاص..... 78
1.4.3.1. نمو سكاني مرتفع ميز اغلب القصور في الفترة 1987- 1998..... 79
2.4.3.1. القصور فقدت ديناميكيتها الديموغرافية المرتفعة خلال 1998- 2008..... 81
4.1. تركز سكان قورارة في القصور المرقاة الى مراكز للبلديات..... 82
2. التحولات السوسيو- اقتصادية: ساهم فيها تدخل الدولة وممارسات السكان المحليين..... 84
1.2. توجه السكان نحو العمل في قطاع الخدمات والاشغال العمومية وهجرة النشاط

الزراعي..... 85
2.2. انخفاض نسبة البطالة وتزايد عدد السكان الناشطين..... 86
3. تحولات مجالية واسعة في القصور اختلفت العوامل المساهمة فيها..... 87
1.3. النسيج العمراني للقصور: تحول مورفولوجي متباين بين القصور..... 87
1.1.3. توسع عمراني موجه في التجمعات العمرانية الرئيسية..... 88
1.1.1.3. انقسام السكن في القصور خلال الفترة الاستعمارية..... 88
2.1.1.3. التوسعات العمرانية الحديثة تنظمها مخططات التعمير..... 89
2.1.3. توسع عمراني نحو الطرق العامة في قصور المجمعات الثانوية والمبعثرة..... 91
2.3. برامج سكنية متعددة أعطت تنظيم مجالي جديد للقصور..... 94
1.2.3. مراكز البلديات: برامج سكنية بصيغ مختلفة غيرت من مرفولوجية قصورها..... 94
2.2.3. إعانات الدولة للسكن في قصور المجمعات الثانوية والمبعثرة..... 98
1.2.2.3. البناء الريفي والهش: برنامجين يهدفان إلى تحسن وضعية واعادة الاعتبار للسكن القصوري..... 99
2.2.2.3. فيضانات 2004: تضرر السكن القصوري وتدخل الدولة لمساعدة المنكوبين.. 104
خلاصة الفصل الثاني..... 107
الفصل الثالث: قصور قورارة: محاولة تصنيف تهدف إلى تحديد دورها في تنظيم الشبكة العمرانية بالمنطقة..... 109
1. قصور قورارة حسب التصنيفات السابقة: تصنيفات اعتمدت على اشكال وموقع ومواد بناء القصور والقصبات..... 110
1.1. تصنيف (J. Bisson) لقصور قورارة..... 111
1.1.1. قصور ذات قصبة: تجمع السكان كثيف حول القصبة..... 111
2.1.1. قصور العرق: تبعثر المساكن بجانب القصبة..... 111
3.1.1. قصور بدون قصبة: نسيج عمراني متداخل مع الواحة..... 111
2.1. تصنيف القصور عند إيشالي J.G.Echallier 112
2. خصائص القصور في قورارة اعتماد على تصنيف متعدد العناصر..... 115
1.2. منهجية التصنيف باستخدام التحليل الاحصائي..... 116
2.2. محاولة تصنيف قصور قورارة بالتحليل العاملي..... 117
3. تعدد أصناف القصور بقورارة حسب الحجم والشكل..... 121
1.3. تزايد عدد القصور ذات الحجم 1000 نسمة والسكان يتجهون نحو التجمع فيها..... 121
1.1.3. إحصاء 1987: أغلب القصور من الحجم (100-1000نسمة)..... 122
2.1.3. تغير ترتيب القصور بعد 1998 بظهور قصور جديدة في المراتب الأولى..... 124
3.1.3. هيكلة المجال القوراري بشبكة عمرانية صغيرة شكلتها القصور..... 128

2.3. النمو المجالي للقصور: ثلاث أنماط من التوسع في منطقة قورارة..... 129
1.2.3. توسع مجالي خارج نطاق القصر القديم يختلف باختلاف دوافعه..... 131
1.1.2.3. قصور تخلت على النسيج التقليدي وتوسعت نحو الطرق العامة..... 131
2.1.2.3. الطبيعة الطبوغرافية تفرض التوسع الخارجي في قصور أولاد سعيد وشروين..... 137
3.1.2.3. توسع خارج القصر سببه زحف الرمال على النسيج التقليدي في "بدريان وقصور دلدول"..... 138
2.2.3. تحول مجالي داخل وخارج النسيج التقليدي في بعض القصور..... 141
3.2.3. قصور تاغوزي: نمو مجالي عن طريق تشكيل تجمعات سكانية جديدة..... 143
1.3.2.3. قصور قديمة النشأة وأخرى تعود نشأتها إلى ما لا يزيد عن قرنين فقط؟..... 143
2.3.2.3. مجمعات سكانية حديثة النشأة: أي نوع من المجمعات تشكل؟..... 144
4. شبكة عمرانية غير متوازنة: تباين في توزيع الهياكل والوظائف في القصور..... 148
1.4. الترقية الإدارية: لماذا تم اختيار بعض القصور لتكون مراكز ادارية دون انتقاء غيرها؟.. 148
1.1.4. مقرات إدارية في المجمعات الكبرى لقورارة وأخرى تم اختيارها حسب موقعها ولخلق التوازن الإداري بين القصور..... 149
2.1.4. تكثيف الشبكة الإدارية لقورارة بعد 1984 سمح بالتغيير في وظائف القصور..... 150
2.4. بروز أنماط جديدة من المجمعات السكانية في منطقة قورارة..... 150
1.2.4. تطور تصنيف القصور حسب أنماط التجمع..... 151
2.2.4. القصور جلها ريفية حسب الهيكلة الحضرية لـ 2008. 155
3.4. توزيع تميز بتركز التجهيزات وخدمات القطاع الثالث في المراكز العمرانية..... 156
4.4. التراتب الوظيفي للقصور في قورارة..... 158
5.4. مستوى الربط بالشبكات ضعيف في أغلب القصور..... 161
خلاصة الفصل الثالث..... 163

الفصل الرابع: من القصر الى المدينة: مرحلة بتحولات عميقة يعرفها مجتمع يسعى وراء التحضر..... 164

1. خصائص عمرانية متباينة تتميز بها المجمعات السكانية المدروسة..... 167
1.1. مراكز عمرانية تشكلت من التحام مجموعة من القصور..... 167
1.1.1. تيميمون وتيبرغمين: استمرار التعمير بوتيرة سريعة نحو القصور المجاورة..... 168
أ- تيميمون: مدينة تشكلت من تجمع أكثر من عشر قصور..... 168
ب- تيبرغمين: مجمعة صنفت كمركز شبه حضري بعد أن جمعت 3 قصور..... 170
2.1.1. شروين وأولاد سعيد: من مجموعة قصور صغيرة إلى مجمعات سكانية..... 172
2.1. بوكزين مقر لبلدية طلمين تم اختاره بسبب موضعه..... 175
3.1. فاتيس: من أكبر قصور تينركوك القديمة النشأة..... 175

2. السكان والسكن في المجمعات المدروسة: تحولات جذرية تهدف إلى تحسين مستوى المعيشة... 177
1.2. أصول جغرافية متنوعة للسكان في المراكز العمرانية..... 177
1.1.2. التعليم والصحة: إحدى القطاعات التي ساهمت في جذب أفراد جدد إلى هذه المراكز 180
2.1.2. فاتيس: لم تجذب إليها فئات سكانية جديدة؛ فهي لا تقدم وظائف تسمح بذلك..... 184
2.2. فرص شغل جديدة أحدثت تغييرات في نشاطات سكان القصور..... 185
1.2.2. البنية المهنية الاجتماعية لأرباب الاسر: الفلاحة لا تمثل نشاطهم الرئيسي..... 185
2.2.2. تغيير المهنة: التحول نحو العمل في القطاعات الإدارية والأشغال العمومية..... 186
3.2. السكن: ممارسات مختلفة من طرف فاعلين متعددين؛ أكسبته خصائص مغايرة..... 190
1.3.2. برامج سكنية متنوعة في المجمعات السكانية المدروسة..... 190
2.3.2. السكن السابق: أغلب الأسر كانت تسكن القصر..... 193
1.2.3.2. السكن العائلي: هي الطبيعة العقارية التي كانت تسيطر على المساكن السابقة... 193
2.2.3.2. القصر: هو النمط الغالب على المساكن السابقة..... 194
3.3.2. السكن الحالي: تغيرات في خصائصه ارتبطت بالتحولات التي عرفتها المجمعات... 194
1.3.3.2. تغيير مكان الإقامة: التوجه للسكن في التوسعات الحديثة..... 196
2.3.3.2. تحول الوضعية العقارية للمساكن إلى صيغة الملكية..... 196
3.3.3.2. أنماط سكنية جديدة تتميز بها المساكن الحالية..... 197
4.3.2. السكن التقليدي يعرف تحولات مرتبطة بعدة أسباب..... 198
1.4.3.2. برامج البناء الريفي والهش: إدخال مواد بناء وأنماط سكنية جديدة..... 199
2.4.3.2. تهميش السكان للسكن التقليدي وتحويل وظائفه..... 200
3. تباين مستوى التجهيز في المجمعات السكانية المدروسة..... 201
1.3. التجهيزات الحديثة تتركز خارج النسيج التقليدي للقصر..... 202
2.3. الربط بالشبكات في المجمعات السكانية..... 203
4. دوافع متعددة تفرض تبعية القصور الصغرى للمراكز العمرانية..... 205
1.4. حركة يومية كثيفة بين القصور ومقرات البلدية..... 205
2.4. حتمية تبعية قصور قورارة لمدينة تيميمون..... 208
3.4. وسائل النقل شبه منعدمة بين القصور والمراكز العمرانية..... 210
خلاصة الفصل الرابع..... 212

الفصل الخامس: تدهور نظام الواحة في القورارة تحت تأثير التحولات التي عرفتها القصور.... 214

1. التحولات الوظيفية، الاجتماعية والمجالية للقصور رغم إيجابيتها إلا أنها أدت الى تدهور نظام الواحة..... 215
1.1. تراجع مكانة واحات النخيل التقليدية إشكالية تعرفها جل قصور قورارة..... 217
1.1.1. التحول من النظام الزراعي التقليدي نحو أنظمة الاستصلاحات..... 218
2.1.1. هجرة المجتمع الواحي القطاع الزراعي نحو القطاعات الأخرى..... 224
3.1.1. العوائق الطبيعية إحدى العوامل التي ساهمت في تدهور وضعية واحات النخيل..... 227
2.1. التحول إلى نظام السقي بالآبار أثر سلبا على ديناميكية عمل الفقارة..... 230

1.2.1. تراجع منسوب الماء واختفاء العديد من الفقارات في قورارة..... 232
2.2.1. استعمال شبكة مياه الشرب والسقي بالآبار قلل من شأن الفقارة في القصور..... 236
3.1. القصر: ظهور أنماط سكنية وتجهيزات حديثة أفقدته أهميته لدى السكان..... 238
1.3.1. تراجع مكانة المكونات المجالية للقصر بعد بروز عناصر جديدة حلت مكانها..... 239
2.3.1. تهميش النسيج السكني التقليدي للقصر بظهور أحياء سكنية أكثر تلائما مع ظروف معيشة السكان..... 240
3.3.1. إدخال أنماط ومواد بناء حديثة على السكن القصوري أفقدته ملامحه القديمة..... 244
2. تنظيم تسيير المجال: دمج المجال القصوري لقورارة في الاقتصاد المحلي..... 246
1.2. مجهودات يجب تثمينها والتكثيف منها من اجل الحفاظ على نظام الواحة..... 246
2.2. إمكانيات سياحية هامة يمكن ان تخلق مجال أكثر ديناميكية..... 248
3.2. مشروع المدينة- قصر- واحة: من أجل مجال تتحقق فيه التنمية المستدامة..... 248
خلاصة الفصل الخامس..... 250
خـــــلاصة عـــامة..... 252
المراجع..... 256
ملاحق..... 272
فهرس المواضيع..... 282
ملخص

ملخص

تمثل قورارة إحدى المناطق المحلية لإقليم توات الواقع في الجنوب الغربي للجزائر، كانت تحتل بحكم موقعها مكانة استراتيجية هامة في حركة النشاط التجاري؛ الذي عرفته الصحراء قديما، فكونها نقطة ربط وملتقى القوافل العابرة للصحراء، جعلها تتميز بمرور الوقت كغيرها من المجالات الصحراوية الأخرى بنمط من التجمع السكاني يعرف « *بالقصر*» مفرد «*قصور* »، كنمط سمح بتطوير تقنيات استغلال الوسط (نظام الواحة) من أجل التكيف مع الظروف الطبيعية الصعبة التي تتميز بها مثل هذه المناطق، وكان كفيل باستمرار الحياة البشرية فيها طيلة 10 قرون، كما أنه أعطى ميلاد لتنظيم اجتماعي ومجالي خاص؛ انفردت به مثلها؛ مثل غيرها من المناطق الصحراوية الأخرى.

تضم قورارة ما يفوق المئة قصر، منذ نشأتها سايرت هذه القصور الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها؛ بتنظيم وتسيير تقليدي ومحلي محكم من طرف "جماعة القصر" و"الزوايا"، بقيت هذه الواحات خاضعة له لمدة زمنية طويلة. لكن منذ القرن الماضي عرف هذا المجال تدخل فاعلين جدد بمنطق مغاير لذلك التنظيم التقليدي، يتمثل الأول في الاستعمار الذي كان هدفه إخضاع هذا المجال لسلطته وخدمة مصالحه الخاصة، أما الثاني (الدولة) فكان تدخله من أجل دمجه ضمن المجال الوطني. النتيجة نفسها في كلتا الحالتين، وهي كسر النظام المحلي الذي كانت يسيرها وبداية تحولها.

منذ مجيء الدولة إلى المنطقة في السنوات الأولى من الاستقلال، بدأت تعرف القصور تحولات هامة مست المستويين السوسيو اقتصادي والمجالي، فبرمجتها لسياسة التنمية المحلية من خلال إدراج جملة من الاستراتيجيات التي كان أهمها الترقية الإدارية، أخضعت هذا المجال إلى التسيير الإداري بشكل رسمي بمختلف هياكله؛ وساهمت في بروز ديناميكية تعمير سريعة للقصور بمرور سنوات قليلة من تطبيقها؛ تجسدت من خلال التزايد الديموغرافي السريع، والتحولات الوظيفية والمورفولوجية لها. إن التباين في وتيرة تحول القصور أفرز أنماط مختلفة من المجمعات السكانية من حيث أحجامها، وظائفها وكذا أشكالها المجالية، وهو ما أدى إلى هيكلة مجالية من نوع خاص، تتميز بوجود فوارق واختلالات عديدة، فالبعض منها تطور من مجرد مراكز ريفية إلى مراكز شبه حضرية أو حضرية بإمكانها أن تساهم في ميلاد مدن صغيرة يمكن دمجها في الشبكة العمرانية سواء إقليميا أو وطنيا، فيما بقيت قصور أخرى محافظة على طبيعتها كمراكز ريفية. هذه التحولات التي عرفتها الواحات أثرت بشكل مباشر على ديناميكية عمل نظامها التقليدي، فقد نقلتها من المنطق القصوري أو الواحي في العمران إلى مظهر مجمعات صحراوية ذات مرفولوجية ووظائف متعددة، وساهمت في ظهور اختلالات متعددة الأشكال تستدعي إعادة النظر والتنظيم.

Résumé

Le Gourara fait partie de la région du Touat, localisé au Sud-ouest algérien. Il occupe de par sa position stratégique, une place importante dans l'activité commerciale qu'a connue le Sahara autrefois ; et ce du fait il était un carrefour incontournable dans le commerce transsaharien. Il est comme expression d'établissement humain du Sahara qui se traduit par un type de regroupement connu sous le nom de « *Ksar*» dont le pluriel est « *ksour* ». Ce type particulier d'organisation plus que millénaire, a permis à la population qu'il l'occupe de développer des techniques d'exploitation qui sont en symbiose avec le milieu aride, c'est le « *système oasien* » afin de s'acclimater avec les conditions naturelles extrêmes qui caractérisent la zone, ce qui a permis d'assurer la continuité de la vie humaine dans ces espaces tout au long des dix siècles passés. En plus de cette organisation singulière de l'espace, il a aussi donné naissance à une organisation sociale spécifique à ce type d'espace.

Le Gourara comprend environ une centaine d'agglomérations de type ksar. Depuis leur fondation, les ksour n'ont cessé de s'adapter aux différentes mutations socio-économiques ; cette capacité d'adaptation tient à une organisation de gestion traditionnelle et locale faite à la fois par la « *Djemaa*» et les « *zaouïas* ». Les Oasis, après avoir ainsi été gérées, ont cependant connu au XXe siècle l'apparition de nouveaux acteurs. D'abord le colonialisme, et plus tard après l'indépendance, l'Etat est venu avec de nouvelles stratégies et de nouveaux modes de gestion de ce territoire. Le but du premier était de soumettre ce territoire à son commandement afin de servir ces intérêts. En revanche l'Etat algérien a intervenu afin de l'intégrer dans une dynamique nationale. Depuis les premières années de l'indépendance, l'Etat a apporté des profondes mutations tant sur les plans social, économique et spatial. Sa programmation dans le cadre de la politique du développement local à travers l'intégration d'une série d'action, dont le premier fut les promotions administratives des ksour. Cela s'est traduit par une gestion administrative avec toutes ses structures, ce qui a induit une dynamique d'urbanisation rapide des Ksour après seulement quelques années de sa promotion. L'urbanisation plus que surprenante a eu comme incidences, l'accroissement de la population, qui à son tour à provoquer des mutations fonctionnelles et morphologiques.

Les disparités dans la mutation des Ksour ont donné naissance à une typologie variée des agglomérations, aussi bien selon leurs tailles, leurs fonctions assignées et même leurs formes spatiales, ce qui a eu comme répercutions une réorganisation spatiale. Les unes se sont développées de simples centres ruraux à des centres semi-urbains voir même urbains et qui vont consolider l'armature urbaine en devenant de petites villes mais avec une capacité d'intégration dans le réseau urbain régional ou même national. Tandis que d'autres Ksour ont gardé bon gré malgré leur cachet traditionnel et sont restés des agglomérations rurales.

Ces profonds changements ont eu des conséquences sur la région et sur le système oasien qui l'organisé, car il a permis sur une simple promotion administrative, du statut d'espace ksourien ou oasien à une "sorte" d'agglomération saharienne avec une morphologie multiple et de plusieurs fonctions. En conséquence, Cet espace a connu une dégradation et un déséquilibre de diverses formes et qui nécessitent de le revoir et de le réorganiser.